دكتور إبراهيم نصحى

تاريخ مصر في عصر البطالمة

الجزء الثانى



مكتبة الأنجلو المصرية

تاريخ مصر في عصر البطالمة

الباب الرابع

سياسة البطالمة الدينية

الباب الرابع

سياسة البطالمة الدينية
أو
وضع أساس السلطة المركزية

مر بنا أن مصر كانت جزءا من امبراطورية الاسكندر التى اقتسمها قواده بعد وفاته ، وأنه بعد حروب دامت حوالى الأربعين عاما بين القواد المختلفين ، تمخض عن هذا الصراع ظهور ثلاث ممالك هلينيسية قوية ، وهى مقدونيا وسوريا ومصر ، كان لعواهلها أغراض وأطماع يريدون تحقيقها . ولذلك رأى البطالمة الأوائل ضرورة تكوين جيش وأسطول قويين يمكنانهم من الذود عن حياض مملكتهم ومن تحقيق أغراضهم ، كما رأوا سلامتهم فى الاعتماد الى أقصى حد على المقدونيين والاغريق وأشباههم فى تكوين الجيش والأسطول .

ولما كان عدم استقرار الحالة فى مصر فى خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، بسبب سوء الحكم الفارسى وثورات المصريين على هذا الحكم ، قد أدى الى اضطراب الادارة وتدهور الزراعة والصناعة والتجارة ، وكانت مشروعات البطالمة الخارجية تتطلب نفقات طائلة : لم يكن فى استطاعة حالة مصر الاقتصادية — على ما كانت عليه اذ ذاك — توفيرها ، فانه كان ضروريا أن يعاد تنظيم شئون مصر الادارية والاقتصادية . وقد كان طبيعيا أن يعتمد البطالمة فى ذلك على رجال الاغريق ورءوس أموال اغريقية .

ولما كان البطالمة يعتبرون أنفسهم خلفاء الاسكندر الأكبر ، وكان من أهم ما عنى به الاسكندر نشر الحضارة الاغريقية بين ربوع الشرق ، وكانت حضارة الناس فى ذلك العصر تقاس بمقدار حظهم من تلك الحضارة ، فانه كان طبيعيا أن يكلأ البطالمة برعايتهم حضارة الاغريق وأن يعملوا على نشرها فى مملكتهم ، ولا سيما أنها كانت حضارة العناصر التى اعتمدوا عليها أكثر من غيرها فى تشييد صرح ملكهم . لكنه يجب أن نلاحظ أن البطالمة لم يفرضوا تلك الحضارة على المصريين ، لأنهم وضعوا نصب أعينهم احترام عادات المصريين وتقاليدهم .

وازاء حاجة البطالمة الملحة الى الاغريق فى كل مشروعاتهم سواء الداخلية منها أم الخارجية ، فان ملوك مصر الجدد فتحوا أبوابها على مصاريعها للاغريق ووالوا عليهم المنح والامتيازات ، فهرعوا اليها زرافات ووحدانا ، وأعقبهم كثيرون من سكان آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين . واذا أضفنا الى ذلك العبيد ، الذين أسروا فى الحروب أو استحضروا من آسيا وافريقيا ، أمكننا أن نتخيل الخليط الذى كان يتكون منه العنصر الأجنبى فى مصر البطلمية .

ولا ريب فى أن مصر قد غدت منذ الفتح المقدونى مملكة هلينيسية ، الا أنها كانت قبل كل شىء بلدا يعتز بحضارته الفرعونية وبنظمه الموروثة . واذا كانت قد وفدت على ضفاف النيل فئة كبيرة من الأجانب، فانهم كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة الى أهل البلاد، وهم الذين استمروا يعيشون على نحو ما كان يعيش أجدادهم من قبل . واذا كان البطالمة قد شملوا الاغريق بعطفهم ، فانه كان لزاما عليهم ألا يغفلوا المصريين كلية من حسابهم .

ومنذ أن انتصر بطلميوس الأول على برديقاس كان البطالمة يعتبرون أنفسهم سادة مصر بحق الفتح (١) ، بيد أنه لكى يكون سلطانهم دائما

(1) Cf. Diod. XVIII, 39, 43.

وسيادتهم راسخة ، رأوا ضرورة كسب ولاء المصريين والأجانب ، فقد كانت سياستهم ترمى الى تكوين مملكة قوية غنية ، شعارها الحضارة الاغريقية ، ودعامتها أبناء مقدونيا وبلاد الأغريق ومصر . ولكى يفوز البطالمة بولاء العناصر المختلفة ، التى كان يتكون منها سكان مصر اذ ذاك ، لجأوا الى وسائل شتى كان فى مقدمتها استغلال المعتقدات الدينية السائدة بين رعاياهم . ولذلك فانه عند الكلام عن سياسة البطالمة الداخلية يجب البدء بمعالجة سياستهم الدينية ؛ لأنها كانت من أهم الأسس التى أقاموا عليها السلطة المركزية .

الفصل الخامس

البطالمة والمصريون

١ ــ البطالمة ونصب أنفسهم فراعنة

لكى نفهم كنه سياسة البطالمة الدينية ازاء المصريين ، ولماذا عمل البطالمة على استغلال معتقدات المصريين الدينية فى دعم مركزهم ووضع أساس السلطة المركزية فى مصر ، يجب أن ندرك أن مصر القديمة كانت تعتز بتقاليدها المتوارثة ، التى تنظم حياتها العامة والخاصة ، حتى بدت لنا هذه التقاليد وكأنها تضارع الأهرام فى رسوخها وثباتها . ويجب أن ندرك كذلك أن الاحتفاظ بهذه التقاليد يرجع الى سيطرة الديانة على عقول المصريين القدماء ، فكان لها أثر أى أثر فى حياتهم ، ووقفت حائلا دون كل بدعة جديدة . وقد كانت الديانة فى مصر . كما كانت فى غيرها من الجماعات الانسانية القديمة . المصدر الذى استمد منه حكام البلاد سلطتهم . وحسبنا أن نذكر هنا أن ملوك الاغريق والرومان فى العصور القديمة كانوا يستندون فى حكمهم الى حق الملوك الالهى (١) .

حق الملوك الالهى :

ويبدو أن فكرة حق الملوك الالهى نشأت فى مصر منذ أقدم العصور ، لكن الأسس التى قامت عليها هذه الفكرة لم تنظم الا فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، ثم تناقلتها الأجيال المتعاقبة دون تغيير جوهرى فيها حتى آخر عهد الوثنية ، وذلك برغم الأحداث المختلفة التى طرأت على تاريخ مصر (٢) . ومجمل هذه الفكرة أنه كان يحكم مصر على الدوام ملوك . وأن الملوك الأوائل كانوا آلهة حقيقيين ، قاموا بتنظيم شئون البلاد .

---

(1) Bouché-Leclercq. III, pp. 1 ff.

(2) Jouguet, Mac. Imp., p. 286 ; Moret and Davy, From Tribe to Empire, pp. 121 ff. ; Moret, Du caractère religieux de la royauté pharaonique. p. 17.

وعلموا المصريين فنون الحياة ، ووضعوا قواعد دياناتهم ، ثم ارتفعوا الى السماء وخلفهم على العرش ملـوك من البشر (١) ، غير أن هؤلاء الملوك كانوا بشرا فى المظهر فحسب ، اذ أنهم فى الحقيقة كانوا صورة مجسمة للآلهة .

ولما كان آخر ملـوك مصر من الآلهة الحقيقيين يدعى حورس (٢) ، فان خلفاءه من الملوك البشر ، الذين تربعوا بعده على عرش البلاد ، كانوا يحملون هذا اللقب، الذى أصبح جزءا لا يتجزأ من ألقاب كافة الفراعنة، لأنه كان دليـلا على طبيعتهم السماوية (٣) . وبما أن المصريين كـانوا يعتقدون أن الاله رع كان أول الملوك الآلهة الذين حكموا مصر وجدهم الأعلى ، فان فرعون اكتسب لقبا آخر وأصبح ، منذ أواخر الأسرة الثالثة وأوائل الرابعة ، يحمل لقبى « حورس » و « ابن رع (٤) » . هذا الى أن الفراعنة كانوا يحملون ، منذ اتحاد مصر العليا ومصر السفلى ، من الألقاب ما يشير الى أن سلطانهم كان يمتد على كل أنحاء البلاد . ومما يجدر بالملاحظة أنه منذ عهد الدولة القديمة حتى نهاية التاريخ المصرى كانت ألقاب فرعون خمسة(٥)؛ لكنه منذ الأسرة الثانية عشرة كان كل فرعون يقرن لقب « نسوت بيتى » باسم مميز له ، وأنه منذ بداية الدولة الوسطى

(1) Maspero, Hist. anc. des peuples de l'Orient, Vol. I, p. 225 ; Moret, Du caractère, pp. 6 ff.

(2) Moret, The Nile and Egyptian Civilization, pp. 94—5.

(3) Moret, Du caractère, p. 32.

(4) Capart. Thèbes, p. 83.

(٥) أصبح ترتيب الألقاب الفرعونية الرسمية كما يأتى :

(١) لقب حورس ومعناه أن فرعون باعتلائه العرش يصبح صورة حية للاله حورس .

(ب) لقب نبتى ، ومعناه السيدتان وهما الالهتان واجيت الهة بوتو (العاصمة الدينية القديمة للوجه البحرى) ونخبت الهة الكاب (العاصمة الدينية للوجه القبلى) . وهذا اللقب يرمز الى سيادة فرعون على كل من الوجهين البحرى والقبلى .

(جـ) لقب حورس الذهبى .

(د) لقب نسوت بيتى ، ومعناه ملك مصر العليا ومصر السفلى ، وكان هذا اللقب لا يطلق على الملك الا يوم تتويجه .

(هـ) لقب سا رع ، ومعناه « ابن رع » .

أصبح ترتيب الألقاب ثابتا (١) .

ولما كان المصريون يعتقدون أن فرعون صورة حية للاله « حورس » ، وأنه « ابن رع » ، فمعنى ذلك أن فرعون كان الها ابن اله ووريث الآلهة على عرش مصر . ولذلك فانه عندما كانت تحدث مشاكل على ولاية العرش ، حين كان يغتصبه أحد أعضاء الأسرة المالكة غير الوريث الشرعى أو أحد أفراد البشر العاديين ، كان الملك والكهنة يدخلون فى روع الناس أن فرعون الذى آل اليه العرش قد أنجبته أمه من الاله الأكبر فى ذلك الوقت — وتدل نقوش الأمثلة الواقعية التى لدينا على أنه كان « رع » فى عهد الدولة القديمة وآمون — رع فى عهد الدولة الحديثة — وأنه ولد بفضل العناية الالهية وأرضع لبان الآلهات ، أى أنه كان ابن الآلهة وورثهم ، الذى حبوه بنعمة الحياة والقوة والخلود السماوية ، وأن والده السماوى حشره فى زمرة الآلهة ، كما أن والده البشرى أعلن فى الناس مولده القدسى والنعم الالهية التى أسبغت عليه (٢) .

ولا أدل على صحة هذا الرأى من أنه لما كانت الأسرة الخامسة لا تمت بصلة الى الأسرة الرابعة ، وأراد ملوك الأسرة الخامسة توطيد مركزهم على العرش ، أوعزوا الى كهنتهم باختراع قصة وردت لنا فى

---

(1) Cf. Gardener, Eg. Grammar, pp. 71 ff.

(٢) أميل الى الأخذ برأى ماسپرو (Hist., I, pp. 258—259; II pp. 77—78, 292 — 296 ; Comment Alex devint dient dieu en Eg., Annuaire de l'Ecole des Hautes Etudes, 1897, pp. 18 ff.; Journal des Savants. 1899, p. 401.) القائل بأن الإشادة بمخالطة الاله لأم الملك لم تكن ضرورية دائما لاعتبار الملك وريث الآلهة ، وانما كان يتعين ذلك فى بعض الحالات كالتى سنذكرها ، على حين أن موريه (Du Caractère, pp. 89 ff.) يعتقد عكس ذلك .

وثيقة يبدو أنها من عهد الأسرة الثانية عشرة (١) . وتروى هذه القصة كيف أن ساحرا أبلغ الملك خوفو بأن الاله رع خالط زوجة أحد القساوسة ، لكى يضطلع الأبناء الذين تتمخض عنهم هذه المخالطة بحكم هذه البلاد جميعا (٢) . ثم يضيف النص أن الاله رع دعا أولا جماعة من الآلهات لمساعدة السيدة فى وضعها ، وأنه عند وصولهن الى مضجع السيدة وقفت ايزيس أمامها ونفثيس خلفها ، وقامت حقت بتوليدها . وعندما ولد الطفل غسلته الآلهات وربطن سرته ووضعنه على سرير من الطوب ، ثم اقتربت منه مسخنت وقالت : « سيقوم ملكا فى هذه البلاد جميعا » ، وبث خنوم الحياة فى كل أعضائه (٣) .

ولما كان تحتمس الثالث ينازع حتشپسوت حق وراثتها العرش ، فان حتشپسوت زينت جدران معبد الدير البحرى بمناظر ونقوش تعلن فى الناس أن أمها أحماسيا كانت من سلالة نقية طاهرة ، وأنها لم تحملها من أبيها وانما حملتها من الاله الأكبر آمون — رع ، وأن هذا الاله اصطفاها لتتربع على العرش . ذلك أن مناظر ونقوش معبد الدير البحرى ترينا كيف أن الاله آمون — رع دعا الآلهة الذين كان يتألف منهم تاسوعه الأكبر ، وأعلن فيهم قرب مولد فرعون جديد ، وطلب اليهم اعداد وسائل الحياة والقوة وحماية الفرعون الجديد من كل خطر . ثم نرى الاله آمون — رع يتجه نحو مخدع الملكة ، يتقدمه الاله تحوت حاملا فى يده وثيقة بردية ويتلو عليه الأسماء الرسمية التى تحملها الملكة أحماسيا ، وذلك لتفادى وقوع أى خطأ . وهنا تروى النقوش أن الاله خلع عن نفسه شخصيته ، وتقمص برهة شخصية تحتمس الأول ، ووجد الملكة نائمة ، لكنها

(1) Erman Die Märchen des Papyrus Westcar ; Maspero, Contes populaires : «Le roi Khoufoui et les magiciens».

(2) Maspero, op cit., p. 71.

(3) Maspero, op. cit., pp. 76 — 7.

استيقظت عندما استنشقت أريج عبير الاله ، فتقدم نحوها وتملكها ، ووضع قلبه فوق قلبها ، وأظهر لها نفسه فى شكله الالهى ، فأخذ جماله بمجامع قلبها وسرى حبه الالهى فى جميع أعضائها . وتشكر الملكة للاله حسن صنيعه ، فيقدم اليها رمز الحياة والسعادة ، ويعلن أن ابنتها التى ستلدها منه « ستتمتع بحكم صالح فى كافة أنحاء هذه الأرض ، لأننى وهبتها روحى وقلبى وارادتى وتاجى لكى تحكم القطرين » . وبعد ذلك يأمر آمون — رع باحضار الاله الخالق خنوم ، ويخبره بأنه أنجب فتاة يجب أن تحكم القطرين وتتربع على عرش حورس الدنيوى ، فيجيب خنوم بأنه سيخلق الطفلة أجمل من كافة الآلهات . وعندما يقترب موعد الوضع ، يذهب الاله تحوت الى الملكة ويدعوها لأن تتبعه ، ثم يأخذ خنوم باحدى يديها وتأخذ حقت باليد الأخرى ، وتتقدم الملكة الى غرفة الوضع حيث تلد الملكة ابنتها بمساعدة الآلهات ، ثم تغدق عليها مسخنت سائل الحياة ، وتنطق بالعبارة التى تمنحها ملك الجنوب والشمال ، وتقدم الالهة حتحور الطفلة الى أبيها آمون — رع ، فيضمها الى صدره ويقبلها ، وبعد ذلك تتولى اثنتان من الآلهات ارضاع الطفلة واثنتان أخريان رعايتها (١) .

ولما كان مولد تحتمس الرابع موضع جدل كبير (٢) ، وكان قد تزوج من أميرة أجنبية ليست من الدم الفرعونى ، بل كانت من أمة الميتانى ، التى تنزل على المجرى الأعلى للفرات (٣) ، فان ابنه أمينوفيس الثالث أدرك أن مركزه على العرش غير وطيد الدعائم وأراد أن يثبت أنه من

(1) Ed. Navile, Deir el Bahari, II, pls. XLVI ff; Capart, pp. 84 ff ; Bouché--Leclercq, III, pp. 8 ff. ; Moret, Du caractère, pp. 49 ff. ; Moret, The Nile and Egyptian Civilization, pp. 309 ff.

(2) Moret, Du caractère, pp. 59 -- 60.

(3) Capart, op. cit., pp. 86 ff. ; Moret, From Tribe to Empire, pp. 290 ff.; The Nile and Eg. Civilization, p. 316.

(تزوج تحتمس الرابع من « موت — ام — اويا » ابنة ارتا تاما ملك الميتانى)

سلالة الآلهة (١) . ولذلك صورت على جدران المعبد الذى شيده فى الأقصر مناظر تشبه قصة حتشبسوت ، اذ أننا نرى فيها كيف أن أم الملك أمينوفيس الثالث قد أنجبته من الاله آمون — رع ، وولدته بعناية الآلهات (٢) .

فرعون اله وبشر :

ووفقا لمعتقدات المصريين كان فرعون دون سائر البشر يتمتع بصفة الألوهية فى حياته . ولذلك فانه كان المخلوق الوحيد الذى يستطيع الاتصال بالآلهة ، ومن ثم فانه كان الكاهن الأكبر بل الكاهن الوحيد ، اذ أن الكهنة الحقيقيين كانوا يعتبرون نائبين عنه ، كما أن كل قربان يتقدمون به كان يعتبر مقدما من الملك (٣) . ولذلك نجد عبارة الملك « يقدم القرابين » مكررة تكريرا آليا فى الطقوس المصرية ، وحتى فى الطقوس الجنازية التى كانت تقام لموتى يجهلهم الملك كل الجهل . ووفقا لمعتقدات المصريين ، لم يقف الأمر عند أن فرعون كان المخلوق الوحيد الذى يستطيع الاتصال بالآلهة ، بل كان أيضا الاله الوحيد الذى يتمتع بالاتصال ببنى الانسان . وتبعا لذلك اذا لم يكن على عرش مصر فرعون فان الديانة المصرية كانت تفقد الحلقة الأساسية فى الاتصال بين الناس والآلهة (٤) ، ومن ثم فان الأخطار كانت تتهدد الناس فى الدنيا وفى الآخرة . وبيان ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون أن الآلهة تهب فرعون نعم الحياة ، فيقوم بتوزيعها بين رعاياه (٥) ، ولذلك اعتبره المصريين منبع الحياة الذى كان الناس ينتهلون من موارده فى هذا العالم . وبفضل النعم

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 10.

(2) Maspero, Hist. II, pp. 295 — 6 ; Annuaire, 1897, pp. 5 — 30 ; Moret, Du caractère pp. 49 ff. ; Gayet, Le Temple de Louxor, pls. LXII ff.

(3) Ferguson, C. A. H. VII, p. 19.

(4) Ferguson, C. A. H. VII, p. 18.

(5) Jules Baillet, Le Regime pharaonique, I, p. 69.

السماوية التى أسبغت على فرعون كان يتمتع بسلطة شاملة مطلقة على رعاياه ، فكان يبقى على من يشاء ويقضى على من يشاء ، ويحمى البلاد من الأعداء ، ويسهر على أمن رعاياه ويوفر لهم أود الحياة . ولذلك كانت النقوش تصفه بأنه « واهب الحياة » ، وكان المصريون يعتقدون بأن الفناء يتهددهم اذا لم يرتق عرش مصر فرعون (١) .

وكان فرعون كذلك حلقة الاتصال بين الموتى وآلهتهم فى العالم الآخر ، تلك الحلقة التى كانت تتوقف عليها حياتهم الثانية (٢) ، وكانوا يعتبرونها الحياة الصحيحة ـ الحياة السرمدية ـ التى تبدأ فى العالم الآخر ، وتدوم الى الأبد بفضل القرابين التى يقدمها فرعون الى الآلهة ليقتسموها مع الموتى المؤلهين (٣) ، لأن المصريين كانوا يعتقدون أن طقوس الموتى ترفعهم الى مصاف الآلهة عندما ينتقلون الى العالم الآخر . وكان فرعون وحده هو الذى يستطيع تزويد الموتى بأود الحياة ، ولذلك كان يحتم عليه أن يقوم كل يوم بهذا الواجب المقدس ، الذى بدونه كان ينزل بهم موت ثان يؤدى تدريجيا الى فناء العالم الآخر ، وهو ما كانوا يعتبرونه شرا وبيلا (٤) . ومن أجل أداء هذا الواجب كان يحق لفرعون أن يتصرف فى جميع موارد البلاد ، فكان وحده مالك الأرض والسيد المطلق على أهليها ، الذين يقدم لهم أود الحياة ، ولا يستطيعون الحياة بدونه فى الدنيا ولا فى الآخرة . وكان الملك يشع هذه الحيوية على الجميع بفضل الطقوس ، التى يقوم بها كل صباح نحو هيئة الآلهة العظمى فى

---

(1) Jules Baillet, op. cit., pp. 229 ff.

(2) Bouché Leclercq, III, p. 11.

(3) Jules Baillet, op. cit., pp. 69 ff.

(٤) للوقوف على واجبات فرعون اليومية نحو الآلهة والبشر ، راجع:
Moret, From Tribe to Empire, pp. 145 ff.

المعابد . وازاء ذلك كان وجود هذا الملك الاله ، حورس الحى ، أمرا لا غنى عنه للاحتفاظ بكيان العالم (١) .

وكان فرعون يقوم منذ ارتقائه العرش بهذا الدور الهام ، الذى أعدته له طبيعته السماوية ، لكن هذا الاعداد كان لا يكتسب أثرا فعالا الا بفضل مراسم التتويج (٢) . وكانت هذه المراسم لا تختلف عما يقوم به الملك كل يوم ، الا بقدر أكبر من الجلال يناسب هذا الظرف الخاص . وكان الآلهة يطهرون الملك الجديد بالطقوس الخاصة بذلك ، ويعلنون بين الآلهة والبشر أنه ابن الاله الأكبر ويتوجونه بالتاج الأبيض ، بوصفه ملك الجنوب ، وبالتاج الأحمر ، بوصفه ملك الشمال . وبعد ذلك يتقدم الملك فى موكب حاشد الى معبد أبيه ليتسلم سائل الحياة من الاله الأكبر . ثم يعقب ذلك اقامة حفلات كبيرة وتوزيع هبات ملكية . وكان على الملك أداء واجب هام نحو الآلهة الذين ساعدوه فى التتويج ، وهو زيارة هذه الآلهة فى معابدها . وكان ذلك يعطيه فرصة للاستيلاء فعليا على سيادة هذه المعابد ، وارضاء الجماعات المختلفة من الكهنة ، والحصول على ولائهم بتجديد منحهم السلطات التى يتولونها من قبل فرعون .

وبالرغم من أن تتويج الملك كان يمنحه النعم السماوية الى الأبد ، فانه كان يحسن تكرار هذه المراسم من حين الى آخر ، ليتجدد منح النعم السماوية التى أسبغت عليه . وكان الحفل — ويسمى حفل سد Sed — الذى يتجدد فيه منح فرعون النعم السماوية يشبه حفل التتويج ، ويشترك فيه مندوبون عن الجماعات الرئيسية للكهنة . وكانوا يحملون الشارات المميزة لبلادهم أو لآلهتهم المحلية ، اذ أن الملك كان يعتبر فى كل مكان ابن الاله المحلى ، وكانت له فى كل معبد « قاعة للعبادة » . وكانت كل الطقوس تقام باسمه . وقد كان فى صالح الملك الاكثار من

(1) Bouché - Leclercq, III, p. 13.
(2) Maspero, Hist., I, p. 259.

هذه المناسبات ، التى يحتشد فيها الكهنة من كل أنحاء البلاد ، لكى يعترف الكهنة جميعا أمام الملأ بسيادته ، وبما أن الملك كان يجزل العطايا فى هذه المناسبات ، فان الكهنة كانوا يرحبون بها (١) .

وبما أن فرعون كان يدين للآلهة بمولده القدسى ، وبما أسبغوا عليه من نعم الحياة والقوة والخلود ، فانه كان يعنى باظهار حبه واجلاله لهم ، اعترافا بجميلهم وضمانا للاحتفاظ بخير العلاقات بينهم وبينه ، وتبعا لذلك بينهم وبين رعاياه . ولذلك كان الفراعنة يهتمون بتشييد المعابد أو باضافة أجزاء جديدة الى معابد قديمة أو باصلاح هذه المعابد وزخرفتها ، كما كانوا يهتمون باقامة الشعائر الدينية وتقديم القرابين واحياء الحفلات الدينية . وتردد النقوش ما يكنه الفراعنة والآلهة بعضهم نحو بعض من الحب المتبادل (٢) .

وكانت صفة فرعون أنه اله دنيوى تنتهى بوفاته ، ويحل مكانه فى الحياة الدنيا فرعون آخر . وعند وفاة فرعون ، كان ينضم الى زمرة الموتى المؤلهين فى العالم الآخر فى صورة أوزيريس اله العالم الآخر ويتبوأ عرش هذا الاله (٣) . فكانت مهام الملك لا تنتهى بوفاته وانتقاله الى العالم الآخر ، بل يصبح ملك ذلك العالم وحلقة الاتصال بين الموتى من البشر وآلهتهم فى ذلك العالم . ولذلك فانه كانت توجه عناية كبيرة الى قبر الملك الراحل لكى يبقى جسده خالدا . وكان القبر يملأ بكل حاجات الحياة الجديدة ، لكى يستطيع أن يعيش فيها منعما ، ويحكم الموتى مثل ما كان يحكم الأحياء (٤) . ولذلك أيضا كان الملك الراحل مدار الطقوس الجنازية جميعا ، منذ عهد الأسرة الثالثة (٥) .

---

(١) للوقوف على تفاصيل التتويج راجع : Moret, Nile and Eg. Civilization ص ١٢٣ وما بعدها ؛ وكذلك Moret, Du Caractère الفصل الثالث ص ٧٥ وما بعدها .

(2) Jules Baillet, op. cit., pp. 49 ff.

(3) Trever, Hist. of Ancient Civilizations, vol. I, p. 50 ; Moret, Nile and Eg. Civilization, pp. 168 ff.

(4) Gosse, The Civilization of the Ancient Egs., p. 148.

(5) Trever, op. cit., p. 53.

الاسكندر ينصب نفسه فرعونا :

واذا كان هذا هو مركز فرعون عند المصريين ، وهذه هى معتقداتهم الدينية ، فماذا كان موقف غزاة مصر الجدد ، الاسكندر والبطالمة ، من هذه المعتقدات ؟ أو بعبارة أخرى : هل اتخذ هؤلاء الملوك الأجانب صفات الفراعنة ؟ وهل اضطلعوا بالأعباء الدقيقة التى كانت تفرضها « الطقوس الدينية اليومية » على فرعون ؟ لكنه يجب أن نذكر أن فرعون كان لا يؤدى هذه الواجبات بنفسه ، بل كان يلجأ الى وسيلتين ، واحداهما هى انابة الكهنة عنه فى أداء هذه الواجبات ، والأخرى هى المناظر التى تتحلى بها جدران المعابد وتمثل الملك وهو يقوم بهذه الواجبات . ففى كل مكان كان الكهنة ينوبون عن الملك فى تقديم القرابين وفروض الولاء الى الآلهة ، وفى كل معبد نرى دائما تصاوير تمثل الملك وهو يقدم القرابين وفروض الولاء الى الآلهة . وأما فى حفلات التتويج وفى حفلات تجديد هذا التتويج ، فان الملك هو الذى كان يباشر ذلك بنفسه .

ولقد مر بنا أن الاسكندر قدم القرابين فى معبد فتاح الى الآلهة المصرية والعجل المقدس أبيس ، وأنه توج نفسه على نهج الفراعنة القدماء ، وهو ما يحدثنا به كتاب قديم من القرن الثالث للمسيح منحول على العالم المعروف قاليسثنيس (Callisthenes) (١) مؤرخ الاسكندر . وهذا الكتاب يحتوى كل الأساطير التى نشأت منذ القدم حول هذا البطل ، ويشك بثان فى صحة هذه الرواية اعتقادا منه أنها اخترعت فى مصر لارضاء الشعور القومى واظهار الاسكندر فى ثوب خليفة الفراعنة الشرعيين (٢) . وأما ڤيلكن فانه يرى أنه بالرغم من الشك فى قيمة هذا المصدر التاريخية ، فان الشك لايرقى الى تتويج الاسكندر على نهج الفراعنة (٣) . ولايستبعد چوجيه صحة هذه الرواية وان كان يرى أنه لم يكن هناك داع لاقامة طقوس التتويج ، وذلك لأن السماح للاسكندر بدخول قدس الأقداس برصنه ملكا كان ينطوى على الاعتراف بأنه قد أصبح منذ تلك اللحظة

---

(1) Cf. Fraser, I, pp. 3, 4, 247, 676 — 81 ; II, 944 n. 8.
(2) Bevan, p. 3.
(3) Wilcken, Alexander The Great, p.114.

فرعون مصر الشرعى (١) . وهـذا صحيح فى ذاته لأن فرعون ، كمـا عرفنا ، كان هو وحده الذى يستطيع تقديم القرابين الى الآلهة ودخول قدس الأقداس وان كان ينيب عنه عادة كبير الكهنة . لكنه لمـا كان الاسكندر قد عنى بكسب عواطف المصريين بالظهور فى ثوب جـدير بخليفة حقيقى للفراعنـة القوميين ، وكانت طبيعـة فرعون السماوية لا تكتسب أثرا فعالا الا بفضل مراسم التتويج ، فاننا نرجح أنه حين ذهب الى معبد فتاح فى منف لتقديم القرابين الى الآلهة المصرية قد توج أيضا فرعونا ، ولا سيما أنذلك التتويج كان لا يكسب الاسكندر صبغة شرعية حقيقية فحسب فى نظر المصريين : وبذلك يقطع شوطا بعيدا فى ضمان اخلاص المصريين لحكمة ، بل كان أيضا يرفعه الى مصاف الآلهة ، وهو ما كان الاسكندر يرنو اليه من أجل تحقيق مشروعاته .

وقد مر بنا أنه عندما حج الاسكندر الى معبد آمون فى سيوة ناداه الكاهن الأكبر باسم « ابن آمون » ومنحه باسم هذا الاله السيطرة على العالم التىكانآمون يمنحهاللفراعنة (٢) ،ممايدل صراحة علىأن الاسكندر كان قد أصبح فرعونا قبل حجه الى سيوة . وفضلا عن ذلك فاننا نجد فى النقوش المصرية اسم الاسكندر مشفوعا بثلاثة من الألقاب الرسمية التى كان الفراعنة يحملونها منذ غابر الزمن (٣) . وهذه الألقاب الثلاثة هى « حورس » (أول ألقاب الفراعنة) و « نسوت بيتى ، أى ملك مصر العليا ومصر السفلى » (رابع تلك الألقاب) و « سا رع ، أى ابن رع » (خامس الألقاب التقليدية) (٤) .

وازاء ذلك كله نرجح أن الاسكندر رسم فرعونا ، وأنه فى حفل رسامته منح الألقاب الفرعونية . ومن ثم فانه برغم ما تقتضيه روح البحث العلمى من الشك فى صحة ما يرويه ذلك المصـدر القـديم عن تتويج الاسكندر ، يبين لنا من القرائن المتعددة أن هذا المصدر حفظ لنا حقيقة تاريخية جديرة بالتصديق . ويرى ڤيلكن أن الألقاب الفرعونية التى

(1) Jouguet, Nat. Eg., III, p. 2; Cf. Trois Etudes, pp. 15 — 17.

(٢) انظر الجزء الأول ، ص ص ٣٠ — ٣٢ .

(3) Wilcken, p. 114 : Jouguet, Trois Etudes, p. 16.

(4) Lepsius, Denk. vol. IV, 4e, Text III, p. 82 : Sethe. Hierog. Urk., p. 8: Fakhry, Baharia Oasis, II, p. 45.

حملها الاسكندر تثبت شيئين : وهما سيطرته على مصر ، وما تبع ذلك من تاليهه (١) • وهكذا لأول مرة اتخذ الاسكندر لنفسه صفة أخرى ، صفة ملك مصر ، الى جانب صفته الأولى ، صفة ملك مقدونيا ، ولم يتكرر الاسكندر ذلك فيما بعد الا مرة أخرى واحدة (٢) •

ان المصدر نفسه ، الذى يحدثنا عن تتويج الاسكندر فى منف ، يروى لنا قصة طريفة (٣) ، وفحواها أن نقتانبو الثانى — وهو آخر فرعون وطنى حكم مصر — عندما طرده الفرس فى منتصف القرن الرابع ، لم يفر الى النوبة بل الى مقدونيا حيث هام بحب ملكتها ، وأن الاله آمون قد تقمص صورة نقتانبو وخالط أولومپياس وأنجب منها الاسكندر . وأنه بعد انتهاء المخالطة ، قال للملكة : « افرحى أيتها السيدة لأنك حملت منى ابنا سيثأر لك ويحكم العالم أجمع » •

ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن هذه القصة اخترعت فى القرن الثالث للمسيح ، لكننا ، وان كنا نسلم بأنها قصة مخترعة حتما ، نرى أنها ترجع الى أيام الاسكندر ، بسبب ما بينها وبين قصة حتشپسوت وأمينوفيس الثالث من الشبه • ويحتمل أنه ردا على مبادرة الاسكندر الى اظهار اجلاله واحترامه للديانة المصرية بتقديم القرابين لآلهتها واتخاذ صفات الفراعنة ، رأى رجال الدين المصريون أنه من الفطنة وحسن السياسة ألا يتوانوا فى العمل على دعم مركز هذا الفرعون الجديد باختراع هذه القصة ليدخلوا فى روع المصريين أن الأسرة الحاكمة الجديدة التى أسسها الاسكندر فى مصر كانت سليلة الأسرة الفرعونية السابقة • ويبدو أنه فى أواخر أيام الحكم الفارسى فى مصر ، راجت نبوءة قيل انها ترجع الى عهد أمينوفيس ، ومقتضاها أن الفرس سيطردون ، وأن الملك الوطنى سيعود ثانية (٤) • ولعل هذا يفسر سر ترحيب المصريين

---

(1) Wilcken, p. 114.

(2) Wilcken, pp. 114 — 5.

(3) Pseudo—Callisthenes, I, 1 ff ; C.A.H. VI, p. 155 ; Maspero, Comment Alex. devint dieu en Egypte (Annuaire E. H. E. 1897) ; Bouché — Leclercq, III, pp. 23 — 4 ; Moret, Du Caractère, pp. 67 —8.

(4) Wessely, Die neuen griech. Zauberpapyri, in Denkschr, d. Wien. Akad., XLII, 1893, pp. 3 ff.

بالاسكندر حيثما حل بينهم ، على اعتبار أنه سليل ملكهم الوطنى نقتانبو . ولا شك فى أن ذلك كان نوعا من الدعاية ، صادف نجاحا ملحوظا .

لم يأل الاسكندر اذن جهدا فى أن يظهر أمام رعاياه فى ثوب فرعون حقيقى ، لأنه توج على نهج الفراعنة الوطنيين ، وحمل ألقابهم التقليدية ، وأثبت أنه ابن الاله آمون ، وخليفة الفراعنة القدماء ، فماذا فعل خلفاؤه من بعده ؟ لا شك فى أن فيليب أرهيدايوس والاسكندر الرابع لم يرسما فرعونين ، لأنهما لم يأتيا الى مصر ، لكن الوالى بطلميوس غنى باعطائهما صفات الفراعنة (١) . وقد كان ذلك يسيرا عليه ، لأنهما كانا الوريثين الشرعين للاسكندر الأكبر ، فاعتبرا فرعونين مثله ، وأغدقت عليهما الألقاب الفرعونية ، فنجد فى الوثائق أن كلا من فيليب أرهيدايوس (٢) والاسكندر الرابع (٣) يحمل الألقاب الخمسة التقليدية جميعا .

بطلميوس الأول يحمل بعض ألقاب الفراعنة :

هذا ما كان من أمر أسرة الاسكندر ، فماذا كان من أمر أسرة البطالمة ؟ لا ريب فى أن البطالمة كانوا يدركون مركز فرعون عند المصريين ، والفائدة التى يجنونها من وراء نصب أنفسهم فراعنة وحمل الألقاب التقليدية . لكن الوثائق التى وجدت حتى الآن تدل على أن البطالمة لم يأخذوا كل صفات الفراعنة الا بالتدريج ، وبعد مضى وقت غير قصير على تأسيس أسرتهم . ذلك أنه ليس فى الوثائق ما يثبت أن البطالمة الثلاثة الأوائل رسموا فراعنة أو أن بطلميوس الأول حمل كل ألقاب الفراعنة التقليدية . بيد أنه يمكن الجزم بأنه حمل على الأقل لقبين من الألقاب الفرعونية وهما اللقب الرابع (نسوت بيتى) واللقب الخامس (سا رع) ، وأنه على غرار الفراعنة والاسكندر الأكبر (٤) وفيليب

(1) Jouguet, Nat. Eg. III, p. 32 ; Bouché -- Leclercq, III, p. 19.

(2) Inscrip. dedicauoire du temple d'Hermopolis Magna : Sharpe, Eg. Inscirptions, II, pl. 60 ; Daressy, Rec. de Trav., X, 1888, 143 ; Brugsch, Thesaurus, p. 852 ; Sethe. Hierog. Urk. griech. rom. Zeit, p. 9 ; Champolion, Notices, II, p. 149 ; Sethe, op. cit., p. 10.

(3) Stèle du Satrape : Wilcken, Z.A. Sp., XXXV, 1897, pp. 80 — 87 ; Sethe, op. cit., pp. 11 — 22 ; Bevan, pp. 28 — 32.

(4) Gauthier, Livre des rois, IV, pp. 215 — 8 ; Sethe, loc. cit.

• أرهيدايوس (١) اتخذ اسما للعرش أو بعبارة أخرى اسما مميزا للقب الرابع (٢) ، وهو « مرى رع ستب أن آمن » (محبوب رع الذى أختاره آمون) • انظر الملحق فى آخر الكتاب •

بطلميوس الثانى وخلفاؤه يحملون كل القاب الفراعنة :

وأما بطلميوس الثانى وخلفاؤه فانهم كانوا جميعا يحملون كل الألقاب الفرعونية التقليدية ، فقد ورد اسم بطلميوس الثانى مشفوعا بالألقاب الخمسة فى النصوص المصرية الموجودة أولا فى لوحة بيثوم (٣) (تل المسخوطة) ، وهى تشير الى أحداث وقعت بين العام السادس والعام الحادى والعشرين من حكمه (٢٧٩ — ٢٦٤) ، وثانيا فى لوحة مندس (٤) (تل الربع بجوار تمى الأمديد) وهى تتناول أحداثا وقعت منذ العام الخامس عشر الى العام الحادى والعشرين من عهده (٢٧٠ — ٢٦٤ ق٠م٠)؛ وثالثا على جدران القاعة التى تسبق قدس الأقداس فى معبد ايزيس الكبير بجزيرة فيلة (٥) •

ويرى البعض أن فيلادلفوس قطع شوطا محسوسا نحو التشبه بالفراعنة لأنه حمل كل ألقاب الفراعنة التقليدية وتزوج من شقيقته ارسينوى الثانية (٦) • وعند بعض الباحثين أنه من العسير استبعاد أثر التقاليد المصرية فى هذا الزواج (٧) • ولا جدال فى أن الفراعنة درجوا

(1) Sethe, p. 9 ; Ahmed Kamal, Stèles ptol. et rom., no. 22180, p. 158, pl. LII ; Z. A. Sp. XLIII, 1907, pp. 218 — 35 ; Naville, Mound of the Jews, p. 62, pl. XX, no. 8; Reinach, Aegypt. Chrest., pl. 18 ; Brugsch, Thesaurus, pp. 852, 902 — 5.

(2) Gauthier, pp. 215-8.

(3) Gauthier, p. 228, III ; Naville, Z. A. Sp., XXI, 1883, pp. 43 — 4; XL, 1902, pp. 66 — 75; pls. III — V ; Naville, The Store City of Pithom, 4 ed., 1908, pp. 18 — 24, pls. 8 — 10 ; Drioton, J. E. A., 1971, pp. 160 ff; Brugsch — Erman, Z. A. S., XXXII, 1894, pp. 74 — 87 ; Sethe, Hierog. Urk., pp. 81 — 105 ; Mariette, Monuments divers, pls. 43 — 45, et Texte ; Maspero, pp. 12 — 13 .

(4) Gauthier, p. 225, X ; Brugsch, Z. A. Sp., IX, 1871, pp. 81 ff.; XIII, 1875, pp. 33 — 40 ; Thesaurus, pp. 629 — 31, 658 — 67, 739—40; Sethe, Hierog. Urk, no. 13, pp. 28 — 54 ; Ahmed Bey Kamal, op. cit., no. 22181, pp. 159—168, pls. XLV — LV.

(5) Gauthier, p. 233, XLIII : Lepsius, Denk. IV, pl. 7 c = Texte IV, p. 160 ; Benedite, Le Temple de Philae, I, p. 46 m ; Sethe, op. cit., p. 118.

(6) Jouguet, Mac. Imp., p. 290 ; Mahaffy, History, p. 77.

(7) Aymard et Auboyer, p. 40 ; Fraser, I, pp. 117 — 8.

عادة على اتخاذ زوجاتهم الشرعيات من بين أخواتهم لاعتقادهم أن الزوجة المنحدرة من سلالة ملكية لم تكن فقط قادرة على صيانة الدم الملكى نقيا ، بل كانت أيضا تنقل من فرعون الى آخر الصفة الالهية التى كانت تعزى الى الفراعنة منذ أقدم العصور ، ومن ثم فانها كانت أضمن وسيلة لنقل حق وراثة العرش من آبائها الى أبنائها • وقد كانوا يبررون هذه العادة بارجاع أصلها الى آلهتهم : فأساطيرهم تحدثنا عن زواج أوزيريس من أخته ايزيس وزواج ست من أخته نفثيس • وأما الاغريق فانهم كانوا يعتبرون زواج الأخ من أخته فسقا ؛ مما دفع الشاعر الهجاء سوتاديس الى التنديد بزواج فيلادلفوس من أرسينوى (١) •

ولما كان زواج فيلادلفوس من أرسينوى الأولى ابنة لوسيما خوس زواجا سياسيا دبره والدا الزوجين؛ وكان كذلك زواج برنيقى ابنة فيلادلفوس من أنطيوخوس الثانى وزواج ولى عهد فيلادلفوس من برنيقى ابنة ماجاس زيجتين سياسيتين ، فانه يصعب اتخاذ هذه الزيجات الثلاث دليلا على عزوف فيلادلفوس عن التشبه بالفراعنة فى مسألة الزواج • لكننا نستبعد أن سبب زواج فيلادلفوس من أخته كان الرغبة فى التشبــه بالفراعنــة • واذا كان الباحثون يختلفــون أيمـا اختلاف فى تفسير هذا الزواج ، فانــه يبدو لنا أن أكثرها احتمالا هو توافق الأمزجة بين هذين الشخصين ، وتأثير أرسينوى على أخيها ، وحاجة هذا الملك الى شخصية نشيطة تشد أزره وتسد ما به من نقص (٢) • ولما كان مثل هذا الزواج كريها الى الأغريق ، فقد كان يجب اذن البحث عن حجة قوية غير الأغراض الشخصية لتبريره • ولو كان فيلادلفوس قد رفع قبل ذلك الوقت الى مصاف آلهة الاغريق ، لاعتبر زواجه من أخته شبيها بزواج زيوس من هيرا ، لكن فيلادلفوس لم يكن قد نادى بنفسه الها بعد ، فلم يبق اذن الا الالتجاء الى التقاليد المصرية • ولذلك يبدو أن التشبه بالفراعنة لم يكن هو الدافع الحقيقى الى ذلك الزواج ، وان كان قد انتحل سببا لتبريره • وقد اعتبر ذلك الزواج

(١) اذا كان زواج الاخوة من اخواتهم شائعا فى الأسر الملكية المصرية ، فان الامر لم يكن كذلك بين عامة الناس • ولم تجر العادة على اطلاق كلمة اخت على الزوجة الا منذ عهد الاسرة الثامنة عشر ، راجع : Cerny, J.E.A., 40, pp. 23—9.

(2) Cf. Bouché-Leclercq, vol. I. p. 160, fn. 4 ; Cary. pp. 84, 250.

سابقة ، حذا حذوها كافة البطالمة تقريبا منذ عهد بطلميوس الرابع • وأصبحت القاعدة منذ زواج فيلادلفوس من أرسينوى الثانية أن يطلق على كل الملكات لقب « الأخت » ، حتى اذا لم يكن أخوات بعولتهن ؛ ومثل ذلك برنيقى الثانية زوجة بطلميوس الثالث (١) •

ولدينا وثيقة مشهورة من عهد بطلميوس الثالث (يورجتيس) تعرف باسم نقش أدوليس (٢) •وتحدثنا هذه الوثيقة عن الحرب السورية ، وتعنى باثبات أن الملك ينحدر من سلالة آلهة الاغريق ، فى حين أنها تغفل ذكر الألقاب الفرعونية • ويبدو أن السبب الرئيسى لذلك هو أن هذا النص غير الرسمى الذى كتبه وأقامه أحد ضباط الملك الاغريق مكتوب بالاغريقية ؛ وأن رجال البطالمة كانوا يعرفون شدة حرص ملوكهم على الظهور أمام الاغريق فى ثوب ملوك اغريق •

وتوجد أمثلة متعددة لوثائق رسمية جرت بالاغريقية والهيروغليفية وأغفلت الألقاب الفرعونية فى النص الاغريقى بينما ذكرت تلك الألقاب فى النص الهيروغليفى • ومع ذلك فان نقش أدوليس يلقى شعاعا من النور على سياسة الملك نحو المصريين ، فهو يرينا اهتمام الملك بأن يحذو حذو الفراعنة ، اذ أن هذا النقش يحدثنا بأن الملك عندما غزا بلاد الفرس بحث عن الأشياء المقدسة التى كان الفرس قد أخذوها من مصر وأعادها ثانية الى وادى النيل • وهذه العبارة لا تشبه ما ورد فى نص قانوب فحسب ؛ بل ما ورد فى غيره من النصوص الرسمية من عهد الفراعنة وكذلك البطالمة منذ أن كان بطلميوس الأول لا يزال واليا حتى عهد بطلميوس الرابع•وذكر هذه المسألة فى نقش أدوليس وهو الذى كان على نصب أقيم فى مكان قرب سواكن ؛ أى خارج مصر وكتب بالاغريقية وأغفل ذكر الألقاب

---

(١) راجع بوشيه لكلرك الجزء الثالث ص ٢٩ و ٣٠ . وقد اقتفى السلوقيون اثر البطالمة فى اطلاق لقب « الأخت » على الملكة برغم انها لم تكن كذلك فى الواقع ، اذ انهم لم يتزوجوا من اخواتهم الا فى بداية القرن الثانى ق• م• راجع Aymard ص ٤٠١ ؛ والسطرين السادس والسابع من قرار قانوب فى بوشيه لكلرك جـ ١ ص ٢٦٧ .

(2) Cf. C. I. G. 5127; Strack, Ptolem äer. No. 39 ; Michel, 1239; Mahaffy. Hi.sorv. pp. 105 — 6 ; Bevan, pp. 192 — 3; Bouche-Leclercq. Vol. I, pp. 260—2; Gauthier, IV pp. 253-4.

الفرعونية ، أي أنه لم يكتب لكسب ود المصريين ، يوحي بأن مسألة نهب الفرس مقدسات مصرية وقيام البطالمة ، واحدا بعد الآخر ، باستعادة ما وجدوه من هذه المقدسات بعد حملاتهم ، يوحي بأن هذه المسألة لم تكن من نسج الخيال وانما كانت لها جذور تاريخية .

وقد كشفت الحفريات التي قام بها متحف بلدية الاسكندرية في الأعوام ١٩٤٣ — ١٩٤٥ عن ثلاث مجموعات من اللوحات تحمل جميعا نقشا واحدا مكتوبا باللغتين الاغريقية والهيروغليفية . وقد خلا النص الاغريقي من الألقاب الفرعونية بينما أثبت النص الهيروغليفي تلك الألقاب . فقد جاء في النص الاغريقي : « الملك بطلميوس بن بطلميوس وأرسينوى الالهين الأخوين ، شيد لسرابيس المعبد والسياج المقدس » . أما النص الهيروغليفي فقد جاء فيه « ان ملك الجنوب والشمال ، وريث الالهين الأخوين الذي اختاره آمون ، حياة رع ، القوى ، ابن رع ، بطلميوس المعمر أبدا حبيب فتاح قد شيد هذا المعبد (١) » .

وفي قانوب أصدر الكهنة في السادس من شهر مارس عام ٢٣٧ ق. م. في خلال اجتماعهم السنوى بمناسبة عيد ميلاد بطلميوس الثالث وعيد ارتقائه العرش قرارا مشهورا وصلت الينا ثلاث نسخ منه منقوشة على الحجر بالاغريقية والهيروغليفية والديموتيقية . وهنا أيضا أغفل النص الاغريقي (٢) ذكر الألقاب الفرعونية بينما أثبت النص الهيروغليفي هذه الألقاب جميعا (٣) . وفضلا عن ذلك فقد ورد اسم بطلميوس الثالث مقرونا بالألقاب الخمسة التقليدية على جدران معبد فيلة (٤) ، وكذلك على جدران معبد أقامه في نجع الفوقانية شمالي الكرنك (٥) .

---

(1) A. Rowe, Discovery of The Famous Temple and Enclosure of Sarapis at Alex., Suppl. Annales, Cahier 2, 1946, p. 8, figs. 2, and 3, pp. 51—2 ; Chronique, no. 48, p. 362.

(2) Bevan, pp. 208-14 ; Ditt. OGIS. 50 ; S. B. 8858.

(3) Gauthier, IV, p. 257, L. ; Ahmed Bey Kamal, op. cit., no. 22186, pp. 182—3, Pls. LIX—LXI.

(4) Gauthier, p. 254, XXXVIII ; Brugsch, Rec. de Monum. II, pl. LXXV, no. 4, p. 85 ; Thesaurus, p. 857.

(5) Gauthier, p. 256, XLV ; Lepsius, Denk., Tex, III, pp. 58, 40.

بطلميوس الرابع وخلفاؤه يرسمون فراعنة :

واذا كان بطلميوس الثانى قد خطا خطوة واسعة نحو اتخاذ صفة الفراعنة ، لأنه حمل الألقاب الفرعونيــة ولأنه تزوج من أختــه ، فان بطلميوس الرابع خطا خطوة أوسع من جده . ذلك أننا نجد منذ حكم فيلوباتور ألقابه الفراعنة كاملة حتى فى النص الاغريقى للوثائق الرسمية ، بل أن هناك من القرائن ما يدل على أن هذا الملك رسم فرعونا على نمط الفراعنة الوطنيين . وأهم هذه القرائن عبارة وردت فى القــرار الذى أصدره القساوسة فى ١٥ من نوفمبر عام ٢١٧ ، بمناسبة انتصار هــذا الملك فى معركة رفح . اذ أن هذا القرار ، الذى حفظه لنا نصب عثر عليه فى بيثوم (١) ، يسرد ألقــاب الفراعنة كــاملة بالهيروغليفية والديموتيقية والاغريقية ، ويذكر أن « الاله فتاح وافق على هذا الملك » . أليس معنى ذلك دخول هذا الملك قدس الأقداس فى معبد فتاح لتتويجه فرعونا ؟ ان ورود عبارة مشابهة على حجر رشيد ، وتفسيرها على هذا النحو فيما يختص ببطلميوس الخامس (٢) وهو الذى نعرف قطعا أنه رسم فرعونا ، لا يدع مجالا للشك فيما ذهبنا اليه من تأويل هذه العبارة . وقد وصل ڤيلكن الى النتيجة نفسها من عبارة أخرى فى صدر هذا القرار ، وترجمتها أن « أباه (أبا الملك ، أى الاله الأكبر فتاح) قد أقامه ملكا » (٣) . ونجد اسم بطلميوس الرابع مقرونا بالألقاب الفرعونية كاملة فى وثيقة بردية (٤) يبدو أنها تتضمن أمر ملكيا ، وفى نقش محفوظ بمتحف القاهرة (٥) وفى نقوش على جدران بهو الأعمدة وكذلك على جدران قدس الأقداس فى معبد ادفو (٦) . وفى ضوء الأزمة الخطيرة التى واجهت فيلوباتور فى عهده مما اضطره الى تجنيد المصريين لمحاربة أنطيوخوس الثالث ، وكذلك

(1) Gauthier et Sottas, Un decret trilingue en L' honneur de Ptol. IV, Caire, 1925 ; Spiegelberg in Sitzungsberichte bay. Ak. Wiss., Phil. — Phil. u. hist. Klasse, 1925 ; Pithom Stele, inv. No. 47806 = S.B. 717 ; Athribis Stele, inv. 31088 = S.B. 4244 ; Cf. Bevan, pp. 232, 388 ff.

(2) Mahaffy, History, p. 152, fn. 2.

(3) Wilcken, Grundzüge, p. 21, fn. 7.

(4) Chrest. No 109.

(5) Spiegelberg, Cat. Gen. d. Musée du Caire, Die Demot. Inschrift., 1904, No. 31088.

(6) Gauthier, IV, pp. 268—69, XXIII; Lepsius, IV, 17 g—b = Text, IV, pp. 61, 62, 64, 65 ; Bergman, Hierog. Inschr., pp. 32—38, Pls. XLV-LV.

فى ضوء اندلاع لهيب الثورة الوطنية فى عهد هذا الملك مما اضطره الى اجزال المنح للمصريين ، يسهل علينا أن ندرك أنه اذا كان البطالمة الأوائل ، وقد شعروا بقوتهم بفضل تعضيد الاغريق لهم ، تحاشوا أن يتخذوا أمامهم كل صفات الفراعنة ، ولم يروا حاجة الى توكيد هذه الصفات أمام المصريين ، فان بطلميوس الرابع ، وقد شهد انقطاع وفود الاغريق على مصر فى وقت تحرج فيه مركزه بسبب الأخطار الخارجية والثورات الداخلية ، لم ير مفرا من الخضوع للتقاليد المصرية ، فتوج نفسه فرعونا وحمل كافة ألقاب الفراعنة .

واذا كان الشك لا يزال يساور البعض فى رسامة فيلوپاتوز فرعونا ، فليس هناك مجال لهذا الشك فيما يتعلق برسامة بطلميوس الخامس (أيبفانيس) وخلفائه . ذلك أن حجر رشيد المشهور (١) حفظ لنا بالاغريقية والهيروغليفية والديموتيقية نص القرار الذى أصدره القساوسة المجتمعون فى منف فى السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٩٦ ، وهو يرينا اسم الملك مقرونا بألقاب الفراعنة كاملة حتى فى النص الاغريقى ، وكذلك اهتمام القساوسة بأن يقرروا بأن الهيكل ، الذى يحمل فيه تمثال الملك ، يجب أن يزين بمناظر تسجل تتويج الملك فى العام السابق . فقد ورد فى النص : « ولكى يميز بسهولة هذا الهيكل من الهياكل الأخرى على الدوام ، يجب أن تعلوه عشرة تيجان ذهبية للملك ... على أن يوضع فى وسطها التاج المعروف باسم پشنت (Pschent) الذى لبسه الملك عندما دخل معبد منف لأداء المراسم الضرورية عند ارتقاء العرش ... » .

ومما يجدر بالملاحظة أن قرار حجر رشيد قد سجل باللغتين الهيروغليفية والديموتيقية فقط على أحد جدران معبد ايزيس الكبير فى فيلة (٢) ، وأن نصبا عثر عليه فى نقراطيس يحمل النص الهيروغليفى فقط

(1) Gacthier, IV, p. 277 ; Dittenberger, O.G.I.S., I, 90 ; Bouché — Leclercq, I, pp. 369 ff. ; Cf. Jouguet, Rev. Belge, N.S. XI, 1937, pp. 209—11, 229 ; S.B. 8299, Bevan, pp. 262. ff.
وقد عثر كذلك فى الفنتين على جزء من نسخة من هذا القرار مسجلة بثلاث لغات . راجع : S.B.8232.

(2) Gauthier, IV, p. 281, XXII ; Lepsius, Denk., IV, 20 b, VI, 34 a ; Brugsch, Sammlung demot. Urk., I (1850) pp. 14—18, pl. III, ll. 1—2.

لهذا القرار وهو محفوظ بحالة تفضل الأصل كثيرا (١) • وبطبيعة الحال نجد فى هذين النقشين مثل ما نجد فى نقش ثالث على جدران معبد أمحوتب فى فيلة (٢) ، وفى نقش رابع على جدران معبد ادفو (٣) ، اسم بطلميوس الخامس مقرونا بألقابه التقليدية •

واذا كانت عوامل الضعف والانحلال قد حملت بطلميوس الرابع والخامس على التودد الى المصريين برسامة نفسيهما فرعونين ، مثل ما كان يفعل ملوك مصر الأقدمون ، فان هذه العوامل استمرت فى عهد خلفائهما ، بل أضيف اليها عاملان آخران كان لهما أثر بين فى تكييف مجرى سياستهم الداخلية والخارجية ، وهما الانقسامات بين أفراد الأسرة المالكة ، وتغلغل نفوذ روما فى مصر • ولذلك فانه على الرغم من افتقارنا الى الوثائق التى تشير الى رسامة هؤلاء البطالمة المتأخرين فراعنة ، فاننا لا نشك فى رسامتهم وذلك لأن بطلميوس الرابع والخامس قد استنا سنة جديدة لم يكن من أصالة الرأى الخروج عليها ، ولابد من أنها قد أصبحت قاعدة محترمة بين البطالمة المتأخرين (٤) • ويؤيد ما نذهب اليه فى هذا الصدد تصوير هؤلاء الملوك على جدران المعابد فى أشكال وأوضاع مصرية صميمة فى حضرة الآلهة ، وما نعرفه قطعا عن رسامة كل من بطلميوس الثانى يورجتيس الثانى (٥) وبطلميوس الثانى عشر (الزمار) (٦) فرعونا • ومما يجدر بالملاحظة أن بطلميوس الزمار لم يرسم فرعونا الا فى شهر مارس عام ٧٦ ، أى بعد ارتقائه العرش بنحو من أربعة أعوام • ويستخلص البعض من ترجمة حديثة للوحة الهيروغليفية ، التى أقيمت على قبر الكاهن الأكبر پشرنى — فتاح (Psherni-Ptah) ، أن بطلميوس الثانى عشر لم يرسم فرعونا فى معبد منف ، كما كانت العادة ، وانما فى قصره بالاسكندرية ، هذا وان كان الملك قد زار معبد منف بعد ذلك •

(1) Gauthier, p. 282, XXVI ; Ahmed bey Kamal, op. cit, pp. 188 ff. No. 22188, Pls. LXII-LXIII.

(2) Gauthier, p. 282-3, XXVII ; Lepsius, Denk., IV, pp. 18-19, text, IV pp. 136-8.

(3) Gauthier, p. 284, XXX, XXXI ; Rougé, Inscr. et notices recueillies à Edfu, Pl. CXXXIII ; Brugsch, Thesaurus, p. 862.

(4) Bevan. p. 28.

(5) Bouché-Lecl., I, p. 63 ; Bevan, pp. 308-9.

(6) Bouché-Leclercq, II, p. 124 ; Bevan, 346-8.

ولا شك لدينا أيضا فى أن كل البطالمة الأواخر قد حملوا مثل أسلافهم الألقاب الفرعونية كاملة . وعلى كل حال فان لدينا أمثلة متعددة لنقوش قرنت فيها أسماء بطلميوس السادس فيلوميتور (١) وبطلميوس الثامن يورجتيس الثانى (٢) وبطلميوس التاسع فيلوميتور سوتير (٣) وبطلميوس الزمار (٤) بكل ألقاب الفراعنة .

ويبدو اذن مما مر بنا أنه اذا كان البطالمة الثلاثة الأوائل لم يتخذوا على الأرجح من صفات الفراعنة الا ألقابهم التقليدية فقط ولم يثبتوا هذه الألقاب الا فى النصوص المصرية دون الاغريقية ، فان البطالمة الأواخر لم يحملوا الألقاب الفرعونية كاملة فحسب فى النصوص المصرية والنصوص الاغريقية سواء بسواء ، بل عنوا أيضا برسامة أنفسهم فراعنة . ولعل السر فى ذلك هو أن البطالمة الأوائل شعروا بقوتهم وشدة بأسهم وحاجتهم الى تأييد الاغريق لهم ، الى حد أنهم لم يروا داعيا للاغراق فى التشبه بالفراعنة ، ولا سيما أن ذلك كان يغضب الاغريق ويكسب الكهنة من القوة ما يهدد مركزهم . بيد أنه عندما بدأ الاضمحلال يدب دبيبه

---

(1) Gauthier, p. 294, XXII ; Lepsius, IV, 27 b = Text, IV, pp. 154-5 ; Gauthier, pp. 299-300, XLVI; Lepsius, IV, 23 c-d = Text, IV, pp. 111-3 (معبد كوم أومبو) ; Gauthier, p. 101, L; Lepsius, IV, 23 a = Text, IV, p. 26 (معبد اسنا) ; Gauthier, p. 301, LI ; Lepsius, IV, 28 a, Text, III, p. 120 (معبد دير المدينة) .

(المعبد الكبير فى فيلة)

(2) Gauthier, p. 321, LIII ; Lepsius. IV, 38 e-h = Text, V, pp. 72-3 (معبد دكه) ; Gauthier, p. 322, LVI ; Lepsius, IV, 39 a — b = Text, IV, pp 152, 166 (معبد ايزيس الكبير فى فيلة) ; Gauthier p. 323 LVIII ; Budge, Books on Egypt and Chaldea, vol. XVII, pp. 135-59.

(يوجد هذا النقش على المسلة التى نقلها بلزونى فى عام ١٨١٩ من فيلة إلى انجلترا حيث توجد فى دورسشستر) .

Gauthier, p. 324, LX ; Schiaparelli, Museo arch, Firenze no. 1674, pp, 417 ff.

(يوجد هذا النقش على ناؤوس عثر عليه فى احدى صالات معبد فيلة ومحفوظ الآن فى متحف فلورنسا) .

Gauthier, p. 327, LXXXI ; Lepsius, IV 31 b-c, 32 a - e = Tesb, ill, pp. 136. 191 (معبد قصر العجوز جنوبى مدينة هابو) .

(3) Gauthier, p. 360, XLVIII ; Daressy B. I. F. A. O., 1908, pp. 71 — 4 (معبد دير المدينة) ; Gauthier, p. 360, XLIX ; Lepsius, Text, III. p. 66. (معبد خنسو بالكرنك)

(4) Gauthier, p. 405, XLVIII ; Mariette, Denderah III, pls. 8, 15, 70 etc. Texte, pp. 232 ff. (أقبية معبد دندرة) .

الى الدولة وأخذت المخاطر تتهددها ، ولم يعد فى استطاعة البطالمة الاعتماد كلية على الاغريق لم يجدوا مخرجا لهم الا فى اتخاذ صفات الفراعنة كاملة فحملوا ألقابهم وتوجوا على نمطهم •

بقاء المعتقدات القديمة فى مولد فرعون :

وقد بقيت المعتقدات القديمة الخاصة بمولد فرعون من الآلهة سائدة فى عصر البطالمة ، غير أنه بدلا من أنه كان يخصص لمولد فرعون قاعة فى المعبد أو جانب من قاعة ، مثل ما كان يحدث فى أيام الفراعنة الوطنيين ، كان فى عصر البطالمة يخصص معبد صغير لهذا الغرض ، أطلق عليه اسم « الماميزى » ، أى بيت الولادة • وقد كان هذا المعبد الصغير يقام الى جانب كل معبد من المعابد التى يعبد فيها ثالوث مقدس • ويمثل المعبد الصغير صورة المكان السماوى الذى أنجبت فيه الآلهة « ثالث أفراد الثالوث » أو بعبارة أخرى الاله الابن ، أى حورس الطفل (١) • ولا شك فى أن مولد حورس الطفل كان رمزا لمولد فرعون ، وفى هذا ما يثبت بقاء المعتقدات القديمة ، التى تقول بأن فرعون هو جورس وسليل الآلهة•

ونسوق دليلا آخر على بقاء هذه المعتقدات وأهميتها فى نظر الأسرة الحاكمة وأفراد الشعب سواء بسواء فى أيام البطالمة ، على نحو ما كانت عليه فى أيام الفراعنة • ذلك أنه عندما انجبت كليوبترة السابعة فى ٢٣ من يونية عام ٤٧ ق•م• طفلا ذكرا من يوليوس قيصر ، ولم تكن تجرى فى عروق هذا الطفل دماء الفراعنــة ، لأن أباه لم يكن فرعونا ، وجــدت كليوبترة لنفسها ولابنها مخرجا من هذا المأزق فى معتقدات المصريين الدينية ، فقد صورت على جدران معبد أرمنت قصة تشبه قصة حتشبسوت فى معبد الدير البحرى ، وقصة أمينوفيس الثالث فى معبد الأقصر ، وقصة نقتانبو الثانى وأولومبياس أم الاسكندر • ذلك أنه نقشت على جدران معبد أرمنت قصة فحواها أن الاله آمون ــ رع تقمص شكل يوليوس قيصر وخــالط كليوبترة وأنجب منها ابنها (٢) ، وهو الذى أطلق عليه

(1) Mariette. Denderah texte, p. 29 ; Moret, Caractère, p. 69 ; Jouguet, Mac. Imp. pp. 287-288.

(2) Maspero, Bib. Egyp., vol. XXVIII, p. 278.

الاسكندريون اسم قيصرون ، وهكذا اكتسب قيصرون صبغة شرعية ؛ وحق له أن يعتلي عرش الفراعنة ، وعندما اعتلى قيصرون العرش واشترك مع أمه في الحكم بعد وفاة بطلميوس الرابع عشر ، صور على جدران المعابد في شكل الفراعنة الأقدمين (١) .

اشراك ملوك وملكات البطالمة في العبادة مع الآلهة المصرية :

وتحدثنا لوحة منديس بأن بطلميوس الثانى أشرك زوجه أرسينوى الثانية مع كبش منديس « الاله الأكبر ، حياة رع ، الكبش الذى ينتج ، أمير الشابات ، صديق البنت والأخت الملكية ، الملكة وسيدة البلاد ، أرسينوى التى تعيش الى الأبد (٢) » .

وقد أشركت أرسينوى كذلك مع توم (Toum) فى پيثوم (٣) ، ونيت فى سايس ، وفتاح فى منف ، وموت (Mout) فى طيبة ، ومونث فى هرمونثيس ، وخنسو فى الكرنك ، وسبك فى قروقديلوپوليس بالفيوم ، وايزيس فى فيلة الخ (٤) .

ونتبين من قرار قانوب أن الالهين المنقذين والالهين الأخوين والالهين الخيرين كانوا يعتبرون قرناء الآلهة المصرية فى كل المعابد ويشركون فى العبادة ، وأن القرابين كانت تقدم للالهين الخيرين ثلاث مرات شهريا ، وذلك الى جانب الاحتفال بأعيادهما السنوية ، مثل عيد ميلاد الملك وعيد ارتقائه العرش ، وأنه تقرر عبادة ابنتهما برنيقى فى كل معابد مصر (٥) . وفى عهد بطلميوس الرابع أشرك الالهان المحبان لأبيهما (٦) ؛ وفى عهد بطلميوس الخامس أشرك الالهان الظاهران (٧) ، وهكذا يبدو أن اشراك

(1) Bevan, p. 369.

(٢) لوحة منديس ، راجع ص ١٧ حاشية ٤ حيث المراجع الخاصة بهذه اللوحة .

(٣) لوحة پيثوم ، راجع ص ١٧ حاشية ٣ حيث المراجع الخاصة بهذه اللوحة .

(4) Otto, Priester, I, p. 349 ; Nock, Synnaos Theos, in Harv. St. Class. Phil., 41, 1930, pp. 4-7 ; Wilcken, Entstehung, p. 314, no. 2.

(٥) راجع قرار قانوب فى بفان ص ص ٢٠٨ — ٢١٤ .

(٦) راجع الفقرة الخاصة بذلك فى قرار منف ، بفان ص ٢٩١ .

(٧) راجع الفقرة الخاصة بذلك فى قرار حجر رشيد : بفان ص ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

الملك الحاكم وزوجه فى العبادة مع من سبقهما من البطالمة المؤلهين والآلهة المصرية كان تقليدا مرعيا منذ عهد بطلميوس الثالث على الأقل • ولعل أن ذلك كان نتيجة لما قام به بطلميوس الثانى من اشراك زوجه أرسينوى الثانية مع عدة آلهة مصرية ، كما مر بنا • وقد كان من جراء اعتبار الملك بطلميوس وزوجه الهين شريكين للالهة المصرية فى المعابد التى أقيمت من أجل تلك الآلهة أن جدران المعابد كانت تزين بصورهما فى ملابس وأوضاع مصرية باعتبارهما الهين ، تحيط بهما نقوش هيروغليفية تسبغ على الملك ألقاب الفراعنة التقليدية وتسجل تقواه وما جاد به من الخيرات • ويجب أن يلاحظ أن الصور التى تمثل أى ملك من ملوك البطالمة على جدران المعابد المصرية صور تقليدية للملك بوصفه فرعونا اصطنعت وفقا لتقاليد الفن المقدس ، وليست فيها أية محاولة لتصوير الملامح الحقيقية للملك • وتبعا لذلك فانه لا يمكن أن نستخلص من تلك الصور شكل الملك الحقيقى ولا الرداء الذى كان يضعه فعلا فى حياته اليومية • وقد ترتب على عبادة أفراد أسرة البطالمة بوصفهم آلهة مصرية ما نجده لهم من التماثيل وكذلك الصور (على النقود وعلى الأحجار الكريمة) فى شكل الآلهة والآلهات المصرية • وأكثر ما لدينا حتى الآن من هذه التماثيل والصور تمثل أميرات البطالمة فى شكل الالهة ايزيس (١) •

ويستوقف النظر أنه عندما نصب البطالمة أنفسهم آلهة وعبدهم الاغريق عبادة رسمية ، كان كهنة هذه العبادة الاغريقية يذكرون فى ديباجة الوثائق فى كل أنحاء البلاد ، فى حين أن كهنة عبادة البطالمة عبادة مصرية كانوا لا يذكرون فى ديباجة الوثائق ، غير أن كتاب الوثائق Monographoi) الوطنيين كانوا يكتفون عادة بأن يذكروا بعد التوقيع أنهم يكتبون باسم القبائل الخمس من كهنة آمون رع مثلا فى طيبة ، وكهنة مونت فى هرمونثيس ، و « الآلهة الأخرى المشتركة معه » • وفى بعض الأحيان كان الكتاب يعددون هذه الآلهة الأخرى الشريكة Synnaoi Paredroi أى الملوك المؤلهين بألقابهم الالهية الاغريقية • ويبدو أن القبيلة الخامسة من الكهنة هى التى كانت تقيم شعائر طقوس البطالمة (٢) ، ذلك أننا نجد فى نهاية

(1) Otto, II, pp. 263-4 ; Noshy, Arts in Ptol. Eg., pp. 125 ff.
(2) Bouché-Leclercq, III, pp. 64-66.

وثيقة، بتاريخ ٢٩ من كيهك فى الثالث والعشرين من حكم بطلميوس الخامس (٣ فبراير ١٨٢ ق٠م٠) : « كتب هذا بابى (Pabi) ابن كلودج (Kloudj) باسم كهنـــة القبيلة الخامســـة ، وكانوا كهنـــة آمون ـــ رع ـــ سونتر (Amiounrasonther) والالهين الأخوين والالهين الخيرين والالهين المحبين لأبيهما والالهين الظــاهرين (١) » ٠ ويبدو أن النص هنا على القبيلة الخامسة بدلا من الصيغة العادية « باسم القبائل الخمس » يشير بجلاء الى أن عبادة البطالمة فى المعابد المصرية كانت من اختصاص هذه القبيلة الخامسة (٢) ، وهى التى نرجح أن بطلميوس الثالث أنشأها لهذا الغرض (٣) ٠

٢ ـــ البطالمة والديانة المصرية

أدرك الاسكندر والبطالمة أنه كان من الأسباب التى أحفظت قلوب المصريين ضد الفرس أنهم انتهكوا حرمة الديانة المصرية ، ولذلك وضع الاسكندر والبطالمة نصب أعينهم الاعتراف بالديانة المصرية دينا رسميا ، وكان ذلك ينطوى على اظهار احترامهم واجلالهم لهذه الديانة ، وكذلك على السماح للمصريين بحرية عبادة آلهتهم القديمة ٠ وقد سهل على البطالمة اتباع هذه السياسة عاملان : وأحدهما هو أن « الدولية » التى تمخض عنها العصر الهلينيسى جعلت ميول هذا العصر تتجه نحو الحرية الفكرية وحرية الاعتقاد ، والآخر هو أن الاغريق كانوا يكنون للديانة المصرية احتراما عميقا (٤)٠ولما كان الباعث على اتباع هذه السياسة هو رغبة

(1) Pap. dem, Berlin, Reivillout, N. Chrest. dém., p. 78 ; Bouché-Leclercq, III, p. 65.

ويبدو أن اللقب القديم « كهنة القبائل الاربع » (كهنة فتاح وحورس وامحوتب) بقى فى منف حتى أواخر أيام البطالمة ، راجع :
Spiegelberg, Demot. Inschrift. pp. 32, 38.

(2) Bouché-Leclercq, III, p. 65 fn. 2.

(٣) يدور جدل كبير حول الاغراض التى أنشئت من اجلها قبيلة الكهنة الجديدة (Otto, I, pp. 26—33). لكننا لا نرى لماذا لا تكون عبادة اسرة البطالمة السبب الرئيسى لانشاء هذه القبيلة اذ انه لا يمكن أن يستخلص سبب آخر من قرار قانوب الذى انشئت هذه القبيلة بمقتضاه ، ولا سيما أن هذا القرار قضى بزيادة الطقوس التى تقام لافراد اسرة البطالمة ، واطلق على قبيلة الكهنة الجديدة (قبيلة الالهين الخيرين) ، راجع :
Bouché-Leclercq, III, p. 64, fn. 3.

(4) Otto, II, pp. 261 ff; Cf. Bell, Graeco-Eg. Religion, Museum Helveticum, 10, 1953, pp. 222-3.

البطالمة فى توطيد دعائم ملكهم ، فانهم لم يألوا جهدا فى العمل على اظهار اجلالهم واحترامهم للديانة المصرية • وقد رأينا أدلة ملموسة على ذلك فيما أسلفناه من اهتمام البطالمة باتخاذ صفات الفراعنة ، وتصويرهم على جدران المعابد على نمط الفراعنة القدماء ، بل تصويرهم على الأحجار الكريمة والنقود فى شكل آلهة مصرية • ولتحقيق هذه السياسة ، اتبعوا وسائل شتى يمكننا تلخيصها فى تقديم القرابين وارجاع تماثيل الآلهة التى كان الفرس قد أخذوها من البلاد ، ومنح المعابد هبات مالية وأراضى ، وانشاء المعابد والهياكل واصلاحها وزخرفتها ، ومنح المعابد حق حماية اللاجئين اليها •

الاسكندر الأكبر :

ويمكننا الوقوف على مدى ما قام به هؤلاء الملوك الغرباء فى هذا الصدد من استعراض ما وصل الينا من أخبار كل منهم • أما الاسكندر الأكبر فانه عندما نزل فى منف ، كان همه الأول أن يقدم القرابين للآلهة الوطنية والعجل المقدس أبيس • وبعد ذلك وضع أساس معبد ايزيس فى الاسكندرية (١) ، وشيد فى معبد الأقصر أمام قدس الأقداس ، مكان قاعة ذات أربعة أعمدة ، هيكلا صغيرا كان مصريا فى عمارته وزخرفته • ويزين هذا الهيكل صور تمثل الاسكندر فى حضرة الآلهة آمون وموت وخنسو وهم الذين أهدى اليهم هذا الهيكل (٢) • وأصلح الاسكندر مدخل البوابة التى كانت تشكل الواجهة الغربية فى معبد الكرنك العظيم أيام تحتمس الأول (٣) وأنشأ معبدا فى الواحة البحرية (٤) •

---

(1) Arrian, iii, 1 ; Fraser, I, pp. 3, 23, 193, 245, 260, 265, 272-3.

ويحدثنا Mahaffy فى كتابه عن امبراطورية البطالمة (ص ٧٥ حاشية ١) بأن نقود الاسكندرية فى العهد الرومانى ترينا أنه كان يوجد فى هذه المدينة ، من بين المعابد الكثيرة التى شيدت هناك أيام البطالمة ، معبد واحد على الأقل مبنى على طراز مصرى وهو معبد ايزيس ، راجع :

Poole, Coins of Alex., nos. 542, 879, and text, p. XCI.

(2) Noshy, Arts in Ptolemaic Eg., p. 67 ; Jequier, Temples Ptol. et Rom., pl. I, ; Baikie, Egyptian Antiquities in the Nile Valley, pp. 355, 359 ; Wilcken, Alex. The Great, p. 116.

(3) Baikie, op. cit., p. 386.

(4) Fakhry, Baharia Oasis, 1950, pp. 41 ff.

بطلميوس الأول :

وما كاد بطلميوس الأول يصل الى مصر ، عندما نصب واليا عليها في عام ٣٢٣ ق.م. ، حتى بادر باظهار احترامه للديانة المصرية بأن تبرع بمبلغ قدره خمسون تالنتا (أى حوالى ١٢٫٥٠٠ جنيه استرليني) للاحتفال بجنازة أحد العجول المقدسة (١) ولم يكتف بطلميوس بذلك ، اذ أن نصب الوالى التذكارى (٢) ، الذى عثر عليه فى القاهرة فى عام ١٨٧١ ، يعطينا صورة صادقة لمجهودات بطلميوس الأول فى هذه الناحية . وهذا النصب عبارة عن لوحة من الجرانيت الأسود ، يزين أعلاها منظران يصوران ملكا وهو يقدم القربين فى أحدهما الى حورس اله مدينة بى (Pe) وفى الآخر الى بوتو (Buto) الهة مدينتى بى وتب (Tep) . ويرجع تاريخ النص الى « العام السابع من عهد الملك الاسكندر المعمر أبدا فى الوقت الذى يبدأ فيه فيضان النيل » أى فى شهر يونيه عام ٣١١ . ذلك أن احدى برديات الفنتين (٣) تعادل العام السابع من عهد الاسكندر الرابع بالعام الرابع عشر من عهد بطلميوس الوالى ، أى بعام ٣١١ . وقد جاء فى صدر هذا النص أن بطلميوس أعاد الى مصر ما وجده فى آسيا من أثاث المعابد المصرية وكتبها وتماثيل آلهتها . ومما يجدر بالملاحظة أن مسألة استعادة المقدسات المصرية ــ وهى التى كان الفرس قد نهبوها ــ يتردد ذكرها فى لوحة پيثوم من عهد بطلميوس الثانى ، وفى قرار قانوب ونقش أدوليس من عهد بطلميوس الثالث ، وفى لوحة پيثوم الجديدة من عهد بطلميوس الرابع . وهذا يدل على أن البطالمة اتخذوا من هذه المسألة الحساسة بالنسبة الى المصريين وترا يعزفون عليه لكسب ود مصر ودعم مركزهم فيها باظهار الفارق الهائل بين حكامها الجدد وحكامها القدامى من الفرس . ويمضى النص (نصب الوالى) فيحدثنا بأن أرض پاتانوت (الجزء الشمالى من محافظتى الغربية وكفر الشيخ) كانت دائما أبدا ملكا لالهى بى وتب ، وأن اجزيركسيس سلب الالهين هذه الأرض ،

(1) Diod., I, 84 ; Bouché-Leclercq, Vol. I, p. 104 ; Bevan, p. 183.

(2) Zeitschrif für. Spr., IX, 1871, pp. 1 ff; XXXV, pp. 81. ff.; Bouché-Leclercq, I, pp, 104 ff. ; Bevan, pp. 28 ff.

(3) P. Eleph, 1.

غير أن خباش أعاد للالهين ممتلكاتهما وأضاف اليها ، وحذا بطلميوس حذو خباش فقد أعاد منح كافة هذه الممتلكات لالهى پى وتپ .

وقد كان خباش زعيم الحركة الوطنية ، التى قام بها المصريون ضد الفرس فى عام ٤٨٦ . ويبدو أن بطلميوس الأول قد أراد بما أورده فى هذا النص أن يذكر المصريين بمساوىء حكم الفرس ، والفرق بين معاملتهم الالهة المصرية ومعاملته هو هذه الآلهة ، كما أنه بمحاكاته ما فعله من قبل الزعيم الوطنى خباش ، أراد أن يظهر فى ثوب زعيم الحركة الوطنية . هذا الى أنه رمى الى تذكير المصريين ، بطريق غير مباشر ، بالخدمات التى سبق أن أسداها الاغريق الى المصريين كلما ثاروا ضد الفرس .

وتشير أدلة أخرى الى أن بطلميوس عنى منذ قدومه الى مصر باقتفاء أثر الفراعنة فى اهتمامهم بالمنشآت الدينية (١) . ذلك أنه أعاد انشاء قدس الأقداس فى معبد الكرنك باسم فيليب أرهيدايوس (٢) ، وزخرف باسم الاسكندر الرابع قاعة فى معبد الكرنك ، يظن أنها قاعة احتفالات تحتمس الثالث (٣) . وقد وجد فى هذه القاعة تمثال طريف للاسكندر الرابع ، سنرى فيما بعد أنه أحد الأمثلة النادرة لفن النحت التى يمتزج فيها الطراز المصرى بالطراز الاغريقى (٤) . وشيد بطلميوس فى عهد الاسكندر الرابع هيكلا فى بنى حسن ، وقد صور الملك فى أعلى واجهة الهيكل راكعا يقدم تمثال « الصدق » الى الالهة باشت (Pasht) ، ووقفت الالهة حتحور خلف الملك ، الذى صور أيضا على أحد جانبى الباب فى حضرة آمون وحورس ، وعلى الجانب الآخر فى حضرة تحوت وخم (Chem) (٥) . وأقام

(1) I. Cf. Rosellini, Monum. di Egitto, Mon. Stor. II, pp. 290 ff ; IV pp. 259 ff. ; Monum. di Culto, p. 321 ; Athenaeum, (1891) No. 3305 p. 288; G. Bénédite, Egypte (Guide Joanne, Paris, 1900), pp. 403, 469, 470, 484, 485 ; Bouché-Lecl., I. p. 109.

(2) Noshy, loc. cit. ; Jequier, op. cit., pls. II, III ; Murray, Eg. Temples, pp. 71, 80 ; Baikie, op. cit., pp. 367, 369. 390.

(3) Noshy, loc cit. ; Jequier, op. cit., pls. I, 2, IV, 1.

(4) Mahaffy, Empire, p. 38 ; Noshy, op. cit., p. 138, pl. XV, 2.

انظر الجزء الرابع ، الفصل الخامس والعشرين : ٣ — قطع النحت التى يمتزج فيها الطرازان الاغريقى والمصرى .

(5) Mahaffy, op. cit., p. 70 ; Murry, Egypt, II, p. 413 ; Baikie, op. cit., 220. cit., 220.

وجدير بالذكر ان هذا الهيكل نحت فى الصخر قريب من الهيكل المنحوت فى الصخر المعروف باسم (Speos Artemidos) .

بطلميوس الأول بوابة أمام معبد الفنتين ، صور عليها الاسكندر الرابع وهو يتعبد الى الاله خنوم (١) . واذا كانت هذه المنشآت ثانوية ، فانها كانت على الأقل مثلا حذا حذوه خلفاء بطلميوس الأول .

بطلميوس الثانى :

وتدل الوثائق التى وصلت الينا من عصر بطلميوس الثانى فيلادلفوس على أنه لم يتوان فى اظهار اجلاله واحترامه للآلهة المصرية.ذلك أن لوحة بيثوم التى أقيمت فى العام الحادى والعشرين من حكمه (٢٦٥/٢٦٤ق٠م) تبئنا بأن هذا الملك زار بيثوم ثلاث مرات . وكانت الزيارة الأولى فى العام السادس من حكمه (عام ٢٨٠/٢٧٩) عندما بدأ العمل فى القناة التى تصل النيل بالبحر الأحمر ، وذهب الى بلاد الفرس (المقصود هنا البلاد التى كانت خاضعة للفرس ، والاشارة الى حرب قاريا أو حرب دمشق فى ذلك العام) وأحضر من هناك تماثيل الآلهة ، وأهدى معبدين الى توم (Toum) وأوزيريس ، الهى بيكرحت (Pikerehet) . وكانت الزيارة الثانية فى العام الثانى عشر (عام ٢٧٤/٢٧٣) ، عندما اصطحب معه أخته وزوجه الملكة ارسينوى الثانية وأجزل الهبات لآلهة بيثوم (٢) . وكانت الزيارة الثالثة فى العام الحادى والعشرين (عام ٢٦٥/٢٦٤) عندما منح الملك المعابد المصرية هبة مالية قدرها ٧٥٠٠٠٠ دبن (Deben) ، وهو مايوازى ٣١٢٥ تالنت من الفضة (٣) (حوالى ٨٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى) . وتؤكد هذه الوثيقة أن الملك كان يمنح المعابد سنويا حتى ذلك العام هبة مالية قدرها ١٥٠ر٠٠٠ دبن . ويبدو مما ورد فى هذه الوثيقة وفى قرارى قانوب ورشيد أن البطالمة كانوا يهبون المعابد منحا معينة ، الى جانب ما كانوا يمنحونها فى مناسبات خاصة (٤) . وتحدثنا لوحة مندس عن تقدير فيلادلفوس لاله هذه المدينة والهبات التى أجزلها له (٥) .

(1) Baikie, op. cit., p. 723.

(2) Mahaffy, Empire, pp. 138-9; Naville, The Store city of Pithom, p. 12; Zeit. Aeg. Sp., 1894, pp. 74 g. ; 1903, pp. 1-9 ; Bouché-Leclercq, I. p. [illegible] fn. 3.

(3) Mahaffy, op. cit., p. 143 ; Bevan, p. 185.

(4) Bevan, p. 183.

(5) Mahaffy, History, pp. 73-4 ; Mariette, Mon. divers recueillis en Eg. et en Nubie, pls. 43, 44; Brugsch, Zeit. Aeg. Sp., 1875, pp. 33-40.

وقد شيد فيلادلفوس عدداً كبيراً من المعابد المصرية اختص ايزيس باثنين منها ، ذلك أنه بدأ بناء معبدها الكبير فى جزيرة فيلة (١) ، وأقام لهذه الالهة معبداً آخر فى الدلتا فى بهبيت الحجارة — بالقرب من سمنود — مكان معبد نقتانبو الأول (٢) . وقد امتاز هذا المعبد ببهائه ورونقه ، اذ أن جميعه بنى من جرانيت أسوان الأحمر (٣) . وأنشأ فيلادلفوس معبداً صغيراً لامحوتب فى جزيرة فيلة (٤) . وشيد كذلك معبدين آخرين على الأقل ، أحدهما فى مندس (٥) والآخر فى نقراطيس (٦) ، وأقام بوابة أمام معبد موت فى الكرنك (٧) .

بطلميوس الثالث :

وتحدثنا وثيقة قانوب (٨) عن سياسة بطلميوس الثالث يورجتيس نحو الديانة المصرية اذ أن هذه الوثيقة تروى لنا كيف أن الملك بطلميوس (ابن بطلميوس وأرسينوى الالهين الأخوين) وبرنيقى أخته وزوجه ، الالهين الخيرين ، يجزلان دائما للمعابد الوطنية نعما كثيرة عظيمة ، ويزيدان مظاهر الاجلال للآلهة ، ولا يدخران وسعا فى العناية بأبيس ومنفيس وغيرهما من الحيوانات المقدسة المشهورة مهما يكلفهما ذلك من النفقات ، وتعيين الكهنة المناسبين ؛ وأن الملك بعد قيامه بحملة فى الخارج أعاد الى مصر التماثيل المقدسة التى كان الفرس قد أخذوها منها .. » . ثم تمضى الوثيقة فى سرد الأعمال الطيبة التى قام بها الملك نحو رعاياه ، اذ أنه نشر السلام فى البلاد ، ودافع عنها ضد أعدائها ، وأقام فيها حكومة رشيدة . وعندما قل الفيضان عن مستواه العادى ولم يسد حاجات البلاد ، نزل الملك والملكة عن جانب غير قليل من دخلهما لانقاذ حياة الكهنة والأهالى ، وذلك بجلب القمح من سوريا وفينيقيا وقبرص وغيرها من البلاد بسعر

(1) Baikie, op. cit., p. 751.
(2) Baikie, op. cit., p. 40.
(3) Mahaffy, History, p. 83.
(4) Baikie, op. cit., p. 750.
(5) Mahaffy, History, p. 73 ; Baikie, op. cit., p. 39.
(6) Bevan, p. 186.
(7) Baikie, op. cit., p. 396.
(8) Mahaffy, Empire, pp. 226 ff. ; History, pp. 111 ff.; Bevan, pp. 208 ff.

مرتفع • وازاء هـذه الخدمات جميعا « قرر القساوسة أن تزاد مظاهر الاجلال التى تقدم للملك والملكة وأبويهما وجديهما ، وأن يحمل الكهنة فى كل المعابد لقب كهنة الالهين الخيرين وذلك الى جانب ألقابهم الأخرى، وأن تضاف فى كل معبد قبيلة خامسة من الكهنة تحمل اسم الالهين الخيرين وتكون على قدم المساواة مع القبائل الأربع القديمة ، وأن يقيم الكهنة فى أوائل كل عام فى كافة المعابد حفلا قوميا مقدسا اجلالا للملك والملكة، وأن تقام لبرنيقى ابنة الالهين الخيرين التى توفيت فجأة مراسم الاجلال فى كل المعابد ، وأن يقام لها أيضا في جميع المعابد من الدرجتين الأولى والثانية تمثال من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة ، وأن تقـام فى أبرز مكان فى كل معبد من معابد الدرجات الأولى والثانية والثالثة صور من هذا القرار ، على لوحة من الحجر أو البرونز، مكتوبة باللغات الهيروغليفية والديموتيقية والاغريقية ، ليثبت القساوسة فى طول البلاد وعرضها أنهم يكرمون الالهين الخيرين وسلالتهما كما هو حق » •

ان هذه الوثيقة عبارة عن قرار اصدره مجمع الكهنة ، الذى انعقد فى مدينـة قانوب فى السادس من شهر مارس عام ٢٣٧ (١) عقب عودة بطلميوس الثالث مكرها من حروبه فى آسيا بسبب الثورة التى نشبت فى مصر نتيجة لحدوث مجاعة فيها (٢) • وقد وصلت الينا ثلاث نسخ من الحجر لهذه الوثيقة ، عثر على أولاها فى عام ١٨٦٥ بين اطـلال مدينة تانيس القديمة ، ووجدت الثانيـة فى عام ١٨٨١ ، وهاتان الوثيقتان موجودتان الآن فى متحف القاهرة • وأما النسخة الثالثة فانها محفوظة فى متحف اللوفر وبها عطب كثير (٣) •

أما عن المنشآت الدينية التى اقامها هذا الملك ، فانه أكمـل معبد ايزيس فى فيلة ، وهو الذى لم يتم بناؤه فى عهد أبيه بطلميوس الثا نى ، اذ أن المدخل الكبير من الناحية الشمالية يحمل نقشا باللغة الاغريقية مؤداه أن الملك بطلميوس والملكة برنيقى وأبناءهما يهدون الهيكل الى

(1) Ernest Meyer, Untersuch z. Chronol., p. 69; Bevan, p. 208.
(2) Mahaffy, p. 110.
(3) Bevan, loc, cit.

ايزيس وحاربو قراتيس (١) . وقد وجــدت فى جزيرة بيجه (Biggeh) المجاورة لجزيرة فيلة بقايا معبد وجد عليها اسم بطلميوس الثالث وأسماء بعض الفراعنة القدماء (٢) . وقد بدأ هذا الملك فى اقامة معبد لايزيس فى أسوان (٣) ، وشيد معبداً صغيراً فى اسنا (٤) ، والباب الخارجى لمعبــد فتاح والمدخل الأكبر لمعبد خنسو (٥) والمدخـل الشمالى لمعبــد مونتو بالكرنك (٦) . ولابد من أنه شيد معبدا جديدا لأوزيريس فى قانوب ، فقد عثر هناك على لوحة ذهبية كانت قد وضعت ، كما هى العادة فى أغلب الأحوال ، بين أحجار الأساس . وتحمل هذه اللوحة نقشا بالاغريقية هذا نصه : « الملك بطلميوس بن بطلميوس وأرسينوى ، الالهين الأخوين ، والملــكة برنيقى ، أخت الملك وزوجتــه ، يهــديان هــذا الهيكل الى أوزيريس (٧) » . لكنه لعل أهم آثار هذا العاهل فى بناء المعــابد هو معبد حورس فى ادفو الذى وضع أساسه فى ٢٣ من أغسطس عام ٢٣٧ ، الا أن بناءه وزخرفــته لم يتما الا فى ديسمبر عام ٥٧ ق. م فى عهــد بطلميوس الثانى عشر (الزمار) (٨) . ويعتبر هــذا المعبد من أروع ما أنتجه فن العمارة المصرية فى عهد البطالمة .

ومما يجدر بالملاحظة أنه صاحب ازدياد المنشآت الدينية التى أقامها هذا الملك عقب قرار قانوب الاقلال من القرابين التى كانت تقدم للمعابد فى أنحاء العالم الاغريقى لأن پاوسانياس،وهو الذى شاهد كثيرا من التماثيل والقرابين التى قدمها بطلميوس الأول والثانى فى كل أنحاء بلاد الاغريق ، لم يذكر لنا أنه شاهد قربانا أو تمثالا قدمه بطلميوس الثالث ، وذلك على الرغم من أن سلطانه كان يمتد على شواطىء بحر ايجــة أكثر من سلفيه (٩) . ومعنى ذلك أن ازدياد عناية هذا الملك بالديانة المصرية قلل من اهتمامه بالديانة الاغريقية .

---

(1) Baikie, op. cit., p. 751; Bevan, p. 214
(2) Bevan, p. 215.
(3) Baikie, pp. 696, 712.
(4) Mahaffy, History, p. 119.
(5) Noshy, p. 67; Baikie, op. cit. pp. 398, 354, 371.
(6) Baikie, op. cit., p. 309.
(7) Bevan p. 214 ; Fraser, I, p. 252.
(8) Noshy, pp. 68 ff.
(9) Mahaffy, Empire, p. 206.

بطلميوس الرابع :

ولما كان البطالمة الثلاثة الأوائل يعتمدون اعتماداً كلياً على الاغريق فى تكوين قواتهم الحربية ، فان جل اهتمامهم كان موجهــا الى كسب عطف الاغريق ، هذا وان كانوا لم يغفلوا المصريين بتاتا من حسابهم . لكنه عندما انقطع وفود الاغريق الى مصر منذ أواخر القرن الثالث بسبب نقص عددهم ، نتيجة لاشتراكهم فى حروب خلفاء الاسكندر بمثابة جنود مرتزقة ، وفى الحروب الداخلية التى قطعت أوصال بلاد الاغريق ، ونتيجة لتحديد النسل بينهم ، اضطر البطالمة منذ عهــد بطلميوس الرابع الى الاعتماد على المصريين أيضا فى بناء قواتهم الحربية . وتبعا لذلك فانه لم يكن هناك مفر عندئذ من أن يعدلوا سياستهم ازاء المصريين . ومن ثم فان بطلميوس الرابع كان أول من توج منهم فرعونا على نمط الفراعنة القدماء وأول ملك من البطالمة نعرف حتى الآن أن اسمه قرن بالألقاب الفرعونية كاملة فى كافة الوثائق الرسمية سواء أكانت مسجلة بالهيروغليفية أم الديموتيقية أم الاغريقية . ولا عجب اذن أن لوحة پيثوم ، التى حفظت لنا القرار الذى أصــدره مجمع الكهنة فى منف فى نوفمبر عام ٢١٧ ، تحدثنا بأن اهتمام بطلميوس الرابع باظهار اجلاله للآلهة والديانة المصرية على الدوام حدا به الى أن يفيض عليها بالهبات من واسع كرمه ، فكافأته الآلهة على ذلك بأن عقدت له ألوية النصر وكلأته بعنايتها وحفظته من كل مكروه . وتحدثنا هذه الوثيقة كيف أنه ما كاد يصل الى علم الملك أنه قد لحق تماثيل الآلهة المصرية (فى فلسطين) كثير من الأذى ، حتى أصدر أمراً كريماً بألا يتعرض لها أحد ثانية بمكروه ، وذلك رغبة منه فى أن يدرك جميع الأجانب عظيم اهتمام الملك بآلهة مصر وشدة حرصه عليها . وكيف أنه أمر كذلك بأن تنقل الى مصر كل موميات الحيوانات المقدسة ، وبأن يقام لها حفل عظيم وتدفن فى مقابرها ، وبأن ينقل الى معابدها فى مصر فى حفل كريم ما وجد مشوها من التماثيل . وكيف أن الملك كان معنيا بأمر التماثيل المقدسة التى نقلت من مصر الى آشــور وفينيقيا عندما انتهك الفرس حرمة المعابد المصرية ، ولذلك أمر بالبحث عن هذه التماثيل واعادتها الى مصر ، فأعاد الى مصر ـــ الى جانب ما كان

أبوه قد أعاده — كل ما وجد من هذه التماثيل ، وأقام حفلا كبيراً اجلالا لها ، وقضى بأن تعاد الى معابدها الأصلية حيث كانت من قبل . وكيف أنه بعد عودة الملك الى مصر ، زار المعابد وقدم القرابين الى الآلهة ومنح المعابد هبات كثيرة الى جانب ما كان قد منحها من قبل ، وأقام تماثيل كثيرة فى المعابد بدل ما فقد منها ، وأصلح التماثيل التى كانت فى حاجة الى اصلاح ، وأنفق فى سبيل ذلك مبالغ طائلة ، وأمر بأن تصاغ آنية المعابد من الذهب والفضة ، وأجزل الهبات لرجال الدين . وكيف أنه ازاء كل هذه الحسنات التى تفضل بها الملك ، قرر القساوسة أن تزاد مظاهر الاجلال التى كانت تقدم للملك ولأخته وأسلافهما من أسرة البطالمة ، وأن يقام تمثالان من طراز مصرى للملك ولأخته فى أبرز مكان فى كل معبد من معابد مصر ، وأن يوضع تمثال الاله المحلى فى كل معبد أمام تمثال الملك ، وأن يقيم كهنة المعابد الصلوات للتماثيل ثلاث مرات يوميا ، وأن يقام فى كافة معابد مصر كل عام حفل يبدأ يوم ذكرى انتصاره على عدوه ويدوم خمسة أيام .

وكان طبيعيا أن يوجه بطلميوس الرابع اهتمامه الى المنشآت الدينية : فقد أسهم فى بناء معبد حورس فى ادفو ، ذلك المعبد الذى بدأه أبوه . وتحدثنا نقوش هذا المعبد بأنه « قد تم بناء قاعة قدس الأقداس للاله حورس الذهبى فى السابع من شهر أبيب فى السنة العاشرة من حكم الملك بطلميوس فيلوپاتور ، وزينت جدرانها بنقوش بديعة وبالاسم الأكبر لصاحب الجلالة وبصور آلهة ادفو والهاتها . وفى العام السادس عشر من حكم جلالة الملك ، تم بناء مدخلها الأكبر (وليس المدخل الأكبر للمعبد) والباب المزدوج لردهته الكبيرة . وعندئذ اندلع لهيب الثورة واختفت جماعات من الثوار داخل المعبد (١) ... » . وقد وجد خرطوش هذا الملك على أبنية مختلفة فى الأقصر ، مما يثبت أنه اذا لم يكن قد شيد هناك مبانى جديدة فلا أقل من أنه زين أبنية قائمة (٢) أو أصلحها (٣) . وقد بدأ فيلوپاتور غربى النهر بناء ذلك المعبد الأنيق الصغير الذى يعرف

(1) Mahaffy, History, p. 130.
(2) Mahaffy, History, p. 137; Cf. Baikie, p. 377.
(3) Bouché-Leclercq, I, p. 329, fn. 2.

باسم دير المدينة ، وحاول اتمام المعبد الصغير الذى بدأه أبوه فى الفتنين. وقد وجد اسم فيلوپاتور على أماكن مختلفة من مجموعة المعابد فى فيلة . ومما يستحق الذكر أنه وجدمعبد للاله آر — هس — نفر (Ar-hes-nefer) شرقى المعبد الكبير فى فيلة ، وأنه قد ثبت أن فيلوپاتور شيد المقصورة الداخلية فى هـذا المعبد ، وأن الملك النوبى ارجـامنيس (Ergamenes) أضاف الى هذه المقصورة قاعة أمامها ، لكنه لم يتمها . وقد وجد فى دكة (جنوبى فيلة بسبعين ميلا) معبد مشابه لهذا المعبد اشترك فى بنائه أيضا ارجامنيس وفيلوپاتور ، وكان الملك النوبى هو الذى بنى هنا المقصورة الداخلية وفيلوپاتور القاعة التى أمامها (١) . وشيد فيلوپاتور معبـدا لآلهة الشلال على جزيرة سهيل جنوبى أسوان (٢) ، وأضاف الى مبانى معبد ايزيس فى أسوان وهو المعبد الذى بدأه أبوه ، لكن بناء هذا المعبد لم يتم على الاطلاق (٣) .

بطلميوس الخامس :

ونستطيع الوقوف على مـدى اهتمام بطلميوس الخامس ابيفانيس بالديانة المصرية من قرار حجر رشيد الذى أصدره مجمع الكهنة فى منف فى ٢٧ من مارس عام ١٩٦ (٤) . ويحدثنا هـذا القرار بأن بطلميوس الخامس قام بخدمات كبيرة للمعابد والآلهة ورعاياه ، ذلك أنه خصص للمعابد دخلا من المال والقمح ، وتكبد نفقات طائلة ليعيد الرفاهية الى البلاد ويقيم المعابد ، وأمر بأن تحتفظ المعابد بكافة الموارد التى كانت لديها فى عهد أبيه (٥) ، وأحيا ما أهمل من طقوس الآلهة (٦) ، وقدم من الهدايا الى أبيس ومنفيس وسائر الحيوانات الأخرى المقدسة فى مصر أكثر مما قدم اليها الملوك الآخرون ، ووجه عناية كبرى الى دفنها ومايقدم الى هياكلها ، وأحتفظ بمكانة المعابد المصرية ، وصرف مبالغ طائلة فى

---

(1) Mahaffy, History, pp. 137—140 ; Maspero, Ars Una, p. 242 ; Cf. Baikie, pp. 442, 748, 772.

(2) Baikie, p. 727; Bevan, pp. 238—239.

(3) Baikie, p. 696.

(4) O. G. I. S., I, 90.

(5) Bevan, p. 264.

(6) Bevan, p. 265.

زخرفة معبد أبيس ؛ وأسس معابد وهياكل ومذابح ، وأصلح ما يحتاج الى الاصلاح من المؤسسات الدينية ، فقد كان الها كريما تفيض نفسه بالبر بكل ما له صلة بالديانة . وازاء ذلك كله قرر القساوسة جمعيا أن تزاد مظاهر الاجلال التى تقدم للملك وأسلافه (١) ، وأن يقام له فى أبرز مكان فى كل معبد تمثال من طراز مصرى يوضع الى جانبه تمثال الاله الرئيسى فى المعبد ، وأن يقيم القساوسة الصلاة للتمثالين ثلاث مرات يوميا ، وأن يقام لهذا الملك فى كل معبد تمثال وهيكل من الذهب يوضعان فى قدس الأقداس مع الهياكل الأخرى ، وأن يقام حفل كبير فى المعابد فى السابع عشر وفى الثلاثين من كل شهر ، لأن الملك توج فى السابع عشر من شهر بابه (Phaophi) وولد فى الثلاثين من شهر مسرى (Mesore) (٢) ، وأن يقام فى كل المعابد سنويا عيد اجلالا للملك يدوم خمسة أيام ، تبدأ فى اليوم الأول من شهر توت ، وأن يحمل القساوسة لقب قساوسة الاله ابيفانيس الى جانب ألقابهم الأخرى ، وأن يذكر اسم كاهن هذا الاله فى الوثائق الرسمية ، وأن يكتب هذا القرار على لوحات من الصخر بالهيروغليفية والديموتيقية والاغريقية ، وأن تقام هذه اللوحات فى معابد الدرجات الأولى والثانية والثالثة جميعا (٣) .

وأما عن منشآت بطلميوس الخامس الدينية ، فقد حدثنا عنها هذا القرار بصفة عامة ، ونجد ما يؤيد ذلك فى نصوص المعابد فى ادفو وفيلة ؛ فقد أسهم ابيفانيس فى اتمام معبد ادفو العظيم (٤) ، وأتم معبد (أر — هنس — نفر) الذى بدأه أبوه والملك النوبى ارجامنيس فى جزيرة فيلة (٥) . ويبدو أنه شيد مدخل معبد امحوتپ فى هذه الجزيرة ، فقد صور على الجانب الأيسر لهذا المدخل أمام امحوتپ ، وعلى الجانب الأيمن أمام ثالوث الشلال : خنوم وساتت (Satet) وأنوكيس (Anuquis = عنقت) ؛ وكذلك أمام أوزيريس وايزيس وامحوتپ (٦) . ولعل الأخطار التى

(1) Bevan, p. 266.
(2) Bevan, p. 267.
(3) Bevan, p. 268.
(4) Bevan, p. 274.
(5) Maspero, Ars Una, p. 242 ; Mahaffy, History, p. 160; Baikie, p. 748.
(6) Baiekie, p. 750.

تهددت الامبراطورية المصرية والثورات التى اندلع لهيبها فى البلاد شغلت هذا الملك عن القيام بمنشآت عظيمة .

بطلميوس السادس :

أما بطلميوس السادس فيلوميتور ، فانه لم تصل الينا نقوش من عهده لتحدثنا عن هباته للمعابد والآلهة ، لكنه ليس معنى ذلك أنه لم يعن باظهار اجلاله للديانة المصرية ، لأننا نرى دليلا كافيا على ذلك فى منشآته الدينية ، فقد أسهم بدوره فى تشييد معبد ادفو ، اذ أن نقوش هذا المعبد تحدثنا بأنه « فى أول شهر طوبة فى العام الخامس من حكم بطلميوس فيلوميتور ، وضعت البوابة الخشبية الكبيرة فى قاعة المنتصر الأعظم وكذلك الأبواب المزدوجة فى بهو الأعمدة الثانى ، واستؤنف العمل ثانية داخل قاعة الأسلحة فى العام الثلاثين من حكم هذا الملك » (١) . وشيد فيلوميتور معبد سوبك وحورس فى كوم أومبو (٢) ، وبدأ بناء معبد خنوم فى اسنا (٣) ، وبنى هيكلا فى معبد موت (٤) ، وأضاف مدخلا الى معبد فتاح بالكرنك (٥) ، وأقام هو وأخوه بطلميوس الثامن بابا فى معبد آمون — رع هناك (٦) ، وأضاف بهوا الى معبد أنطيوپوليس (٧) (قاو الكبير) ، وأسهم فى اكمال معبد ايزيس الكبير فى فيلة (٨) ، وبدأ فى إقامة معبد لحتحور فى هذه الجزيرة (٩) ، وأضاف بوابة الى الهيكل الذى أقامه الملك النوبى أزخرامون (Azechramon) فى دبود (١٠) (Debod) ، وهى تقع جنوبى فيلة بنحو عشرة أميال .

بطلميوس الثامن :

وتتبين مدى اهتمام بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى بشئون الديانة المصرية من القرار الذى أصدره فى عام ١١٨ (١١) ، ليضع الأمور فى نصابها

---

(1) Mahaffy, Empire p. 240.
(2) Noshy, p. 72.
(3) Noshy, loc. cit; Baikie, p. 759.
(4) Baikie, p. 396.
(5) Noshy, p. 67.
(6) Baikie, p. 378.
(7) Bevan, p. 293.
(8) Baikie; pp. 752, 753.
(9) Baiekie, p. 755.
(10) Bevan, p. 295; Baikie, p. 759; Mahaffy, Empire, p. 361.
(11) Grenfell and Hunt, P. Tebt. I,5; Bevan, pp. 315 ff.

فى مصر ، بعدما عانته من الاضطرابات العنيفة بسبب المشاحنات الداخلية بين أفراد أسرة البطالمة ، وبخاصة بين بطلميوس الثامن وكليوپترة الثانية ، فقد كان من بين ما تضمنه هذا القرار قيام الخزانة الملكية بدفع نفقات دفن العجول المقدسة ، وتأييد حق المعابد — التى كانت تتمتع بهذا الحق — فى حماية اللاجئين اليها . وتحدثنا نقوش معبد ادفــو عن الأراضى التى وهبها البطالمة لهذا المعبد ، حتى أنه فى نهاية عهد بطلميوس الثامن كان هذا المعبد يملك أراضى فى أربع مديريات ، تبلغ مساحتها أربعة عشر ميلا مربعا وربع الميل (١) .

أما المنشآت الدينية التى قام بها هذا الملك فانها عديدة ، اذ أننا نجد بين نقوش معبد ادفو « استمر العمل حتى اليوم الثامن عشر من شهر مسرى فى العام الثامن والعشرين من حكم بطلميوس يورجتيس الثانى وزوجه الملكة كليوپترة ، لاتمــام نحت النقوش على الحجر ، وزخرفة الجدران بالذهب والألوان ، وصنع الأبواب من الخشب وعمل قمتها من البرونز الجيد ، وعمل اطارات الأبواب ومزاليجها ، وتثبيت ألواح ذهبية على الأبواب ، واتمام الجزء الداخلى من المعبد » (٢) . وقد أقام هذا الملك هيكلا للالهة أپيت (Apit) فى الكرنك (٣) ، وقام باضافات الى معبدى دير المدينة (٤) ومدينة هابو (٥) ، وشيد بالقرب من المعبد الأخير هيكلا صغيرا للاله تحوت (٦) ، وبدأ بناء معبد فى الكاب (٧) وأضاف بيت الولادة الى معبد كوم أومبو (٨) ، وأقام مسلتين صغيرتين من الجرانيت أمام معبد ايزيس الكبير فى فيلة (٩) ، وأضاف الى الفناء الخارجى فى هذا المعبد دهليزاً من الأعمدة (١٠) ، وأتم معبد حتحور فى فيلة ، وهو الذى بدأه أخوه بطلميوس السادس (١١) ، وأضاف الى معبدى دبود (١٢) ودكة (١٣).

---

(1) Bevan, p. 186.
(2) Mahaffy, Empire, p. 241; History, p. 195.
(3) Noshy, p. 67.
(4) Baikie, p. 442.
(5) Baikie, p. 460.
(6) Baikie, p. 461.
(7) Baikie, p. 636.
(8) Baikie p. 694.
(9) Baikie, p. 751.
(10) Baikie, p. 753.
(11) Baikie, p. 755.
(12) Baikie, pp. 759,760.
(13) Baikie, p. 772.

بطلميوس التاسع والعاشر :

وتحدثنا نقوش معبد ادفو بأن الأخوين ، بطلميوس التاسع فيلوميتور سوتير وبطلميوس العاشر الاسكندر الأول ، أعطيا معبد ادفو هبات من الأراضي مساحتها خمسة أميال مربعة وربع الميل (١) . وقد منح بطلميوس العاشر في عام ٩٥ ق.م. معبد إثريبيس Athribis حق حماية اللاجئين (٢١) وأضاف بطلميوس التاسع الى مباني معبد مداموات ، وأعاد بناء بوابة طهراقة في معبد مدينة هابو ، وأتم معبد الكاب ، وشيد أقبية معبد دندرة وأتم بيت الولادة الذي بدأه بطلميوس الثامن أمام معبد حورس في ادفو وأضاف الى هذا المعبد الفناء الخارجي ، بما فيه من أعمدة عددها اثنتان وثلاثون عموداً ، وأضاف الى معبد ايزيس الكبير في فيلة . ونجد آثار منشآت هذا الملك في تاليس (كلبشة) بالنوبة وفي الواحة الخارجة (٣) . أما بطلميوس العاشر فانه أعاد بناء معبد دندرة (٤) وأتم المنشآت التي كان أخوه قد بدأها ، ومثل ذلك الجدار الخارجي الذي يحيط بمعبدادفو (٥) .

بطلميوس اوليتيس وكليوبترة السابعة :

ولم يقم بطلميوس الثاني عشر (الزمار) الا بمنشآت ثانوية اذ أنه أقام مذبحا لايزيس وخم (Khem) وهه (Heh). في قفط ، وأتم بناء وزخرفة معبد ادفو ، حيث وضع أبواباً برونزية للبوابة الكبرى في هذا المعبد (٦) ، وزين هذه البوابة بمناظر تمثله وهو يضرب أعداءه في حضرة حورس اله ادفو وزوجه حتحور الهة دندرة . وقد أسهم أيضا في اتمام بناء الجزء الرئيسي من معبد كوم أومبو ، وشيد البوابة الخارجية لهذا المعبد ، ونجد صور هذا الملك وخرطوشه في عدد من المعابد في جزيرتي فيلة وبيجة ، وفي الكرنك ودندرة ، مما يدل على أنه خصص جانباً من عنايته وأمواله للديانة المصرية (٧) .

ولا أدل على اهتمام الملكة كليوبترة السابعة بالديانة المصرية من

(1) Bevan, p. 180.
(2) Bevan, p. 187; O.G.I.S., 761.
(2) Bevan, p. 187; O.G.I.S,761.
(3) Mahaffy, History, p. 219; Baikie, p. 318 (Denderah) ; pp. 636, 639 (Elkab); p. 663 (Edfu); p. 752 (Philae).
(4) Noshy, p. 71
(5) Mahaffy, History, p. 217.
(6) Mahaffy, History, p. 226.
(7) Mahaffy, Empire, p. 442; Baikie, pp. 318 (Denderah); 398, (Karnak) ; 655, 656, 657, (Edfu) 683, 687, 689 (Kom Ombo) ; 757 (Biggeh),

ذهابها فى خلال العام الأول من حكمها الى الوجه القبلى ، حيث اشتركت بنفسها ، على رأس جمع حاشد من رجالها وكهنة طيبة وهرمونثيس ، فى موكب بوخيس (Buchis) عجل هرمونثيس المقدس ، وكان يعتبر الصورة المجسدة لاله الشمس رع ، وكانت هى ابنته . ويضاف الى ذلك أنها أقامت معبداً فى هرمونثيس (أرمنت) (١) أو زخرفت هذا المعبد وسجلت على جدرانه أنها أنجبت قيصرون من الاله آمون رع الذى خالطها فى صورة يوليوس قيصر (٢) . وفضلا عن ذلك فانها أمرت بتصوير نفسها هى وقيصرون على جدران معبد دندرة (٣) .

٣ ـ البطالمة ورجال الدين المصريون

نظم رجال الدين :

سيطرت الديانة على عقول المصريين القدماء سيطرة تامة ، الى حد أن معتقداتهم الدينية تغلغلت فى حياتهم ونفوسهم . وكان من جراء ذلك أن رجال الدين عندهم اكتسبوا مركزاً رفيعاً وأهمية خطيرة ،وأصبحوا بمضى الزمن هيئة وراثية ، بمعنى أن الشرط الأول الذى كان يجب أن يتوافر فيهم هو أن يكونوا من أسرة كهنوتية (٤) ، لكنه ليس معنى ذلك أنه كان يحتم على أبناء الكهنة أن يقتفوا أثر آبائهم فى خدمة الآلهة (٥) . وكان رجال الدين يميزون بلباس خاص من الكتان ، ويحلقون رءوسهم ولحاهم وشواربهم ويختتنون (٦) ، وكانوا يؤلفون جماعات تتصل كل منها بمعبد من معابد مصر المتعددة . وكانت المعابد تنقسم ثلاث طبقات: الطبقة الأولى والطبقة الثانية ، والطبقة الثالثة (٧) . وكان كهنة كل معبد ينقسمون فى بداية الأمر أربعة أقسام ، أو أربع قبائل بلغة الاغريق القدماء لكنه أضيفت قبيلة خامسة منذ عام ٢٣٨ ق.م . (٨) . وليس هناك مايستدل منه على

---

(1) C.A.H., X, p. 6,
(2) Maspero, Ann. Ecole Hautes Etudes, 1897, p. 22; Lepsius, Denk. IV, 60—65. tevt, IV, pp. 2—11; Brugsch. Thesauros, p. 879.
(3) Murray, Eg. Temples, p. 61 ; Mahaffy, Empire, p. 470; Baikie, pp. 318, 327.
(4) Jouguet, Mac, Imp., pp. 310 — 11.
(5) Bevan, p. 177.
(6) Bouché-Leclercq, III, p. 218 ; cf. Otto, p. 214.
(7) Jouguet, Mac. Imp., p. 311.
(٨) راجع ص ٢٨ وبخاصة حاشية ٣ ، وكذلك ص ٣٤ .

أن هذه القبائل كانت تمتاز فيما بينها بالمركز أو بالعمل الذى يناط بها . ويبدو أنه كان يعهد بالأعمال الدينية فى كل معبد الى هذه القبائل بالتناوب لمدة شهر ، (١) لكن الكهنة أنفسهم كانوا ينقسمون طبقات متباينة بالترتيب الآتى: كبار الكهنة (Archiereis) فالمعبرون عن نبوءات الآلهة (Prophetai) فالكهنة المختصون بالباس تماثيل الآلهة فى المعابد (Stolistai) فحملة الريش (Pterophoroi) فالكتبة المقدسون (Hierogrammateis) (٢) . ثم يلى هؤلاء عدد من الكهنة المختلفين ، الذين يدل لقبهم (We-eh) على أنهم كانوا من بين أفراد قبائل الكهنة (٣) .

والى جانب قبائل الكهنة ، كانت توجد جماعات دينية أقل منها مرتبة ولا يعتبر أفرادها كهنة بأدق معنى الكلمة ، وان كانت أعمالهم تمت بصلة الى الدين . وكان لكل جماعة من هــذه الجماعات عمل معين ، فكانت تختص احداها بحمل هياكل تماثيل الآلهة فى المهرجانات (Pastophoroi) ؛ والثانية بشق بطون الموتى استعدادا لتحنيطهم (Paraschitai) ، والثالثة بتحنيط الأموات من البشر والحيوانات المقدسة (Taricheutai) ، والرابعة بتقديم القرابين للموتى (Choachytai) . وكان يوجد أيضا عدد من الكاهنات أو النساء اللائى يخصص لهن عمل معين فى المعابد ، ومثل ذلك التوءمان المشهورتان فى سرابيــوم منف ، وكانت وظيفتهما البكاء على العجل أبيس الميت وتقديم القرابين لامحوتپ (٤) .

وكان كهنة كل معبد يكونون وحدة مستقلة عن غيرها ، لها مذاهبها وطقوسها التى تعبر عن وجهة نظرها الخاصة فى تفسير القواعد الدينية العامة ، هذا وان كان الملك يعتبر فى كل معبد ابن الاله المحلى وكاهنه الأول . ونجد أحياناً عدداً من المعابد الصغرى تحت اشراف شخص واحد من مرتبة المعبرين عن نبوءات الآلهة ، مثل معابد فيلة والفنين وأباتون (Abaton) فى

---

(1) Otto, I, pp. 24—5.
(2) Jouguet, loc, cit.; Cf. Canopus Decree, in Bevan, p. 208 and Rosetta Stone, in Bevan, p. 263.

وبالرغم من ان قرارى قانوب وحجر رشيد يتحدثان عن حملة الريش باعتبارهم طبقة من طبقات الكهنة ، فان البعض يرى انهم كانوا جزءا من طبقة الكتبة المقدسين (راجع Bevan ص ١٧٨) .

(3) Bevan, p. 179. (4) Bevan, loc. cit.

النصف الثانى من القرن الثانى ق٠م (١) ٠ وتحدثنا نقوش النصب الجنازى الذى كان على قبر پشرنى — فتاح ، كبير كهنة المعبد الأكبر فى منف — وهو الذى رسم بطلميوس الزمار فرعوناً فى عام ٧٦ وتوفى فى عام ٤٢/٤١ — بان معابد مصر العليا والسفلى كانت تسهم فى دفع مرتبه السنوى ،مما قد يوحى بأنه على الأقل فى أواخر عصر البطالمة كان يوجد رئيس عام للكهنة المصريين (٢) ٠ ومع ذلك فانه يصعب أن نقرر الى أى حد كانت الجماعات الدينية فى كل معبد تخضع لسلطة دينية مركزية (٣) ٠

وقد كان يوجد فى كل معبد من المعابد الكبيرة كاهن أكبر ، يحتمل أن كهنة المعبد هم الذين كانوا ينتخبونه للاشراف عليهم جميعا (٤) ٠ وكان يساعد الكاهن الأكبر فى ادارة المعبد مجلس تختاره قبائل الكهنة كل عام ، بحيث يمثل كل قبيلة خمسة من أفرادها (٥) ٠ وكان الكهنة فى كافة أنحاء البلاد يرسلون ، فى مناسبات معينة ، مندوبين عنهم لعقد مؤتمر عام يتخذ قرارات تنفذها كل المعابد فى مصر ٠ وقد ثبت أن هذا المؤتمر عقد فى عهد بطلميوس الثالث فى مدينة قانوب ، أما بعد ذلك ففى مدينة منف (٦) ٠

موارد دخل المعابد :

ولم تكن المعابد مراكز للعبادة فحسب ، بل كانت أيضا مراكز للنشاط الاقتصادى ، فقد كانت تملك أراضى كثيرة وتقوم فيها صناعات هامة ٠ وكانت أراضى المعابد واسعة ، لكنه يشك فى صحة قول ديودوروس أنها كانت تشمل ثلث المساحة المنزرعة فى مصر بأجمعها ٠ وكان الجانب الأكبر من أراضى المعابد يستغل فى الزراعة ، فيزرع حبوبا وكروما ونخيلا وبقولا ٠ وكان يقوم على بعض هذه الأراضى مدن أو قرى تدر على المعابد دخلا من عقارها ، وكانت المعابد نفسها تشيد على أراضيها ٠ وكانت أهم الصناعات التى تشتغل بها المعابد هى نسـج الكتان وعمـل الزيت والخبز والجعة

---

(1) O.G.I.S. No. 111.
(2) Cf. Bevan, p. 179, fn. 2 and p. 348.
(3) Bouché-Leclercq, III, pp. 16 — 17; Bevan, p. 179.
(4) Bevan, p. 179; Oertel, Liturgie, p. 407.
(٥) راجع قرار قانوب السطر ٢٣ — ٢٤ فى بوشيه لكلرك جـ ص ٢٦٩ ، وبقان ص ٢١٠ وكذلك Jouguet, Mac, Imp., p. 322
(6) Bevan, p. 180.

والطوب وقطع الأحجار . واذا كان محظوراً على المعابد فى عهد البطالمة بيع منتجات صناعتها للجمهور ، فانها كانت تجنى فائدة اقتصادية كبيرة من صنع حاجاتها وعدم اضطرارها الى شراء ما تحتاجه بسعر السوق (١) .

وقد كانت للمعابد موارد دخل أخرى ، ذلك انها الى جانب هبات البطالمة كانت كلها أو بعضها تملك عبيداً مقدسين (hierodouloi) ، رجالا ونساء ، تستفيد المعابد من نشاطهم ، اذ أن المعابد كانت تؤجر بعضهم للمشتغلين بالتجارة والصناعة وتستخدم البعض الآخر فى مصانعها (٢) ومزارعها . وكانت المعابد تستدر الربح من اشتغال عبيدها النساء بالدعارة بل انهـا كانت تحتكر هذه المهنة الدنيئة (٣) . وكانت توجد فى المعابـد الكبيرة فنادق ينزل بها الذين يحجون اليها ، ولابد من أن المعابد كانت تحصل من ذلك على دخل لا بأس به ، اذ أن سرابيوم منف مثلا كان يتألف من مجموعة مبان مختلفة يوجد بها كل ما يوجد فى المدينة ، فكان زائرو هذا المعبد يجدون هناك نزلا للاقامة ومكتبا للتسجيل ومركزا للشرطة فى

---

(1) Bevan, pp. 180 — 181.

(2) Bouché-Leclercq, III, p. 205 ; P. Tebt., 68, 10-11 ; 6, 19-20 ; 187, 209.

(٣) نجد فى الالتماس الذى كان الأمر الملكي الصـادر فى عام ١٤٠ — ١٣٩ ردا عليه (P. Tebt., n. 6) ان القساوسة عددوا على الوجه التالى موارد دخلهم التي يجب حمايتها من الاعتداء عليها ومن المنافسة : (أ) دخل اراضى المعابد والاراضى التى اوقفها اصحاب الاقطاعات العسكرية . (ب) دخل المعابد من الاعمال المختلفة التى تزاول فيها . (جـ) دخل الممتلكات المختلفة (ولا يمكن الجزم اذا كان المقصود بذلك ضياعا أو من المحتمل بيوتا بمعنى منازل او نزلا أو حوانيت) . (د) الدخل الذى تحصل عليه المعابد من اعمال العبيد فى المهن المختلفة . (هـ) ما يجمع لتقديم القرابين . (و) دخل بيوت الدعارة . وتشير احدى الوثائق (Pap. Par., 48) الى ان مثل هـذه البيوت كانت توجـد فى سرابيوم منف ، الى جانب « نزل اهـل مديريـة ارسينوى » . ويرى اوتو (Otto, op. cit. p. 316) ان الـ hierodouloi لم تكن اماء مقدسـات Tempelsklaven ولا عاهرات ، بل كاهنات من فئة وضيعة خارج القبائل الخمس ، لكنه يتفق مع الرأى القائل بان وجود بيوت للدعارة فى المعابد يفترض وجود عاهرات مقدسات (Tempelhetaere) . ويحدثنا المؤرخون القدماء بأن الدعارة المقدسة ادخلت الى بلاد الاغريق مع مذهب افروديتى وبوجه خاص فى كورنثة ، حيث كان يوجد عدد كبير من العاهرات (Athen. XIII, 574 b; Strabo, VIII, 378) . ولا تزال هذه العادة موجودة حتى اليوم فى الهند (Bertrand Russel, Marriage and Morals ; Bevan, p. 130)

معبد أنوبيس (١) . ويبدو أن المعابد كانت تقبل ، بإسم جماعة الكهنة أو بضمان كاهن بعينه ، أن تودع لديها الأشياء المنقولة التي يخشى أصحابها عليها من الأحداث المختلفة ، ولا شك فى أن المعابد لم تؤد هذه الخدمة دون مقابل (٢) . وكانت توجد بالقرب من المعابد أسواق يحصل منها الكهنة على دخل غير قليل ، لقاء تأجير الحوانيت واستخدام موازين المعابد ومكاييلها .

وكان بعض المعابد يتمتع بحق حماية اللاجئين اليها (asylia) . وكان هذا الحق يضعها فوق مستوى غيرها ويكسبها منزلة رفيعة ويعود عليها بنفع كبير . وكان اللاجئون فريقين : أحدهما مثل نزلاء سرابيوم منف

— ويرى اوتو (I, p. 118) أن كلمة hierodouloi كانت تطلق بوجه عام على الفئات الدنيا من الكهنة ، ويستند فى ذلك الى ما يستخلصه من احدى البرديات (P. Hib., I, 36) من أن شخصين يصفان نفسيهما على هذا النحو كانا يديران موارد معبد ثويريس ، وهذا عمل ليس من اختصاص العبيد . لكننا نتبين من هذه البردية أن هذين الشخصين لم يقوما بادارة موارد المعبد وانما بخدمة هذه الموارد . واذا صح جدلا انهما كانا يديران فعلا تلك الموارد فان طبيعة هذا العمل تستبعد اذن أنهما كانا من فئات الكهنة الدنيا .

ويرى اوتو ايضا (I., pp. 316-9) انه لم يوجد فى المعابد عبيد لأنه لم يوجد سوى خدم (Haussklaven) للقيام على خدمة الكهنة . ولكن القرائن لا تدل على أن مهمة « عبيد المعابد » كانت ضيقة الى هذا الحد .

ويرى بوشية لكلرك (op. cit III, p. 208, fn. 1) أن عبيد المعابد (hierodouloi) كانوا فريقين ، احدهما اولئك الذين ولدوا عبيدا ، والآخر اولئك الذين اصبحوا عبيدا للآلهة بمحض اختيارهم . ولا شك فى أن هذا المؤرخ لا يقصد سوى انهم اصبحوا عبيدا بالمعنى المجازى ، ومثل هؤلاء : (أولا) النساك الذين كانوا ينزلون مؤقتا عن حريتهم ويهبون حياتهم للعبادة وخدمة الآلهة ؛ (ثانيا) رؤساء الأسر الذين كانوا لا يهبون انفسهم وما يملكون فحسب ، بل ذريتهم ايضا ، (ثالثا) أولئك الذين ارتكبوا جرائم وذهبوا للاحتماء فى المعابد ، اذ انهم كانوا يهبون انفسهم لقاء تخلصهم من مطاردة العدالة . وجدير بالذكر أن شخصا يدعى حور اعتبر نفسه عبدا لسرابيس وآلهة اخرى ، واخذ على نفسه أن يدفع للمعبد ضريبة قدرها ١٠٪ من دخله .
ويبدو ان روستوفتزف ايضا يرى هذا الرأى (Social & Economic Hist. p. 332) اذ أنه عنده ان « عبيد المعابد » لم يكونوا عبيدا بالمعنى الشائع ، ولم ينتموا الى طبقة من طبقات الكهنة ، بل كانوا اشخاصا ، رجالا ونساء ، يعملون فى خدمة المعابد ، اما بفلاحة اراضيها أو بالعمل فى مصانعها أو رعى قطعانها أو اداء أى عمل له صلة بشئون المعابد .

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 206; Mahaffy, Empire, p. 359.

(٢) نجد فى احدى الوثائق البردية (Pap. Grenf., I, n. 14) قائمة —

الذين أطلق عليهم كاتوخوى (Katochoi) أو انكاتوخوى (enkatochoi)، وقد اختلف العلماء فى تفسير مدلول هاتين الكلمتين ، فمنهم من يرى أنهما كانتا تطلقان على أشخاص يعيشون معتكفين فى هياكل الآلهة ، ومنهم من يرى أنهما تعبران عن أشخاص يعتقدون أن أحد الآلهة قد تقمصهم ، ومنهم من يرى أنهما تشيران الى أشخاص سيطر عليهم ايمانهم فى أحد الآلهة سيطرة تامة بحيث أنهم أصبحوا أسراه لا يبرحون معبده حتى تحين منيتهم أو حتى يطلق الاله سراحهم (١) . على أنه مهما يختلف الباحثون فى تفسير التسمية التى أطلقت على أولئك الأشخاص ، فلا شك فى أنهم كانوا متعبدين أوفياء للآلهة الذين استقروا بجوارهم (٢) . ويبدو مما ورد فى الوثائق أن بعض هؤلاء الأشخاص على الأقل إعتكفوا فى المعابد فى أوقات عصيبة، أى أنهم احتموا فيها عندما كانت تعبث بالأمن وتهدد السلام تلك المنازعات العنيفة بين أفراد الأسرة المالكة أو ثورات المصريين (٣) . ولم يكن جميع هؤلاء فقراء مثل الناسك أرمايس (Armais) ، وهو الذى كان يعيش على الهبات ، بل كان بينهم أغنياء ، مثل بطلميوس ابن جلاوقياس (Glaucias) أو مثل هيريويس (Hereois) اللذين كانا يقدمان هبات للمعبد (٤) .

=بأشياء مودعة فى أحد معابد منطقة طيبة، وهى تتألف من أثاث وبضائع مختلفة وصناديق وزجاجات عطور .. الخ وتاريخ هذه الوثيقة ٢٣ بابة من العام ٢٨ ، ويبدو أنها ترجع اما الى عهد فيلوميتور واما الى عهد يورجتيس الثانى . ويذهب البعض (Otto, p. 319) الى أن ايداع هذه الأشياء ربما كان بمثابة ضمان لقرض قدمه المعبد أو احد الكهنة الى صاحب هذه الأشياء . واذا كان هذا الاحتمال جائزا ، فانه لا ينفى الاحتمال الذى أبديناه فى المتن ومجمله أن المعابد المصرية كانت تقبل ايداع المنقولات لديها للحفاظ على سلامتها . وقد يؤيد ذلك ما نعرفه من أن المعابد الاغريقية كانت تقوم بمهمة المخازن والمصارف المالية .

(1) Jouguet, Nat., Eg., III, p. 174; Otto, I, pp. 119 ff; Wilcken, U. P. Z., I, p. 52 ff ; Brady, p. 27 ; Youtie, Harvard Theo. Rev., 41, 1948, 26.

(2) Cf, Bouché-Leclercq. I, p. 113, fn. I ; III, p. 207 ; Revillout, Rev. Eg., I, pp. 160 ff., II, pp. 143 ff; Dieterich, Berl. Phil. W., 1904, pp. 13 — 19; Jouguet, Mac. Imp., p. 237; Nat. Eg., III, pp. 40, 77; Bell, Cults and Creeds, pp. 21 — 2,

(3) Mahaffy, Empire, p. 360.

(4) Bouché-Leclercq, II, p. 207.

وأما الفريق الآخر فانه كان من المجرمين ، ذلك أننا نجد فى خطاب مؤرخ فى الرابع من شهر بابه فى العام السادس والعشرين من حكم فيلوميتور (٣ من نوفمبر ١٥٦) أن رجال الشرطة يطلبون الى شخص يدعى أبولونيوس — وكان ناسكا اغريقيا — مساعدتهم فى القبض على مجرمين (alastoras) محتمين فى المعبد ، فقد جاء فى هذا الخطاب : « راقبهم واذا اجترأوا على الخروج من المأوى ، اخبرنى وستجدنى هناك فى صحبتك ، ونستطيع عندئذ عمل شىء . وتوجد مكافأة قدرها ثلاثة تالنت ستعطى لك تقديرا لعملك ، هذا الى أنك ستسرنا بذلك (١) » .
ولا ندرى اذا كان أبولونيوس قد احتقر المكافأة ، ونصح الى الأشخاص الذين يجد الشرطة فى البحث عنهم ، بأن يهبوا حياتهم للديانة ، ويتخلصوا الى الأبد من مطاردة الشرطة .

وقد أيد الملك بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى الحق الذى مُنحته بعض المعابد لحماية اللاجئين اليها ، اذ أنه حظر حرمان هذه المعابد هذا الحق ، أو الاعتداء عليه لأى سبب كان (٢) . ولابد من أن الملك كان يعرف أن عماله ، لكى يحتفظوا بمزارعى الملك تحت تصرفهم ، كانوا يرغمونهم على أن يقسموا بألا يلجأوا الى حماية معبد أو مذبح أو تمثال مقدس (٣) ، فأراد الملك أن يظهر أمام رعيته بأن لقبه وهو « الخير » لم يكن اسما أجوفا بل حقيقة واقعة . وقد عرفنا أن بطلميوس العاشر اسكندر الأول منح حق حماية اللاجئين الى معبد حورس فى أثريبيس (٤) .

وكان الكهنة يحصلون على دخل كبير مما يجمعونه لاقامة شعائر العبادة ولاستشارة الآلهة وللقيام بطقوس معينة ، ومما يقدم بمثابة هبات ونذور وما شابه ذلك (٥) . ولسنا ندرى اذا كانت توجد أسعار لاستخدام الماء المقدس وغيره من وسائل التطهير التى كانت توضع عادة

(1) Pap. Par. n. 42.
(2) P. Tebt., no. 5, ll. 83—84.
(3) Revillout, Précis, pp. 659 — 60.
(4) Spiegelberg, Demot. Inschrift., p. 22.
(5) Bouché-Leclercq, III, p. 209 ; Otto, p. 397, fn. 2 ; P. Tebt. n. 6.

عند مدخل المعبد ، لكننا نعرف أن هيرون الاسكندرى اخترع صنبورا أوتوماتيكيا للماء المقدس ، كان يستلزم لاستخدامه أن توضع فيه قطعة ذات خمس دراخمات . ونعرف أيضا أنه فى مدينة بطولميس (Ptolemais) كان لا يسمح بدخول المعابد للأشخاص غير المطهرين ، الا اذا دفعوا ضريبة تتراوح بين دراخمتين وستين دراخمة من الفضة تبعا لحالة كل منهم .

البطالمة الأوائل يقلمون اظافر الكهنة :

وعندما وفد البطالمة على مصر ، وجدوا أن الكهنة يؤلفون فى كل أنحاء البلاد جماعات دينية منظمة تنظيما دقيقا ، وتتمتع بنفوذ كبير ومنزلة رفيعة وتقاليد متوارثة فى البلاد . فرأى البطالمة فى رجال الدين أداة اذا تركوا لها الحبل على الغارب نشرت روح الثورة فى البلاد ، وما أيسر ذلك بين شعب يحتفظ بذكريات مجده القديم ، وأما اذا كبحوا جماحها فانها بدلا من أن تشعل لهيب الثورة فى المصريين ، تصبح وسيلة لتهدئة خواطرهم . ولذلك فى حين أن البطالمة بادروا الى اظهار اجلالهم واحترامهم للآلهة المصرية بشتى الطرق ولم يتدخلوا اطلاقا فى شئون الديانة المصرية ، قيدوا رجال الدين بأغلال من القوانين أخضعتهم لسلطتهم وكسرت شوكتهم مدة طويلة .

ولم يحاول البطالمة تغيير النظم التى كان رجال الدين يألفونها ، لكنه يحتمل أن البطالمة كانوا أول من أنشأ وظيفة جديدة فى كل معبد من المعابد المصرية ، وهى وظيفة مراقب (epistates) المعبد ، ونعتقد أن الملك هو الذى كان يعينه [1] ، ليكون ممثله فى المعبد المسئول أمامه قبل كل شىء عن ادارة موارد المعبد القائمة داخل سياجه ، والتزامات المعبد المالية نحو التاج ، وحسن التصرف فى هبات الملك للمعبد ، والاشراف على اختيار الكهنة ومراقبة سلوكهم .

ونحن نعتقد أنه لتحقيق الغرض المنشود من انشاء هذه الوظيفة كان

---

(1) Wilcken, Gruudzüge, I, p. 111 ; Rostovtzeff, S. and E., p. 82.
لكن البعض (Oertel, Liturgie, p. 44) يشك فى أن الملك هو الذى كان يعين مراقب المعبد .

لا يمكن أن يجمع بينها وبين منصب كبير الكهنة شخص واحد . واذا كان النص الاغريقى لقرار قانوب يثير عند البعض الشك فى أنه كان يشغل هذين المنصبين شخصان مختلفان ، فان النصين الديموتيقى والهيروغليقى لا يدعان لهذا الشك مجالا ، وهما أجدر بالاعتماد عليهما من النص الاغريقى لأن كاتبهما كان أعرف بحالة المعابد المصرية من كاتب النص الاغريقى . وعلى كل حال فان نص العبارة التى جاءت فى هذا القرار هو : « يجب أن يسجل مراقب كل معبد ورئيس الكهنة والكتبة المقدسون هذا القرار » (١) .

ولو أن مراقب المعبد كان هو نفسه رئيس الكهنة لما كان هناك داع لذكر اللقبين ولاكتفى بذكر أحدهما فقط . واذا كان سبب تشكك البعض هو ورود أداة التعريف قبل كلمة مراقب وعدم ورودها قبل كلمة رئيس الكهنة فى هذا النص ، فلا مجال لذلك فى القرار الذى صدر فى عام ١١٨ وينص على اعفاء مراقبى المعابد ورؤساء الكهنة والكهنة من متأخر ضريبة (٢) سيأتى ذكرها فيما بعد ، فقد وردت أداة التعريف قبل كل من كلمتى مراقبى المعابد ورؤساء الكهنة . ومما يجدر بالملاحظة أن أداة التعريف قد أغفل ذكرها هنا قبل كلمة الكهنة ، ومع ذلك لا يجوز طبعا بسبب ذلك القول بأن الكهنة كانوا مراقبى المعابد ورؤساء الكهنة .

وكان البطالمة يبيعون للكهنة مناصبهم التى لها موارد خاصة تدر على شاغليها دخلا منتظما (Karpeiai) ، وكان الكهنة يدفعون ضرائب عن هذا الدخل (٣) ، وذلك الى جانب الالتزامات الاضافية التى كانت تفرض عليهم فى مناسبات خاصة (٤) . فقد كان كل كاهن فى قبائل الكهنة يدفع أيضا ضريبة (telestikon) عند رسامته (٥) ، ويبدو مما ورد فى قرار حجر رشيد أن بطلميوس الخامس زاد قيمة هذه الضريبة فى بداية عهده

---

(١) راجع السطر ٦٢ فى قرار قانوب فى كتاب بوشيه لكلرك ج ١ ص ٢٧٢ وراجع أيضا الكتاب نفسه ج ٣ ص ١٩٧ حاشية ٢ .

(2) P., Tebt., 5, ll. 62-4.

(3) P. Mich-Zen., 9 ; P. Eleph., 14 = (Wilcken, Chrest. 340) ; 24 ; Tebt., 5, l. 65 ; U. P. Z. 153-5 ; Préaux, pp. 403-4, 489-91.

(4) P. Tebt., 5, ll. 65 — 67.

(5) Otto, Priester und Tempel, I, pp. 211, 212.

ثم أعادها الى ما كانت عليه فى عهد بطلميوس الرابع (١) . ويبين أن قيمة هذه الضريبة كانت تتوقف على أهمية منصب الكاهن (٢) . وتحدثنا الوثائق عن ضريبة ثانية (grammatikon) كان يدفعها كهنة كل معبد من أجل مرتب سكرتير جماعتهم (٣) . وتذكر الوثائق ضريبة ثالثة (epistatikon) يبدو أنها كانت لدفع مرتب مراقب المعبد (٤) وأنها كانت مفروضة على كافة الكهنة ومراقب المعبد نفسه ، اذ أن القرار الذى أصدره يورجتيس الثانى فى عام (١١٨) ينص على اعفاء مراقبى المعابد ورؤساء الكهنة والكهنة من المتأخر عليهم سداده من هذه الضريبة (٥) . وكانت جماعات الكهنة تدفع كذلك الضرائب المفروضة على سائر الجمعيات (Koinonika) (٦) لكن البطالمة أعفوا الكهنة من السخرة وكذلك من ضريبة الرأس ، على نحو ما سنرى عند الكلام عن هذه الضريبة .

واذا كان يبدو من قرار حجر رشيد (٧) أن البطالمة كانوا يخصصون للكهنة مرتبات يدفعونها سنويا للمعابد فى شكل منح عينية ونقدية وأن المعابد هى التى كانت تتولى تقسيمها بين رجالها وفقا لمنسوب معين (٨) ، فانه يبدو من قصة توءمى منف (وكانتا تعيشان من دخل مرتب يتألف من ثمانية أرغفة يوميا ومتريتين من الزيت كل سنة وحرمتا هذا

(1) Cf. Bevan, p. 264.
(2) P. Cairo-Dem. 50108.
(3) P. Tebt. 97.
(4) Cf. Wilcken, Gr. Ostr. I, p. 366.

(٥) راجع P. Tebt., 5, ll., 62—4 . وفى وثيقة بردية من عام ١١٨ ق.م. (P. Tebt., 97) وردت أسماء عدة أشخاص يبين أنهم كانوا يدفعون هذه الضريبة . ولما كنا نعرف من وثيقة اخرى (P. Tebt., 88) أن اثنين من هؤلاء الأشخاص وهما أثميوس (Athemmeus) وقاتوتيس (Katutis) (ll. 15, 21) كانا من كهنة قرقيوسيريس ، فاننا لا نستبعد أن بقية من وردت اسماؤهم معهم كانوا كهنة مثلهم . واذا كان ثلاثة من هؤلاء الأشخاص وهم أنمبيوس (Anempeus) وحورس وحارفايسيس (Harphaesis) (ll. 13, 14, 17) وقد وصفوا فى قوائم المساحة بأنهم من مزارعى الملك فان هذا لا يتنافى مع كونهم كهنة (P. Tebt., 97, Introd. p. 427) لكنه لا يجوز أن يستخلص من ذلك ان مزارعى الملك جميعا كانوا يدفعون ضريبة مرتب مراقبى المعابد . وقد ورد فى وثيقة اخرى (P. Tebt., 189) قائمة بأسماء ٢٦٣ شخصا يدفعون ضريبة مرتب مراقبى المعابد (Préaux, p. 35).

(6) P. Tebt., 5, l. 59.
(7) O. G. I. S., 90, ll. 11, 15 ; Bouché-Lecl., I, pp. 371—2 ; Bevan, p. 264.
(8) Bevan, pp. 187—8.

المرتب ، مما أثار شكاوى التوءمين وتبعا لذلك مجموعة من الموظفين ابتداء من وزير المالية حتى أمين المخزن الملكى فى منف) (١)،أن المخازن الملكية هى التى كانت تصرف الزيت مباشرة للكهنة ، فى حين أن ادارة المعبد هى التى كانت تتولى توزيع الخبز على الكهنة (٢) ، ولا يبعد أن ذلك كان أيضا شأن المرتب النقدى . ويتضح من قرار حجر رشيد أن هبات الملوك لم تكن مقصورة على مرتبات الكهنة ، بل كانت تشمل كذلك مخصصات أخرى نعتقد أنها كانت لمواجهة نفقات اقامة الطقوس الدينية وكافة مطالب المعابد . وازاء ضخامة المخصصات التى كان البطالمة يقدمونها للمعابد ، لابد من أنهم كانوا يحتفظون لأنفسهم بحق الاشراف على ميزانية المعابد وحساباتها وكيفية التصرف فى أموالها (٣) .

واذا كانت الوثائق تشير الى أن الحكومة هى التى تدير أراضى المعابد منذ عام ١٧٠ ق . م . فانه من المرجح أن يكون البطالمة قد أسندوا ادارة هذه الأراضى الى الحكومة منذ أوائل حكمهم (٤) ، وأن تكون الحال قد بقيت كذلك حتى حوالى منتصف القرن الثانى ، كما سنرى بعد قليل وعند الكلام تفصيلا عن أراضى المعابد فيما بعد (٥) .

وقد مر بنا أن لوحة پيثوم ، التى تشير الى أحداث وقعت بين عامى ٢٧٩ و ٢٦٤ ، تحدثنا بأن بطلميوس الثانى زاد منحه السنوية للمعابد من ٦٢٥ تالنت الى ٣١٢٥ تالنت ، أى أنه جعلها خمسة أمثال ما كانت عليه قبلا ، وبذلك أصبحت تزيد قليلا على خمس الدخل النقدى (١٤٨٠٠ تالنت) الذى يقول هيرونيموس ان بطلميوس الثانى كان يحصل عليه سنويا الى جانب حصيلة النوعية من الحبوب (٦) . ويبدو لنا أن زيادة المنحة الملكية هذه الزيادة الضخمة كانت مقرونة بحرمان المعابد بعض امتيازاتها المادية الهامة ، وكذلك بحرمانها الحصول مباشرة على دخل

---

(1) Bouché-Lecl., III, pp. 210—11 ; IV, pp. 250—8.

(2) Cf. Otto, Priester, I, pp. 366—384.

(3) Cf. Bouché-Leclercq, III, pp. 210-11.

(4) Bevan, p. 180 ; Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 282.

(٥) انظر ص ٦٢—٦٣ والجزء الثالث ، الفصل الثالث عشر : ٢ — أراضى المعابد

(6) Hieronym., In Dan., XI, 5, p. 560 (Migne)

مواردها الرئيسية ، وذلك لكى يصبح الملك ولى نعمـة الكهنـة الذى يعتمدون عليه للحصـول على رزقهم ، فيضطرون الى الخضوع لـه والاخلاص فى طاعته • ومن ثم فاننا نعتقد أنه قد صاحب زيادة المنحة السنوية للمعابد اسناد ادارة أراضيها الى الحكومة ، والغاء احتكار المعابد صناعتى الزيت والمنسوجات الكتانية ، لكنه أبيح للمعابد انتاج ما كانت تحتاج اليه من الزيوت والمنسوجات الكتانية (١) ، على أن تؤدى المعابد عن منسوجاتها الكتانية ضريبة ، اذ أننا نعرف من قرار حجر رشيـد أن الملك كان يجبى ضريبة عن صناعة نسيج الكتان فى المعابد ، وان الكهنة اعربوا عن شكرهم لبطلميوس الخامس على اعفـائهم مما تأخـر عليهم سداده من الضريبة ، وكان ذلك الاعفاء يعتبر بمثابة هبة من الملك (٢) •

ضريبة الأپومويرا :

كان غرس الكـروم وأشجار الفاكهة والبقول يتطلب من الجهـد والنفقات ما يخرج عن طاقة صغار الزراع ، ولذلك فان هذا النوع من الزراعة كان لا ينجح فى عهد الفراعنـة الا فى ضـياع الملك أو أراضى المعابد ، فافضى ذلك ، فيما يبدو ، الى أن الكهنة احتكروا هـذا النوع من الزراعة حتى خارج أراضى المعابد ، بمعنى أنهم كانوا يمنحون الأفراد حق ممارسته لقاء ضريبة ، كان دخلها يؤلف جانباً كبيراً من موارد المعابد ويخصص للانفاق على شئون الديانة (٣) • ولابد من أن يكون بطلميوس الثانى قد لاحظ أن دخل هذه الضريبة كان آخذاً فى الازدياد ، نتيجة لما صادفته عندئذ زراعة الكروم والفاكهة والبقول من العناية والاهتمام ، وأن الكهنة كانوا لا يستحقون ازدياد مواردهم نتيجة لعمل لم يسهموا فيه ، وأن استمرارهم فى جباية هذه الضريبة لا يتمشى مع سياسة تضييق الخناق ماديا عليهم • ومن المرجح أن المعابد كانت تتمتع بدخـل هذه الضريبة وحق جبايتها منذ أيام الفراعنة الوطنيين ، حتى أصدر بطلميوس الثانى فى العامين الثالث والعشرين (٢٦٣/٢٦٢) والسابع والعشرين من

(1) Tarn, p. 174. (2) Bouché-Lecl., III, p. 210.

(3) Grenfell and Mahaffy, Revenue Laws, pp. XXVI, XXIX ff., 92—96, 114, 115, 118 — 121, 122 ; P. Tebt., I, p. 37 ; Bevan, pp. 183 ff.; Tarn, p. 168; Bouché—Leclercq, I, pp. 238—4 ; III, pp. 193 ff.

حكمه قرارين يقضيان بأن دخل هذه الضريبة ، التى كان الاغريق يطلقون عليها اسم أپومويـرا (Apomoira) يجب أن يخصص لعبادة أرسينوى « الالهة فيلاد لفوس » ، وأن يقوم بجمع هذه الضريبة ملتزمون يشترون من الحكومة حق جبايتها فى مزاد علنى يعقد فى كل مديرية (١) • وكان مقدار هذه الضريبة عندئذ ، ان لم يكن من قبل ، سدس المحصول ، لكن الاقطاعات التى يستغلها جنود يستدعون للخدمة ، والأراضى البعيدة عن النيـل فى منطقة طيبة وتحتـاج الى رى خاص وكذلـك ديويقيسيس سيماريستوس القديم ، كانت تدفع عشر محصول الكروم ، هذا وان كانت كل هذه الفئات تدفع كسائر الأراضى الأخرى سدس المحصول عن الفاكهة والبقول (٢) •

---

(1) Rostovtzeff, Large Estate, pp. 17, 24 ff., 165 ; Préaux, pp. 171—2; Bevan p. 184.

راجع الجزء الثالث ، الفصل الرابع عشر ، ٤ ـ الكروم وغيرها من الفاكهة •

(2) Revenue Laws, col. 24, ll. 4—13.

يذكر النص الاغريقى أن الضريبة فرضت على ampelones و paradeisoi• اما الكلمة الأولى فانه ليس هناك خلاف على تفسيرها فهى الكروم. واما الثانية فان البعض (Mahaffy, Introduction of Revenue Laws, pp. XXXII—XXXIV) يرى أن المقصود بها هنا الكروم ايضا . ويستند هذا الرأى الى : (١) ان كلمة paradeisos قد نقلها جزنفون عن الفرس ، وكانت تعنى عندهم حديقة واسعة ذات اشجار . وفى مجموعة پترى البردية Petrie Pap. II, p. 68 لا توجد تفرقة بينها وبين الكروم والحدائق . (٢) أن مصر لم تنم فيها سوى انواع قليلة من اشجار الفاكهة ، وطقس مصر يساعد على سهولة نمو الكروم كمتسلقات على الأشجار والتكاعيب ، لكنه لم يرد لهذه المتسلقات ذكر فى هذا التشريع الدقيق الخاص بالكروم . فلابد اذن من انها كانت تدخل تحت منتجات الـ Paradeisos التى كان جلها ، ان لم يكن كلها ، كروما . (٣) يبعد انه فى بلد زراعى مثل مصر تتنوع فيها الزراعة ويعنى بها عناية كبيرة ان يطلق اسم محصول واحد (karpos) على عدة انواع مختلفة . (٤) بما ان النصف الثانى من الوثيقة خاص بالزيت فقط ، فمن الراجح ان يكون النصف الاول خاصا بالنبيذ فقط. لكن البعض الآخر (Grenf., Revenue Laws, pp. 94—96) يرى بحق أن المقصود بكلمة paradeisos حدائق الفاكهة على اختلاف انواعها (فيما عدا الكروم وكذلك بساتين البقول) . ويؤيد هذا الرأى امران : احدهما ، هو انه لو كان المقصود هنا ايضا الكروم لما كان هناك داع للنص عليها مرة اخرى ، ولقيل الكروم بكافة انواعها ، والآخر هو ان الضريبة التى فرضت على الكروم كانت تجبى عينا ، اى نبيذا ، لانه يمكن حفظه ، واما الضريبة التى فرضت على Paradeisoi : فانه تقرر منذ بادىء الامر ان تجبى نقدا ، لانه لا يمكن حفظ الفاكهة والبقول وتخزينها .

ولا جدال فى أن الأپوموبرا قد ظلت نظريا ضريبة مقدسة ، لكن دخلها النقدى أصبح يدفع الى الخـزائن الملكية ، ودخلها النوعى من النبيذ يودع فى المخازن الملكية ، وتبعا لذلك غدت حصيلة الأپوموبرا تحت تصرف الملك . لكن أراضى المعابد أعفيت من هذه الضريبة ، لأن الدولة ادعت بأنها تحترم التقاليـد التى تقضى باعفـاء دخل المعابد من الضرائب . ومن أجل هذا الغرض ، فان فيلادلفوس ، عندما أوجـد النظام الجديد ، أمر عمال المالية ببحث حالة الأراضى لكيلا يعتدوا على الأراضى المقدسة (١) .

ولقد اختلف المؤرخون فى تفسير مغزى هذا التغيير الذى استحدثه فيلادلفوس ، فيرى ماهافى (٢) وبوشيه — لوكلرك (٣) أن الملك استفاد من جراء ذلك على حساب المعابد لأنه سلبها جانباً من دخلها ، لكن مهارة الملك أخفت جوره وأظهرته فى ثوب المحسن المتصدق على المعابد ، اذ أن الملك كان يستولى على دخل ضريبة الأپوموبرا ويقدم بدلا منه للمعابد ما تسمح به نفسه بمثابة هبات أو اعانات سنوية . وأما أوتو (٤) فانه يرى أن هذا العمل كان لفائدة المعابد ، اذ أن الحكومة وفرت على الكهنة عناء جمع ضريبة الأپوموبرا ، لأنها كـانت تقوم بجباية هذه الضريبة وتدفعها كاملة للمعابد لأغراض العبادة ، ولم يستفد الملوك من وراء ذلك الا تأييد الكهنة لهم ، وتخصيص دخل هذه الضريبة لآلهة من أسرتهم . وأما ڤيلكن فانه كان يـرى أولا فى تصرف فيلادلفوس اعتـداء على المعابد (٥) ، لكنه لم يلبث أن انحاز الى الرأى الذى ينادى به أوتو (٦) ، ثم عاد بعد ذلك ثانية الى رأيه الأول (٧) . وأما بڤان (٨) فانه يـرى أنه لم يصل الى علمه أن الدولة اسـتخدمت دخل الأپوموبر لأى غرض دنيوى ، وبما أنه لا شك فى أن البطالمة منحوا المعابد المصرية مبالغ طائلة ، فليس هنالك ما يدعو الى الاعتقاد بأن الأپوموبرا لم تخصص بأجمعها

---

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 196 ; R. L. col. 36, ll. 3—19.
(2) Mahaffy, History, p. 81 ; Revenue Laws, pp. XXIX, XXX.
(3) Bouché-Leclercq, III, pp. 194 ff.
(4) Otto, Priester und Tempel, pp. 344 ff.
(5) Wilcken, Ostraka, I, 1899, p. 158.
(6) Wilcken, Ostraka, I. p. 615.
(7) Wilcken, Grundzüge. 1912, pp. 94—95. (8) Bevan pp. 184—185.

لعبادة أرسينوى فى المعابد المصرية . واذا كان الأمر كذلك ، فليس ثمة ما يدعو الى القول بأن المعابد تحملت خسارة مادية تتيجة لعمل فيلادلفيوس ، لكنه من ناحية أخرى زاد ذلك العمل سيطرة الدولة على الديانة المصرية ، وأوجد وسيلة جديدة لاستخدام الديانة فى تحقيق أغراض الأسرة الحاكمة . ولذلك يرى هذا المؤرخ أن من الخطأ اعتبار عمل فيلادلفوس اعتداء على دخل المعابد ، لأن رأيا كهذا لا يتفق مع ما يعرف عن سياسة البطالمة ، اذ أنهم كانوا لا يريدون افقار المعابد المصرية ولا انقاص دخلها وانما وضع الكهنة فى قبضتهم واعتبار دخل المعابد هبة منهم . وقد كان البطالمة مستعدين للانفاق على الديانة المصرية ، ولكن بشرط أن تكون هذه الديانة أداة لاخضاع الأهالى لحكمهم . وترى الآنسة پريو (Préaux) أن فيلادلفوس لم يفعل أكثر من أنه طلب الى المعابد اقامة طقوس عبادة جديدة دون زيادة دخل المعابد لسد نفقات هذه العبادة ، وأنه قلم أظافر الكهنة بحرمانهم حق جباية ضريبة الأپومويرا (١) . ويرى روستوفتزف أن جانبا من دخل هذه الضريبة كان يخصص لعبادة الالهة فيلادلفوس ، وأما ما يزيد على ذلك فان الحكومة كانت تتصرف فيه كما تشاء (٢) .

أما أن عمل فيلادلفوس كان وسيلة من وسائل وضع الكهنة فى قبضة البطالمة ، فهذا ما لا يختلف فيه أحد من المؤرخين ، ومن ثم يكون موضع الخلاف هو : هل كان البطالمة يردون الى المعابد دخل الأپومويرا كاملا أم منقوصا ؟

ونحن نرى أنه لو كان البطالمة يردون الى المعابد دخل الأپومويرا كاملا ، لما فاتهم دون شك اثبات هذه الحقيقة فى الوثائق الرسمية ، ولذلك نعتقد أنه لصمت الوثائق عن ذلك دلالة هامة . ولا يبعد أن فيلادلفوس كان يعطى المعابد من دخل الأپومويرا ما تحتاج اليه العبادة الجديدة التى أنشأها ، وأما ما تبقى من الدخل فانه كان لفائدة الخزانة الملكية ، وهى التى كان غناها اذ ذاك مضرب الأمثال ، لكنه ترتب على

(1) Préaux, p. 180.

(2) Rostovtzeff, S. and E. p. 283.

انشاء قبيلة خامسة من الكهنة فى عهد بطلميوس الثالث ، وعلى ما قضى به هذا الملك (١) ثم بطلميوس الرابع (٢) والخامس (٣) من زيادة الطقوس التى تقام لأفراد أسرة البطالمة فى المعابد المصرية — ترتب على ذلك زيادة النفقات وتبعا لذلك زيادة ما كانت الدولة تعطيه للمعابد من دخل الأپومويرا . ويتبين من وثيقة من عام ٢٠١ ق.م. أنه فى عهد بطلميوس الخامس كان دخل ضريبة الأپومويرا مخصصاً « للإلهة فيلادلفوس والالهين فيلوپاتورس (٤) ، أو بعبارة أخرى لعبادة بعض افراد أسرة البطالمة وهى العبادة التى كان على الخزانة الملكية أن تنفق عليها . والعبارات الغامضة التى استخدمها القساوسة فى قرار منف (٥) ، وهو الذى أصدروه فى عام ٢١٧ بمناسبة انتصار فيلوپاتور فى معركة رفح ، لا يمكن أن توحى بأن الكهنة كانوا يحصلون على دخل موارد المعابد كاملا وان كان يتضح منها أن نصيبهم من هذا الدخل ازداد فى عهد بطلميوس الرابع . ويتبين من قرار منف الذى حفظه قرار حجر رشيد أن بطلميوس الخامس أبقى الحالة على ما كانت عليه فى عهد أبيه (٦) . وفى الواقع اذا كان هذان الملكان ، بسبب الثورات الوطنية ، رأيا ضرورة كسب ود الكهنة بزيادة ما يعطى لهم من دخل الأپومويرا وغيرها من موارد المعابد ، فانه من المستبعد أنه كان فى وسعهما النزول عن مصدر هام مثل الأپومويرا وأراضى المعابد فى وقت كانت حالة الخزانة فيه عسيرة ، ولا أدل على ذلك من تدهور العملة واتخاذ البرونز قاعدة لها (٧) . ولعل القساوسة قد قصدوا ، بامتداح الملك بطلميوس الخامس لاحتفاظه بنصيب الآلهة من دخل موارد المعابد كما كانت عليه الحال فى عهد أبيه ، أنه كان يستطيع انقاص ذلك المقدار الى ما كان عليه

---

(١) راجع الفقرة الخاصة بذلك فى قرار قانوب فى بفان ص ٢٠٩ .

(٢) راجع الفقرة الخاصة بذلك فى قرار منف فى بفان ص ٣٩١ .

(٣) راجع الفقرة الخاصة بذلك فى قرار حجر رشيد فى بفان ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(4) P. Petrie, II, n. 46 c ; III, n. 57 b.

(٥) راجع الفقرة الخاصة بذلك فى قرار حجر رشيد فى بفان ص ٢٦٤ .

(٦) راجع الفقرة بذلك فى قرار حجر رشيد فى بفان ص ٢٦٤ .

(7) Grenfell, Revenue Laws, pp. 120 — 121.

قبل بطلميوس الرابع . وهذا المديح دليل قاطع على أن المعابد كانت لا تحصل على كل دخل الأپومويرا قبل عهد بطلميوس الرابع ، وعلى أن هذا الملك زاد نصيب المعابد من هذا الدخل ، لكنه لا يثبت أن كل هذا الدخل أصبح يعطى للمعابد (١) ، ولا أن المعابد استردت ادارة مواردها .

ومن المحتمل أنه بمضى الزمن ازداد ما كان الملوك يخصصونه للمعابد من دخل الأپومويرا ، كما ازدادت الاعانات ، بسبب ازدياد عدد أفراد أسرة البطالمة الذين أصبحوا يعبدون فى المعابد المصرية ، وبسبب رغبة الملوك المتزايدة فى اكتساب ود الكهنة . لكن النقطة الأساسية التى يجب توكيدها هى أن النظام الخاص بهذه الضريبة الذى أنشأه فيلادلفوس لم يلغ اطلاقا ، اذ ان حكومة البطالمة احتفظت دائما بادارة دخل هذه الضريبة التى حولت الى احتكار ملكى وكذلك بالتصرف فيها كما يتراءى لها (٢) . ويبدو أن كرم بطلميوس الخامس نحو المعابد لم يستمر طويلا ، اذ اننا نعرف أن بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى لم يدخر وسعا فى ارضاء الكهنة واجزال الهبات والعطايا لهم ، فقد أمر فى عام ١٤٠/١٣٩ (٣) وفى عام ١١٨(٥) بالا ينتقص شىء من دخل المعابد على اختلاف أنواعه ، ومن بين ذلك بطبيعة الحال ضريبة الأپومويرا ، وهى التى كان موظفو الملك لا يزالون يقومون بجمعها (٤) . وجدير بالذكر أن كل الايصالات التى عثر عليها تشير الى أن هذه الضريبة كانت تدفع نقدا فى القرن الثانى . ويرى البعض أنه لم يسمح بعد عهد بطلميوس الخامس بدفع هذه الضريبة نوعا (٦) .

ويمكننا اذن أن نستخلص من كل ما أسلفناه أن النظام الذى ابتدعه فيلادلفوس طبق دائما من بعده ، وأن الحكومة أدخلت فى روع الكهنة أن الأپومويرا كانت لا تزال ملكا للمعابد باعتبارها مخصصة لنفقات العبادة . غير أنه لما كان الملك يسيطر على شئون تلك الضريبة ، فقد

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 203.
(2) Bouché-Leclercq, loc, cit.
(3) P. Tebt. 6.
(4) P. Tebt. 5, ll. 50—55.
(5) Wilcken, Ostraka, II, nn. 354, 1234. 1235, 1518.
(6) Grenf., op. cit., p. 121,13.

كان يخصص للعبادة المقدار الذى يتراءى له من دخلها . على أن ذلك المقدار كان يزداد وفقا لرغبة الملك الحاكم وازدياد عدد أفراد أسرة البطالمة المؤلهين . لكنه يجب ألا نخلط بين ذلك وبين الهبات الأخرى التى كان التاج يمنحها للكهنة (١) .

ويتبين مما مر بنا أن البطالمة قضوا على الاستقلال الاقتصادى الذى كانت المعابد المصرية تنعم به فى عهد الفراعنة الوطنيين الأواخر ، غير أنه لا يبعد أن يكون الفرس قد سبقوا البطالمة الى ذلك متخذين من الأساليب ما جعل البطالمة يبدون بالنسبة لهم أكثر كرما وسخاء (٢) .

البطالمة يفرضون على الكهنة اظهار الولاء لهم :

لقد رأينا أن العامل المادى كان من أهم الوسائل التى لجأ البطالمة اليها للحصول على طاعة القساوسة واخلاصهم . ولما كان البطالمة يريدون أن أن تعلن هذه الطاعة وهذا الاخلاص ، فانهم فرضوا على الكهنة أن يرسلوا كل عام — الى أن أعفاهم بطلميوس الخامس من ذلك — وفداً منهم الى الاسكندرية للاحتفال بعيد ميلاد الملك والتعبير عن اخلاصهم وولائهم له (٣) . ويعتقد بعض المؤرخين أن مؤتمرات الكهنة كانت تعقد كل عام فى يوم عيد ميلاد الملك (٤) ، أى أن هؤلاء المؤرخين يربطون بين مؤتمرات الكهنة والزيارة السنوية الى الاسكندرية ، فى حين أن البعض الآخر يرى أن الزيارة والمؤتمر كانا شيئين مختلفين (٥) . وهذا فى رأينا أقرب الى الصواب ، لأن زيارة الاسكندرية كانت سنوية ، أما المؤتمرات فانها كانت لا تعقد الا فى مناسبات خاصة ، وان كان الاثنان يتمان بأمر من الملك لاظهار ولاء الكهنة له . ويؤيد ما نذهب اليه ، من أن المؤتمر كان يختلف عن الزيارة ، ذلك المؤتمر الذى عقد فى منف فى عهد بطلميوس الرابع فيلوپاتور بمناسبة انتصاره فى موقعة رفح ، وأصدر

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 201. (2) Rostovtzeff, S. and E., p. 281.
(3) Tarn, p. 174 ; Bevan, p. 182.
(4) Jouguet, Mac. Imp., p. 312.
(5) Bevan, p. 180 ; Tarn, p. 174.

القرار الذى حفظته لنا لوحة بيثوم (١) . وربما نشأ الاعتقاد بأن الزيارة والمؤتمر شيء واحد ، من المؤتمر الذى عقده فى قانوب ، فى عهد بطلميوس الثالث ، الكهنة الذين أتوا الى الاسكندرية للاحتفال بعيد ميلاد الملك وارتقائه العرش . بيد أنه اذا عرفنا أن عيد ميلاد الملك كان فى الخامس من شهر ديوس (Dios) وعيد ارتقائه العرش فى الخامس والعشرين من ذلك الشهر نفسه ، وأنه اذا كان الكهنة قد اجتمعوا (Synantesantes) (٢) — كما هو طبيعى — فى هذين اليومين ، فانهم عقدوا مؤتمرهم (Synedreusantes) (٣) فى السابع من شهر ابلايوس (Apellaios) فى معبد الالهين يورجتيس بمدينة قانوب وأصدروا قرارهم المعروف ، وأن البلاد كانت ثائرة مما حدا بالملك الى العودة من فتوحاته فى آسيا (٤) ، تبين لنا أن الملك انتهز فرصة اجتماع الكهنة فى الاسكندرية للاحتفال بعيد ميلاده وعيد ارتقائه العرش ، وأمرهم بعقد مؤتمر يصدر قراراً يثبت جلائل أعماله ويغدق عليه مراسم الشرف ، فيساعد ذلك على تهدئة ثورة الشعب . واذا كان مؤتمر قانوب قد عقد بسبب حالة القلق التى كانت سائدة فى البلاد ، وكان مؤتمر منف قد عقد فى عهد بطلميوس الرابع فيلوپاتور بمناسبة انتصاره فى موقعة رفح ، فانه يتضح لنا شيئان : وأحدهما هو أن زيارة الاسكندرية كانت تختلف عن المؤتمر ، والآخر هو أن المؤتمر كان يعقد فى مناسبات خاصة .

البطالمة الأواخر يحاولون كسب ود الكهنة :

ولا يبعد أن تضييق الخناق على الكهنة كان من العوامل الهامة فى اندلاع لهيب الثورة فى عهد البطالمة الأواخر ، مما حدا بهم الى محاولة اكتساب ودالكهنة . لكنه بالرغم من رغبة البطالمة فى قطع دابر الثورة وارضاء الكهنة ، فانهم لم يرجعوا دخل المعابد الى ما كان عليه قبل عهدهم ، بل حاولوا اكتساب رضاء الكهنة بشتى الوسائل .

---

(1) Cf. Bevan, pp. 388 ff.
(2) Cf. Mahaffy, Empire, p. 229.
(3) Cf. Mahaffy, op. cit., p. 230.
(4) Bevan, p. 196.

وقرار منف ، الذى صدر بمناسبة تتويج بطلميوس الخامس وحفظه حجر رشيد ، يرينا أن دخل المعابد كان يتألف من دخل الأراضى المقدسة ، ومنح النقود والقمح التى كان التاج يعطيها سنوياً الكهنة • ويذكر هذا القرار بعبارات غامضة ، يحتمل أنها مقصودة ، أن هذا الملك أبقى نصيب الآلهة من الكروم والحدائق والأراضى الأخرى كما كانت فى عهد أبيه ، وأنه أمر بألا يدفع الكهنة عند رسامتهم ضريبة أكثر مما كانوا يدفعونه فى عهد أبيه ،وأنه أعفى الكهنة من رحلتهم السنوية الى الاسكندرية (١) ، وأنه أنقص الى الثلث الضريبة التى كان التاج يجبيها من المعابد على المنسوجات الكتانية (٢) ، وأنه نزل للمعابد عما كانت تدين به للتاج حتى العام الثامن من حكمه ، وكان مقدارا كبيرا من القمح والمال ، وأنه نزل لها كذلك عن الغرامات التى فرضت عليها بسبب عدم تسليم المقدار المطلوب منها من المنسوجات الكتانية ، كما نزل أيضا عن تكاليف فحص ما سلم من المنسوجات فى خلال هذه المدة عينها ، وأعفى المعابد من الضريبة المفروضة على أراضيها ، وكانت قيمتها أردبا عن كل أرورة مزروعة قمحا وقراميون (keramion) من النبيذ عن كل أرورة مزروعة كروما (٣) •

ويتبين من أمر ملكى (٤) أصدره بطلميوس الثامن يورجتيس فى عام ١٤٠/١٣٩ شيئان : وأحدهما هو أن هذا الملك كان قد سبق أن أصدر أمرا يحظر الانتقاص من مختلف أنواع دخل المعابد أو الاعتداء على من عينهم الكهنة لجمع هذا الدخل • والشىء الآخر هو أن المعابد استردت منذ حوالى منتصف القرن الثانى حق ادارة مواردها المختلفة ، بما فى ذلك أراضيها بطبيعة الحال • ويرينا القرار الذى أصدره هذا الملك فى عام ١١٨ ق•م• أن الدولة تعترف بدخل المعابد وتأمر بعدم انتقاص شىء منه « سواء أكان قرى أو أراضى أو غيرها » ، وتبيح للمعابد الاستمرار فى القيام بادارة موارد الدخل المقدس دون تدخل أحد فى شئونها ، وتعفى أراضى المعابد من الضرائب المفروضة عليها (٥) • وهكذا

(1) Cf. Bevan, p. 264.
(2) Cf. Bevan, p. 265.
(3) Cf. Bevan p. 266.
(4) P. Tebt., 6, ll. 40—9.
(5) P. Tebt., 5, ll. 57-61 ; cf. Bevan p. 316, nn. 8,9 ; Préaux, pp. 486 ff. ; cf, Rostovtzeff, p. 1545, n. 165.

يبدو أنه ازاء الظروف العصيبة التى اكتنفت ارتقاء يورجتيس الثانى العرش عقب مصرع فيلوميتور عمل الملك الجديد على كسب ود الكهنة بأن رد اليهم ادارة أراضى المعابد ، على الأقل رسميا ، ذلك أن تكرار صدور الأوامر الملكية بذلك ينهض دليلا على ميل الموظفين الى تجاهلها . والنص فى هذا الأمر الملكى على حظر انتقاص قرى أو أراضى أو غيرها من موارد الدخل المقدس يوحى فى رأينا بأن المقصود بترك ادارته للكهنة لم يكن فقط الأراضى الموقوفة (ge anhieromene) ، وذلك وفقا لما يراه بعض الباحثين (١) ، وانما أراضى المعابد عامة .

وعندما تقدم كهنة ايزيس فى فيلة بشكواهم الى هذا الملك من أن موظفى الدولة أو القواد الذين يزورون فيلة أو يمرون بها كانوا يحملونهم عبئا ثقيلا من جراء استقبالهم ، أصدر الملك فى عام ١١٨ — ١١٧ ق.م. قرارا يأمر قائد تلك المديرية باعفاء هؤلاء الكهنة فى المستقبل من هذه الالتزامات (٢) .

ويبدو أن البطالمة المتأخرين لجأوا الى وسيلة أخرى لاكتساب ود الكهنة ، وهى القيام برسامتهم ، وآية ذلك أن پتوباست (Petubast) أحد أفراد أسرة كهنوتية تولى أفرادها منصب الكاهن الأكبر للاله فتاح فى منف طوال عصر البطالمة ، يفخر بأن بطلميوس العاشر اسكندر الأول قام برسامته ، اذ أن أحد النقوش يحدثنا بأن « الملك بطلميوس الذى يدعى الاسكندر ، وهو الاله المحب لأمه ، قضى بأن يدخل پتوباست بيت الله . وقد شرب أمام الملك ، وأعطاه الملك .. الـذهبى ، ورباط الرأس والرداء الجلدى بوصفه كاهن فتاح فى .. الحفل . ووضع على رأسه الحلية الذهبية ، كما حدث لآبائه ، وذلك فى العام العاشر ، وبقى كاهنا حتى العام الثامن والعشرين من حكمه » (٣) .

ويتضح مما مر بنا أنه اذا كانت قبضة البطالمة الأوائل شديدة الوطأة على الكهنة ، فان البطالمة الأواخر اضطروا الى تحرير الكهنة بالتدريج من القيود التى فرضها عليهم البطالمة الأوائل ، حتى ليبدو أنه لم يبق من

(1) Bevan, pp. 181 — 2.
(2) Cf. Bevan, pp. 322—3 ; O.G.I.S. I, 137—139 ; II, 547—548.
(3) Bevan, p. 183.

تلك القيود الا خضوع كل معبد لمراقب ، واستيلاء الحكومة على دخل ضريبة الأبومويرا ، واحتفاظها بحق بيع المناصب الدينية الهامة للذين يتولونها • ومع ذلك فانه يبدو من تجديد المنح للكهنة فى عهود مختلفة بل فى العهد الواحد نفسه أن الكهنة لم يفلحوا فى استرداد كل ولا جل حقوقهم وامتيازاتهم السابقة • ذلك أنه عندما ضعفت السلطة المركزية وفسدت الأداة الحكومية ، كثيرا ما عجزت السلطة المركزية عن حمل الموظفين على تنفيذ قراراتها ، ولذلك كثيرا ما أضحت تلك القرارات قصاصات ورق لا قيمة لها ، على نحو ما سنرى فيما بعد •

وما كان موقف الكهنة ازاء سياسة البطالمة نحوهم ؟ يبين لنا أنهم تقسموا شيعا وأحزابا وعجزوا عن تكوين جبهة واحدة ، ذلك أنه فى حين أن العلاقات كانت متوترة بين البطالمة وكهنة آمون فى طيبة ، وهم الذين ناصبوا حكام البلاد الأجانب وبخاصة للمتأخرين منهم عداء شديدا ، حتى غدت طيبة أشد معاقل الثوار خطورة على البطالمة مما حدا بطلميوس التاسع فيلومتور سوتر الى تخريبها ، يبدو أن العلاقات كانت حسنة بين البطالمة ومنافسى كهنة آمون ، اذ أننا نسمع أن الثوار كانوا يعتدون عليهم وعلى معابدهم ، على نحو ما سنرى عند الكلام عن الثورات القومية (١) • ولا شك فى أن الثوار لم يعتدوا على أولئك الكهنة ومعابدهم ، مثل ما اعتدوا على الاغريق وممتلكاتهم ، الا لأنهم رأوا أولئك الكهنة يحالفون الأجانب أو على الأقل يتخلفون عن موكب الوطنية • ويدل ذلك كله على أن البطالمة ، شأنهم شأن كل دخيل مغتصب ، استغلوا الخلافات الداخلية لصالحهم ، وأنه كان لهذه الخلافات أثر كبير فى تفكك وحدة الكهنة وتباين موقفهم من البطالمة • واذا كان ذلك هو حال رجال الدين المصريين ، زعماء البلاد الروحيين ، الذين كانت تتمثل فيهم التقاليد القديمة وكل ما يذكر المصريين بمجدهم التالد وعزهم الغابر ، فلا عجب أن ذلك فت فى عضد الثوار وأن حركاتهم القومية باءت بالاخفاق •

---

(١) انظر الجزء الرابع ، الفصل الثانى والعشرين : ٢ — الثورات القومية •

الفصل السادس

البطالمة والاغريق

١ ـ البطالمة وتأليه أنفسهم

شعور البطالمة بحاجة مركزهم الى صبغة شرعية :

ان انهيار المدن الاغريقية منذ القرن الرابع قبل الميلاد دفع الاغريق الى المهاجرة من بلادهم ، فرحب البطالمة بهم وأجزلوا العطاء لهم ، لشدة الحاجة اليهم فى تكوين الجيوش والأساطيل ، وفى اعادة تنظيم شئون مصر الادارية والاقتصادية . وبالرغم من أن البطالمة كانوا يعتبرون انفسهم سادة مصر بحق الفتح وحق الارث عن الاسكندر ، فانه ليكون سلطانهم دائما وسيادتهم راسخة القدم ، شعروا بحاجتهم الى أن يضفوا على مركزهم صبغة شرعية فى نظر المصريين والاغريق على السواء (١) .

ولقد عرفنا كيف حاول البطالمة صبغ مركزهم بصبغة شرعية فى نظر المصريين . وأما الجيش فان الملك البطلمى كان قائده الأعلى ، ولذلك كان يحتم على الجند اطاعته وفقاً للنظم العسكرية . هذا الى أن الجنود كانوا يتقاضون مرتباتهم من الملك ، ويدينون له بالمركز الممتاز الذى منحهم اياه فى حياة البلاد ، فلم تكن الرابطة بين الملك وجنوده عسكرية فحسب بل كانت مادية أيضاً . بيد أنه يتعذر علينا أن نتبين الى أى حد كانت هذه الرابطة قوية ودائمة لأن معلوماتنا شحيحة عن تكوين الجيش ونظامه التأديبى ودياناته وحقوق الجند وواجباتهم . غير أننا نعرف ، على

(1) C.A.H., VII, pp. 112-114.

نحو ما مر بنا عند الكلام عن الجيش (١) ، أن الجيش النظامى كان يدعى أنه الجيش المقدونى تحت قيادة الملك المقدونى ، فكان طبيعيا أن يظهر الجيش من حين الى آخر ميله الى التمسك بالتقاليد المقدونية ، وكانت تقضى باشتراك الجيش اشتراكا فعليا فى الحياة السياسية فى البلاد ، وبوجه خاص فى حل مشاكل وراثة العرش • ويبدو أن مبايعة الجيش للبطالمة كانت فى الظروف العادية احدى الشكليات الرسمية ، وأما فى الظروف غير العادية ، مثل تلك التى صاحبت وفاة بطلميوس الرابع وارتقاء ابنه ابيفانيس العرش ، فانه كانت لها قيمة كبيرة •

البطالمة يعملون على تبرير سلطتهم المطلقة :

وأما المدنيون بوجه عام فانهم كانوا أيضا يدينون للبطالمة بالمنح والامتيازات التى أجزلوها لهم ، لكنه لما كانت غالبية هؤلاء المدنيين رجالا أحرارا نشأوا فى جمهوريات اعتادوا على الاشتراك فى حكمها ، وكانت دولة البطالمة ملكية تقوم على حكم الفرد المطلق ، فان البطالمة لجأوا الى وسيلتين لتبرير مركز هذا الحاكم المطلق فى نظر أولئك الرجال الأحرار • وتتلخص الوسيلة الأولى فى أن البطالمة ، شأنهم شأن منافسيهم ملوك مقدونيا وسوريا ، حاولوا تبرير سلطتهم المطلقة بآراء فلسفية ، اذ أنه لم يكن من باب الصدفة أنه ظهر اذ ذاك عدد من الرسائل الفلسفية عن الملكية (٢) • ذلك أن الفلاسفة على اختلاف مذاهبهم ، سواء أكانوا من المشائين أم الرواقيين أم أتباع الفيثاغورثية الجدد ، أخذوا يدعون الى الملكية مستندين الى ثلاثة أسس رئيسية وهى : أولا ، ضرورة ادماج الوحدات السياسية المتباينة فى دولة واحدة • وثانيا ، نجاح الملكية القبلية القديمة مثل الملكية فى مقدونيا حيث كان الملك هو القائد الأعلى وكبير القضاة ورئيس الكهنة • وثالثا ، المذهب الفلسفى القائل بحق الأفضل فى الحكم لصالح الجماعة (٣) •

---

(١) انظر الجزء الاول ، الفصل الرابع ١ — الجيش •

(2) P. Oxy. 1611, II. 38 ff. ; Maiuri Nuova Sill. ep di Rodi è Cos. 1925. n. 4 ; Segré, Riv. Fil., LXIII, 1935, pp. 214 ff. ; LXIV, 1936, pp. 40 ff. ; Schubart, Archiv, XII, 1936, pp. 1 ff.

(3) Rostovtzeff, S. and E., p. 1379, fn. 83 ; Welles, J. Jur. Pap., III.

وقد أفاض الفلاسفة في امتداح سلطة الفرد المطلق الذي هو خير سائر البشر ، وتناولوا ما له من حقوق وما عليه من واجبات نحو الرعية . وقد أظهر الفلاسفة الملوك في ثوب المنقذين والخيرين الذين وقفوا خدماتهم على رفعة بلادهم ، فنشروا العدالة ومهدوا السبل لتقدم العلوم والفنون ، ووالوا النعم على الأغريق ، وبوجه خاص على الجنود ، وصدوا الأعداء عن البلاد ، وأحسنوا معاملة رعاياهم ، وأخلصوا في عبادة الآلهة ، أي أنهم كانوا عادلين ، ولم يكونوا طغاة مرهقين . وقد نصح ديمتريوس الفليرى بطلميوس الأول بدراسة الرسائل الفلسفية التي وضعت عن « سلطة الملك » ليحيط بما ينتظره الناس منه (١) .

ولا شك في أن بطلميوس الأول وخلفاءه أظهروا تمسكهم بهذه المبادىء ، ونجد انعكاسا واضحا لذلك في قصائد ثيو قريتوس (Theocritos) ، وفي رسالة سياسية من القرن الثالث وجدت حديثاً (٢) ، وفي خطاب من القرن الثاني يعزى الى أريستياس (Aristeas) (٣) ، وفي عبارات مختلفة في كثير من الأوامر التي كان البطالمة يصدرونها لموظفيهم (٤) .

تاليه الافراد عند الاغريق :

وأما الوسيلة الثانية فانها كانت دينية ، اذ أن بطلميوس الأول ، ذلك الملك الثاقب الفكر ، كان يدرك أهمية العامل الديني في دعم صرح الدول . بيد أنه قبل أن نتناول الكلام عما فعله البطالمة في مصر ، يحسن بنا أن نشير الى أن الأغريق منذ قديم الزمن كانوا يعتبرون بعض موتاهم « أبطالا » ويرفعونهم الى مصاف الآلهة ، اما لأنهم كانوا أجداد أسرهم وفي هذه الحالة كانت العبادة مقصورة على أفراد الأسرة ، واما لأنهم كانوا يمتازون بصفة من صفات البطولة ، أو يتحلون بفضيلة خارقة للعادة ، واما

=1940, pp. 87-8 ; Tondriau. Le point culminant du culte des Souverains, Etudes Classiques, XV, 1947, pp. 100-13.

(1) Stobaeus, IV, 7, 72.
(2) Kunst, Berl. Klass. Text, VII, 13, ll. 34 ff.
(3) Tracy, III Maccabees and Pseudo-Aristeas : A Study, Yale Classical Studies, I, 1928; Meacham, The Oldest Version of the Bible : Aristeas on its Traditional Origin, 1932; The letter of Aristeas : A Linguistic Study, 1935.
(4) P. Tebt., 703 ll. 257—280.

لأنهم قاموا بتأسيس مدينة حرة ، وفى هذه الحالات كانت العبادة عامة (١) .
لكن عبادة البشر لم تكن مقصورة على الأموات دون الأحياء ، اذ أن الطبقة
الأرستقراطية فى ساموس عبدت لوساندروس (Lysandros) القائد الاسبرطى
كما أن أنصار ديونوسيوس (Dionysios) وديون (Dion) من أهل سراقوسة
قد عبدوهما ، وكذلك عبد فيليب المقدونى بعض رعاياه ، كما عبد
أفلاطون بعض تلاميذه (٢) . هذا الى أن المدن ، وبخاصة فى أيونيا ،
كثيرا ما خلعت على الأحياء من مظاهر التكريم الدينية ما رفعهم الى مصاف
الآلهة . ولا ريب فى أن ذلك لم يكن تأليها كاملا ، ولا فى أن مظاهر
التكريم التى قدمت لهؤلاء الأشخاص كانت مشابهة فقط لما يقدم للآلهة ،
ولا فى أن أولئك الأشخاص كانوا يكرمون فقط بوصفهم قرناء الآلهة ،
الا أن ذلك رفعهم فوق مستوى البشر الى حد جعلهم قريبين جداً من
الآلهة (٣) .

ويرى البعض فى تأليه الأحياء مظهرا من مظاهر التبجيل ، بينما يرى
فيه البعض الآخر ضربا من ضروب المداهنة ، لكنه مهما يكن الغرض من
ذلك التأليه فانه كان يتفق والعقلية الاغريقية ، وكانت تميل الى اعتبار
الشخص الذى يتحلى بصفة غير عادية فوق مستوى البشر . فلا عجب
أن حق الرجال الممتازين فى أن يكونوا فوق القانون أصبح أحد مبادىء
النظريات السياسية الاغريقية (٤) . بل أن أرسطو يذهب فى كتاب
« السياسة » الى حد القول بأنه « اذا وجد فى دولة شخص يسمو على
المواطنين الآخرين فى الفضيلة والمقدرة السياسية ، فانه لا يجب اطلاقا
اعتباره فردا فى الدولة ، لأنه لا ينصف اذا اعتبر مساويا لغيره ، فى حين
أنه يسمو على غيره فى الفضيلة والمقدرة السياسية ، وان مثل هذا الرجل
يجب اعتباره الها بين البشر » (٥) . ومعنى ذلك أن تأليه الزعماء المبرزين
لم يكن أكثر مما تتطلبه العدالة السياسية . وفى خلال نصف القرن الذى

(1) Gardner, in A Companion to Gr. Studies : edited by Whibley, p. 378.
Nilson, A History of Creek Religion, pp. 86, 103, 104, 194 and passim.

(2) C. A. H., VII, p. 13.

(3) Jouguet, Mac. Imp., p. 291.

(4) Plato, Politics, 294 A, 296 ff. ; C. A. H., VII, p. 13.

(5) Aristotle, Politics, III, 13, 1284 a ; cf. Politics, 303 B.

أعقب وفاة الاسكندر فى عام ٣٢٣ ق٠م٠ تطورت الأفكار العامة ، نتيجة لتطور الأفكار السياسية فى هذه الفترة ، تطورا قضى بالتدريج على الفوارق بين البشر والآلهة ، اذ أن الحاكم وفقا لآراء الرواقيين لم يكن الا الها حيا ٠ وقد نادى يوهيميروس (Euhemeros) بأن آلهة المدن لم يكونوا سوى حكام ورجال مصلحين انتقلوا الى العالم الآخر ٠ واذا كان مذهب الرواقيين قد رفع البشر الى مستوى الآلهة ، فان مذهب يوهيميروس أنـزل الآلهة الى مستوى البشر (١) ٠

وقد كانت هذه العادات والآراء مواتية لانشاء عبادة الملوك التى وجدت فى أغلب الممالك الهلينيسية ، لـكن آراء المؤرخين تختلف فى منشأ هـذه العبادة وطابعها ٠ ذلك أن البعض يعزو هذه العبادة الى رغبة الملوك أنفسهم على اعتبار أن تأليه الملوك كان جزءاً من فكرتهم عن الملكية، بينما يرى البعض الآخر أن المدن هى التى أنشأت تلك العبادة من تلقاء أنفسها ، وأن الملوك لم يفعلوا أكثر من أنهم قبلوها ، لكنهم لم يحولوها الى ديانة عامة فى الدولة الا بعد ذلك (٢) ٠

الاسكندر الأكبر والتأليه :

ويجدر بنا أن نلقى نظرة عامة على مافعله الاسكندر الأكبر وخلفاؤه قبل أن ندلى برأى فى هذا الموضوع ٠ وأما الاسكندر الأكبر فقد سبق أن عرفنا أنه كانت تتملكه رغبة قوية فى الاعتراف بأصله السماوى ، بل عرفنا أن ثلاثة مصادر للوحى قد أكدت أو قيل انها أكدت ذلك ، (٣) ومن ثم فانه كان يسيرا بعد ذلك اعتباره الها ٠ ولا جدال فى أن رغبة الاسكندر فى التأليه كانت وليدة أفكاره السياسية ٠ وهو لم يكتف بأن يصبح فى مصر الها مثل الفراعنة القدماء ، ولا بأن يتمتع فى بلاد الفرس بروح اله النور الأكبر (Ahuramazda) مثل من سبقه من ملوك الفرس، فقد عرفنا كيف أنه فى عام ٣٢٤ أمر المدن الاغريقية التى كانت تتألف منها عصبة قورنثة أن تعبده ، وذلك ليتيسر له بوصفه الها ما كان يتعذر عليه بوصفه رئيس

(1) C. A. H., VII, p. 16.

(2) Jouguet, Mac. Imp., p. 291.

(٣) أنظر الجزء الأول : ص ٣٢ ٠

هذه العصبة ، وهو أن يأمر أعضاءها بالسماح للمنفيين بالعودة اليها . ويرى البعض (١) أن الاسكندر كان قد طلب فى عام ٣٢٧ الى رفاقه فى باقتريا من الاغريق والمقدونيين أن يسجدوا لــه تمهيدا للاعتراف بــه الهــا للامبراطورية المقدونية ، لكن عدم رضاء هؤلاء الرفاق عن ذلك قضى على هذه المحاوله فى مهدها .

ونحن نرى أن الاسكندر لم يقصد بطلب السجود له الا اتخاذ خطوة أخرى فى سبيل المساواة بين رعاياه الغربيين والشرقيين فى المعاملة ، ولاسيما أن هذه العادة الفارسية كانت لاتنطوى على معنى التأليه فى نظر أصحابها فقد كانوا لايؤلهون ملوكهم . ويضاف الى ذلك أن أول المعترضين على هذا الطلب كان قاليسثينيس الذى ردعلى الاسكندر بأن يقصر العادات الشرقية على الشرقيين . ولما كان الكل يسلم بأن قاليسثينيس كان أكبر داعية لألوهية الاسكندر ، فأننا نعتقد أنه لو كان يدرك أن هذا الطلب كان تمهيداً لاقامة الاسكندر الها عاما بين الاغريق والمقدونيين لما اعترض عليه . وفضلا عن ذلك فان القول بأن رفاق الاسكندر رفضوا السجود له لأن ذلك كان ينطوى على تأليهه معناه أن الاغريق كانوا لايقبلون هذا التأليه ، والقول بأنــه ازاء ذلك عدل الاسكندر عن رغبته معناه عزوف الاسكندر عن الاقدام على مايجافى مشاعر الاغريق ، فكيف يتفق ذلك مع طلبه الى مدن عصبة كورنثة بعد ذلك بثلاثة أعوام أن تعبده ؟

ولا جدال فى أن قبول المنفيين فى مدن العصبة كان أمــراً كريهاً الى مواطنى تلك المدن . واذا سلمنا بأن تأليه الاسكندر كان أيضاً أمراً كريها الى الاغريق ، فان معنى ذلك أن الاسكندر قد أقدم على اتخاذ خطوة كريهة ليرغم الاغريق على قبول أمر كريه أيضا ، وهو مالا يتفق مع موقفه من مسألة السجود ولا مع الأساليب السياسية السليمة .

وعلى كل حال اذا صح أن الاسكندر قد أقدم على اتخاذ اجراء كريه من أجل تحقيق هدف ثانوى ، فهل كان يكفى اعتراض رفاقه ليمتنع عن

---

(1) Jouguet, Trois Et., pp. 82 ff; Tarn, Alex. The Great, I, pp. 79—80; II, pp, 359 ff.

اقامة نفسه الهاً عاما للامبراطورية ، وهو ماكان يعتبره الدعامة الأساسية للاحتفاظ بوحدة هذه الامبراطورية ؟ وقد نفهم أن يقال ان الاسكندر لم يفكر فى الاتجاه الى التأليه لتحقيق أهدافه السياسية ، لكننا لانستطيع أن نفهم القول بأن الاسكندر لم يلجأ الى هذه الوسيلة الا لتحقيق هدف ثانوى فى حين أنه من الواضح أنه كان يتعذر عليه تحقيق هدفه الأساسى وهو وحدة الامبراطورية دون استخدام هذه الوسيلة . ونحن نتفق مع تارن فى أننا لم نسمع بعد محاولة باقتريا عن أية محاولة أخرى قام بها الاسكندر للإعتراف به الها عاما للامبراطورية ، لكنه لعل الأدنى الى الصحة أن يقال انه لم يحاول ذلك اطلاقا ، وذلك لسبب بسيط وهو أنه كان قد أرجأ اتخاذ هذه الخطوة الحاسمة حتى يتم بناء امبراطوريته ويضع نظام حكمها ، غير أن موته المبكر اختطفه قبل استكمال مشروعاته .

وعلى كل حال فانه لايوجد دليل على أن الاسكندر عبد فى مصر فى حياته بوصفه حاكماً اغريقيا ، لكنه لاشك فى أنه عبد فى الاسكندرية عقب وفاته بوصفه مؤسس تلك المدينة(١) . فقد اعتبر بطلايجب تأليهه والاحتفال بيوم وفاته على أساس أنه اليوم الذى صعد فيه الى السماء ، ولذلك كانت تقام عند قبره طقوس تشبه الطقوس التى كانت تقام عند قبور الأبطال فى بلاد الاغريق (٢) . ولا يبعد أن لقبه كان « مؤسس المدينة والمنشآت المعاصرة » (Kistes tes Poleos Kai ton helikon) على نحو ما جاء فى نقش من عهد هادريانوس (٣) . وقد كانت عبادة الاسكندر بوصفه مؤسس الاسكندرية عبادة محلية (٤) لا يجوز الخلط بينها وبين عبادته العامة التى سيأتى ذكرها فيما بعد .

---

(1) Tarn, Hell. Civ., p. 47; Plumann, Probleme d. alex. Alexanderkultes, Archiv, VI, 1920, pp. 77—99; Tondriau, Hist. des cultes royaux ptol., Rev. Hist. Rel., 137, 1950, p. 210 ; Fraser, I, pp. 16-7, 212.

(2) Taylor, Class. Phil., XXII, 1927, pp. 165-6.

(3) Wilcken, Entstehung d. hellen. Königskultes, Sitz. Preuss. Akad. Wiss. Berlin, 82, 1938, p. 207, n. 2.

(4) Cf. Bull. Inst. Eg. XXIV, 1942, pp. 167—8.

ويعزى الى بطلميوس الثانى انشاء عبادة اخرى للاسكندر شبه فيها بديونوسوس . وقد شبه الاسكندر بآلهة أخرى فى مذاهب محلية أخرى . راجع :

Tondriau, op. cit., pp. 212 - 3.

خلفاء الاسكندر والتاليه :

وأما آراء خلفاء الاسكندر الأوائل فانها كانت تختلف عن آرائه كل الاختلاف ، اذ أنه فى خلال نصف القرن الذى أعقب وفاة الاسكندر لم يطلب أى حاكم اعتباره الها (١) . بيد أنه فى خلال هذه الفترة ، خلعت جماعات اغريقية كثيرة على حكامها مظاهر تشريف دينية ، مثل تشييد المعابد أو اقامة التماثيل والمذابح الدينية والكهنة والمهرجانات وحفلات الألعاب أو تقديم القرابين . فقد أقيم لأنتيجونوس الأعوز تمثال مقدس وهيكل فى سقپسيس (Scepsis) كما أقيمت لأنتيجونوس وديمتريوس حفلات فى ديلوس وخالقيس (Chalcis) وساموس (Samos) . وكذلك منح لوسيماخوس مظاهر تكريم مماثلة فى پراينى (Priene) وساموتراقيا . وقد عبد ديمتريوس فى ديمترياس وسيقوون وقاساندريا . وعبدت عصبة القوقلاد بطلميوس الأول ، عقب الحملة التى قام بها هذا الملك فى عام ٣٠٨ لتحرير تلك العصبة من ربقة انتيجونوس ، كما عبدته رودس أيضا وخلعت عليه لقب سوتير عندما رفع ديمتريوس الحصار عنها فى عام ٣٠٤ (٢) . فما الذى حدا بالاغريق الى عبادة أشخاص كانوا يعتبرون أنفسهم بشراً ؟

لقد مر بنا أن الدافع الى عبادة الملوك فى رأى بعض المؤرخين فكرة سياسية ، منشؤها الحاجة الى ايجاد حجة شرعية تبرر لهؤلاء الملوك التمتع بسلطة غير دستورية فى دولة دستورية ، لأنهم بوصفهم ملوكا فقط لم يكن لهم حق التدخل فى شئون المدن الحرة ، وأما بوصفهم آلهة فانه كان يحق لهم ابداء رغباتهم لتلك المدن ، كما كان يتعين على عبادهم احترام تلك الرغبات (٣) . وقد كان من الجائز قبول هذا الرأى لو أن الملوك أنفسهم هم الذين سعوا الى هذا التأليه ، لكن هذا التألية قد صدر عن تلك المدن من تلقاء أنفسها . ولذلك فاننا نميل الى الاعتقاد بأن الدافع الى هذه العبادة ، على عهد ملوك الجيل الأول من خلفاء الاسكندر ، كان رغبة تلك المدن فى اظهار ولائها للملوك الأقوياء الذين يجاورونها ، أو

---

(1) C.A.H., VII, p. 15

(2) Jouguet, Mac. Imp., pp. 292—3; C. A.H., VI, pp. 490 ff., 497, 500 ff.

(3) C. A. H., VII, p. 15.

التعبير عن شكرها للملوك الذين أسدوا اليها خدمات جليلة (١) ، ومن ثم فان هذه العبادة لم تكن عندئذ عبادة عامة فى سائر أنحاء الدولة بل عبادة محلية فى المدن التى أنشأتها . ولعل السبب فى أن أولئك الملوك لم يطلبوا تأليه أنفسهم هو أنهم لم يكونوا قد تأثروا بعد بالأفكار الاغريقية السائدة حولهم، اذ أنهم كانوا لايزالون يعتزون بالتقاليد المقدونية وكانت لا تعترف بتأليه الملوك ، بدليل أن ملوك مقدونيا من خلفاء الاسكندر لم يطلبوا على الاطلاق تأليه أنفسهم (٢) . وقد كان تأليه الملوك فى نظر أنتيپاتروس كفراً ، وفى نظراً أنتيجونوس جوناتاس ضرباً من الحمق (٣) . واذا كان ملوك الجيل الأول لم يطلبوا تأليه أنفسهم ، فان أحدهم على الأقل — وهو بطلميوس الأول — قد عنى باثبات أن سلطته كانت مستمدة من مصدر الهى .

وأما أغلب ملوك الجيل الثانى وخلفائهم فانهم رفعوا أنفسهم الى مصاف الآلهة ، وأصبحت عبادة الملوك على عهدهم عبادة عامة فى الدولة . ويبدو ان ذلك قد حدث نتيجة لعدة عوامل أهمها : أن الدول الاغريقية المقدونية التى قامت على أنقاض الأمبراطورية المقدونية ، قد أنشئت فى الشرق منبت حق الملوك الالهى ، فكان لابد من أن يؤدى ذلك الى مارغب فيه الاسكندر ووصل اليه من قبل (٤) ، ولا سيما أن الملوك ، وقد تأثروا بالأفكار الاغريقية ، أخذوا يبحثون عن أساس آخر لدعم ملكهم الى جانب حق الفتح (٥) . وقد ساعدهم على ذلك تطور النظريات السياسية والأفكار العامة ، وضعف المعتقدات الدينية فى الآلهة القديمة . ومن ثم فانه كان يسيرا على عبادة الملوك أن تصادف اقبالا ملحوظا بين كثير من الأوساط الاغريقية، ولا سيما أنه كان فى وسع الناس أن يلمسوا مجد بطلميوس مثلا وقوته ، فى حين أنه كان يتعذر عليهم أن يلمسوا مجد زيوس وقوته، وكان فى وسع الملك أن يطعم رعيته اذا نزل بها قحط أو يصد عنها العدو اذا هاجمها، بينما كانت الآلهة

(1) Jouguet, Mac. Imp., p. 293.
(2) Jouguet, op. cit., p. 292.
(3) Tarn, Hell. Civ., p. 49.
(4) Jouguet, op. cit., p. 293.
(5) Tarn, p. 46.

القديمة تعجز عن ذلك كله . ألم يعجز أپولو مثـلا عن مساعدة مديرى معبده فى ديلوس فى الحصول على ماتدين له به الجزر من المال ، بينمـا أفلح بطلميوس فى جمع ذلك المال فى الحال عندما استغاثوا به (١) ؟ ولعل أبلغ دليل على أفكار الناس مظاهـر التأليه التى أغدقها الاثينيون على ديمتريوس محاصر المدن وتلك الأغنية الشعبية التى استصرخ بها الاثينيون حماية ديمتريوس محاصر المدن ضد ايتوليا ، فانها جرى ى هذا النحو « ان الآلهة الأخرى اما أنها غير موجودة واما أنها بعيدة عنا ، واما أنها لا تصغى الينا ولا تعيرنا انتباهها ، أما أنت فانك أمامنا ونستطيع رؤيتك لا فى تمثال من الخشب أو الحجارة وانما بلحمك ودمك (٢) » . ومن ثم فاننا نستبعد أن عبادة الملوك لم تكن سوى عبادة رسمية جافة ، لكننا نستبعد أيضا أن هذه العبادة الجديدة خلفت العبادة القديمة . ولا جدال فى أن الطبقات المتعلمة كانت تعتبر عبادة الملوك ضرباً من المداهنة أو التعبير عن الشكر أكثر منها عبادة صحيحة، ولكن كافة الطبقات كانت تتعبد الى الملوك حتى فى داخل بيوتها(٣). ومع ذلك فانه لاشك فى أن عبادة الملوك على عهد الاسكندر وملوك الجيل الثانى وخلفائهم كانت ديانة سياسية ، بمعنى أنها كانت الوسيلة التى لجأ اليها الملوك لدعم ملكهم وبقائه بعد مماتهم ، الا أنه يجب أن ندرك أن أحداً من هؤلاء الملوك لم يعتقد أنه اله (٤) .

ويتضح اذن من كل ما أوردناه أنه اذا كانت عبادة الاسكندر الأكبر وأغلب ملوك الجيل الثانى من خلفائه وذريتهم ترجع الى رغبة أولئك الملوك فى تأليه أنفسهم ، على اعتبار أن تأليهم كان جزءاً من فكرتهم عن الملكية، فان ملوك الجيل الأول من خلفاء الاسكندر لم يعتمدوا على حق الملوك الالهى فى تبرير حكمهم فى نظر رعاياهم الاغريق ، بدليل أنهم لايطلبوا الى رعاياهم الاغريق أن يعبدوهم ؛ هـذا وان كانوا قـد قبلوا العبادة التى أنشأتها بعض المدن من تلقاء أنفسها اجلالا لهم .

(1) Cf. Tarn, pp. 49-50.

(2) Diod., XX, 46,1-3 ; Plut., Demeter., 10-12 ; Athen., 253 D ; Kaerst, in Pauly-Wissowa R. E, s. v. Demetrios, 33, VIII, Col. 2773—4.

(3) Jouguet, op. cit., p. 296.

(4) Tarn, op. cit., p. 49

بطلميوس الأول يخطو الخطوة الأولى فى انشاء عبادة البطالمة :

ويبدو أن البطالمة كانوا أسبق من غيرهم فى انشاء عبادتهم عبادة اغريقية رسمية فى الدولة . وعلى الرغم مما يكتنف انشاء هذه العبادة من الغموض فاننا نستطيع أن نتبين بوضوح الخطوات التى أدت الى قيام هذه العبادة . وأما الخطوة الأولى فقد خطاها بطلميوس الأول ، عندما جعل عبادة الاسكندر ديناً رسمياً اغريقياً عاما فى مصر ، له كاهن مقدونى أو اغريقى يتمتع بمكانة رفيعة ، ويعينه الملك كل عام (١) ، وتؤرخ باسمه كافة الوثائق فى طول البلاد وعرضها،سواء ماكان منهامكتوبا باللغةالاغريقيةأم المصرية .

ونحن نعزو تأريخ الوثائق المصرية بكاهن عبادة الاسكندر الاغريقية الى مجرد الرغبة فى توحيد نظام تأريخ كافة الوثائق فى الدولة الواحدة ، ولانستطيع أن نرى فى ذلك دليلا على أن هذه العبادة كانت عبادة عامة يشترك فيها الاغريق والمصريون على السواء (٢) . فقد كانت هذه العبادةاغريقيةولا يوجد دليل واحد على أن المصريين شاركوا فى أية عبادة اغريقية ، وهم حين عبدوا الاسكندر والبطالمة قد عبدوهم بوصفهم فراعنة وفقا للمعتقدات والتقاليد المصرية . ويستوقف النظر أنه لم يحدث على الاطلاق أن قرن اسم الاسكندر المؤله بلقب اله على نحو ما قرنت فيما بعد أسماء البطالمة المؤلهين وانما كان يكتفى بذكر اسمه مجرداً ، شأنه فى ذلك شأن زيوس وغيره من آلهة أولومپوس (٣) . وفى هذا أبلغ دلالةعلى أن الوهيةالاسكندر كانت أمراً بديهيا فى نظر الجميع الى حد أنها لم تكن فى حاجة الى توكيدها بذكر لقب الألوهية أكثرمما كانت ألوهية زيوس أو أپولو فى حاجة الى ذلك .

---

(١) راجع قصة الاسكندر (Pseudo-Callisthenes, III,33) وموسوعة كمبردج المجلد السابع ص ١١٧ وفريزر الجزء الأول ص ٢١٣ وما بعدها وللحصول على اسماء كهنة هذه الديانة طوال عهد البطالمة راجع :

Plaumann, Hiereis, in P. W.R.—Enc. ; Sir Herbert Thompson in Griffith Studies, pp. 16—20; Glanville and Skeat, in J. E. A., XL, 1954, pp. 45—58; Hintze, Mitt. Inst. Orientsforsch. 2,. pp. 208-17 ; Peremans et Van't Dack, Prosop. Ptolemaica, III, Le Clergé, Le Notariat, Les Tribunaux, 1956, pp. 3—46.

(2) Plaumann, Archiv, VI, 1920, pp. 77 ff. ; Tondriau, p. 211.

(3) Tondriau, p. 211.

واذا كان البعض (١) يعزو انشاء هذه العبادة الرسمية العامة الى رغبة بطلميوس الأول فى توكيد اشتراكه مع الاسكندر فى الانحدار من هرقل ليسمو بذلك على منافسيه انتيجونوس وسلوقس ، فاننا نرجح أن يكون بطلميوس الأول قد أنشأ هذه العبادة ليبرر سلطته المطلقة فى نظر رعاياه الاغريق ، لأنه باعتباره خليفة الاسكندر فى حكم مصر تصبح سلطته بعد تأليه الاسكندر مستمدة من مصدر الهى ، وبذلك يحق له أن يتمتع بالسلطة الشاملة المطلقة فى مملكته ، أى أن الاسكندر ، الذى كان فى حياته القلب النابض للامبراطورية ، أصبح بعد مماته الروح الذى يستلهمه خلفاؤه العظمة ويستمدون منه المجد والسيطرة . ولا شك فى أن هذه الفكرة كانت تدور بخلد بطلميوس الأول ، عندما نقل جثمان الاسكندر الى مصر وأمر بأن تشيد له مقبرة ، لا فى واحة سيوة التى قيل ان الاسكندر كان يريد أن يدفن فيها ، وانما فى عاصمة بطلميوس الجديدة فى الاسكندرية (٢) .

ان معلوماتنا طفيفة عن بداية عبادة الاسكندر في مصر ، وبينما لا توجد أيه اشارة الى كاهن الاسكندر فى أقدم وثيقة وصلت الينا حتى الآن من عهد البطالمة ، وهى ترجع الى عام ٣١١ ق.م (٣) ، نجد أن وثيقة بطلمية أخرى من العسير تحديد تاريخها (٤) تشير الى وجود كاهن تؤرخ الوثائق باسمه . فقد جاء فى صدر هذه الوثيقة « فى شهر ديوس من السنة ... من عهد بطلميوس ، عندما كان منلاوس بن لاماخوس يشغل وظيفة الكاهن » . ولا شك فى أن الكاهن المشار اليه فى هذه الوثيقة كان كاهن الاسكندر الأكبر ، على الرغم من أنه لم يرد لذلك ذكر فى الوثيقة . ولعل السبب فى ذلك أنه لم توجد هناك عندئذ عبادة أخرى رسمية عامةغيرعبادة الاسكندر ، ولذلك فانه لم تنشأ الحاجة الى ذكر اسم المعبود بجانب اسم كاهنه ، كما حدث فيما بعد عندما عبد البطالمة أيضا . ونعرف من وثيقة أخرى أنه كان يوجد فى عام (٢٨٩ ق.م ؟) كاهن تؤرخ الوثائق باسمه ،

(1) Wilcken, Entstehung, p. 310; Tondriau, p. 212.
(2) Jouguet, op. cit., p. 294.
(3) Rubensohn, Elephantine Papyri, 1907, no. 1.
(4) P. Hibeh, no. 84 a; cf. Fraser, I, pp. 215-6; II n. 215, p. 365.

ويجزم الباحثون بأن الكاهن المذكور فى هذه الوثيقة هو كاهن الاسكندر (١) . وعلى نفس النسق الذى رأيناه فى الوثيقتين السابقتين من حيث ذكر الكاهن دون تخصيص أنه كان كاهن الاسكندر نجد أنه قد جاء فى وثيقة ثالثة (٢) انه فى العام ٤٠ من عهد الملك بطلميوس كان منلاوس بن لاجوس يشغل وظيفة الكاهن . ولا سبيل اليوم الى الشك فى ان منلاوس شقيق الملك كان يشغل عندئذ وظيفة كاهن الاسكندر . ونستخلص من هذا اذن أن بطلميوس الأول هو الذى أنشأ عبادة الاسكندر فى مصر، ويغلب على الظن أن يكون ذلك قد حدث عندما اتخذ بطلميوس لقب ملك فى عام ٣٠٥ (٣) . ويذهب جوجيه الى أن الاسكندر كان يعبد فى مصر قبل انشاء وظيفة كاهنه، فهو يرى أنه كان يعبد فى منف منذ أن نقل جثمانه فى عام ٣٢٢ الى أن تم بناء مقبرته (السيما) فى الاسكندرية ، وذلك فضلا عن عبادته فى الاسكندرية أيضا فى الوقت نفسه باعتباره مؤسسها . واذا صح أن الاسكندر كان يعبد فى منف قبل انشاء وظيفة كاهنه ؛ فمن المحتمل أن هذه العبادة كانت الخطوة الأولى فى اقامة تلك العبادة الرسمية العامة التى صحب انشاؤها اقامة كاهن خاص بها . غير أن هذا لا يستتبع أن منف كانت أول مقر لعبادة الاسكندر عبادة رسمية عامة ، وذلك لأنه من المرجح أن بطلميوس لم ينشىء هذه العبادة قبل اتخاذه لقب ملك فى عام ٣٠٥ ، وأنه اتخذ الاسكندرية عاصمة له ونقل اليها جثمان الاسكندر قبل هذا التاريخ . ولا يستبعد أنه عندما أنشئت عبادة الاسكندر العامة فى الاسكندرية ، أدمجت فى بعضهما بعضا عبادة الاسكندر المحلية باعتباره مؤسس الاسكندرية وعبادته العامة فى الدولة ، لكنه لا يستبعد أيضا أن هاتين العبادتين بقيتا منفصلتين ، احداهما خاصة بالاسكندرية والاخرى عامة لكل الاغريق فى مصر (٤) . ويرى فريزر أنه كانت للاسكندر عبادة خاصة به فى الاسكندرية بوصفه مؤسس هذه المدينة ، وأن هذه العبادة مهدت الى اقامة العبادة الرسمية العامة ؛ لكن العبادة الأولى ظلت قائمة بذاتها منفصلة عن الاخرى (٥) .

(1) P. Hibeh, pp. 244, 368; Jouguet, loc. cit.
(2) P. Eleph. 2
(3) C.A. H. VII, loc. cit. ; Tarn, p. 47.
(4) Jouguet, loc. cit
(5) Fraser, I, pp. 212, 215.

بطلميوس الثاني يؤله اباه وامه بعد مماتهما :

واذا كان بطلميوس الأول يدرك أهميه الديانة فى دعم صرح دولته ، وكان قد أنشأ عبادة الاسكندر الأكبر ليستمد منها حق تمتعه بالسلطة الشاملة المطلقة فى مملكته ، وكذلك أنشأ عبادة الثالوث المقدس ، كما سنرى فيما بعد ، للتوفيق بين المعتقدات الدينية لدى المصريين والاغريق ؛ فهل فكر هذا الملك فى تأليه نفسه وسلالته؟ليس لدينا مايثبت أن بطلميوس الأول عبد فى حياته فى مصر عبادة اغريقية رسمية عامة . وتشير القرائن جميعا الى أنه لم يفعل أكثر من أنه وضع فى مصر سنة تأليه حكامها السابقين بعد مماتهم ، فلا عجب أن بطلميوس الثانى رفعه الى مصاف الآلهة،ولاسيما أنه اذا كان الاغريق قد اعتادوا تأليه موتاهم الذين أسسو المدن الحرة ،فانه لم يوجد ما يحول دون تأليه بطلميوس وهو الـذى لـم يؤسس مدينة فحسب بل مملكة عظيمة (١) . ولم تكن عبادة بطلميوس الأول أمـراً مستجداً ، فقد ذكرنا آنفا أن عصبة القوقلاد عبدته فى حياته عقب الحملة التى قام بها فى عام ٣٠٨ لتخريـر تلك العصبة من ربقة أنتيجونوس . وحوالى عام ٢٨٠ أصدرت تلك العصبة قرارافحواه أن أهل العصبة،ازاء فضل بطلميوس سوتير (المنقذ)عليهم وعلى بقية الاغريق لأنه حرر مدنهم وأعاداليهم قوانينهم ووطد دعائم دستوهم وخفف عنهم عبء الضرائب ، يرون من الحق عليهم ، باعتبارهم أول من وضع بطلميوس المنقذ فى مصاف الآلهة بسبب حسناته العامة ومساعداته الشخصية ، أن يشتركوا اشتراكا قلبيا فى الاحتفال بالعيد الذى أنشىء اذا ذاك فى الاسكندرية اجلالا له (٢) . وقد ذكرنا أيضا أن جزيرة رودس عبدت بطلميوس ــ بعد فشل ديمتريوس فى الإستيلاء عليها وعقد الصلح معها فى عام ٣٠٤ ، بسبب ماقدمه لها ملك مصر من المعونة ــ وأقامت له سياجا مقدسا (٣) مستطيل الشكل يحيط به بهو أعمـدة ويعرف باسـم البطولمايون (Ptolemaieion) . ويحدثنا پاوساناياس بأنه فى هذه المناسبة خلعت رودس علي بطلميوس لقب «المنقذ»

(1) C. A. H., VII, p. 16.

(2) Michel, Recueil d' Inscriptions Grecques, no. 373; Ditt. Syll. 390 ; Bouché-Leclercq, I, p. 64 ; Mahaffy, Hist., pp. 84, 44 ; Bevan, p. 51.

(3) Diod., XX, 100, 4 ; Bouché-Leclercq, I, p. 78 ; Mahaffy, Empire, p. 62

لذى عرف به فى التاريخ (١) . وهكذا يبين أنه اذا كانت عصبة القوقلاد أول من رفع بطلميوس الأول الى مصاف الآلهة ، فان رودس هى التى خلعت عليه لقب سوتير . ويحدثنا نقش بأن ثلاثة اغريق ، وقد نجوا من المخاطر التى دهمتهم ، يعربون عن اجلالهم للمثال بطلميوس والملكة برنيقى بوصفهما « الالهين المنقذين » (٢) .

لقد كان الجديد اذن فى أمر عبادة بطلميوس الأول هو انشاؤها رسمياً فى مصر عقب وفاته ، فى عهد بطلميوس الثانى ، الذى أنشأ كذلك فى الاسكندرية حفلا اغريقيا يقام كل أربعة أعوام ويعرف باسم البطولمايا (Ptolemaieia) اجلالا لذكرى أبيه المؤله بطلميوس المنقذ (سوتير) .

وقد حفظ لنا أثينايوس (٣) ما كتبه قاليكسينوس فى وصف ذلك الحفل الذى يحتمل أنه أنشىء للمرة الأولى فى يولية أو يولية عام ٢٧٩ بمناسبة الذكرى الرابعة لوفاته (٤) ؛ ومعنى ذلك أن بطلميوس الأول رفع الى مصاف الآلهة فى مصر عقب وفاته مباشرة . ويرى البعض (٥) أن المهرجان الذى وصفه قاليكسينوس يرجع الى عام ٢٧٥/٢٧٤ أى الى ثانى مرة أقيم فيها الحفل ، بينما يرى أوتو (٦) أنه يرجع الى عام ٢٧١/٢٧٠ بمناسبة النصر البطلمى فى الحرب السورية . ويميل تارن الى قرنه بأول مرة أقيم فيها الحفل أى الى عام ٢٧٩/٢٧٨ (٧) . ويؤيد رأى تارن النقش الذى عثر عليه منذ قريب فى فينيقيا (٨) .

وقد أشرك بطلميوس الثانى أمه برنيقى مع أبيه المؤله ، اذ ان ثيوقريتوس يحدثنا بأن هذا الملك أقام هياكل عبد فيها بطلميوس الأول وبرنيقى (٩) ،

(1) Paus., I, 8, 6.
(2) Rubensohn, Archiv, 1913, p. 156; OGIS. 16; Greipl, Philolog., 39, 1930, pp. 159 ff.
(3) Athen., 196 a—203 b
(4) Jouguet. op. cit., p. 295 ; Trois Et., p. 61 : Tondriau, Aegyptus, 1953. p. 128.
(5) Meyer, Archiv, Beiheft 2, 1925, p. 67 n. 2.
(6) Beitr. z. Seleuk. 3 Jahr., Abh. bayer. Akad. Wiss., 34, 1, 1928, pp. 5—8, 88—89.
(7) Hermes, 65, 1930, pp. 446—56; J. H. S., 53, 1933, pp. 59 ff; Alex. The Gr., II, pp. 229-31.
(8) Honeyman, Observations on a Phoen. Inscr., J.E.A., 1940, pp. 56—67; cf. Fraser, I, p. 202; II, n. 87 p. 343.
(9) Theocr.. XVII, 16 ff, 121 ff.

اللذان أصبحا يعرفان باسم الالهين سوتيرس ، ويحتمل أن هـذه الهياكل كانت تتصل بمدفنهما على مقربة من قبر الاسكندر (١) . لكننا لا نعرف متى توفيت برنيقى ، ولا متى أشركت مع زوجها فى العبادة . ولعل كـل ما يمكن قوله فى ضوء معلوماتنا الحالية عن هذه العبادة هو أنها مرت بثلاث مراحل وهى : أولا ، رفع بطلميوس الأول وحده عقب وفاته بقليل الى مصاف الآلهة وأقيم له معبد » وثانيا ، أنشئت حفلات البطوليمايا فى عام ٢٧٩/٢٧٨ اجلالا لبطلميوس المؤله . وثالثا أشركت برنيقى عقب وفاتها فى العبادة مع زوجها وعبد الاثنان سويا باسم الالهين سوتيرس فى المعابد التى أنشئت لهما (٢) .

بطلميوس الثانى يؤله نفسه وزوجه فى حياتهما :

واذا كان بطلميوس الأول وزوجه قد رفعا الى مرتبة الألوهية بعد موتهما ، فان سلالتهما من ملوك مصر رفعت الى هذه المرتبة فى حياتها واحتفظت بها بعد مماتها » وقديما كان بعض المؤرخين يرون أنه عندما توفيت أرسينوى الثانية ، زوج بطلميوس الثانى وأخته ، رفعت الى مصاف الآلهة وعرفت باسم الالهة فيلادلفوس ، وفى الوقت نفسه قرن معها فى العبادة أخوها الملك وهو على قيد الحياة وعبد الاثنان سويا باسم الالهين الأخوين (أدلفوى Adelphoi) (٣) » ولم يعد اليوم داع للافـاضة فى تفنيد هذا الرأى لأننا اذا كنا لا نجد ذكرا للالهين الأخوين فى ديباجة وثيقة (٤) من العام الثانى عشر من عهد بطلميوس الثانى (عام ٢٧٤/٢٧٣)، فاننا نتبين من محتويات وثيقة نشرت حديثا (٥) أن عبادة الالهين الأخوين كانت موجودة فى العام الرابع عشر من عهد بطلميوس الثانى (عام ٢٧٢/ ٢٧١) . وفضلا عن ذلك فان الالهين أدلفوى ذكرا فى وثيقة ترجع الى اليوم العشرين من شهر دايسيوس (Daesios) فى العـام السادس عشر من عهد بطلميوس الثانى (٦) ، أى فى أوائل يونية عام ٢٧٠ ، فى حين أن

(1) Bounché-Leclercq, III, p. 38; Bevan p. 127.
(2) Bouché-Leclercq, I, p. 101 ; Fraser, I, p. 224 ; II, p. 373 n. 283.
(3) Jouguet, Mac. Imp., op. cit., p. 297 ; Trois Etudes, p. 60 ; Bouché-Leclercq. III, p. 39.
(4) P. S. I., 321.
(5) P. Hibech, II, no. 199, pp. 110—111.
(6) P. Hibeh, I, no. 99, pp. 271-8.

لوحة منديس تحدثنا بأن أرسينوى « صعدت الى السماء » فى شهر باخون (Pachon) فى العام السادس عشر من عهد بطلميوس الثانى ، أى فى شهر يولية عام ٢٧٠ (١) • ومعنى ذلك أن أرسينوى ألهت مع أخيها قبل مماتها ، وأن الاثنين عبدا سويا باسم الالهين أدلفوى • وقد أقيم لهما معبد خاص فى الاسكندرية (٢) ، وقرنت عبادتهما بعبادة الاسكندر الرسمية العامة ، وكان يشرف على طقوس العبادتين كاهن واحد أصبح لقبه اذ ذاك « كاهن الاسكندر والالهين أدلفوى » • وجدير بالذكر هنا أن عبادة الالهين سوتيرس (بطلميوس الأول وبرنيقى) لم تقرن بعد مع هذه العبادة الرسمية العامة اذ أن هذين الالهين لم يذكرا بعد فى الديباجة التى تؤرخ بها الوثائق • ومعنى ذلك أن العبادة الاغريقية الرسمية العامة فى مصر ، وكانت حتى ذلك الوقت لا تشمل الا الاسكندر والالهين أدلفوى ، لم تصبح بعد عبادة أسرية (٣) •

وما السبب فى أن بطلميوس الثانى لم يقرن عبادة أبيه وأمه بعبادته وعبادة الاسكندر مع أنه هو الذى ألهمها ولم يدخر وسعا فى اغداق مظاهر الاجلال والتقدير عليهما ؟ السبب بسيط وهو أن هدف هذه العبادة لم يكن أصلا تأليه أسرة البطالمة وانما تأليه الاسكندر بوصفه أول ملوك مصر المقدونيين ليستمد خليفته بطلميوس من هذا التأليه الحق فى التمتع بالسلطة الشاملة المطلقة • ويبدو أن بطلميوس الثانى قد رأى أن الغرض المنشود من هذه العبادة يتحقق على وجه أكمل اذا وضع تقليدا جديدا يقضى بتأليه الملك الحاكم هو وزوجه فى حياتهما وقرن عبادتهما بعبادة الاسكندر (٤) •

وعندما توفيت أرسينوى فى عام ٢٧٠ ، أنشئت لها عبادة اغريقية رسمية باسم الالهة فيلادلفوس • ويستوقف النظر أنه عندما لاحظ القدماء أن بطلميوس الثانى كان الملك الوحيد فى أسرة البطالمة الذى لم يكن

---

(1) Sethe, Hierhag, Urk. no 13; Borché — Lecl., I, pp. 179-180; Mahaffy, Hist., p. 74; Bevan, pp. 129, 386; Fraser, I. p. 217.
(2) Cf. Herondas, ll. 26-36.
(3) Wilcken, Zur Entstehung d. hell. Konigskultes, Sitz. d. Preuss Ak. d. Wiss., hist. phil. Kl. 1938, XXVIII, p. 316.
(4) Cf. Tondriau, Quelques problèmes religieux ptol., Aegyptus. 33. 1953, pp. 125 6; Fraser, I, 218.

له لقب الهى يميزه عن غيره ، خلعوا عليه منذ القرن الثانى قبل الميلاد لقب أخته الالهى « فيلادلفوس » ، كما لو كان مقدرا لهذا الملك ألا يتحـرر فى حياته ولا مماته من نفوذ هذه السـيدة القوية .

واذا كان بطلميوس الثانى قد خصص دخل ضريبة الأپومويرا لعبادة الالهة فيلادلفوس فى المعابد المصرية ، فانه من المرجح أن يكون قد خصص لسد نفقات عبادة هذه الالهة عبادة أغريقية دخل ضياع واسعة فى خارج مصر ، فقد وجدت فى قبرص وثيرا وپاروس وأمورجوس ولسبوس — وكانت كلها واقعة فى منطقة النفوذ المصرى — أحجار تحمل هذه العبارة « ملك ليفلادلفوس » (١) .

وقد كانت لهذه العبادة الاغريقية كاهنة خاصة تعرف باسم قانيفوروس (Kanepohros) وهو اسم مشتق من اسم السلة التى كـانت الكاهنات تحملنها فى المهرجانات الدينية . وقد ظهر اسم كاهنة أرسينوى فى تأريخ الوثائق مع اسم كاهن الاسكندر والالهين أدلفوى منذ يناير عام ٢٦٦ (٢). وقد أقيم لأرسينوى معبد خاص فى الاسكندرية ، شبهت فيه بالالهة الاغريقية أفروديتى ، فعرفت أيضا باسم أرسينوى — أفروديتى ، وهذا هو أول مثل نعرفه من مصر البطلمية بين عدة أمثلة وصل الينا خبرها لأفراد مؤلهين شبهوا ببعض الآلهة الاغريقية القديمة . ويحتمل أن معبد أرسينوى فى الاسكندرية كان المعبد الذى يقول پلينيوس ان بطلميـوس أقام فيه تمثالا لأختـه من الزبرجد وكذلك مسلة لنقتانبو أحضرها من هليوپوليـس (٣) . ويحـدثنا أحـد المصـادر القـديمة بـأن بطلميـوس أنشـأ كذلـك مذهبـا لأختـه الأخـرى فيلوتـيرا (Philotera) (٤) ، وهى التى نعرف أنهـا كانت تعبد كذلك فى المعابد المصرية (٥) . حقا انه لا توجد لدينا أدلة أخرى على عبادة فيلوتيرا عبادة

---

(1) Perdrizet, Rev. études anciennes, VI, 1904, p. 156.

(2) Dem. P. Louvre, 2424 ; P. Hibeh, p. 369 ; Cf. Plaumann, P. — Wissowa, s.v. Hiereis ; Sir Herbert Thompson, in Studies to Griffith, Oxford Press, 1933, pp. 17-18 ; Fraser, I, pp. 217, 222-4.

(3) Plin., XXXVI, 67-9 ; XXXVII, 108 ; cf. Blomfield, The Arsinoeion and its Obelisk. B. S. A. A., 8, 1905, pp. 21—45 ; Fraser, I, pp. 25, 31, 22., 228—30.

(4) Schol. ad Theocr., XVII, 121. (5) Otto, I, p. 348.

اغريقية غير هذا المصدر القديم ، لكن هذا لا ينفى وجود هذه العبادة ، وان كنا نرجح أنه لم يكن لهذه العبادة مثل ما كان لعبادة أرسينوى فيلادلفوس من الأهمية ، لأنها لم تستخدم على الاطلاق فى تاريخ الوثائق (١) . ولا يبعد أن فيلوتيرا كانت تعبد مع أختها أرسينوى فى المعبد السالف الذكر الذى يحدثنا عنه بليثيوس (٢) .

ويحتمل أنه كان يوجد لأرسينوى عدد من الهيا كل فى الأسكندرية ، ويذكر استرابون كذلك هيكلا صغيرا (Naiskos) لأرسينوى أفروديتى على رأس زفوريون (Zephyrion) بالقرب من أبى قير (٣) . وقد وجد على لوحة كانت جزءاً من معبد فى منطقة طيبة ، نقش نصه « من ساتوروس (Satyros) الى أرسينوى فيلادلفوس (٤) » . ولابد أن عبادة أرسينوى كانت شائعة بين الاغريق فى مديرية الفيوم بوجه خاص ، اذ أنها سميت فى أواخر عهد بطلميوس الثانى باسم مديرية أرسينوى (٥) .

والى جانب هذه العبادة الاغريقية التى وجهت الى أرسينوى كانت هذه الملكة تعبد أيضا عبادة مصرية ، فقد مر بنا أن بطلميوس الثانى أمر باعتبارها شريكة (Synnaos) للآلهة الأخرى فى المعابد المصرية (٦) .

وقد تبع تأليه البطالمة استخدام أسمائهم فى القسم الملكى (٧) ، أو بعبارة أخرى فى القسم الرسمى الذى كان يستخدم فى سائر أنحاء المملكة . وقد كان نص هذا القسم فى عهد بطلميوس الثانى كما يلى : « أقسم بالملك بطلميوس وبأرسينوى فيلادلفوس ، الالهين أدلفوى ، وبوالديهما الالهين سوتيرس » (٨) . وفيما بعد ، كان القسم الملكى يسرد أسماء ملوك البطالمة جميعا بادئا بالملك الحاكم ، فكان فى عهد بطلميوس الثالث مثلا « اقسم بالملك ابن الملك بطلميوس وأرسينوى الالهين أدلفوى (الأخوين بطلميوس الثانى وزوجه) وبالملكة برنيقى أخت الملك وزوجه ، وبالالهين أدلفوى وبالالهين سوتيرس وسلالتهما ... » (٩) . وكذلك

(1) Bevan, p. 130.
(2) Fraser, I, p. 229 ; II, n. 314 p. 377.
(3) Strab., XVII, 16.
(4) Strack, no. 25.
(5) P.C. — Zen. 59041.
(6) Otto, I, p. 349 ; II, p. 334.
(7) Cf. Seidl, Der Eid in ptol. Recht, München, 1929.
(8) P. Hibeh, II, 38, ll. 11—14.
(9) P. Eleph., 23.

كان القسم فى عهد بطلميوس الخامس : « أقسم بالملك بطلميوس بن بطلميوس وأرسينوى ، الالهين فيلوپاتورس (المحبين لأبيهما ، بطلميوس الرابع وزوجه الأخت أرسينوى) وبالالهين فيلوپاتورس وبالالهين أدلفوى وبالالهين يورجيتاى (الخيرين ، بطلميوس الثالث وزوجه) وبالالهين سوتيرس (المنقذين ، بطلميوس الأول وزوجه) وبسراپيس وايزيس وبكل الآلهة الأخرى » (١) .

بطلميوس الثالث يضع تقليدا جديدا ويتبع تقليد أبيه :

مر بنا أن محور العبادة الاغريقية الرسمية العامة كان أصلا الاسكندر الأكبر المتوفى ، أى حاكم مصر بعد وفاته ، ثم تدرج الأمر فى عهد بطلميوس الثانى الى تأليه الملك الحاكم وزوجه فى حياتهما وقرن عبادتهما بعبادة الاسكندر . وقد وضع بطلميوس الثالث تقليدا جديدا عندما قضى بأن يحتفظ سلفاه ، الالهان الأخوان بألوهيتهما بعد مماتهما ، وبأن يستمر قرنهما فى العبادة مع الاسكندر . ومن ثم فانه عندما اتبع تقليد أبيه ورفع نفسه وزوجه الى مصاف الآلهة قرن عبادتهما بعبادة سلفيهما وعبادة الاسكندر ، فكانت هذه هى المرة الأولى التى تقرن فيها عبادة الملك الحاكم وزوجه بعبادة سلفيهما وعبادة الاسكندر . ومنذ ذلك الوقت أصبحت القاعدة أن كل بطلميوس وزوجه يرتقيان العرش يؤلهان ، ويحتفظان بالوهيتهما بعد مماتهما وتقرن عبادتهما فى حياتهما وفى مماتهما بعبادة أسلافهما وعبادة الاسكندر الأكبر ، فنشأت على مر السنين وتعاقب ملوك وملكات البطالمة سلسلة جديدة من الآلهة . ويبدو أن بطلميوس الثالث وزوجه برنيقى لم يؤلها باسم الالهين يورجيتاى (Theoi Euergetai) أى الالهين الخيرين، ويقرنا مع عبادة الاسكندر والالهين الأخوين الا فى العام الخامس من حكمهما (٢٤٣ — ٢٤٢ ق . م .) ، لأنه لم يرد لذلك ذكر فى خمس وثائق سابقة لهذا التاريخ . وترجع الوثيقة

---

(١) راجع : Chrestomathie, no. 110 . ولدينا وثيقة تضم قسما مماثلا من فترة الحكم المشترك التى تولى الملك فيها بطلميوس السادس وكليوپترة واخوهما الاصغر بطلميوس الصغير (P. Teht., 811).

الأولى (١) الى السنة الثانية من حكمهما والثانية (٢) الى السنة الثالثة ، والثالثة (٣) والرابعة (٤) والخامسة (٥) الى السنة الرابعة . بيد أننا نجد في صدر برديتين (٦) من السنة الخامسة هذه العبارة « في العام الخامس من حكم بطلميوس بن بطلميوس وأرسينوى ، الالهين أدلفوى ، عندما كان أريستوبولوس (Aristoboulos) بن ديودوتوس (Diodotos) كاهنا للاسكندر والالهين أدلفوى والالهين يورجيتاى ، وعندما كانت يامنياس (Iamnias) ابنة .. كاهنة لأرسينوى فيلادلفوس ... » . ومنذ ذلك الوقت ، جرت الوثائق في عهد بطلميوس الثالث على هذه الوتيرة . ونستدل على ذلك من وثيقة (٧) ترجع الى العام الثامن من حكم هذا الملك (عام ٢٤٠ — ٢٣٩) ، ومن قرار قانوب (٨) الشهير الذى أصدره مجمع الكهنة في عام ٢٣٧ ق.م. ولهذا القرار أهمية أخرى ، فقد ورد فيه « .. بما أن الملك بطلميوس ، بن بطلميوس وأرسينوى الالهين أدلفوى ، وبرنيقى أخته وزوجه ، الالهين يورجيتاى ... » (٩) ، أى أنه أطلق على زوج بطلميوس الثالث لقب « الأخت » مع أنها لم تكن أخته ، لكن كلمة أخت كانت مرادفة لكلمة زوجة عند المصريين ، وتطلق في الوثائق المصرية على زوج الملك (١٠) . وفي نقش (١١) يسجل اهداء للالهين الخيرين نجد أيضا كلمة أخت مستعملة في وصف هذه الملكة . وهكذا يتبين لنا أنه منذ زواج بطلميوس الثانى من أخته أصبحت القاعدة اطلاق لقب الأخت على الملكة ولو لم تكن أخت زوجها ، وذلك على غرار ما كان سائدا في الوثائق

---

(1) Revillout, Rev. Eg., I, 1880, p. 18.
(توجد هذه الوثيقة بمتحف اللوفر تحت رقم ٢٤٢٨)
(2) P. Hibeh, no. 145, p. 328
(3) Revillout, loc. cit.
(4) B.M. Dem. Pap. 10616.
(5) B. M. Dem. Pap. 10389.
(6) P. Hibeh, no. 171 ; P. S. I. 389.
(7) P. Hibeh, no. 89 ; Bevan, p. 206.
(8) Bouché—Leclercq, I, pp. 267 ff. ; Bevan, pp. 208 ff.
(٩) راجع السطر السادس من هذا القرار في بوشيه لكلرك جـ ١ ص ٢٦٧ وفي بفان ص ٢٠٩ .
(10) Cf. Cerny, in J. E. A., 40, 1954, pp. 23 ff.
(11) C. I. G. 4694 ; Strack, no. 43.

المصرية . وجدير بالملاحظة أن عبادة الالهين سوتيرس (المنقذين أى بطلميوس الأول وبرنيقى) لم تكن قد قرنت بعد مع عبادة الاسكندر والبطالمة المؤلهين ، اذ أن الالهين سوتيرس لم يظهرا فى الديباجة التى تؤرخ بها الوثائق فى عهد بطلميوس الثالث أيضاً ، هذا وان كان ذكر هذين الالهين قد ورد فى القسم الملكى منذ عهد بطلميوس الثانى على نحو ما رأينا ، وكذلك فى تعداد البطالمة الذين كانوا يعبدون فى المعابد المصرية [١] .

بطلميوس الرابع يكمل تطور العبادة الاغريقية الرسمية العامة الى عبادة أسرة البطالمة :

وقد جاء فى صدر القرار الذى اتخذه الكهنة المصريون فى ١٥ من نوفمبر عام ٢١٧ وحفظه لنا نصب پيثوم [٢] : « فى أول أبيب من العام السادس ... عندما كان بطلميوس بن ايروپوس (Aeropos) كاهن الاسكندر والالهين أدلفوى والالهين يورجيتاى وكانت ... ابنة ... فايثوروس أرسينوى فيلادلفوس ... » . وبعد أن يصف القرار الحملة التى توجت بالنصر فى معركة رفح والخدمات التى أسداها الملك الى البلاد والآلهة والمعابد ، يذكر ما استقر عليه رأى الكهنة وهو « زيادة ما كان يقدم فى المعابد من مظاهر التكريم للملك بطلميوس ، المعمر أبدا محبوب ايزيس ، ولأخته الملكة أرسينوى ، الالهين المحبين لأبيهما ، وكذلك تلك التى كانت تقدم لأسلافهما الالهين الخيرين والالهين الأخوين والالهين المنقذين ... » .

وهكذا يتضح لنا أنه فى العام السادس من حكم بطلميوس الرابع كان هذا الملك قد تزوج أخته أرسينوى بعد موقعة رفح بقليل ، وأن هذين الزوجين رفعا الى مصاف الآلهة باسم الالهين المحبين لأبيهما (فيلوپاتورس) ، الا أنهما مع ذلك لم يقرنا مع الاسكندر والبطالمة المؤلهين فى العبادة الاغريقية الرسمية العامة ، لكننا لا نلبث أن نتبين من ثلاث وثائق من العام السابع من حكمه (عام ٢١٦/٢١٥) : اثنتين منها اغريقيتين [٣] والثالثة

---

(١) راجع السطر السابع عشر فى قرار قانوب المنشور فى بوشيه لكلرك حـ ١ ص ٢٦٨ وفى بفان ص ٢٠٩ .

(2) Bevan, pp 388 ff

(3) P. Hamb., I, no 26, pp. 112-3; S. B. 6303 (Samuel. Gradenwitz).

ديموتيقية (١) : « قرن الالهين فيلوپاتورس فى العبادة مع الاسكندر والالهين أدلفوى والالهين يورجيتاى » .

ولدينا عدة وثائق من العام الثامن من حكم بطلميوس الرابع (عام ٢١٥ / ٢١٤) ؛ ونلاحظ فى احدى هذه الوثائق (٢) أن بطلميوس الرابع وأرسينوى لم يشركا مع الاسكندر وأسلافهما فى العبادة الرسمية العامة فحسب ، بل كذلك مع بطلميوس الأول فى العبادة المحلية التى أنشئت من أجله فى منطقة طيبة (مدينة بطوليس) . فقد جاء فى صدر هذه الوثيقة « فى السنة الثامنة من حكم بطلميوس بن بطلميوس وبرنيقى الالهين يورجتيس ، عندما كان بطلميوس بن بطلميوس بن دسوسيقراتيس (Desósicrates) كاهناً للاسكندر والالهين أدلفوى والالهين يورجيتاى والالهين فيلوپاتورس وعندما كانت أرسينوى ابنه سوسيبيوس كاهنة لأرسينوى فيلادلفوس ، وعندما كان نيقاندروس (Nicandros) بن بقياس (Becias) كاهناً فى منطقة طيبة لبطلميوس والالهين فيلوپاتورس ... » .

ونلاحظ فى الوثائق الأخرى (٣) التى من عام ٢١٥/٢١٤ أن الالهين سوتيرس ، اللذين بقيت عبادتهما منفصلة حتى ذلك الوقت عن العبادة الاغريقية الرسمية العامة ، لأنهما لم يقرنا فيما مضى مع الآلهة الأخرى فى الديباجة التى تؤرخ بها الوثائق ، قد أشركا اذ ذاك فى العبادة الرسمية الاغريقية العامة مع الاسكندر والبطالمة المؤلهين ، وأن الكاهن الذى تؤرخ باسمه الوثائق أصبح يعرف بكاهن « الاسكندر والالهين سوتيرس والالهين أدلفوى والالهين يورجيتاى والالهين فيلوپاتورس » .

ونستخلص مما مر بنا أنه فى ٢١٧/٢١٦ رفع بطلميوس الرابع نفسه وزوجه الى مصاف الآلهة باسم الالهين فيلوپاتورس ، وانه فى ٢١٦/٢١٥ قرن عبادة الالهين فيلوپاتورس بالعبادة الرسمية العامة فى الدولة ، وأنه فى عام ٢١٥/٢١٤ قرن عبادة هذين الالهين بالعبادة المحلية فى منطقة طيبة ، وأكمل تطور العبادة الاغريقية الرسمية العامة الى عبادة أسرة البطالمة بوضع الالهين سوتيرس ، مؤسس الأسرة وزوجته ، على رأس

---

(1) Revillout. Chrest. Demot. 8263, pp. 369 ff.
(2) B. M. Dem. P. 10377 ; Revillout, Rev. Eg., I, p. 20.
(3) Revillout, op. cit., p. 135, fn. 1 ; B. G. U. 1264 ; 1275, 1276 ; S. B. 6283.

سلسلة البطالمة المؤلهين الذين تقرن عبادتهم بعبادة الاسكندر . ومن ثم فان العبادة الاغريقية الرسمية العامة أصبحت تشمل كل أفراد أسرة البطالمة . وهكذا نرى أن العبادة التى أنشئت أصلا لتألية الاسكندر منشىء دولة البطالمة قد تطورت فشملت أولا الحاكم وزوجه ثم اتسعت حتى أصبحت عبادة أسرية . وسنرى بعد قليل تطورا مماثلا فى العبادة المحلية بمدينة بطوليس ، تلك العبادة التى أنشئت أيضا فى الأصل لتألية منشىء تلك المدينة وهو بطلميوس الأول ، ثم أخذت تتطور منذ عهد بطلميوس الرابع بقرن الملك الحاكم وزوجه فى العبادة حتى غدت هى أيضا على مر الزمن عبادة أسرية (١) .

وقد خطا بطلميوس الرابع خطوة أخرى فى العام الثانى عشر من حكمه (٢١١ — ٢١٠) عندما أنشأ وظيفة لكاهنة خاصة لأمه برنيقى ، تعين كل عام على نمط كاهنة أرسينوى فيلادلفوس وتعرف باسم أثلوفوروس (Athlophoros) ، ومعنى ذلك أن بطلميوس الرابع أوجد عبادة خاصة لأمه مثل ما كان لأرسينوى . ومنذ ذلك الوقت ، أصبحت كاهنة برنيقى تذكر فى تاريخ الوثائق مع كاهن الاسكندر والبطالمة وكاهنة أرسينوى فيلادلفوس (٢) بل أعطيت لكاهنة برنيقى منزلة أسمى من منزلة كاهنة أرسينوى ، اذ أنها كانت تذكر قبلها فى الوثائق (٣) . ومنذ ذلك الوقت كانت السيدة التى تختار كاهنة لأرسينوى فى أحد الأعوام تختار عادة فى العام التالى كاهنة لبرنيقى (٤) . واذا عرفنا أن بطلميوس الرابع دس السم لأمه ، فان انشاء عبادة خاصة لها يجب ألا ينهض دليلا على وفائه ومحبته لأمه ، بل لعل وخز الضمير ومقتضيات الأحوال هى التى دفعته الى ذلك ، عندما أخذ الناس يتهامسون عن كيفية وفاة تلك الملكة المحبوبة .

ويتضح مما مر بنا أنه اذا كان بطلميوس الأول قد خطا الخطوة

---

(1) Tondriau, pp. 126—7.

(2) P. Lond. Dem. 10336 ; 10463 ; P. Cairo Dem 30622 ; P. Dem. Bol. 3172 ; P. Dem. Berol. 3075.

(٣) يستثنى من ذلك وثيقتان ديموتيقيتان (P. Berol. 3075 ; P. Lond Dem. 10463) حيث عكس هذا الترتيب .

(4) Glanville & Skeat, Eponymous Priesthoods of Alex., J. E. A., 40, 1954, pp. 45 ff.

الأولى نحو تأليه البطالمة بأن وضع فى مصر سنة تأليه حكامها السابقين بعد مماتهم ، فان بطلميوس الثانى قد اقتفى أثر أبيه بعد مماته ثم خطا الخطوة الثانية التى كان من شأنها تأليه الملك الحاكم وزوجه فى حياتهما وقرن عبادتهما بعبادة الاسكندر • وعندما جاء بطلميوس الثالث قضى بأن يحتفظ سلفاه بألوهيتهما بعد مماتهما ، وبأن يستمر قرنهما فى العبادة مع الإسكندر ، ثم أله نفسه وزوجه فى حياتهما ، وقرن لأول مرة عبادة الملك الحاكم وزوجه بعبادة سلفيهما وعبادة الاسكندر • وقد اقتفى بطلميوس الرابع خطوات أبيه وجده ، ثم خطا الخطوة الأخيرة التى أكملت تطور هذه العبادة الى عبادة أسرة البطالمة ، وذلك بوضعه الالهين سوتيرس على رأس سلسلة البطالمة المؤلهين الذين تقرن عبادتهم بعبادة الاسكندر •

وهكذا يتبين لنا أمران : وأحدهما هو أن ملك مصر المقدونى بعد أن كان فى الأصل يرفع الى مرتبة الألوهية عقب مماته ، أصبح منذ عهد بطلميوس الثانى يرفع هو وزوجه الى هذه المرتبة فى حياتهما ويحتفظان بألوهيتهما بعد مماتهما وتقرن عبادتهما فى الحياة وفى الممات بعبادة الاسكندر •والأمر الآخر هو أن هذه العبادة التى أنشئت فى الأصل لتكريم الاسكندر بعد مماته قد اتسعت لتشمل معه الملك الحاكم وزوجه فى حياتهما وكذلك عقب وفاتهما ، ثم تطورت الى عبادة تشمل كل ملوك وملكات البطالمة بالاشتراك مع الاسكندر •

بطلميوس الخامس الاله ابيفانيس يوخاريستوس :

وقد عرفنا فى معرض السياسة الخارجية كيف أنه بعد وفاة بطلميوس الرابع ومقتل زوجه أرسينوى تولى الوصاية على ابنهما الصغير (بطلميوس الخامس) أجاثوقليس ثم تليبولوس ثم أريستومينيس • وفى عهد الوصى الأخير ، أنشئت عبادة خاصة لأرسينوى فيلوباتور ، والدة الملك الصغير وعينت لها كاهنة خاصة (باسم كاهنة أرسينوى فيلوباتور) أصبحت تذكر منذ ذلك الوقت فى تاريخ الوثائق مع كاهن الاسكندر والبطالمة وكاهنتى أرسينوى فيلادلفوس وبرنيقى يورجتيس • وقد ظهرت الكاهنة

الجديدة لأول مرة فى الوثائق فى عام ١٩٩ / ١٩٨ (١) ولاشك فى أن ذلك كان من عمل الوصى نفسه لا الملك الصبى . ولعل أريستومينس قد أراد بذلك أن يعوض هذه الملكة عما أصابها : ان جاز قول ذلك، ويكتسب فى الوقت نفسه رضاء الشعب الذى عز عليه مقتل تلك الملكة المحبوبة . ويلاحظ أن أيرينى ابنة بطلميوس التى عينت فى ذلك العام كاهنة لأرسينوى فيلوپاتور استمرت فى هذا المنصب حتى عام ١٧١/١٧٠ (٢) . وقد رأى أريستومينيس أن مصلحة البلاد تقضى بانهاء الوصاية على الملك ، لأن الطموح الى تلك الوصاية كان مصدراً لمشاكل دائمة ، ولذلك أعلن فى نوفمبر عام ١٩٧ بلوغ الملك سن الرشد ، وكان لا يزال عندئذ فى الثالثة أو الرابعة عشرة من عمره . ولم يلبث بطلميوس الخامس أن رفع الى مصاف الآلهة وأشرك فى العبادة الرسمية مع الاسكندر والبطالمة المؤلهين ؛ وأصبح لقبه الاله ابيفانيس أى الظاهر (Theos Epiphanes) لكنه كان يضاف الى هذا اللقب أحيانا لقب يوخاريستوس (٣) Eucharistos الكريم) . وقد أعقب تأليه بطلميوس الخامس تأليها اغريقيا على هذا النحو حفل تتويجه فرعونا فى منف ، ذلك الحفل الذى أصبح بمقتضاه الها مصريا . ذلك أنه اذا كان أريستومينيس قد أراد بتأليه مليكه تأليها اغريقيا لضمان ولاء الاغريق ، والمحافظة على تقاليد أسرة البطالمة، واحترام عبادتهم الاغريقية الرسمية العامة ، فانه ازاء الظروف العصيبة التى كانت البلاد تجتازها فى تلك الآونة كان يحرص فى الوقت نفسه على اكتساب عطف المصريين بتتويج الملك على نهج الفراعنة القدماء .

وعلى كل حال فاننا نجد فى صدر قرار حجر رشيد ، الذى صدر فى مارس عام ١٩٦ أى فى العام التالى لتتويجه ورسامته فرعونا هذه العبارة: « ... فى العام التاسع ، عندما كان أيتوس (Aetos) بن أيتوس كاهنا للاسكندر والالهين سوتيرس والالهين أدلفوى والالهين يورجيتاي والالهين

(1) Dublin Trin. Coll. Pap., P. Hinks, 2 A, B ; P. Dem. Louvre, 2435 ; P. Dem. Hamb., 10 ; Glanivalle & Skeat, p. 47 (9).

(2) Cf. Glanville and Skeat, pp. 47 (9) — 51 (29).

(3) Dem, P. Louvre 2435, in Revillout, Chrest, Dem., pp. 339 ff ; Wilcken, Chrest. 2 ; S. B. 2637 ; 2993.

فيلوپاتورس والاله ايپفانيس يوخارينستوس ، وعندما كانت پورّا (Pyrrha) ابنة فيليتوس (Philinos) كاهنة لبرنيقى يورجتيس وأريا (Areia) ابنة ديوجنيس (Diogenes) كاهنة لأرسينوى فيلادلفوس ، وايرين ابنة بطلميوس كاهنة لأرسينوى فيلوپاتور ...» (١) .

وفى شتاء عام ١٩٤/١٩٣ (٢) تزوج بطلميوس الخامس من كليوپترة الأولى ابنة أنطيوخوس الثالث . ويبدو أنه عقب هذا الزواج ، أشركت كليوپترة مع زوجها فى العبادة الرسمية وأصبحا يعرفان باسم الالهين ايپفانيس ، فقد ورد ذكر هذين الالهين فى عدد من الوثائق التى ترجع أقدمها الى عام ١٩٣/١٩٢ (٣) .

بطلميوس السادس وكليوپترة الأولى :

وعندما توفى بطلميوس الخامس فى عام ١٨٠ (٤) ، خلفه على العرش ابنه الأكبر وكان طفلا فى حوالى السابعة من عمره فتولت كليوپترة الوصاية عليه ، ويبدو أنها لم تتوان فى رفعه الى مصاف الآلهة واشراكه فى العبادة الرسمية العامة باسم الاله فيلوميتور (المحب لأمه)، ولدينا وثيقتان ، ترجع احداهما (٥) الى العام الثانى (عام ١٨٠/١٧٩) والثانية (٦) الى العام الثالث (عام ١٧٩/١٧٨ ق.م) من حكم الملك الصبى . وقد ورد فى الوثيقة الأولى « فى عهد بطلميوس بن بطلميوس وكليوپترة الالهين ايپفانيس ، فى خلال العام الثانى ، عندما كان ... كاهنا للاسكندر والالهين سوتيرس والالهين فيلوپاتورس والالهين ايپفانيس والالهين فيلوميتورس ... » . وأما الوثيقة الثانية فقد ورد فيها « فى عهد كليوپترة الأم الالهة ايپفانيس ، وبطلميوس بن بطلميوس الاله ايپفانيس ، فى خلال العام الثالث ، عندم

---

(١) راجع السطور ٤ — ٦ فى قرار حجر رشيد المنشور فى كتاب بوشيه لكلرك جـ ١ ص ٣٧١ وعند بفان ص ٢٦٣ .

(2) Liv., XXXV, 13, 4 ; C.A.H., VIII, pp. 185 ff.

(3) P. Tebt. 819(193/2).

(٤) لما كانت آخر وثيقة نعرف حتى الآن انها مؤرخة بسنى حكم ايپفانيس ترجع الى ٢٠ من مايو سنة ١٨٠ فلا يمكن أن تكون وفاة هذا الملك سابقة على هذا التاريخ (راجع :
(Skeat, Mizraim, 6, 33 (9) ; Bodlean Ostr. 96).

(5) Pap. Amh., II, no. 42, pp. 50—59. (6) Pap. Tebt., III, 822, p. 827

كان يوجد فى الاسكندرية كاهن للاسكندر والالهين أدلفوى والالهين يورجيتاى والالهين فيلوپاتورس والالهين ابيفانيس والملك بطلميوس الاله فيلومیتور ، وعندما كانت توجد فى الاسكندرية كاهنة لبرنيقى يورجتيس وكاهنة لأرسينوى فيلادلفوس وكاهنة لأرسينوى فيلوپاتور » .

وجدير بالملاحظة هنا أولا : أن الوثيقة الأولى لاتعترف الا بوجود ملك واحد هو بطلميوس بن بطلميوس وكليوپترة الالهين ابيفانيس ، فى حين أن الوثيقة الثانية تعترف بوجود ملكين هما كليوپترة الأم الالهة ابيفانيس وبطلميوس بن بطلميوس الاله ابيفانيس . ولعل سبب الاعتراف بملك واحد فى الوثيقة الأولى يرجع الى التقاليد التى سادت فى دولة البطالمة حتى ذلك الوقت ، وكانت تقضى بأن يؤول الملك الى أكبر الأبناء عقب وفاة الأب دون اشتراك الأم . ولذلك فان الوثيقة الأولى لم تعترف الا بملك واحد ، كما حدث فى عهد بطلميوس الثانى وبطلميوس الرابع اللذين ارتقيا العرش فى حياة أمهما . لكن مركز كليوپترة الأولى ، أم بطلميوس السادس كان مختلفا عن مركز برنيقى الأولى أم بطلميوس الثانى وبرنيقى الثانية أم بطلميوس الرابع لأنها كانت تتولى الوصاية على ابنها القاصر أو بعبارة أخرى تتولى الملك فعلا . ولذلك فانها بادرت الى تصحيح تأريخ الوثائق فجعلتها تنطبق على الواقع من حيث اشتراكها فعلا فى ولاية الملك . ونستدل على ذلك من الوثيقة الثانية ومن النقود التى سكت فى بافوس (Paphos) فى عهد وصايتها ، اذ أن هذه النقود تحمل على أحد الوجهين عبارة « الملكة كليوپترة » وعلى الوجه الآخر عبارة « الملك بطلميوس » (١) .

ثانيا : أن الوثيقة الأولى تذكر الهين فيلوميتورس ، فى حين أن الثانية تذكر الها واحداً فيلوميتور . ولا شك فى أن الوثيقة الثانية أدنى الى الحقيقة ، لأنه لم يوجد اذ ذاك سوى الها واحدا فيلوميتور هو بطلميوس السادس . ولعل خطأ الوثيقة الأولى يرجع الى شىء من عدم الدقة فى التحرير منشؤه أن البطالمة المؤلهين كانوا عادة أزواجا ، لكن هذا الخطأ

---

(1) Svoronos, Coins Emp. Ptol., p. 225.

لم يلبث أن صحح باعطاء كليوبترة الأم لقبها الالهى الصحيح (الالهة ايبفانيس) .

ثالثا : أن الالهين سوتيرس لم يذكرا فى الوثيقة الثانية ، لكننا نجد نظيراً لذلك فى وثائق أخرى من هذه الفترة (١) ، غير أن هذه الوثيقة تنفرد بعدم ذكر أسماء الذين تولوا المناصب الكهنوتية .

بطلميوس السادس وكليو بترة الثانية :

ولم تعمر كليوبترة طويلا ، اذ أنها توفيت فى شرخ الشباب فى عام ١٧٦ ، فيما يظن حتى الآن (٢) . ويستخلص من وثيقتين (٣) ترجعان الى عام ١٧٥/١٧٤ أن بطلميوس السادس قد تزوج من أخته كليوبترة الثانية . وأن هذين الملكين أشركا سويا فى العبادة باسم الالهين فيلوميتورس : فقد ورد فى ديباجتيهما « فى عهد الملك بطلميوس بن بطلميوس وكليوبترة الالهين ايبفانيس فى خلال العام السابع عندما كان فيلوستراتواس (Philostratos) بن ... كاهناً للاسكندر والالهين سوتيرس والالهين أدلفوى والالهين يورجيتاى والالهين فيلوباتورس والالهين ايبفانيس والالهين فيلوميتورس وعندما كانت أسباسياس (Aspasias) أبنة خروسرموس (Chrysermos) كاهنة لبرنيقى يورجتيس .. (٤) الخ » . ولما كنا نعرف أنه عقب وفاة كليوبترة الأولى آلت الوصاية الى يولايوس ولنا يوس ، فانه يبدو لنا أن الوصيين رأيا أنهما يوطدان مركز بطلميوس السادس على العرش اذا زوجاه من أخته ورفعاها معه الى مصاف الآلهة ليستوى على عرش مصر زوجان مؤلهان وفقا للعرف السائد فى دولة البطالمة منذ عهد بطلميوس الثانى .

(1) Pap. Freiburg, 12 ; 22 ; 24 ; 29.
(2) J. E. A., XXI, p. 263, fn. 2.
(3) Pap. Teht, 818 , 979.

(٤) وتؤيد هذه النتيجة التى وصلنا اليها وثيقة اخرى (Pap. Amh. II. n. 43) ترجع الى عام ١٧٣/١٧٤ ق.م. فقد ورد فيها « فى عهد الملك بطلميوس بن بطلميوس وكليوبترة الالهين ايبفانيس ، خلال العام الثامن ، عندما كان هيرا قليديس (Heraclides) بن پنافوس (Penaphos) كاهنا للاسكندر والالهين سوتيرس و . . و . . . الخ » .

بطلميوس السادس وكليوپترة الثانية وبطلميوس الصغير :

وعندما غزا أنطيوخوس الرابع مصر فى عام ١٧٠ ، ووقع بطلميوس السادس فى قبضته ، نادى الاسكندريون بأخ بطلميوس الأصغر ملكا ، ولكنه بعد انسحاب أنطيوخوس من مصر قبل ١٨ من سبتمبر عام ١٧٠ أفلحت كليوپترة الثانية فى التوفيق بين أخويها ، واستقر الرأى على أن يحكم الثلاثة سويا (١) . غير أن الوفاق لم يدم طويلا بين الملكين الأخوين، وفى عـام ١٦٣ تم الاتفـاق على أن يتولى الأكبـر حكم مصر وقبرص ويتولى الأصغر حكم قورينائية (٢) .

ولدينا ست وثائق هامة يجب أن نأتى على ذكرها وبحثها . والوثيقة الأولى (٣) عبارة عن بردية ترجع الى عام ١٦٦/١٦٥ ق.م. وقد جـاء فى هذه الوثيقة « فى عهد بطلميوس وبطلميوس الأخ وكليوپترة الأخت ، أبناء بطلميوس وكليوبترة الالهين ايبفانيس ، فى خلال العام الخامس ، عندما كان مليقومانوس (Mellikomanos) بـن ... كاهنا للاسكندر والالهين سوتيرس والالهين أدلفوى والالهين يورجيتاى والالهين فيلوپاتورس والالهين ايبفانيس والآلهة فيلوميتورس ، وعندما كانت .. ابنة نومنيوس (Noumenios) كاهنة لبرنيقى يورجتيس و ... ابنة يوماوس كاهنة لأرسينوى فيلادلفوس وقليـاقيس ابنة نومنيوس كاهنـة لأرسينوى فيلوپاتور ... أقسم بالملك بطلميوس وبالملك بطلميوس الأخ وبالملكة كليوبترة الأخت ، الآلهة فيلوميتورس ، أبناء الالهين ايبفانيس ، وبالالهين فيلوپاتورس، وبالالهـين يورجيتاى ، وبالالهين ادلفـوى ، وبالالهين سوتيرس ، وبكل الآلهة ، وبكل الالهات الأخرى ... » .

وأما الوثيقة الثانية (٤) فهى خطاب من موظف الى آخر ، نرجح أنه يرجع الى عام ١٦٥/١٦٤ . وقد جاء فى هذا الخطاب « يتمتع الملـك بطلميوس بصحة جيدة ، وكذلك الملك بطلميوس الأخ ، والملكة كليوپترة الأخت ... فى خلال العام السادس ... » .

---

(١) راجع جـ ١ ، الفصل الثالث ، ص ٢٠٦ — ٢٠٩ .
(٢) راجع جـ ١ ، الفصل الثالث ، ص ٢١٤ — ٢١٧ .
(3) P. Tebt., III, no. 811, pp. 167—8.
(4) Brunt de Presle, Notices et Extraits des Manuscrits Grecs de la Bibliothèque Imperiale, 63 ; Strack, p 34 ; Bevan, pp. 286-7.

وأما الوثيقة الثالثة فهى نقش غير مؤرخ لكنه من الفترة التى إشترك فيها فى الحكم الأخوة الثلاثة ، فقد جاء فى صدر هذا النقش : « باسم الملك بطلميوس والملك بطلميوس الأخ والملكة كليوپترة الأخت الآلهة فيلوميتورس » (١) .

وأما الوثيقة الرابعة (٢) فهى نقش وجد على قاعدة تمثال أقيم فى مدينة پطولميس بقورينايئة ، ونص هذا النقش كالآتى : « أقامت المدينة هذا التمثال للملك بطلميوس فيلوميتور ، أخ الملك بطلميوس والملكة كليوپترة » . ويرى بعض المؤرخين أن المقصود هنا بالملك بطلميوس فيلوميتور هو بطلميوس الأصغر ، وأن التمثال أقيم عندما كان الأخوان يحكمان مصر سوياً ، فى حين أن البعض الآخر يرى أن التمثال أقيم للأخ الأكبر ، بعد وفاته واشتراك الأخ الأصغر مع كليوپترة الثانية فى حكم مصر (٣) . بيد أنه ازاء اقامة التمثال فى قورينايئة ، وازاء ما نعرفه عن اتفاقية عام ١٦٣ ، التى جعلت بطلميوس الأصغر ملكا على قورينايئة ، نرجح أن يكون التمثال قد أقيم للملك الأصغر ، عندما كان يتولى حكم قورينايئة .

وأما الوثيقة الخامسة فهى نقش غير مؤرخ لكنه يبدو أنه من تاريخ لاحق لاتفاقية التقسيم فى عام ١٦٣ لأن بطلميوس الأخ ذكر فيه بمفرده دون لقب الهى ، غير أنه لابد من أن تاريخ النقش سابق على احتدام الخلاف من جديد بين الأخوين فى عام ١٦٢ بدليل ذكره فى هذا النقش التكريمى الذى جاء فيه : « باسم الملك بطلميوس بن بطلميوس وكليوپترة الالهين فيلوميتورس وباسم بطلميوس الأخ ..... » (٤) .

---

(1) S. B. 1436.
(2) O.G.I.S. no. 124 ; Bevan, p. 287, fn. 4.
(3) Bevan, p. 287, fn. 4.
(4) S. B. 4629 ; Annales, 10, 1910, no. 14, p. 171.

وأما الوثيقة السادسة فهى بردية من الجلى أنها من تاريخ لاحق لاتفاقية عام ١٦٣ ، فقد جاء فى صدرها : « فى عهد بطلميوس وكليوبترة الأخت ابنى بطلميوس وكليوبترة الالهين ايبفانيس ، فى العام ... عندما كان فى الاسكندرية كاهن للاسكندر ... والالهين ايبفانس والاله يوپاتور والالهين فيلوميتورس ... » (١) .

نستخلص اذن من هذه الوثائق : اولا ، اشتراك الأخوة الثلاثة سويا فى حكم مصر وفى العبادة باسم الآلهة فيلوميتورس ، بل ان الأخ الأصغر كان يلقب وحده فى حياته مثل الأخ الأكبر بالاله فيلوميتور . ثانياً ، اتفاق الاخوة الثلاثة ، فى خلال اشتراك بطلميوس الاصغر مع أخيه الأكبر وأخته كليوبترة فى حكم مصر ، على اعتبار عام ارتقاء الأخ الاصغر الملك بداية لعهد حكمهم المشترك ، والا تعذر التوصل الى تفسير مقبول لعبارة « العام الخامس » التى وردت فى الوثيقة الأولى ، ولعبارة «العام السادس» التى وردت فى الوثيقة الثانية . ذلك أنه لو لم يكن الأمر كذلك لكان العامان المذكوران يشيران الى العامين الخامس والسادس من حكم الأخ الأكبر أى الى عامى ١٧٦ و ١٧٥ ق.م. وهذا غير مقبول لأن هذين العامين يسبقان بمدة طويلة فترة اشتراك بطلميوس الأصغر مع أخويه . ثالثا : لم يكن الجديد فى الصيغة الرسمية لتاريخ الوثائق ، منذ اشتراك الأخوة الثلاثة فى الحكم ، ذكر بطلميوس الأصغر مع أخيه الاكبر فحسب ، بل ذكر زوجة بطلميوس الأكبر أيضا . وقد كان ذكر بطلميوس الاصغر وليد مقتضيات الظروف وزال بزوالها ، وأما ذكر زوجة بطلميوس الأكبر فهو وان كان أيضا وليد مقتضيات الظروف الا أنه لم يزل بزوالها بل ظل باقيا ، ذلك أنه منذ ذلك الوقت أصبحت القاعدة ، كما رأينا فى الوثيقة السادسة وكما سنرى فيما بعد ، ذكر الزوجة مع الملك الحاكم فى الصيغة الرسمية لتاريخ الوثائق ، فبدلا من أن هذه الصيغة كانت فى الماضى « فى عهد الملك بطلميوس بن ... » أصبحت منذ الآن « فى عهد الملك .. والملكة ... » . ولعل السبب فى أن كليوبترة الثانية كانت أول من

(1) S.B. 4637.

ذكرت على هذا النحو هو ما كان لها من الفضل فى التوفيق بين الأخوين واقناعهما بالاشتراك سويا فى الملك . رابعا ، بعد اتفاقية التقسيم التى عقدت فى عام ١٦٣ وانفراد بطلميوس السادس وكليوپترة الثانية بحكم مصر وقبرص أصبحا يوصفان فى الوثائق باسم الالهين فيلومتورس (١) .

بطلميوس الاله يوپاتور :

وفى عام ١٥٣/١٥٢ أشرك بطلميوس السادس معه فى الملك أكبر أبنائه بطلميوس يوپاتور (Eupator) ، لكنه توفى بعد ذلك بثلاث سنوات تقريبا وتدل النقوش على أن هذا الصبى رفع فى حياته الى مصاف الآلهة (٢) ، ولعل أن يكون ذلك قد حدث عند اشراكه مع أبيه فى الملك . ويتضح من الوثيقة السادسة ، التى سبق ذكرها وترجع الى أواخر عهد أبيه ، أنه بعد وفاته قرن فى العبادة مع الاسكندر والبطالمة المؤلهين ، فقد ورد ذكره فى عدادهم بعد جديه الالهين ايفانيس وقبل أبويه الالهين فيلومتورس .

بطلميوس الثامن وكليوپترة الثانية وكليوپترة الثالثة :

وعندما توفى بطلميوس السادس فى صيف عام ١٤٥ (٣) ، خلفه على العرش أرملته كليوپترة الثانية وابنه الصغير بطلميوس السابع ، وكان فيلومتور قد أشركه معه فى الملك فى أواخر حياته . بيد أنه لما كان بطلميوس ملك قورينائية يتطلع الى أول فرصة مناسبة للحصول على عرش مصر ، فانه لم يضع هذه الفرصة التى سنحت له . ففى العام نفسه ، اغتصب عرش مصر واتخذ لنفسه لقب الاله يورجتيس ، وهو

---

(١) راجع كذلك نقشين من عام ١٤٩/١٥٠ (S. B. 6157 ; 6158)

(2) Cf. Reichardt, Num. Chron., New Series, IV, 189 ; Poole, Cat. Br. Mus., Coins Ptol., p. LXVII.

راجع كذلك النقش الذى وجد فى قوريوم (Curium) بقبرص وجاء فيه « الملك بطلميوس الاله يوپاتور ابن الملك بطلميوس والملكة كليوپترة الالهين المحبين لأمهما » :

Strack 101 ; Reinach, Pap. Grecs et demot., p. 74 ; O. G. I. S. 125.

راجع أيضا النقشين اللذين وجدا فى پافوس : O. G. I. S. 126 ; 127

(٣) راجع الفصل الثالث جـ ١ : ص ٢٢٦ وما بعدها .

اللقب الذى كان يحمله بطلميوس الثالث • ويميز المؤرخون بطلميوس الثامن من بطلميوس الثالث بتسميته الاله يورجتيس الثانى • وقد رأينا أن بطلميوس الثامن تزوج أخته ، وكانت أرملة أخيه وتعرف حتى ذلك الوقت بالاشتراك مع بطلميوس السادس باسم « الالهين فيلوميتورس » وأما بعد زواجها من بطلميوس الثامن ، فانها أصبحت تعرف معه باسم « الالهين يورجتيس » ، وأصبح يشار فى الوثائق الى بطلميوس السادس وحده بعبارة « الاله فيلوميتور » [1] • ولكى يخلو الجو لبطلميوس الثامن ، تخلص من ابن أخيه [2] وهو الذى نرجح أنه كان يدعى « الاله نيوس فيلوباتور (Neos Philopator) والذى سنجد اسمه فى أواخر عهد بطلميوس الثامن (منذ مايو ١١٨) [3] وكذلك فى عصر بطلميوس التاسع بين سلسلة البطالمة المؤلهين • وقد عرفنا أن بطلميوس الثامن تزوج فى عام ١٤٢ كليوبترة الثالثة ، ابنة كليوبترة الثانية وبطلميوس السادس • وكانت زوج بطلميوس الثامن الجديدة تذكر فى الوثائق باسم « الملكة كليوبترة الزوجة » فى حين أن كليوبترة الثانية أصبحت تعـرف باسـم « الملكة كليوبترة الأخت » • ولقد أشرك بطلميوس الثامن وكليوبترة الثانيـة والثالثة فى العبادة الرسمية وعرفوا جميعا باسم « الآلهة يورجتيس » ، وأصبح يقال فى ديباجة الوثائق « فى عهد الملك بطلميوس والملكة كليوبترة الأخت والملكة كليوبترة الزوجة عندما كان •• كاهن الاسكندر والالهين سوتيرس و••• والآلهة يورجتيس ••• » [4] • ويسترعى النظر أنه فى عام ١٣٥/١٣٤ كان كاهن الاسكندر والبطالمة المؤلهين أحد أبناء الملك، ويرجح أنه كان ابنه الذى عرف فيما بعد باسم بطلميوس التاسع فيلوميتور سوتير ، وكان عندئذ صبيا يبلغ حوالى السابعة أو الثامنة من عمره [5] •

وعندما فر بطلميوس الثامن وكليوبترة الثالثة الى قبرص فى عام ١٣١ ، انفردت كليوبترة الثانية بالملك واعتبرت ذلك العام بداية لحكمها على

(1) P. Ryland 252 (141/O B.C.) ; P. Grenfell, I, 25 ; II, 20.

(2) Justin., XXXVIII, 8, 4 ; Cf. Oros., V, 10.

(3) Otto u. Bengtson, Zur Gesch. Niederg. Ptol., p. 110.

(4) P. Tebt., 6 (140-39 B. C.) ; P. Amh. 44 (138/7 B. C.) ; P. Tebt. 810 (135/4 B. C.) ; S. B. 6252, (137 B. C.) ; 8396 ; CIG. 4896 etc.

(5) P. Tebt. 810 ; Otto u. Bengtson, p. 46, n. 2.

انفراد واتخذت عندئذ لقبها القديم « الالهة فيلوميتور » لا بوصفها أرملة بطلميوس السادس وانما بوصفها « الالهة سوتيرا » (Soteira = المنقذة) تشبهاً بالالهة ايزيس ، اذ أن وثيقة من العام الثانى من حكمها تتضمن قسما بالملكة كليوپترة « الالهة فيلوميتور سوتيرا » (١) .

ورداً على ذلك فان بطلميوس الثامن ما كاد يعود من قبرص حتى أنشأ عبادة جديدة لكليوپترة الثالثة بوصفها الالهة العظمى ايزيس أم الآلهة وأقام لها كاهنا خاصا يعرف باسم « المهر المقدس » ، ويذكر فى تاريخ الوثائق عقب كاهن الاسكندر والبطالمة المؤلهين مباشرة (٢) .

وبعد نشر وثائق ورد فيها اسم هذا الكاهن ، وكان فى عام ١٢٠/١١٩ (٣) وفى ١١٩/١١٨ (٤) يوفرانور ، وفى عام ١١٦/١١٥ (٥) وفى عام ١١٢/١١١ (٦) قراتيروس ، وفى عام ١٠٧/١٠٦ (٧) ديمتريوس ، لم يعد هناك مجال للتساؤل هل كان المهر المقدس كاهنا أم كاهنة ، اذ ان الأدلة تدحض رأي بوشيه لكلرك (٨) وتؤيد رأى ڤيلكن (٩) القائل بأنه كاهن وليس كاهنة . وهذه الأدلة تدحض أيضاً رأى ڤيلكن القائل بأن وظيفة هذا الكاهن ألغيت أو على الأقل استبعدت من الوثائق الرسمية عقب المصالحة مع كليوبترة (أى بعد عام ١٢٤) ثم أعيدت ثانية عندما تولت كليوپترة الثالثة الملك مع ابنها بطلميوس التاسع ، فقد رأينا أن ذكر هذا الكاهن قد ورد على الأقل فى وثيقتين احداهما من عام ١٢٠/١١٩ والثانية من عام ١١٩/١١٨ أى فى أثناء الفترة التى أستأنف فيها الملوك الثلاثة الحكم سويا مرة أخرى .

وعندما تم الصلح بين بطلميوس الثامن وأخته فى عام ١٢٤ (١٠) ،

(1) Wilcken, Aktensücke, no. 11, p. 20.
(2) P. Leid. 185 ; Spiegelberg, Recueil de Trav., XXVIII, 1906, p. 194.
(3) P. Dem. London 10398.
(4) P. dem. Pavia 1120, ed. Botti, Boll. Storica Pavese, II, ii, 1939.
(5) P. Dem. Cairo 38603.
(6) Greek Inscrip. in Cairo, de Ricci, B S A A., 21, (1909), 330.
(7) P. Bruxelle Inv. E., 7155, Chronque, 13 (1938), pp. 139—51.
(8) Bouché-Leclercq, IV, 332-3.
(9) Archiv, IV, 1907, 243-4, 264.
(10) Justin., XXXIX, 2. 1—2.
ويرى اشتراك (ص ١٨٤) أن ذلك حدث بين يناير ويوليه عام ١٢٤ .
راجع : Preisigke, Archiv, V, 302. 303

ورجعت كليوپترة الثانية الى الاسكندرية ، حيث استردت مركزها بوصفها «كليوپترة الأخت» عادت تذكر ثانية فى ديباجةالوثائق قبل ابنتها «كليوپترة الـزوجة » وعاد الملوك الثلاثة يشركون ثانية فى العبـادة الرسمية معا باسم الآلهة يورجتيس (١) • ويبدو أنه ارضاء لكليوپترة الثانية ، قرر بطلميوس الثامن أن يدرج فى قائمة البطالمة المؤلهين ابنها الذى قتله عندما اغتصب العرش بعد وفاة بطلميوس السادس ، ذلك الابن الذى يرجـح أنه كان يدعى الاله « نيوس فيلوپاتور » • فقد ورد ذكر هذا الاله الجديد فى وثيقة ديموتيقية (٢) ترجع الى العام الثانى والخمسين من حكم بطلميوس الثامن ، أى الى عام ١١٨ ، الذى صدر فيه قرار العفو المشهور الذى سبقت الاشارة اليه ، كما ورد فى وثائق أخرى (٣) ••

ولقد عرفنا أن كليوپترة الثانية تزوجت أولا أخاها بطلميوس السادس، ثم تزوجت بعد وفاته بطلميوس الثامن ، ولذلك كان يمكن اشراكها مع أيهما ، اذ أننا نلاحظ أنه بعد وفاة كليوپترة الثانية كانت أحيانا تشرك مع بطلميوس الســادس فقد ورد فى نقش أسوان (٤) (Syene) فى سياق سرد البطالمة المؤلهين « ••• والالهين فيلومتورس (بطلميوس السادس وكليوپترة الثانية) والاله نيوس فيلوپاتور والاله يورجتيس (بطلميوس الثامن) والالهين فيلومتورس سوتيرس (بطلميوس التاسع وكليوپترة الثالثة) ••• » • وأحيانا كانت كليوپترة الثانية تشرك مع بطلميـوس يورجتيس الثانى (٥) وأحيانا كان يذكر يورجتيس الثانى والى جانبه الالهة فيلومتور (٦) ، وأحيانا كان يذكر الآلهة يورجتيس الثلاثة باعتبارها ثالوثا يضم بطلميوس الثامن وكليوپترة الثانية والثالثة (٧) •

ومما يجدر بالملاحظة أنه باستثناء نقش أسوان ذى النص الاغريقى،

(1) P. Tebt., 43 (118 B.C.) ; 124(118 B.C.).
(2) Revillout, Nouv. Chest., p. 59.
(3) P. Dem. Berlin, 101 b ; Asswan stele, Strack, No. 140 ; P. Grenf. I, 25 (114 B.C.) etc. Bouché-Lecl., II, p. 56. fn. 2, p. 80, fn. 3.
(4 Strack, no. 140 ; O. G. I. S., no. 168 (114 B. C.)
(5) Laqueur, op. cit., p. 40.
(6) Pap. Vatic. (= Pap. New York) Revillout, Rev. Eg., III, p. 25 ; Laqueur, pp. 34, 41.
(7) Pap. Dem. Berlin, 8103 ; Spieglberg, p. 13 (30 Thoth, year IV) 3 ; Laqueur p. 41, I.

وهو الـذى يرجع الى عام ١١٤ ق٠م٠ ونعرف أن كليوپترة الثانيـة أشركت فى سياقه مع بطلميوس السادس بوصفهما الالهين فيلوميتورس ، فان باقى الوثائق التى أشرنا اليها وعرفنا أن كليوپترة الثانية ذكرت فيها بصفة أو أخرى برديات ديموتيقية ، فى حين أننا لا نجد أى ذكر لكليوپترة الثانية فى وثائق اغريقية كثيرة ترجع الى فترة تمتد من عام ١١٤ الى عام ١٠٧ (١) ٠ وقد أوحى ذلك الى بوشيه لكلرك بفرض معقول فحـواه أنه بعد وفاة كليوپترة الثانية درج كتاب الوثائق الاغريق فيما يبدو على حذف اسم كليوپترة الثانية من قائمة البطالمة المؤلهين (٢) ٠ وليس تفسير ذلك أمرا عسيرا فى ضوء خلق كليوپترة الثالثة « الحمراء » وكراهيتها الشديدة لأمها ، واستقرار الأمور لها ٠

كليوپترة الثالثة وبطلميوس التاسع :

وبعد وفاة بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى ، اتخذت كليوبترة الثالثة لنفسها لقب « الالهة فيلوميتور سوتير » وخلعته على ابنها بطلميوس التاسع عندما أشركته معها فى الملك ، فقد ورد ذكرهما باسم « الالهين فيلوميتورس سوتيرس » فى النقش الذى يحفظه نصب أسوان (٣) وفى بردية (٤) تتضمن التماسا ٠

وتزينا الوثائق أنه قد ظهر عندئذ من جديد كاهن الالهة العظمى ايزيس أم الآلهة ، مما يدل على أن هذه الالهة هى كليوپترة الثالثة ٠ ولم تكتف كليوپترة الثالثة بكل هذه الألقاب المقدسة ، اذ أنها خلعت على نفسها أيضـاً لقب « العـادلة » (Dikaiosune) ولقب « المنتصرة » (Nikphoros) وجعلت لعبادتها الخاصـة ثلاث كاهنـات (Hiereia و Stephanophoros و Phosphoros) أدمجت بين كاهنات الملكات المؤلهات ٠ وقد ذكرت هذه الألقاب والكاهنتان الأولى والثانية فى برديتين اغريقيتين (٥) بتاريخ ٤ من ديسمبر ١١٢ و ١٣ من فبراير ١١١ ، وذكر

(1) P. Grenf., I, 25 (114 B.C.) ; 27 (109 B.C.) ; II, 20 (114 B.C.) ; B.G.U. 994 (113 B.C.) ; 995 (110 B.C.) ; 996 (107 B.C.).

(2) Bouché-Leclercq, III, p. 55.

(3) Strack, no. 140 ; O.G.I.S. 168 (114 B. C.).

(4) Wilcken, Chrest. 14.

(5) Reinach, T., Papyrus Grecs et Dem., nos. 9, 10, pp. 65-78.

المهر المقدس وهذه الألقاب والكاهنات الثلاث الجديدة فى أربع برديات ديموتيقية ، الأولى (١) من عام ١١٦ والثانية من عام ١١١ والثالثة والرابعة مـن عـام ١٠٨ (٢) ، وكذلـك فى أربـع برديـات اغريقيـة (٣) بتاريخ ١٥ من أكتوبر ١١٠ و ٢ من فبراير ١٠٩ و ١٦ من ديسمبر ١٠٨ على التوالى . ولما كانت الصيغة متشابهة فى هذه البرديات الأربع ، فاننا نأتى على ماورد فى صدر أولاها (٤) : «فى عهد كليوپترة وبطلميوس الالهين فيلوميتورس سوتيرس ، عندما كان يوجد فى الاسكندرية كاهن للاسكندر والالهين سوتيرس والالهين أدلفوى والالهين يورجتيس والالهين فيلوپاتورس والالهين ابيفانيس والاله يوپاتور والاله فيلوميتور والاله نيوس فيلوپاتور والاله يورجتيس (الثانى) والالهين فيلوميتورس سوتيرس ، وعندما كان يوجد المهر المقدس لايزيس العظمى أم الآلهة ، وعند ماكانت توجد كاهنة (Stephanophoros) الملكة كليوپترة الالهة فيلوميتـور سوتير العـادلة المنتصرة ، وعندما كانت توجد كاهنة برنيقي يورجتيس ، وعندما كانت توجد كاهنة (phosporhos) الملكة كليوپترة الالهة فيلوميتور سوتير العادلة المنتصرة ، وعندما كانت توجد كاهنة أرسينوى فيلادلفوس ، وعندما كانت توجد كاهنة (Hiereia) الملكة كليوپترة الالهة فيلوميتور سوتير العادلة المنتصرة ، وعندما كانت توجد كاهنة أرسينوى فيلوپاتور ، وباشر كل هؤلاء عملهم فى الاسكندرية .. » .

ويبدو أن كليوپترة الثالثة كانت صاحبة الكلمة العليا ، وتسيطر على ابنها بطلميوس التاسع سيطرة تامة ، ونستـدل على ذلك من أمريـن : وأحدهما هو أن اسمها كان يذكر فى الوثائق قبل اسم ابنها ، والآخر هو أنه لم يرد فى أغلب الوثائق أى ذكر لكليوپترة الرابعة ولا كليوپترة سلينى اللتين تزوجهما بطلميوس التاسع على التعاقب . ومع ذلك يبدو أنه فى بعض الأحيان كان بطلميوس التاسع يتحرر من ربقة أمه ، ففى بردية من

(1) P. Dem. Cairo 30603.

(2) Revillout, Chrest. dem., p. 401 (an 111, Caire) ; Rev. Egypt., III, 1885, p. 25 (an 108, Vatican), p. 26 (an 108, New York) ; Cf. Spiegelberg, Z. f. Aeg. Spr., 1899, p. 38 ; Rec. de Trav., XXV, 1903, p. 13 ; Laqueur, Quaes. epigr. et papyrol. Selectae, Argentor, 1904, p. 43 ; Otto, I, pp. 153, 411.

(4) Reinach, op. cit., nos. 14, 15, 16, 20, pp. 81-93, 102-105.

(3) Reinach, op. cit., no. 14, pp. 81—85.

العام السادس من حكمه (١١٢— ١١١) ذكر اسم كليوپترة سلينى بدلا من اسم كليوپترة الثالثة [1] • وهذا يبدو غريباً ، لأن الوثائق الأخرى التى ترجع الى ذلك العام لاتذكر كليوپترة الثالثة فحسب ، بل تذكر أيضا ألقابها الجديدة التى مر بنا ذكرها •

ومما يجدر بالذكر أن الوثائق التى ترجع الى الأعوام الثانى [2] (١١٦ — ١١٥) والثالث [3] (١١٥ — ١١٤) ، والرابع [4] (١١٤— ١١٣) ، والخامس [5] (١١٣ — ١١٢) والسادس [6] (١١٢ — ١١١) والثامن [7] (١١٠ — ١٠٩) والتاسع [8] (١٠٩ — ١٠٨) والحادى عشر [9] (١٠٧ — ١٠٦) من حكم بطلميوس التاسع ، تذكر أن هذا الملك نفسه كان يتولى منصب كاهن الاسكندر والبطالمة المؤلهين • فقد ورد مثلا فى وثيقة [10] ترجع الى العام الرابع من حكمه (١١٤—١١٣) «فى عهد الملكة والملك بطلميوس الالهين فيلوميتورس سوتيرس ، فى خلال العام الرابع ، عندما كان بطلميوس الاله فيلوميتور سوتير كاهناً للاسكندر ، والالهين سوتيرس ، والالهين أدلفوى ، والالهين يورجتيس ، والالهين فيلوپاتورس ، والالهين ابيفانيس ، والاله يوپاتور ، والاله فيلوميتور ، والاله نيوس فيلوپاتور ، والاله يورجتيس (الثانى) ، والالهين فيلوميتورس سوتيرس ، وعندما كان مهو! مقدسا للالهة العظمى ايزيس أم الآلهة •• » •

وجدير بالملاحظة أنه لم يظهر فى كثير من هذه الوثائق لقبا العادلة والمنتصرة اللذان كانت كليوپترة الثالثة قد اتخذتهما ، عندما كانت تتولى الحكم بالاشتراك مع ابنها بطلميوس التاسع •ولاشك فى أن تولى بطلميوس التاسع منصب الكاهن الأكبر فى الديانة الأغريقية العامة بعد ارتقائه العرش كان حقاً حدثاً جديداً من حيث أنه لم يتول ملك قبله هذا المنصب ، لكنه

(1) Letronne, Recueil. I, p. 60 : Bevan, p. 329.
(2) P. Dem. Cairo, 30603.
(3) P. Grenf., I, n. 25 ; P. Strassb. 59 ; 62 ; 81 ; 83, 84.
(4) P. Par. n. 5 ; UPZ. 180 ; P. Strassb. 59 ; 85 ; P. London 880 ; P. Grenf., II, n. 20 ; B.G.U. III, n. 994.
(5) P. Lond. 1204 = M. Chrest. 152.
(6) P. Adler Gk. 3 ; P. Strassb. 57 = S. B. 5227.
(7) B. G. U., III, n. 995.
(8) P. Lond. 881 ; P. Grenf., I. 27.
(9) B. G. U., III, n. 996.
(10) P. Grenf., II, n. 20, p. 37.

لم يكن حدثاً جديداً على الاطلاق ، فقد كان فرعون الها مصرياً وكاهناً أكبر في الديانة المصرية ، ولعل بطلميوس التاسع قد أراد أن يتشبه بالفراعنة في هذه الناحية . وعلى كل حال فانه يبدو لنا أن مافعلة بطلميوس التاسع ، بعد ارتقائه العرش ، كان نتيجة لتوليه ذلك المنصب نفسه في الديانة الأغريقية عندما كان ولياً للعهد ، وربما أراد بطلميوس التاسع أن يثبت أن هذا المنصب كان رفيعاً ، الى حد أن الملك الحاكم كان لايرى غضاضة في أن يتولاه هو نفسه . ولقد مر بنا أن وثيقة من العام السادس من حكم بطلميوس التاسع تذكر أنه كان يتولى ذلك المنصب الديني اذ ذاك ، فكيف نفسر اذن ماورد في وثيقة رسمية أخرى من أنه ، في شهر بابه من العام السادس من حكم هذاالملك أي في بداية ذلك العام ،كان أرتميدوروس (Artemidoros) بن سوتيون (Sotion) يتولى منصب كاهن الاسكندر والبطالمة المؤلهين (١) ؟ يرجح أوتو (٢) أن أرتميدوروس لم يكن في الواقع كاهن الأسكندر والبطالمة المؤلهين وانما كان كاهن الالهة العظمى ايزيس أم الآلهة ، وهو ما يتضح من وثائق أخرى معاصرة (٣) . ولكن تولى أرتميدوروس منصب كاهن ايزيس أم الآلهة لا يمنع من أنه كان أيضا كاهن الاسكندر والبطالمة المؤلهين ، ولاسيما أنه في العام الرابع كان الملك كاهنا للاسكندر والبطالمة المؤلهين وكذلك كاهن الالهة العظمى ايزيس . وعندنا أن تفسير ذلك ليس عسيراً ، اذ لايبعد أن الملك لم يكن عندئذ إلا كاهنا صورياً على نحو ما كان فرعون في الديانة المصرية وعلى نحو ما كان هو نفسه عندما تولى هذا المنصب الديني وهو أمير في السابعة أو الثامنة من عمره ، وأن أرتميدوروس كان الكاهن الحقيقي الذي يقوم بدلا منه بطقوس العبادة مثل ما كان كهنة الديانة المصرية يقومون بطقوس العبادة بدلا من فرعون .

كليوبترة الثالثة وبطلميوس العاشر :

وعندما أشركت كليوبترة الثالثة معها في الملك ابنها الأصغر ، وهو الذي

(1) Strack, Archiv f. Pap., II, p. 551.; Gr. Inscrip. in Cairo, de Ricci BSAA., 21, 1909, p. 380.

(2) Otto, I, p. 193, anm. I.

(3) Otto, I. p. 193. anm. 2.

عرف باسم بطلميوس العاشر الاسكندر الأول،كانا يذكران فى بعض الوثائق باسم الالهين « فيلوميتورس » فقط (١)، ولكنه يتبين من وثائق كثيرة أنهما كانا يذكران عادة باسم الالهين « فيلوميتورس سوتيرس » (٢) .

ويبدو من عدة وثائق أن بطلميوس العاشر اقتفى أثر خطوات أخيه بطلميوس التاسع وتولى منصب كاهن الاسكندر والبطالمة المؤلهين من عام ١٠٧ حتى ١٠١ (٣) .

ونلاحظ أنه قد ورد فى وثيقة (٤) ترجع الى عام ١١٢ ق٠ م٠ مايأتى: « عندما كان أرتميدوروس بن سوتيون كاهناً للاسكندر و .. و .. والاله يورجتيس والالهة يورجتيس والاله فيلومتورسوتير » ، ولاشك فى أن الالهة يورجتيس المذكورة هنا هى كليوپترة الثالثه لأنها لو كانت كليوپترة الثانية لاكتفت الوثيقة بأن تقول «والالهين يورجتيس»٠ وأما ذكر الاله يورجتيس والالهة يورجتيس على انفصال ، فانه دليل على الرغبة فى التمييز بين الملك المتوفى والملكة الحاكمة ، ولاسيما أن الوثائق تذكر عادة اسم الملكين الحاكمين فى آخر قائمة البطالمة المؤلهين . وقد ورد فى وثيقة أخرى (٥) من عام ١٠٤ : « باسم الملكة كليوپترة الالهة يورجتيس والملك بطلميوس الملقب بالاسكندر » ، ومن ثم فانه يتضح اذن أن كليوپترة الثالثة كانت تسمى أحياناً بمفردها الالهة يورجتيس ، حتى بعد اتخاذها لقب فيلوميتور سوتير .

---

(١) ومثل ذلك بردية من طيبة من عام ١٠٦ (P. Grenfell II, no. 23, a, p. 43) ونقش من الفيوم من عام ١٠٤ (S. B. I 269)

(2) Mitteis, Band I, Griech. Urk. der Papyrussam. no. I, pp. 1-4 ; Revillout, Nouv. Chrest, p. 20, Pap. No. 105 ; P. Tebt., 105 ; 166 ; P. Reinach, 23 ; 24.

راجع كذلك وثيقة من العام التاسع او الثانى عشر من حكم الاسكندر، اى من عام ١٠٥ أو ١٠٣ فقد ورد فيها « فى عهد كليوپترة وابنها بطلميوس الملقب بالاسكندر ، الالهين فيلوميتورس سوتيرس » (Letronne Recueil, p. 62)

(3) P. Bruxelles Inv. E. 7155, 7156 A = Chon. d'Eg., 13 (1938), 139—51 ; S.B., 8035 ; P. Reinach, 23, 24 ; P. Tebt., 166 ; Otto I, 184.

(4) Strack, Archiv f. Pap., II, p. 551, n. 33.

ويلاحظ ان هذا المؤرخ يقرأ هذه الوثيقة قراءة تؤدى الى ترجمة مختلفة وهى : ... والاله يورجتيس والالهة يورجتيس فيلوميتور سوتير . لكن معنى هذا حذف اسم الملك الحاكم من قائمة البطالمة المؤلهين ، وهذا غير مقبول ؛ ولذلك نفضل القراءة التى يقترحها أوتو (Otto, I, p. 113, fa. 2) وهى التى أثبتناها أعلاه .

(5) Strack, no. 141 ; O.G.I.S. no. 175.

بطلميوس العاشر وبرنيقى الثالثة :

وما كاد بطلميوس العاشر يتحرر من ربقة أمه بوفاتها بين ١٤ و ٢٦ من أكتوبر عام ١٠١ حتى أشرك معه زوجته برنيقى ابنة بطلميوس التاسع ، وقرن اسمها باسمه فى ديباجة الوثائق ، وكثيراً مانجدها على نحو ماجاء فى الوثيقة التالية : « فى عهد بطلميوس الملقب بالاسكندر الاله فيلوميتور والملكة برنيقى الالهة فيلادلفوس فى خلال العام الرابع عشر (١) عندما كان يوجد كاهن للاسكندر والآخرين ... » (٢) . وجدير بالملاحظة هنا أن بطلميوس لقب بالاله « فيلوميتور » فى حين أن زوجه برنيقى لقبت بالالهة « فيلادلفوس » (٣) . وهذه هى أول مرة فيما نعرف لا يحمل فيها الملكان الزوجان اللقب نفسه ، لكن هذه ليست الوثيقة الوحيدة من ذلك العام (١٠١ ق.م) التى يحمل فيها كل من هذين الزوجين لقبا مختلفا عن لقب الآخر . فقد جاء فى نقش (٤) من العام نفسه : « باسم الملك بطلميوس الملقب بالاسكندر الاله فيلوميتور وباسم الملكة برنيقى الأخت الالهة فيلادلفوس » . ومما يجدر بالملاحظة هنا أنه أطلق على برنيقى ، زوج الملك وابنة أخيه ، لقب الأخت مثل ماأطلق من قبل على برنيقى الثانية زوج بطلميوس الثالث ، وهى التى لم تكن أخته كذلك .

ولم يستمر بطلميوس اسكندر وزوجته برنيقى يحملان لقبين الهين مختلفين وان استمرت برنيقى تدعى الأخت ، اذ انهما كانا يدعيان فى بعض الأحيان الالهين « فيلوميتورس » ، وفى البعض الآخر الالهين «فيلوميتورس سوتيرس » ، فقد جاء فى وثيقة (٥) ترجع الى عام ٩٩ ق.م « فى عهد بطلميوس الملقب بالاسكندر وأخته برنيقى ، الالهين فيلوميتورس ، فى خلال العام الخامس عشر ، عندما كان يوجد كهنة وكاهنات .. » . وجاء فى وثيقة (٦) من عام ٩٨ ق.م. « فى عهد بطلميوس الملقب بالاسكندر

---

(١) اعتبر ان حكم بطلميوس العاشر يبدأ منذ العام الرابع من حكم اخيه بطلميوس التاسع (١١٤/١١٣) وهو التاريخ الذى يظن أنه عين فيه حاكما لقبرص . راجع الفصل الثالث جـ ١ ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .

(2) P. Tebt., no, 106.
(3) Cf. Strack 54-55.
(4) S. B. 4623 ; Annales, 10, 1910, no. 6, p. 165.
(5) S.B. 428 ; Bull. Acad. Danemark, 1901, pp. 119 ff.
(6) P. Grenf., II, no. 35.

وأخته برنيقى ، الالهين فيلوميتورس سوتيرس ، فى خلال العام السادس عشر .. » . وجاء فى نقش (١) من عام ٩٤ ق.م. « باسم الملك بطلميوس الملقب بالاسكندر والملكة كليوبترة الأخت ، الالهين فيلوميتورس سوتيرس ... » .

ويلاحظ أن الوثائق لم تعد تذكر فى ديباجتها كل البطالمة المؤلهين ولا أسماء كهنتهم . ولعل أن هذا يرجع الى الرغبة فى الاختصار بعد أن طالت قائمة الملوك المؤلهين وكذلك قائمة الكهنة والكاهنات .

بطلميوس التاسع وابنته برنيقى الثالثة :

وقد مر بنا أنه عقب وفاة بطلميوس العاشر فى عام ٨٨ عاد بطلميوس التاسع من قبرص الى مصر واستدعى ابنته برنيقى وأشركها معه فى الملك (٢) . وأن بطلميوس التاسع كان يعرف بالاشتراك مع والدته كليوپترة الثالثة باسم « الالهين فيلوميتورس سوتيرس » ، وأن برنيقى كانت تعرف باسم « الالهة فيلادلفوس » لفترة من الوقت فى عهد بطلميوس العاشر ، عقب وفاة كليوپترة الثالثة . ويبدو أنه عندما أشرك بطلميوس التاسع معه ابنته برنيقى أدمج لقبيهما السابقين فى بعضهما ، فقد ذكر بطلميوس التاسع وحده فى احدى الوثائق باسم « الاله الأكبر فيلوميتور فيلادلفوس سوتير » (٣) وذكر الاثنان سويا فى وثيقة أخرى باسم « الالهين فيلادلفوى فيلوميتورس سوتيرس » (٤) .

وعندما توفى بطلميوس التاسع خلفته ابنته برنيقى الثالثة على العرش ، وحكمت بمفردها فترة وجيزة الى أن أرسل صلا دكتاتور روما ابن بطلميوس العاشر الى الاسكندرية ، ليتزوج ابنة عمه ويشترك معها فى الملك . لكنه لم تمض على ذلك ١٩ يوما ، حتى كان بطلميوس الحادى عشر الاسكندر الثانى قد قتل برنيقى ، فثار عليه الاسكندريون وقتلوه .

بطلميوس الثانى عشر وكليوپترة تروفاينا :

وبعد ذلك اختار الاسكندريون ابنين لبطلميوس التاسع ، تولى أحدهما حكم مصر والآخر قبرص . ويبدو أن بطلميوس الثانى عشر تزوج عقب ارتقائه

(1) S.B. 7259.

(٢) انظر الجزء الأول ص ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(3) Annales des Services, 1908, p. 240.
(4) Bull. de la Soc. Arch. d'Alex. IV, 1902, pp. 49 ff.

العرش مباشرة سيدة تدعى كليوبترة تروفاينا (كليوبترةالسادسة) (١) اذ أن وثيقتين احداهما (٢) اغريقية والثانية ديموتيقية (٣) ترجعان الى عام ٧٩ تذكران الملك وزوجه اللذين رفعا الى مصاف البطالمة المؤلهين باسم « الالهين فيلوباتورس فيلادلفوى » . وتردد ذلك وثيقة ديموتيقية من عام ٧٨ (٤) . وقد ورد فى صدر وثيقتين ترجعان الى عام ٧٣ ، احداهما اغريقية (٥) والأخرى ديموتيقية (٦) : « فى عهد بطلميوس وكليوبترة التى تدعى أيضاً تروفاينا ، الالهين فيلوباتورس فيلادلفوى ، خلال العام الثامن .. » .

وفى نقشين اغريقيين غير مؤرخين لكنهما من عهد هذا الملك جاء : باسم الملك بطلميوس والملكة كليوبترة ، وتدعى أيضا تروفاينا ، وهما الالهان فيلوباتورس فيلادلفوى (٧) . وقد ورد ذكر الالهين فيلوباتورس فيلادلفوى كذلك فى نصب جنازى ديموتيقى من عام ٧٣ (٨) ، وفى نقشين اغريقيين أحدهما يرجع الى ٥ من مايو عام ٦٩ (٩) والآخر الى ٧ من أغسطس عام ٦٩ ق.م. (١٠) .

ومما يجدر بالملاحظة أن بطلميوس الثانى عشر وكليوبترة تروفاينا قد وصفا فى نقش بتاريخ ١٧ من يناير ٧٩ بأنهما « الالهان فيلوباتورس » فقط (١١) . ونحن لا نعرف عن يقين من كانت كليوبترة تروفاينا ، بيد أنه لعل أرجح الاحتمالات أنها ابنة بطلميوس التاسع ، أى أخت بطلميوس الثانى عشر (١٢) . وقد يؤيد ذلك أنه وردت فى نقش أغريقى غير مؤرخ هذه

(١) اننا نعتبر كليوبترة تروفاينا زوج بطلميوس الثانى عشر كليوبترة السادسة ، لأننا نعتبر كليوبترة سلينى زوج بطلميوس التاسع كليوبترة الخامسة .

(2) P. Giessen no. 99 ; Kilo, VIII, 1901, pp. 427-39 ; Griech. Pap. Zu Giessen, I, pp. 93 ff.

(3) Preisigke-Spiegelberg, Prinz Joachim Ostraka, no I.

(4) Pap. Dem. Leid., 374 a, b ; Rev. Egypt., II, p. 91 n. 2.

(5) Oxyr. Pap. XIV, no. 1628, pp. 5-8.

(6) P. Dem. Louvre, no. 3268 ; Revillout, Rev. Eg., II, p. 91 ; Strack, pp. 65, 207-8.

(7) OGIS 182 ; S.B. 4206 ; Sammlung Golenischeff 4963.

(8) Z.A.S., XXIV, 1886, p. 35, no. 52; Strack, pp. 206-8.

(9) S.B. 5827.

(10) C.I.G., III, no 4898 ; Strack, no 151, p. 270 ; O.G.I.S. no. 185.

(11) S.B. 6027.

(12) Bevan, p. 346.

العبارة « باسم الملك بطلميوس والملكة كليوپترة ، وتدعى أيضا تروفاينا وهى زوجته وكذلك أخته ، وهما الالهان فيلوپاتورس فيلادلفوى (١) » •

وقد أضاف بطلميوس الثانى عشر الى لقبه الرسمى لقبا آخر هـو «نيوس ديونوسوس» • وأول وثيقة نعرف حتى الآن أنه وردفيها هذا اللقب ترجع الى عام ٦٤/٦٣ ق•م (٢) • وقد جاء فى هذه الوثيقة : « فى عهد بطلميوس الاله نيوس ديونوسوس فيلوپاتور فيلادلفوس ، خلال العام الثامن عشر وباقى الصيغة الرسمية كما هو مثبت فى الاسكندرية •• » • وجدير بالملاحظة أيضا أن كليوپترة تروفاينا لم تذكر فى صيغة تاريخ هذه الوثيقة ، وان لم تكن هذه هى المرة الأولى التى لم تذكر فيها كليوپترة تروفاينا فى الوثائق • فقد اختفى اسمها من الوثائق بعد ٧ من أغسطس عام ٦٩ ق•م• (٣) الى أن نجد نقشا فى معبد أدفو يحدثنا بأن بناء هذا المعبد ، الذى أسهم فيه كثيرون من ملوك البطالمة منذ عام ٢٣٧ ق• م قد تم فى العام الخامس والعشرين من عهد بطلميوس أوزيريس الصغير ، وزوجه الملكة كليوپترة الملقبة تروفاينا (٤) ، عنـدما وضعت الأبواب الخشبية المغطاة بالبرونز فى المدخل فى اليوم الأول من شهر كيهك (٥ من ديسمبر ٥٧ ق• م•) •

برنيقى الرابعة :

وقد مر بنا أنه عندما فر بطلميوس الثانى عشر « الزمار » الى روما فى صيف عام ٥٨ تولت الحكم ابنته برنيقى الرابعة ، وأن أمها كليـوپترة تروفاينا حكمت معها الى أن توفيت بعد نحو من عام ، وأن برنيقى تزوجت بعد ذلك أولا « سلوقس السماك » لبضعة أيام ، وثانيا أرخلاوس لمدة عام تقريبا ثم لقى الزوجان حتفهما فى عام ٥٥ (٥) • والوثائق التى من فترة حكم برنيقى الرابعة قليلة ومبتورة ولا تمدنا بمعلومات عن التألية والألقاب

(1) Milne, J.H.S., XXI, 1901, p. 281 ; Cat. Gen. Musee Caire, Greek Inscr., no. 9246, p. 20.

(2) Oxyr. Pap., II, no. 236 b, p. 140.

(3) Bevan, p. 354 ; Bouché-Leclercq, II, p. 145, fn. 1 ; Gauthier, IV, pp. 396-8, XV-XIX, XXII.

(4) Z. A. Sp. VIII, 1870, pp. 11-13 ; Strack, p. 210, n. 43 ; Bouché-Leclercq II, p. 145, fn. 1 ; Bevan, p. 354.

(٥) انظر الجزء الأول ص ٢٧٨ وما بعدها .

الالهية أكثر من وصف برنيقى مرة (١) بأنها « الهة » ومـرة أخرى (٢) بأنها الالهة « ايبفانى » (الظاهرة) .

بطلميوس الثانى عشر بعد استعادة عرشه :

وماذا حدث عندما استعاد بطلميوس الثانى عشر عرشه وأعدم ابنته برنيقى الرابعة ؟ لقد جاء فى بردية أغريقية (٣) بتاريخ ٢٤ من يونية عام ٥٥ « من عهد الملك الكبير بطلميوس »مما يوحى بأنه كان لبطلميوس الثانى عشر شريك واحد أو أكثر أصغر منه سنا . ويتأيد ذلك بما ورد أولا فى نصب ديموتيقى (٤) ، فقد جاء فيه : « فى العام الثامن والعشرين من عهد الملوك الأحياء الى الأبد ... » ، وثانيا فى نصب أغريقى (٥) ، فقد جاء فيه « باسم الملك بطلميوس الاله نيوس ديونوسوس وأبنائه الآلهة نيوى فيلا دلفوى ... » . وازاء ذلك يتبين أمران ، وأحدهما هو أن بطلميوس الثانى عشر حمل ثانية ألقابه الالهية التى سبق أن حملها قبل فراره ، والآخر هو أنه أشرك معه فى الملك ، فيما نرجح ، ابنيه اللذين أوصى بأن يخلفاه على العرش ، وهما كليوبترة السابعة وبطلميوس الثالث عشر ، ورفعهما الى مصاف الآلهة باسم الالهين نيوى فيلادلفوى .

كليوبترة السابعة والبطالمة ١٣ و ١٤ و ١٥ :

وبعد وفاة بطلميوس الثانى عشر ، خلفه على العرش ابناه كليوبترة السابعة وبطلميوس الثالث عشر . ويحتمل أن لقبهما المقدس كان « الالهين فيلوباتورس » (٦) ، مثل ماكان لقب كليوبترة وأخيها الأصغر بطلميوس الرابع عشر ، الذى أشركه قيصر مع كليوبترة فى عـام ٤٧ بعد وفـاة بطلميوس الثالث عشر فى حرب الاسكندرية.فقد ورد فى بردية اغريقية (٧) بتاريخ ٢٦ من يوليو عام ٤٤ ق.م: « فى العام الثامن من حكم كليوبترة وبطلميوس ، الالهين فيلوباتورس ، وبـاقى الصيغة كما هـو مثبت فى

(1) Archiv, III, p. 132, no. 9, l. 2.
(2) S.B. 1161.
(3) BGU. 1002.
(4) Z.A. Sp., XXIV, 1886, p. 37, no. 53.
(5) BSAA., IV, 1902, no. LXIII, p. 96 ; Archiv, II, 4, 1903, no. 40, p. 558.
(6) Bevan p. 360.
(7) Oxyr. Pap., XIV, no. 1629, pp. 8-10.

الاسكندرية ... » . وتثبت هذه الوثيقة حقيقة أخرى ، وهى أن بطلميوس الرابع عشر كان لايزال على قيد الحياة بعد عودة كليوبترة من روما ، عقب مقتل يوليوس قيصر فى منتصف مارس ٤٤ ق. م. لكنه توفى فى خلال ذلك العام ، فأشركت كليوپترة معها ابنها بطلميوس الخامس عشر قيصر، الذى أطلق عليه الاسكندريون لقب «قيصرون» . وقداستمرت كليوپترة تعرف بالالهة « فيلوپاتور » . وأما ابنها فانه كان يعرف بالاله « فيلوپاتور فيلومیتور » . ونستدل على ذلك من أربعة مصادر أغريقية ومصدر ديموتيقى . وأحد المصادر الأغريقية نقش على نصب وجد فى هيرا قليوبوليس (١) ؛ وهو يتضمن آخر ما وصل الينا حتى الآن من القرارات التى أصدرها البطالمة ملوك مصر . وهذا النقش يرجع الى العام الحادى عشر من حكم كليوپترة بتاريخ ١٣ من أبريل عام ٤١ ق.م. وقد جاء فيه : « الملكة كليوپترة الالهة فيلوپاتور والملك بطلميوس، الذى يدعى أيضا قيصر، الاله فيلوپاتور فيلوميتور، يحييان قائد مديرية هيراقليوبوليس ... » . وأما المصدر الثانى (٢) فهو بردية اغريقية لا يعرف تاريخها بالضبط ، لكنها ترجع الى حكم كليوپترة وابنها قيصرون ، فقد ورد فى صدرها : « فى عهد كليوپترة الالهة فيلوپاتور وبطلميوس قيصر الاله فيلوپاتور فيلوميتور ؛ فى خلال العام .... وباقى الصيغة كما هو مثبت بالاسكندرية » .

وأما المصدر الثالث (٣) فهو نصب أغريقى عثر عليه فى قروقوديلوپوليس بالفيوم وجاء فيه « باسم الملكة كليوپترة الالهة فيلوپاتور والملك بطلميوس الذى يدعى أيضا قيصر الاله فيلوپاتور فيلوميتور » .

وأما المصدر الرابع (٤) فهو نصب — الآن فى تورينو — نقش عليه قرار باللغتين الديموتيقية والاغريقية . ويبدأ النص الاغريقى بالعبارة التالية : « فى عهد كليوپترة الالهة فيلوپاتور وبطلميوس ، ويدعى أيضا قيصر، الاله فيلوپاتور فيلوميتور ... » . وللاسف أن الجزء الذى ذكر فيه التاريخ

(1) Lefebvre, in Mélanges Holleaux, 1913, pp. 103. ff ; Collomp, Chancellerie, pp. 196 ff ; S.B. 7337.
(2) Oxy. Pap., XIV, no. 635 ; pp. 39-42.
(3) Lefebvre, Annales, IV, 1908, pp. 240-2.
(4) O.G.I.S. 194 ; Mahaffy, Empire, pp. 463-4 ; Strack, no. 157 p. 272 ; Bouché — Leclercq, II, p. 223 n. 4 ; SB. 1570.

قد ضاع ، فحاول أحد المؤرخين الحديثين (١) استكماله بالعبارة التالية : « فى العام العاشر من (حكم كليوپترة) وهو العام الثانى (من حكم بطلميوس قيصر) أى عام ٤٣/٤٢ » ، ومعنى هذا أنه كان يستخدم فى تأريخ الوثائق عهدان : عهد كليوپترة وعهد ابنها . بيد أننا نرجح أن كليوپترة لم تستخدم هنا الاسنى حكمها فقط ، على نحو ما جاء فى نصب هيراقليوپوليس الذى سبقت الاشارة اليه ، فهو أيضاً لم يؤرخ الا بسنى عهد كليوپترة فقط .

وقد سبق أن أوضحنا فى معرض الكلام عن السياسة الخارجية أنه منذ عام ٣٦ ق.م نجد الوثائق البردية والعملة فى مصر وكذلك فى سوريا مؤرخة بسنى عهدين ، لاشك فى أن أحدهما هو عهد كليوپترة منذ اعتلائها عرش مصر ، وأما الآخر فان أكثر المحدثين اليوم يأخذون برأى پورفوريوس ويرون أنه عهد كليوپترة باعتبارها ملكة خالقيس وغيرها من الاقاليم الآسيوية التى حصلت عليها فى العام السادس عشر من حكمها (عام ٣٦) (٢) .

والمصدر الديموتيقى عبارة عن بردية (٣) جاء فيها « فى ١٤ من بؤنة عام ١٦ (١٢ من يونية عام ٣٦) من عهد الملكة كليوپترة الالهة فيلوپاتور والملك بطلميوس الذى يدعى أيضاً قيصر ، الاله فيلوپاتور فيلوميتور » .

مدى استجابة الاغريق الى عبادة البطالمة :

لقد عبد البطالمة اذن عبادة اغريقية رسمية عامة فى مصر ، عرفنا أن بطلميوس الأول خطا الخطوة الأولى نحو انشائها ، عندما جعل عبادة الاسكندر الأكبر عبادة اغريقية رسمية فى الدولة . وقد خطا بطلميوس الثانى خطوة حاسمة فى تألية البطالمة ، عندما رفع أولا بطلميوس الأول وبرنيقى الى مصاف الآلهة ، ثم رفع نفسه وزوجه أرسينوى الثانية الى مرتبة الألوهية وقرن عبادتهما بعبادة الأسكندر . وقد وضع بطلميوس الثالث

(1) Dittenberger, O.G.I.S. 194.

(٢) انظر الجزء الأول ، ص ٣٤٤ .

(3) Spiegelberg, Cat. Gen. Musée Caire, Dem. Pap., no. 31232, p. 313, pl. CXXXII.

تقليدا جديدا عندما قضى بأن يحتفظ سلفاه ، الالهان الأخوان ، بألوهيتهما بعد مماتهما وأن يستمر قرنهما فى العبادة مع الاسكندر . ولذلك فانه عندما اقتفى خطوات أبيه ورفع نفسه وزوجه الى مصاف الآلهة ، وقرن عبادتهما بعبادة سلفيهما وعبادة الأسكندر ، كانت هذه هى المرة الأولى التى تقرن فيها عبادة الملك الحاكم وزوجه بعبادة سلفيهما وعبادة الأسكندر . ومنذ ذلك الوقت أصبحت القاعدة أن كل بطلميوس وزوجه يرتقيان العرش يؤلهان ويحتفظان بألوهيتهما بعد مماتهما ، وتقرن عبادتهما فى الحياة وفى الممات بعبادة أسلافهما وعبادة الاسكندر الأكبر . ويلاحظ أن هذه العبادة كانت مقصورة فى أول الأمر على أشخاص يرفعون الى مصاف الآلهة بعد وفاتهم ، مثل الاسكندر وبطلميوس الأول وزوجه ، ثم تدرج الحال الى عبادة أشخاص يرفعون الى مرتبة الألوهية فى حياتهم ويحتفظون بها بعد مماتهم ، مثل بقية ملوك البطالمة وملكاتهم ، ابتداء من بطلميوس الثانى وزوجه . وقد أكمل بطلميوس الرابع تطور هذه العبادة الى عبادة الأسرة كلها بوضع الالهين سوتيرس على رأس البطالمة المؤلهين الذين تقرن عبادتهم بعبادة الاسكندر . ونتبين من النقوش التى وردت الينا من عهد بطلميوس الثانى وبطلميوس الثالث ، أن رعايا البطالمة من الاغريق ، وبخاصة اغريق أوروبا وآسيا الصغرى ، احتاجوا الى شىء من الوقت لكى يعتادوا على تألية البطالمة فى حياتهم ، وان كانوا لم يجدوا صعوبة فى تأليه الملوك بعد وفاتهم ، اذ أننا لم نجد حتى الآن نقشا غير رسمى من عهد بطلميوس الثانى يحدثنا عن ألوهية هذا الملك (١) . وبين النقوش التى وصلت الينا من عهد بطلميوس الثالث ، نجد أن بعضها لا يشير الى ألوهية الملك ولا الى ألوهية أبويه (٢) ، بينما يذكر بعضها الآخر أن الملك « ابن الالهين أدلفوى » (٣) ، أو يدعو الملك « الاله يورجتيس ابن الالهين أدلفوى » (٤) ، أو يدعو الملك وزوجه « الالهين يورجتيس

---

(1) Bouché-Lecl, III, pp. 35-36.

(2) Strack, nos. 41-42 (أولومپيا) 50 (ثيرا) 52 Lissa (ليسا)

(3) Strack, nos. 40 (قانوب) ; 47 (قبرص) 51 (تلمسوس)

(4) Strack, nos. 43 (اسكندرية) ; 44 Astypalaea (استوباليا) 45 ; 46 (قبرص) .

ابنى الالهين أدلفوى » . وأما بعد عهد بطلميوس الثالث ، فاننا لا نجد الا نادرا جدا ، فى عهد بطلميوس الرابع (١) وبطلميوس الخامس (٢) ، وثائق تغفل اعطاء الملك لقبه المقدس وان كانت لا تغفل ذكر ألوهية آبائه ، فى حين أن تلك التى تغفل ذكر الآباء لا تغفــل ذكر اللقب المقدس الذى يحمله الملك أو الملك وزوجه . ولا شك فى أن الأفراد لم يروا ضرورة لأن يسردوا فى وثائقهم الخاصة سلسلة البطالمة المؤلهين ، الذين كانت صيغة الوثائق الرسمية تزدحم بأسمائهم ابتداء من الاسكندر . وكان اليهود يعفون من هذا التقليد الذى لابد من أنه كان رجسا فى نظرهم (٣) ، لتمسكهم بدياناتهم والسماح لهم بممارستها . وأما محررو الوثائق الاغريق والمصريون فى كل أنحاء الدولة ، فانه كان يحتم عليهم أن يستخدموا طريقة التأريخ الرسمية فى وثائقهم . ويرى بوشيه لكلرك (٤) ان البطالمة لم يقصدوا بانشاء هذه العبادة ايقاظ شعور دينى فى رعاياهم الاغريق ، بل أن تكون هذه العبادة تعبيراً رسميا عن ولاء رعاياهم لهم ، يكون بمثابة ستار يخفى عن المصريين الفارق العميق بين معتقدات المصريين ومعتقدات الاغريق ، فيما يتعلق بالأساس الذى ترتكز عليه سلطة الملك . وذلك لكيلا يرى المصريون أن فراعنتهم من البطالمة لم يكونوا آلهة فى نظر رعاياهم الاغريق مثل ما كانوا آلهة فى نظرهم ، مما كان يؤثر بمضى الزمن فى نظرة المصريين الى هؤلاء الفراعنة الجدد . ونحن اذ نسلم بأن البطالمة هدفوا بانشاء عبادتهم الاغريقية الرسمية الى دعم سلطانهم فى مصر ، نرى أن هذه العبادة لم تلبث أن أثارت فى رعاياهم الاغريق بوجه عام شعورا دينيا عميقا ينم عنه ما سيأتى ذكره عن عبادة البطالمة عبادة اغريقية غير رسمية .

الفارق بين عبادة البطالمة عبادة اغريقية رسمية عامة وعبادتهم عبادة مصرية رسمية عامة :

وفى هذه العبادة الاغريقية ، كان الملك الحاكم يعبد مقرونا بأسلافه ،

---

(1) Strack, nos. 53 ; 54 ; 55 (اسكندرية) ، 63 ; 65 (قبرص) ، 61 ; (سستوس) ، 60 ، (فيله) ، 2? ; (طيبة) ؛ 57 (ادفو) 56 ، [illegible]

(2) Strack, no. 72 (طيبة) .

(3) Cf. Strack, nos. [illegible] ; Dittenberger, O.G.I.S. nos. [illegible]

(4) [illegible]-Leclercq, III, pp. [illegible]

وأما فى العبادة المصرية فان العبادة كانت لا توجه فى الأصل الا الى فرعون الحاكم ، الذى أقيمت له التماثيل فى المعابد وقرن بالآلهة الحقيقية ، لأن صفة فرعون كاله دنيوى كانت تنتهى بوفاته وتنتقل الى خليفته . وقد كان فرعون المتوفى ينضم الى زمرة الموتى المؤلهين فى العالم الآخر ، لأن المصريين كانوا يعتقدون أنهم جميعا يشبهون بأوزيريس بعد مماتهم بفضل طقوس الموتى ، فلم يكن لفرعون ، وقد انتقل الى العالم الآخر ، أى حق الا فى العبادة التى أعد فى خلال حياته، كأى فرد آخر، الوسائل لاقامتها (١).

وكان هناك فى الأصل فارق آخر بين عبادة البطالمة عبادة اغريقية رسمية عامة وعبادتهم بوصفهم فراعنة عبادة مصرية رسمية عامة ، ففى العبادة الاغريقية كانت زوج الملك تشرك معه ، وأما فى العبادة المصرية فان الملك ، دون زوجه ، هو الذى كان ينفرد بالعبادة . بيد أن هذين الفارقين قد زالا على الأقل منذ عهد بطلميوس الثالث ، فقد مر بنا أنه منذ ذلك الوقت أصبح اشراك الملك الحاكم وزوجة مع من سبقهما من البطالمة المؤلهين ومع الآلهة المصرية فى كل المعابد تقليدا مرعيا (٢) .

عبادة البطالمة عبادة اغريقية رسمية محلية مقرها مدينة بطوليس :

وقد أنشئت فى مدينة بطوليس (المنشاة بمحافظة سوهاج) عبادة اغريقية رسمية لأفراد أسرة البطالمة ، لها كهنة تؤرخ الوثائق بأسمائهم . ولذلك فانه بينما كانت الوثائق فى كل أنحاء مصر الأخرى تؤرخ بأسماء كهنة العبادة الاغريقية الرسمية العامة ، التى كان مقرها فى الاسكندرية ، كانت وثائق بطوليس وكل منطقة طيبة كثيرا ما تؤرخ أيضا بكهنة العبادة الاغريقية الرسمية المحلية ، التى كان مقرها فى مدينة بطوليس (٣) . وكان بطلميوس الأول سوتير ، مؤسس هذه المدينة ، يحتل مكان الصدارة بين البطالمة المؤلهين فى هذه العبادة الاغريقية الرسمية المحلية (٤) ، فى حين

(1) Bouché-Lecl., III. p. 32 ; C.A.H., VII, pp. 18-19.

(٢) انظر ص ٢٦ و ٢٧ ولكن راجع : Bouché-Lecl. III, p. 33.

(3) Plaumann, Ptolemais in Oberaegypten, Leipzig, 1910, pp. 49-50 ; Otto, I, p. 161, fn. 1.

(4) Plaumann, op. cit., pp. 39-54 ; Otto, I, pp. 160 ff. ; Scherer, Le Culte de Sorter à Ptolemais et à Coptos, Bulletin I.F.A.O., 1942, XLI, pp. [illegible]1-3.

أن الاسكندر الاكبر هو الذى كان يحتل مكان الصدارة فى العبادة الاغريقية العامة ، على نحو ما رأينا • ويرى أوتو (١) أن بطلميوس الثانى هو الذى أنشأ هذه العبادة اجلالا لأبيه ، عندما رفعه الى مصاف الآلهة بعد وفاته ، وأنه اذا كانت هذه العبادة لم تذكر فى الوثائق قبل العام الثامن من حكم بطلميوس الرابع (٢١٥/٢١٤ ق • م •) فان ذلك قد يرجع الى اهمال الكتاب ، والى أن التأريخ بكهنة هذه العبادة كان مقصوراً على منطقة طيبة • ويرى أنه اذا كانت قد وصلت الينا وثائق كثيرة من منطقة طيبة من عهد بطلميوس الثانى والثالث ولم يرد بها ذكر هذه العبادة ، فانه يستخلص من ذلك أن تأريخ الوثائق فى هذه المنطقة بكهنة هذه العبادة أتى متأخرا عن انشاء العبادة نفسها • ويرى أنه اذا كانت الوثائق تحدثنا بأن أفراد اسرة البطالمة ، ابتداء من بطلميوس الرابع ، قد أشركوا مع بطلميوس الأول فى هذه العبادة ، فانه لا يبعد أن يكون بطلميوس الثانى وبطلميوس الثالث قد أشركا مع بطلميوس الأول من قبل •

أما بلاومان (٢) (Plaumann) فانه يرى أنه كان يوجد فى بطوليس عبادتان : احداهما خاصة ببطلميوس الأول الاله سوتير أو الاله الأعظم سوتير (Megistos Theos Soter) بوصفه مؤسس هذه المدينة ، والأخرى عبادة محلية لبطلميوس الأول وغيره من البطالمة • ويرى أن العبادة الأولى قد أنشئت فى خلال حياة بطلميوس الأول ، لأنه اذا كانت بعض المدن خارج مصر ، مثل جزر القوفلاد ورودس وهاليقارناسوس ، قد اعترفت بفضله وعبدته فى حياته ، فقد كانت المدينة التى أسسها وتحمل اسمه أحق بالاعتراف بهذا الفضل ، ولا سيما أن عبادة مؤسسى المدن كانت شائعة بين الاغريق من قبل العصر الهلينيسى • ويرى هذا المؤرخ أن بطلميوس الرابع هو الذى أنشأ العبادة الثانية ، لأنها لم تذكر فى الوثائق الا فى عهد هذا الملك ، وأنه لا يمكن الجزم هل استمرت العبادتان منفصلتين بعد ذلك أم أنهما أدمجتا فى بعضهما بعضاً •

---

(1) Otto, I, pp. 160-1 ; Der Kult des Ptolemaios Soter in Ptolemais. Herm. • XLV, 1910. pp. 632 ff.

(2) Plaumann, pp. 50 ff. , cf. Fraser, I, pp. ..., ...-20.

ونحن نرجح أنه بعد تأسيس مدينة بطولميس ، أنشئت هناك عبادة اغريقية لبطلميوس الأول بوصفه مؤسسها ، وأن الوثائق كانت لا تؤرخ بهذه العبادة . وأما فى عهد بطلميوس الرابع ، فان هذا الملك جعل هذه العبادة الاغريقية عبادة رسمية محلية تؤرخ بها الوثائق فى منطقة طيبة ، على أن يشرك الملك الحاكم مع رأس الأسرة فى هذه العبادة ، أى أنه لم تكن هناك عبادتان بل عبادة واحدة ، طرأت عليها عدة تطورات منذ عهد بطلميوس الرابع . ويؤيد هذا الرأى أن كل ما لدينا من وثائق لها صلة بهذه المسألة لا تذكر الا العبادة التى أشرك فيها أفراد أسرة البطالمة مع بطلميوس الأول ، ولا تسبق أية وثيقة منها عهد بطلميوس الرابع . والتطورات التى طرأت على هذه العبادة منذ عهد بطلميوس الرابع كانت كما يلى (١) :

أولا ، فى عهد بطلميوس الرابع (٢٢١ — ٢٠٣) أشرك الالهان فيلوپاتورس مع بطلميوس سوتير. فكان كاهن هذه العبادة يدعى كاهن بطلميوس سوتير والالهين فيلوپاتورس ، وأصبحت وثائق منطقة طيبة تؤرخ بكاهن هذه العبادة منذ عام ٢١٥/٢١٤ ق.م. ولدينا وثائق مؤرخة على هذا النحو من العام الثامن (٢) والثانى عشر (٣) والخامس عشر (٤) من عهد هذا الملك (٢١٥/٢١٤ ، ٢١١/٢١٠ ، ٢٠٨/٢٠٧ ق.م) . وكان أسماء الكهنة على التوالى نيقاندروس ونيقانور ونينوس .

ثانياً ، ويتسم عهد بطلميوس الخامس (٢٠٣ — ١٨٠) بظاهرتين هما :

١ — أصبح كاهن هذه العبادة يدعى « كاهن بطلميوس سوتير والاله إپيفانيس يوخاريستوس » . ولدينا وثائق مؤرخة على هذا النحو من العام السابع (٥) والعام الثالث والعشرين (٦) من عهد هذا الملك (١٩٨/١٩٧ ،

(1) Plaumann, Heireis in P. — W. Realencycl. 8, 1913, Col. 1432 ; Thompson in Studies to Griffith, pp. 29-33 ; Scherer, in B.I.F.A.O., XLI, 1942, pp. 43-73.

(2) B.M. Dem. P. 10377 ; Revillout, in Rev. Eg., I, p. 20 ; Thompson in studies To Griffith, pp. 29-30, 32-33, nn. 1-6.

(3) Dem. P. Bologna, Rev. Eg., III, p. 2, fn. 5 ; P. Lond. in P.S.B.A. XIV (1891 — 92); pp. 60 ff. ; P.S.B.A., XXIII (1901), pp. 294 ff. ; Dem. P. Berlin 3075, in Revillout, Nouv. Chrest. Dem., pp. 4 ff.

(4) Dem. P. Lond., in Rev. Eg., III, p. 2, fn. 5.

(5) Dem. P. Louvre 2435, in Revillout Chrest. dem., pp. 339 ff.

(6) Dem. P. Berlin 3114 et 3140 in Nouv. Chrest. dem., pp. 66 ff ; Spiegelberg, Dem. P. Berlin, p. 7.

١٨٢/١٨١ ق ٠ م) ٠

٢ — وقبل العام الثالث والعشرين (١٨٢ — ١٨١) أو على الأقل فى خلال ذلك العام (١) من عهد بطلميوس الخامس ، أنشئت فى هذه العبادة كاهنة (Kanephoros) لأرسينوى فيلادلفوس (٢) ؛ وأصبحت تذكر فى الوثائق منذ ذلك الوقت (٣) ٠

ثالثا ، ويتسم عهد بطلميوس السادس فيلوميتور (١٨٠ — ١٤٥) بأربع ظواهر هى :

١ — ظل كاهن هذه العبادة يعرف لعدة سنوات فى هذا العهد ، على نحو ما كان يعرف فى العهد السابق ، باسم « كاهن بطلميوس سوتر وبطلميوس ايبفانيس يوخاريستوس » ٠ ويصعب تفسير هذه الظاهرة ولا سيما أنه مر بنا أنه برغم حداثة سن بطلميوس السادس عند ارتقائه العرش فان أمه لم تتوان فى تأليهه واشراكه فى العبادة الاغريقية الرسمية العامة ٠

ولما كنا نعرف من برديات ديموتيقية « بعضها (٤) من العام السادس من عهد بطلميوس السادس (١٧٦ — ١٧٥) واحداها (٥) من العام الحادى عشر من عهد هذا الملك (١٧١ — ١٧٠) وكذلك من نقش اغريقى (٦) من عهد بطلميوس السادس أيضا » أن هيپالوس حاكم منطقة طيبة كان يشغل كذلك منصب هذا الكاهن فى السنوات التى ترجع اليها هذه الوثائق ، فان هذا يدل على أنه فى عبادة بطوليس ، مثل عبادة الاسكندرية ، كان من الممكن أن يتولى شخص واحد منصب الكهانة عدة مرات ٠

---

(1) Dem. P. Berlin 3114 et 3140, in Nouv. Chrest. dem., pp. 66 ff. ; Spiegeberg, Dem. P. Berlin, p. 7.

(٢) ويعترف بوشيه لكلرك بأنه لم يعرف الا كاهنتين من كاهنات ارسينوى فى عبادة بطوليس ذكر اسم اولاهما فى وثيقة من العام الثالث والعشرين من عهد بطلميوس الخامس ، واسم الأخرى فى وثيقة من عهد بطلميوس يورجتيس الثانى ، ومع ذلك يظن ان منصب هذه الكاهنة أنشىء فى عبادة بطوليس فى عهد بطلميوس الثانى (Bouché-Leclercq, III, p. 61).

(3) P. Amh. II., 45 (150-145 B.C.).

(4) Dem. P. Berl. 3111 ; 3141, in Chrest. dem., pp. 134. ff. and Spiegelberg, Dem. P. Berl., p. 8 ; Dem P. Louvre, 3440 ; Nouv. Chrest. 375 ff.

(5) Dem. P., Rev. Eg., 1, p. 93.

(6) Strack, no. 94, p. 250 ; Ditt., O.G.I.S. 103 ; S. B. 8876.

٢ — ظهر فى الوثائق كاهن جديد يدعى « كاهن الملك بطلميوس وكليوپترة الأم » (كليوپترة الالهة ايپفانيس زوج بطلميوس الخامس الاله ايپفانيس) . وكان هذا الكاهن يذكر بعد « كاهن بطلميوس سوتير والاله ايپفانس يوخاريستوس » وقبل « كاهنة أرسينوى فيلادلفوس » ، وبذلك أصبح يوجد فى عبادة بطوليس كاهنان وكاهنة . ونستدل على ذلك من وثائق ترجع الى العام الثالث (١) والعام السادس (٢) والعام الحادى عشر (٣) من عهد هذا الملك (١٧٩/١٧٨ ، ١٧٦/١٧٥ ، ١٧١/١٧٠) .

٣ — بين العام الحادى والعشرين (١٦١/١٦٠) والعام الثامن والعشرين (١٥٤/١٥٣) من عهد بطلميوس السادس وضع نظام جديد لعبادة بطوليس (٤) ، فقد أصبح الآن لكل ملك من ملوك البطالمة كاهن سنوى خاص به . وكانت القائمة تبدأ بكاهن بطلميوس الأول فكاهن الملك الحاكم (بطلميوس السادس فيلوميتور) فكهنة بطلميوس الثانى ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس ثم بطلميوس يوپاتور (٥) ... ومن الثابت أن هذا النظام قد استمر فى عهد بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى (٦) . ويحتمل أنه استمر كذلك فيما بعد حتى نهاية أسرة البطالمة ، لكنه لا توجد لدينا أدلة على ذلك ، اذ أنه عندما طالت قائمة الكهنة كان الكتاب يكتفون بأن يقولوا « عندما كان يوجد كهنة وكاهنات فى بطوليس بمنطقة طيبة » (٧) .

٤ — وفى هذا العهد أيضا أضيفت الى كاهنة أرسينوى فيلادلفوس ثلاث كاهنات احداها لكليوپترة الأم (كليوپترة الأولى) والثانية للملكة كليوپترة (كليوپترة الثانية) والثالثة لكليوپترة الابنة (كليوپترة الثالثة فيما بعد) . وأول وثيقة ورد فيها ذكر كاهنة كليوپترة الأولى ترجع الى

(1) Dem. P. Cairo 30968, p. 207, and 30783, pp. 162—163.

(2) Dem. P. Berlin 3111 and 3141 = Nouv. Chrest. dem., p. 134 = Spiegelberg, Dem. P. Berlin, p. 8.

(3) Dem. P.; Rev. Eg., I, p. 93.

(4) Otto, I, p. 162.

(5) S. B. 4637.

(6) Dem. P. Berlin, 3090 and 3091, in Nouv. Chrest. Dem., pp. 32 ff; P. Grenf., I, 12; II, 15; P. Amh., II, 45.

(7) Otto, I, p. 162.

عام ١٥٤/١٥٣ ق٠م (١) ، أى الى ما بعد وفاة هذه الملكة بنحو عشرين عاما وأول وثيقة ذكرت فيها كاهنة كليوپترة الثانية ترجع الى عام ١٦١/١٦٠ ق٠م٠ (٢) ٠ واما كاهنة كليوپترة الابنة فقد ذكرت لأول مرة فى وثيقتين ترجعان الى العام السادس والثلاثين من حكم بطلميوس السادس (١٤٦/١٤٥ ق٠م) (٣) ٠ وكانت كاهنتا كليوبترة الثانية وابنتها تذكران ، وهما على قيد الحياة قبل كاهنة كليوپترة الأولى التى توفيت ، ثم تأتى كاهنة أرسينوى فى المؤخرة (٤) ٠

رابعا ، فى عهد بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى ، أضيف كاهن جديد يدعى « كاهن العرش الذهبى للملك بطلميوس الاله يورجتيس ، الملك العظيم يوخاريستوس » ٠ وكان هذا الكاهن يذكر بعد كاهن بطلميوس سوتير وكاهن بطلميوس الثامن ، أى أن ترتيبه كان الثالث ٠ وقد ورد ذكر هذا الكاهن فى وثائق ترجع الى عام ١٣٩ (٥) وعام ١٢٧/١٢٦ (٦) وعام ١٢٣ (٧) ٠

ويبدو اذن مما مر بنا أن هذه العبادة كانت أكثر تعقيدا من العبادة الاغريقية الرسمية العامة التى كانت الاسكندرية مقرها ، لأنه فى هذه العبادة العامة ، اذا استثنينا كاهنات الملكات كان كاهن واحد يقوم بطقوس الاسكندر الاكبر وسائر ملوك البطالمة المؤلهين ، وكان انتقال الحكم من ملك الى آخر لا يقتضى أكثر من اضافة زوجين جديدين الى سلسلة الآلهة وأما فى العبادة التى كانت بطوليس مقرها ، فيبدو أنه منذ حوالى منتصف عهد بطلميوس السادس أصبح لكل ملك كاهن خاص (٨) ٠ ولم يكن

(1) Lepsius, Abh. Berl., 1852, p. 496 ; Dem. P. Berl., 3097 et 3070, in Revillout Nouv. Chest. dem. pp. 46 ff. ; Cf, P. Grenf., I, 12 ; P. Amh., II, 45 ; p. Grenf., II, 15.
ويلاحظ انه قد ذكر ايضا لقب هذه الملكة باعتبارها الآلهة ايبفانيس (زوج بطلميوس الخامس الاله ايبفانيس)

(2) Lepsius, op. cit., p. 496 ; Dem. P. Berlin, 3090 et 3091, in Nouv. Chrest. dem., pp. 82 ff. ; Spiegelberg, Dem. P. Berl. 12 ; Cf. P. Amh., II, 45.

(3) Dem. P. Biblioth. Nationale 218, in Chrest. dem., pp. 62 ff. ; Dem. P. Strassb. 21.

(4) Cf. P. Grenf., I, 24 ; II, 15 ; P. Amh., II, 45.
(5) P. Grenfell, II, 15.
(6) Stud. Pal. Pap., IV, p. 53.
(7) P. Lond., III, pp. 6-7.
(8) Bouché-Leclercq, III, pp.62-3.

لهذه العبادة الرسمية المحلية من الأهمية ما كان للعبادة الرسمية العامة ، لأن تأريخ الوثائق بكهنة عبادة پطولميس لم يكن اجبارياً حتى فى منطقة طيبة ، ولم يفكر أحد من محررى الوثائق خارج تلك المنطقة فى استعمال هذا التأريخ على الرغم من أن پطولميس كانت ، اذا جاز القول ، عاصمة الاغريق فى الوجه القبلى • ويحتمل أن هذه العبادة أنشئت فى پطولميس لتوازن نفوذ هيئة الكهنة المصريين فى طيبة ، ولايجاد مناصب فخرية تلهو بها الأرستقراطية المحلية (١) • وقد كان فى الامكان الجمع بين هـذه المناصب الفخرية ومناصب أخرى لها خطرها وامتيازاتها ، فقد أسلفنا أنه شغل منصب «كاهن بطلميوس سوتر وبطلميوس ايبفانيس يوخاريستوس» لعدة سنوات فى عهد بطلميوس السادس فيلومتور،شخص يدعى هيپالوس (Hippalos) كان من « الأصـدقاء الأول » و « ايبستراتيجوس ، (Epistrategos) » (٢) ، أى حاكمـاً عامـاً • وسنرى أنه لم يكـن على الأرجح حاكماً عاماً لمنطقة طيبة فحسب ، بل لمصر بأجمعها (٣) •

وعلى نقيض ما يراه أوتو ، لـم يقض الفتح الرومـانى على عبادة بطلميوس سوتر فى پطولميس ، اذ أن القرائن توحـى بأنه كما احترم الرومان عبادة الاسكندر الأكبر بوصفه مؤسس الاسكندرية احترموا كذلك عبادة بطلميوس الأول بوصفه مؤسس پطولميس ، فقد استمـرت العبادتان قائمتين مدة طويلة فى عصرهم (٤) •

عبادة البطالمة عبادة غير رسمية :

ولقد كان البطالمة يعبدون كذلك عبادة اغريقية غير رسمية يقيـم شعائرها الناس ، أفراداً كانوا أو جماعات ، مثل الجمعيات الدينية التى سيأتى ذكرها فيما بعد (٥) ، ذلك أن بعض هذه الجمعيات كانت تتخذ الملك أو الملكة الهاً أو أحد الآلهة التى تتجه اليها بالعبادة ، مثل جمعية فنانى ديونوسوس والالهين أدلفوى فى پطولميس (٦) ، وبوجه خاص جمعيات

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 63.
(2) Maspero-Miller, B.C.H., IX, 1885, p. 141 ; Strack, no. 94.
(3) Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 717 ; O.G.I.S., 103 ; P. Tebt. 895.
(4) Scherer, B.I.F.A.O., XLI, 1942, pp. 71-3.
(٥) راجع القسم التالى الخاص « بالبطالمة وديانة الاغريق » .
(6) Strack, nn. 35 ; 36.

الحاميات العسكرية ، مثل جمعية الملكين (Basilistai) — وهى التى أنشأها ضباط حامية أسوان فى معبد جزيرة سيتيس (Setis) على عهد بطلميوس السادس لاقامة الحفلات السنوية اجلالا للملك بطلميوس وزوجته وأولادهما (١) — وجمعية أصدقاء الملك (Philobasilistai) وهى التى أنشأها العسكريون فى طيبة وفى هرموثيس (٢) .

وكان الناس يقيمون هيكلا أو مذبحاً للملك أو الملكة ، ومثل ذلك أن شخصاً « من ليبيا من طبقة السلالة » كان يعيش فى قروقوديلوپوليس بمديرية أرسينوى فى عصر بطلميوس الثالث ، وأوصى الى رجل رودسى بهيكل كان قد أقامه لبرنيقى وأفروديتى أرسينوى (٣) . فقد انتشرت للملكات البطالمة عبادات خاصة تنجت عن تشبيههن بالهة أو بأخرى كانت فى أكثر الحالات أفروديتى أو ايزيس . وتدل وفرة القرائن على أنه لا يجوز الاقلال من شأن هذه العبادات التى كان لها كثيرون من الأتباع (٤) .

واذا كانت ارسينوى الثانية قد حظيت بنصيب الأسد من العبادات التى وجهت الى ملكات البطالمة ، فانه كان أيضاً لكليوپترة الثالثة وكليوپترة السابعة نصيب موفور من هذه العبادات ، بل ان هاتين الملكتين تمتازان حتى على ارسينوى الثانية بأنهما ظفرتا فى حياتهما بقدر كبير من التأليه (٥) .

وكانت الحكومة تمنح المنشآت الدينية المقامة لأسرة البطالمة امتيازات قد تشمل أهم ما كانت المعابد تطمع فيه ، وهو حق حماية اللاجئين اليها . فقد وصل الينا من يوهيمريا (Euhemeria) بالفيوم نقش مشوه يبدو أنه كان من معبد أقامته احدى الجمعيات اجلالا للملك وآبائه ، ويشير هذا النقش الى أن هذا المعبد منح حق حماية اللاجئين اليه مثل المعابد المجاورة له (٦) .

(1) Strack, no. 95.
(2) Pap. Par., 15 ; p. Amh., II, 39.
(3) Pap. Petr., I, no. 21 ; III, no. I, Col. 2 (237 B.C.) ; Cf. Revillout, Mélanges, p. 424 ; Précis, p. 786, 1.
(4) Tondriau, B.S.A.A. 37, 1948, pp. 1-24.
(5) Tondriau, Rev. Hist. Relig., op. cit., p. 220.
(6) Fayum Towns, pp. 48-50.

ولا شك فى أن عبادة البطالمة لم تكن مقصورة على مصر وحدهـا ، بل وجدت كذلك فى ممتلكات مصر الخارجية . لكنه يبدو أن عبـادة البطالمة هناك لم تكن رسمية لأنه اذا كانت الاهداءات المتعددة « للالهة فيلادلفوس » تشير الى رغبة أشخاص كثيرين فى التقرب الى ملـك مصر (١) ، فاننا لا نجد فى الوثائق ، التى وصلت الينا من ممتلكات مصر الخارجية ، ما يشير الى عبادة البطالمة هناك عبادة رسمية على نمط عبادتهم فى مصر .

ولقد امتلكت مصر جزيرة قبرص مدة طويلة ، بل كانت قبرص أطول ممتلكات مصر بقاء تحت سيطرة البطالمة ، فلو أن البطالمة فرضوا عبادتهم فى ممتلكاتهم الخارجية ، لكانت قبرص فى مقدمة هذه الممتلكات ، ولوجدنا فى وثائقها ما يشير الى ذلك . ونحن نعرف أن نائب الملك فى قبرص كان أيضا « كبير الكهنة » هناك منذ عهد بطلميوس الخامس (٢) ؛ لكننـا لا نعرف هل هذا الحاكم ، بوصفه كبير الكهنة ، كان أيضاً كاهن البطالمة المؤلهين ، لأن لقبه كان اما « كبير الكهنة » (٣) فقط ، واما « كبير كهنة آلهة قبرص » (٤) ، واما « كبير كهنة آلهة الجزيرة » (٥) ؛ واما كبـير كهنة الجزيرة » (٦) . ويضاف الى ذلك أن منصبه كان لمدة غير محدودة ، ولم يكن يعين سنوياً ، مثل كهنة عبـادة الاسكنـدرية أو كهنة عبادة بطوليس (٧) .

ونجد فى نقش من مدينة بافوس (Paphos) بجزيـرة قبرص ، من عهد بطلميوس التاسع فيلومتور سوتير ، أن أهل هذه المدينة أصدروا أقراراً اجلالا لشخص يدعى أونيساندروس (Onesandros) بوصفه « كاهنا لمدى الحياة للملك بطلميوس الاله سوتير وللهيكل الذى أسسه ، وبوصفه مسجل مدينة بافوس والمشرف على المكتبة الكبرى بالاسكندرية (٨) » . ومن المحتمل أن هذه العبادة كانت خاصة فى أول الأمر ثم تحولت الى

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 67. (2) Strack, no. 78 ; O.G.I.S., 93.
(3) Strack, nos. 117, 124, 125, 127, 161.
ومنذ حكم بطلميوس الثامن كان يدعى ايضا nauarchos اى قائد الأسطول (Ditt. I, p. 134) فى حين انه كان يدعى فى بداية الأمر قائدا (Strategos) فقط.
(4) Strack, no. 118. (5) Strack, nos. 84, 128.
(6) Strack, no. 78. (7) Bouché-Leclercq. III, pp. 66-7.
(8) Strack, no. 131 ; O.G.I.S., 172.

عبادة محلية فى المدينة •

ويبدو أن حاميات ممتلكات مصر الخارجية اقتفت أثر حاميات الحدود المصرية ، من حيث اظهار ولائها لملوك البطالمة باتخاذهم آلهة لها ، وأن هذه العبادة كانت توجه خاصة الى الملكين الحاكمين (الملك وزوجه) ، ومثل ذلك أنه فى قيتيون (Kition) كان ميلانقوماس (Melankomas) الأيتولى ، قائد الحامية هناك ، « كاهن الالهين يورجتيس » فى عهد بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى (١) •

ونستخلص اذن مما مر بنا أن البطالمة كانوا موضع أربع عبادات مختلفة وهى :

١ — عبادتهم فى المعابد المصرية عبادة مصرية رسمية عامة ، بوصفهم فراعنة • ولم يكن للاغريق أى دخل فى هذه العبادة ، فقد كانوا يجهلون كل ما يحدث فى المعابد المصرية وكل ما يكتب باللغة الهيروغليفية ، بيد أنه لابد من أن الملوك عنوا دائما عن طريق عملائهم المصريين ، بأن يقيم لهم الكهنة المصريون من الطقوس ما يعبر بجلاء عن ولاء رعاياهم المصريين وما يتناسب مع مركزهم •

٢ — عبادتهم عبادة اغريقية رسمية عامة فى مصر ، تلك العبادة التى نتجت عن الدين الرسمى الذى وضع بطلميوس الأول أساسه ، عندما جعل عبادة الأسكندر دينا رسميا فى مصر ، لأنه استن بذلك سنة تأليه حكام مصر بعد مماتهم • ومنذ عهد بطلميوس الثانى أصبح ملوك وملكات البطالمة يرفعون الى مصاف الآلهة فى حياتهم ويحتفظون بألوهيتهم بعد مماتهم ويقرنون مع الاسكندر فى العبادة • وفى عهد بطلميوس الرابع اكتمل تطور هذه العبادة لتشمل كل ملوك وملكات البطالمة ابتداء من بطلميوس الأول وزوجه •

٣ — العبادة الرسمية المحلية التى أنشأتها المدن الاغريقية اجلالا لهم ، اما فى مصر مثل بطوليميس واما خارج مصر مثل جزر القوقلاد ورودس •

٤ — العبادة الاغريقية غير الرسمية التى كان الأفراد والجماعات يقيمون شعائرها حسبما يتراءى لهم •

(1) O.G.I.S. 134 ; Strack n. 122.

٢ — البطالمة وديانة الاغريق

الاعتراف بالديانة الاغريقية ديانة رسمية :

كان البطالمة مقدونيين الا أن مثلهم مثل سائر المقدونين كانوا اغريقاً فى كل نواحى حياتهم،لأنه حتى قبل عصر الاسكندر،اذا كان للمقدونيين أى قسط من التعليم ، فان ذلك التعليم كان اغريقياً . وكذلك كانت دياناتهم اغريقية ، كما أن أسماءهم كانت الى حد كبير اغريقيـــة ، بل أن أسرتهم المالكة كانت تزعم أنها تنحدر من سلالة الآلهة الاغريقية . وجملة القول أن البطالمة كانوا اغريقا فى ثقافتهم ودياناتهم . وقد زعموا هم أيضاً أنهم من سلالة الآلهة الأغريقية ، ينحدرون من ناحية الجد عن هرقل بـــن زيوس ومن ناحية الجدة عن ديونوسوس بن زيوس (١) . ومعنى ذلـــك أنه اذا لم يكن هناك باعث آخر على اظهار احترامهم للديانة الأغريقية ، والاعتراف بها ديانة رسمية فى دولتهم ، الى جانب الديانة المصرية ، غير شعورهم الدينى وأصلهم السماوى الأغريقى لكان ذلك كافيا .

بيد أنه كان يوجد باعث آخر ، باعث سياسى له وزنه . فقـــد عرفنا كيف أن البطالمة الأوائل كانوا يتطلعون الى لعب الدور الأول فى عالم بحر ايجة ، وكان يعج بالاغريق ، وكيف أن أولئك البطالمة كانوا فى حاجة ملحة الى الاغريق لتحقيق مشروعاتهم الخارجية والداخلية . وازاء ذلك كـــان لزاما على البطالمة أن يظهروا أمام الاغريق قاطبة فى ثوب حماة الحضـــارة الأغريقية ، وأن يثبتوا اجلالهم لديانة الاغريق .

انشاء علاقات مع مراكز العبادة فى العالم الاغريقى :

وينهض دليلا على ذلك اهتمامهم بانشاء علاقات قوية بينهم وبين أشهر مراكز العبادة فى بلاد الاغريق ، وهو ما يمكن تبينه من القرابين التـــى كانوا يقدمونها الى المعابد الاغريقية ، ومن البعوث الرسمية التى كانوا يوفدونها للاشتراك فى الحفـــلات الدينية (٢) . وحسبنـــا أن نشير هنا الى علاقات البطالمة الأوائل مع أكبر المعابد فى بلاد الاغريـــق . ويبـــدو أن

(1) C. I. G. 5127 ; Strack, no. 3 ; Michel, 1239 ; Theocr., XVII, 23-30.

(2) Otto II, p. 265 ; Niese, Gesch. d. Gr. u. Maked. II, pp. 206 — 7 ; Kern, Inschr. von Magnesia, no. 23 ; O. G. I. S. nos. 63, 150 ; Bouché-Leclercq, I, pp. 157, 240—1 ; Collignon, Sculpture Gr., II, p. 559.

هؤلاء الملوك وجهوا عناية كبيرة الى ديلوس ، حيث حرصوا جميعا على تقديم القرابين فى معابدها (١) ، وحيث أنشأ فيلادلفوس فى عام ٢٧٩ حفلا سنويا يدعى بطولاييا (٢) ، عرفنا أنه أبطل عندما فقد هذا الملك سيادة جزر القوقلاد فى عام ٢٥٥ ، لكن فيلادلفوس أعاد هذا الحفل فى عام ٢٤٩ ، بعد أن استرد ثانية سيادة هذه الجزر . وقد أهتم بطلميوس الثالث باحياء هذا الحفل فى عام ٢٣٦ (٣) .

ولم تقتصر علاقات البطالمة الأوائل على ديلوس ، اذ أنه عثر على تماثيل لبطلميوس الأول والثانى وأرسينوى الثانية فى أثينا (٤) وفى أولومپيا (٥) ، وتماثيل لبطلميوس الثانى فى دلفى (٦) ، وتمثال لأرسينوى الثانية فى هليقون (Helicon) (٧) ببيويوتيا . وتشير المصادر القديمة الى أن بطلميوس الأول قدم القرابين فى طيبة بيويوتيا وفى دلفى حيث فاز فى سباق العجلات (٨) ، وكذلك فازت بيليستيخى (Bilistiche) حظية فيلادلفوس فى سباق العجلات فى أولومپيا (٩) . وقد أقام فيلادلفوس هيكلا وتماثيل لأبويه فى دودونا (١٠) ، وأحيا بسخاء هو وأرسينوى حفلا دينيا فى ثسپياى (Thespiae) (١١) .

انشاء حفلات دينية اغريقية :

ونستدل كذلك على إهتمام البطالمة بالمحافظة على مظاهر العبادة الاغريقية من الحفلات الدينية ، التى أنشأوها على نمط الحفلات الدينية الأولومپية أو الحفلات الأثينية الجامعة (Panathenaia) ، وكان يحج اليها السفراء والمتبارون من كافة أنحاء العالم الاغريقى (١٢) . ويعطينا ثيوقريتوس صورة حية لاحتفاء الاسكندرية باقامة حفل أدونيس الذى أنشأه فيلادلفوس اجلالا لأرسينوى الثانية (١٣) . وتحدثنا الوثائق البردية عن حفل أرسينوى (١٤) ، ويبدو أنه كان حفلا

---

(1) Durrback, Choix d'Inscr. de Delos, pp. 25, 48 ; Bouché-Leclercq, I, pp. 240-241.
(2) Durrback, p. 25. (3) Durrback, p. 43. (4) Pausnias, I. 8, 6
(5) Pausanias IV, 17, 3 ; VI, 15, 10 ; Arch. Zeitung, 36, 1878, 174.
(6) Pausanias X, 10, 2. (7) Pausanias, IX, 11, 1.
(8) Pausanias, X, 7, 8. (9) Pausanias, V, 8, 11.
(10) Athenaeus. V, 203 a. (11 Niese, II, p. 206.
(12) Niese, II, p. 108. (13) Theocritus, Idyll XV, 110.
(14) P. Cairo — Zenon. 59033 (257 B.C.) ; 59185 (255 B.C.) ; 59217 (254 B. C.) ; P. Oxy., 2465, fr. 2, col. 1.

جليل الشأن يقام فى الاسكندرية وفى مديرية أرسينوى (الفيوم).ويبدو أيضا أن هذا الحفل كان يقام كل عام فى موعد قريب من الذكرى السنوية لوفاة أرسينوى الثانية ويتصل بالعبادة التى أنشئت لها. بوصفها الالهة فيلادلفوس (١) . وتتحدث المصادر كذلك عن حفل ديمتر ، ويبدو أنه كان حفلا اغريقيا عاما يحرص الاغريق على اقامته حيثما يعيشون ، اذ يبين أنه كان يقام على الأقل فى الاسكندرية (٢) والفيوم (٣) . وقد ورد فى بردية مشهورة (٤) ذكر ثلاث حفلات كانت تقام فى الاسكندرية وتؤلف المباريات الرياضية جزءاً منها . والحفل الأول لا نعرف اسمه بسبب تهلهل ذلك الجزء من الوثيقة الذى ورد فيه ، لكن المؤرخين يرجحون أنه كان اجلالا لذكرى الاسكندر المؤله بوصفه مؤسس الاسكندرية . وأما الحفل الثانى فانه حفل الباسيليا (Basileia) وقد ورد اسم هذا الحفل فى نقشين ، أحدهما (٥) من أتيقا من أواخر القرن الرابع ويحتفى بفوز رجل يدعى نيقوقليس فى احدى مباريات هذا الحفل ، والآخر (٦) من ريف مصر من عام ٢٦٧/٨ ويضم أسماء الفائزين فى مباريات هذا الحفل الذى أقيم يوم عيد ميلاد فيلادلفوس . واذ يغفل فريزر أمر النقش الأول ، ويتخذ من النقش الثانى دليلا على أن هذا الحفل كان للاحتفال بعيد ميلاد فيلادلفوس ومن بعده بأعياد ميلاد خلفائه ، لا يستبعد أن عيد ميلاد فيلادلفوس كان يعتبر كذلك عيد ارتقائه العرش . وعندنا أنه فى ضوء هذين النقشين معا ، وما ينم عنه ذات اسم الحفل ، وعدم استخدام هذا الاسم الا فى مصر ، وتسمية عيد الميلاد عادة بما ينم عنه صراحة (Genethlia) ، يبدو أولا ، أن بطلميوس الأول هو الذى أنشأ حفل الباسيليا بمناسبة اتخاذه لقب ملك أى أنه كان حفل عيد ارتقاء العرش ؛ وثانيا ، أن اقامة هذا الحفل فى يوم عيد ميلاد فيلادلفوس يرجع

---

(1) Bilabel, Die gräko-äg. Feste, Neue Heidelberger Jahrbucher, Neue Folge, 1929, pp. 80-1 ; Fraser , I, pp. 229-30, 232.

(2) P. Cairo—Zen. I, 50928, 7 (258 B.C.) ; Callimachos, Hymn VI ; E. Cohen, Callimaque, 1922, p. 91 ; «Puisque nous savons que Callimaque a vécu dans le «quartier» de Déméter à Alexandrie au foubourg d'Eleusis il est assez naturel de rapporter l'hymne à ce moment de sa carrière et de penser que la procession alexandrine a été en effet l'occasion de son poème.»; Cf. Bilabel, pp. 35-6.

(3) P. Cairo-Zen. 59027 = S.B. 6784 (258 B.C. ?).

(4) Papyrus Halensis, ll, 262-3. (5) Köhler, Inscr. Att., ii, no. 1367.

(6) Tit. Cair. ined., II, 192 n. 87 ; Fraser, I, p. 232 ; II, p. 282 n. 341.

الى احتمال توافق يوم عيد ميلاده مع يوم عيد ارتقائه العرش . ذلك أنه من الجائز أن الأب اختار عيد ميلاد الابن لاعلان اشراكه معه فى الملك ، وأنه معروف ان فيلادلفوس اعتبر بداية عهده منذ تاريخ هذا الاشراك . بيد أنه لعدم وجود مثل هذا التوافق فى حالة بطلميوس الثالث كان الاحتفال بيوم عيد ميلاده فى ٥ من شهر ديوس والاحتفال بعيد ارتقائه العرش فى ٢٥ من ذلك الشهر (١) .

وأما الحفل الثالث فهو حفل البطولمايا الذى أنشأه بطلميوس الثانى اجلالا لأبيه . وقد عثر فى جزيرة نيقورجيا (Nicourgia) على نقش (٢) يتضمن القرار الذى أصدره مجلس عصبة الجزر ردا على الدعوة التى وجهها اليها بطلميوس الثانى للاشتراك فى الحفل الذى قرر اقامته فى الاسكندرية على نمط الحفلات الأولومبية اجلالا لذكرى أبيه . ولا شك فى أن الحفل المقصود هنا هو حفل البطولمايا ، ولا فى أن المراد بعبارة « على نمط الحفلات الأولومبية » هو اقامة هذا الحفل كل أربعة أعوام. ولما كان قاليكسينوس فى سياق وصف المهرجان المشهور قد أوصى من يريد مزيدا من التفاصيل بالرجوع الى سجلات الحفلات التى تقام كل أربع سنوات (٣) ، وكان يتبين من الوصف أن هذا الحفل مثل الحفلات الأثينية الجامعة يقام بمناسبة ذكرى سنوية معينة (٤) — كانت فى هذه الحالة ذكرى وفاة بطلميوس الأول — فاننا نعتقد أن المهرجان الذى وصفه قالسكينوس يتصل بحفل البطولمايا .

ولما كان حفل البطولمايا يقام كل أربع سنوات ، فانه يبدو معقولا أنه أقيم أول مرة بمناسبة مرور أربعة أعوام على وفاة بطلميوس الأول أى فى عام ٢٧٩ ق.م والمرة الثانية فى عام ٢٧٥ والثالثة فى عام ٢٧١ الخ ...... وازاء سيطرة أرسينوى الثانية على بطلميوس الثانى وبلاطه وسياسته منذ زواجها منه حوالى عام ٢٧٦ وعدم ورود أية اشارة اليها فى وصف المهرجان ، فاننا نستبعد أن هذا الوصف يتصل بمهرجان أقيم بعد زواجها

---

(1) O.G.I.S., 56, ll. 4 ff

(2) I.C.H., XVII, 1893, pp. 205 ff. ; Delamarre, Rev. Phil., XX, 1896, pp. 103—115 ; Michel, Rec. Ins. gr., no. 273 ; Syll. 390.

(3) Athen., V. 197 d.
(4) Athen., V. 198 b.

من بطلميوس الثانى • ولذلك نعتقد أن هذا المهرجان الذى وصفه قاليكسينوس كان بمناسبة اقامة حفل البطولمايا لأول مرة أى فى عام ٢٧٩ • ويؤيد ذلك أن بطلميوس الثانى كان قد خرج عندئذ مظفرا من حرب قاريا أو حرب دمشق ، ومن ثم فان الظروف كانت مواتية لاقامة مهرجان فخم يستعرض فيه قواته وثروته أمام شعبه وبعوث الدول الأجنبية (١) •

وقد بدأ قاليكسينوس وصفه الرائع ، الذى حفظه لنا أثيناسيوس (Athenaeus) (٢) ، بوصف قاعة الولائم ، وكانت على شكل سرادق مستطيل ، شيدت بعض أعمدته على طراز مصرى فى شكل النخيل • ولم يدخر جهد ولا مال فى تجميل هذه القاعة وتزيينها ، فقد علقت حولها ستائر مزركشة وجلود حيوانات مفترسة ، وصفت على جانبيها مائة أريكة موشاة بالذهب ، وفرشت أرضها بالطنافس الفارسية ، ونثرت بالورود والأزهار ، وزين المكان بأبدع ما أخرجه المبرزون من المثالين والمصورين ، وأجمل ما ابتكره أمهر الصناع من الملابس المزركشة بالذهب والدروع الموشاة بالذهب والفضة ، ووضعت فى مكان بارز من القاعة أريكة عرضت عليها آنية كثيرة من الذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة (٣) .

ويحدثنا قاليكسينوس بأن المهرجان أقيم فى مضمار السباق ودام من الصباح حتى الليل ، ومن ثم فانه كان يتقدمه ذلك القسم من المهرجان الذى يمثل نجم الصباح ، ويأتى فى المؤخرة ما يمثل نجم المساء • وقد تبع نجم الصباح القسم الخاص ببطلميوس سوتر وزوجه ، ثم تلت ذلك أقسام أخرى ، خصص كل منها لأحد الآلهة ، وكان أحدها للاله ديونوسوس ، وآخر للاسكندر الأكبر وسوتر المؤلهين ، وآخر للاله زيوس وغيره من الآلهة • وكان يصور كل قسم جمهرة من التماثيل والأشخاص ، تحملهم عربات يتقدمها ويسير خلفها أعداد من النساء والرجال والأولاد ، يمثل بعضهم مناظر من القصص الدينية الاغريقية ، ويرتدى بعضهم الآخر

(1) Cf. Bouché — Lecl. I, pp. 256 ff. ; Rostovtzeff, pp. 407-9 ; Plaumann, Gr. Pap. Sammlung Gradenwitz, p. 39 ; Tondriau, Aegyptus, XXXIII, 1953, pp. 125-50 ; Bilabel, op. cit., pp. 22-3 ; Fraser, I, pp. 191, 193, 225, 228, 231-2.

(2) Athen., V, 197 c-203 c.

(3) Athen., V., 196-197 c.

أبهى الثياب،ويحملون أكاليل الورود أو آنية من الذهب أو الفضة أو البخور والعطور . وقد عرضت فى المهرجان أنواع كثيرة من الحيوان والطيور النادرة ، واشترك فيه ٢٣٫٢٠٠ فارس و ٥٧٫٦٠٠ راجل كاملى العدة . ولعل القسم الذى يمثل عودة ديونوسوس مظفرا من الهند كان أروع مافى المهرجان . ولايتسع المجال هنا لاعطاء تفاصيل هذا المهرجان الفريد ، الذى كلف الملك ما يوازى أكثر من نصف مليون جنيه مصرى ، لكنه يكفينا أن تذكر أن الروح الذى كان يسوده كان اغريقيا بحتا ، يغلب عليه طابع حفلات ديونوسوس (١) .

اشادة شعراء القصر بالديانة الاغريقية :

ويؤيد ما نذهب اليه من احترام البطالمة للديانة الاغريقية اشادة شعراء القصر فى عهد فيلادلفوس مثل ثيوقريتوس وقاليماخوس بهذه الديانة ، اذ أنه من العسير أن تتصور اقدام شعراء القصر على أن ينهجوا هذا النهج ، لو لم يكن ولى نعمتهم الملك البطلمى قد أثبت اجلاله للديانة الاغريقية ، وعنى باظهار هذا الاجلال أمام الأغريق فى مصر وخارج مصر (٢) . وقد أثبت فيلادلفوس اجلاله لآلهة الاغريق فى صورة أخرى ، اذ أن المذهبين اللذين أنشأهما لعبادة زوجه أرسينوى الثانية ولعبادة حظيته بيليستيخى شبها هاتين السيدتين بالالهة الاغريقية أفروديتى (٣) . ويعزى الى هذا الملك أو الى زوجته أرسينوى الثانية ادخال عبادة آلهة جزيرة ساموتراقيا الى مصر . وقد وجدت فى هذه الجزيرة بقايا عظيمة للمعبد الذى أقامته أرسينوى لآلهتها (٤) . ولعل اهتمام أرسينوى بآلهة ساموتراقيا يرجع الى أنها وجدت مأوى فى تلك الجزيرة فى خلال النوائب التى حلت بها ولا سيما بعد مقتل ابنيها .

الاهتمام بعبادة ديونوسوس :

ونجد دليلا آخر على شدة تمسك البطالمة بالديانة الاغريقية فى نص أدوليس (٥) ، الذى مر بنا ذكره ، ففى هذا النص الذى لم يشترك الكهنة المصريون فى صياغة عباراته وأقيم فى مكان لم يكن البطالمة

(1) Mahaffy, History, pp. 70-71 ; Fraser, I., pp. 194, 202, 207.
(2) Otto, II, p. 266 ; Wilcken, Grundzüge, I. p. 96.
(3) Plut., Amator., 9 ; Otto, II, p. 266 ; Tondriau, Rev. hist. relig., cit., p. 218.
(4) Mahaffy, Empire, p. 136.
(5) C.I.G., III, 5157 ; O.G.I.S. 54.

مضطرون فيه الى مراعاة الكهنة المصريين ، لا يبدو لنا بطلميوس الثالث بوصفه ابن رع ، على نحو ما تتحدث نصوص الكهنة عن ملوك مصر ، بل فى ثوب بطل اغريقى من سلالة هرقل وديونوسوس . وبما أنه من المحتمل أن هذا النص لا يرجع الى تاريخ أقدم من عهد فيلوپاتور (١) ، فانه لا يبعد أن هذا الملك كان أول من ادعى بأن أسرة البطالمة تنحدر من ديونوسوس ، لكن فيلوپاتور لم يكن أول البطالمة الذين أظهروا اهتمامهم بهذا الاله ، فقد رأينا كيف أن القسم الخاص بديونوسوس كان أروع أقسام المهرجان الذى أقامه فيلادلفوس . هذا الى أن بطلميوس الثالث كان يصور على نقوده محلى بمميزات هذا الاله . وعلى كل حال فان ديونوسوس أصبح الاله الحارس للبطالمة منذ عهد بطلميوس الرابع فيلوباتور ، وهو الذى وجه عناية كبيرة الى عبادة هذا الاله ، وأراد أن يجعل منه كبير آلهة الدولة (٢) ، بمساواته بأعظم الآلهة ، بما فى ذلك اله اليهود ، غير أننا سنرى أنه أخفق مع اليهود فاضطهدهم ولكن دون طائل .

ولاهتمام فيلوپاتور بعبادة الاله الاغريقى ديونوسوس دلالة كبيرة ، ذلك أن القرائن تشير منذ عهد هذا الملك الى زيادة عناية البطالمة بالتقرب الى المصريين وبخاصة عن طريق الديانة الى حد أن كثيرين من المؤرخين يعتقدون أن فيلوباتور كان أول من توج من البطالمة على نهج الفراعنة القدماء . وأزاء ذلك لا يبعد أن فيلوباتور ، وقد ظهر فى ثوب فرعون مصرى ،أراد أن يثبت للاغريق أن ذلك لم ينسه أصله الاغريقى أو يشغله عن عبادة الآلهة الاغريقية . وربما كانت وراء سياسة فيلوباتور الدينية ، التى رمت الى ارضاء المصريين والاغريق على السواء ، حكمة وزيره سوسيبيوس وكان سياسيا حاذقا . وعندما شيد هذا الملك مركبا ضخما تباهى القصور فى عظمتها لم يحرص على أن يكون طراز البناء بوجه عام اغريقيا فحسب (٣) ، بل حرص كذلك على أن تحوى هيكلين أحداهما لديونوسوس والآخر لأفروديتى (٤) . ومما تجدر ملاحظته أن بطلميوس

---

(1) Cf. Bouché-Leclercq, I, p. 262, fn. 1 ; Cf. Otto, II, 236, an. 2 ; Athenaeus V, 201 d ; Struck, nos. 35, 36.

(2) Cf. S. B. 7266.

(3) Noshy, Arts, p. 56 ; Athenaeus, V, 204 e—206 e ; Revue Etudes anciennes, 1915, I, p. 33 ; IV, p. 213.

(4) Mahaffy, Empire, p. 275.

الرابع وزوجه أرسينوى الثالثة صورا على النقود التى سكت فى عهدهما على شكل الالهين الاغريقيين أبولو وأرتميس (Artemis) (١) .

وعندما أنشئت الاسكندرية قسم سكانها الاغريق ، كما كانت الحال فى المدن الاغريقية ، الى قبائل وأحياء . وقد وصلت الينا بعض أسماء القبائل والأحياء ، وهى تشير بجلاء الى اجلال البطالمة للآلهة الاغريقية . ونحن لا نعرف الا اسم ثلاث قبائل من قبائل الاسكندرية فى عهد البطالمة وكانت احدى هذه القبائل تدعى ديونوسياس (Dionysias) نسبة الى الاله ديونوسوس (٢) ، وقبيلة أخرى تدعى بطولميس (٣) وقبيلة ثالثة تدعى برنيقى (٤) ، نسبة الى بطلميوس الاول وزوجة برنيقى فيما يبدو . وأما الأحياء فنعرف الكثير من أسمائها ، وهى عادة مشتقة من أسماء أو صفات اله أو بطل اغريقى ، كما سنرى عند الكلام عن مدينة الاسكندرية .

الاغريق يحضرون معهم آلهتهم ومذاهبهم :

وعندما أسس الاغريق مدينة نقراطيس قبل الفتح المقدونى ، أحضروا معهم آلهتهم ومذاهبهم الاغريقية ، وشيدوا هناك عددا من المعابد الاغريقية ، ذلك أنه عندما كان يتوافر عدد كاف من الاغريق الوافدين من مدينة بعينها ، كانوا يشيدون معبدا للاله الخاص بمدينتهم ، ولذلك فان أهل ساموس شيدوا معبدا لهيرا وأهل ميلتوس أقاموا معبدا لأبولو وأهل ايجينا بنوا معبدا لزيوس . واذا كان الأفراد القادمون من مدينة ما قليلى العدد أو رقيقى الحال بحيث لا يمكنهم الاتفاق على معبد خاص لمعبودهم ، فانهم كانوا يتعبدون الى الههم الخاص فى أحد المعابد الاغريقية الموجودة ، ويقدمون هناك القرابين لالههم الحامى (٥) .

---

(1) Noshy Arts, p. 125 ; Svoronos, III, pl. XXXIV, 20—23 ; IV, p. 213.

(2) Müller Fragmenta Graec. Historicorum (Paris, 1885), III, p. 164, Frag. 21.

(3) Westerman, Vit. Script. Graec. Min., p. 50.

(4) P. Tebt., 879.

(5) Milne, in Hastings' Encylop., p. 375.

وعند وفود الاغريق على مصر بعد الفتح المقدونى ، أحضروا معهم آلهتهم ومذاهبهم الدينية (١) . ولما كان الاغريق ينزلون اما فى المدن الاغريقية الثلاث : الاسكندرية ونقراطيس وبطوليس ، وأما فى أنحاء مصر الأخرى، حيث كانوا عادة يكونون جاليات خاصة بهم ، فانه كان طبيعيا أن يستمر الاغريق فى عبادة آلهتهم واقامة شعائر مذاهبهم. كما كان طبيعيا أن تكون المدن الاغريقية أهم مراكز العبادة الاغريقية . بيد أنه يأخذنا العجب حقا من أن أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار لم تكشف حتى الآن فى وادى النيل كله الا عن معبد اغريقى واحد فى الأشمونين ، وهو معبد دورى الطراز من عهد بطلميوس الثالث (٢) . غير أن ذكر المعابد الاغريقية يتردد كثيرا فى المصادر القديمة (٣) ، ويستخلص منها أن هذه المعابد لم توجد فى المدن الاغريقية فحسب بل خارجها أيضا ، اذ أن هذه المصادر تذكر معابد زيوس (٤) وأسقليبيوس (٥) ودمتر وهرقل وپان (٦) وقرونوس (٧) فى الاسكندرية ، ومعابد أبولو وزيوس وهفايستوس فى منف ، ومعبدى زيوس فى الثوصية (٨) ، وقرقيوسيريس (٩) ومعابد زيوس (١٠) ، وديونوسوس (١١) وأسقليبيوس (١٢) فى بطوليس ، ومعابد زيوس اليوسينيوس (Elensinios) (١٣) ودمتر وقورا وديوسقورى (١٤) وپان وتوخى فى قروقوديلوبوليس ، ومعبد دمتر فى قارانيس (١٥) ومعبد اغريقى فى لوقوبوليس (١٦) .

ويبدو اذن أنه فى عصر البطالمة كلما كان يعيش سويا عدد كاف من الاغريق ، كانوا يفعلون ما فعله اغريق نقراطيس من قبل ، أى أنهم

(1) Bell, Cults and Creeds, p. 5 ; Brady, The Reception of Eg. Cults by Grs. from 330—30 B.C., Un. Miss. Stud. X, 1935, p. 1.

(2) Wace, J. H.S., LXV, 1945, p. 109.

(3) Cf. C.A.H., VII, p. 150.

(4) Otto, I. pp. 137 fn. 1, 278, 299.

(5) Otto, II. p. 321.

(6) Niese, p. 107.

(7) Otto, II, p. 17.

(8) Otto, I, p. 393. (9) Otto, I, p. 2, fn. 2. (10) Otto, I, p. 137, fn. 1.

(11) Plaumann, Ptolemais in Oberaegypten. pp. 54 ff.

(12) Otto, I. p. 395. (13) Otto, I, p. 2, fn. 2.

(14) Otto, I, 135; II, pp. 330, 346.

(15) Wilcken, Zeitsch. f. Erkunde, XX, 85 ; Otto. I, p. 2 fn. 2.

(16) Otto I, pp. 135, 257.

كانوا يشيدون معبدا أو هيكلا صغيرا لأحد الآلهة التى اعتادوا عبادتها فى بلادهم الأصلية (١) ، مثل زيوس أو أبولو أو ديونوسوس أو هيرا أو أفروديتى أو دمتر . وفيما يخص عبادة أكبر الآلهة والآلهات الاغريقية فى مصر لوحظ أن الأدلـة على عبادة زيوس وأبولو وبوجه خاص ديونوسوس وفيرة ، وأن الأدلة الخاصة بعبادة هيرا وأفروديتى وأرتميس قليلة ، وأن دمتر تنفرد بين سائر الآلهات بوفرة الأدلة على عبادتها (٢) . وقد وجدت مذابح (Bomoi) كثيرة عند بيوت الفيوم ، من القرن الثالث قبل الميلاد (٣) ، فقد درج الاغريق منذ عهد بعيد على استخدام مذابح خاصة كانوا يقيمونها بجوار بيوتهم (٤) .

ولا يوجد دليل على أن البطالمـة ناهضوا أى مذهب من مذاهب الاغريق ، بل انهم على العكس شجعوا المذاهب الاغريقية المختلفة ، ولم يشمل تشجيعهم المذاهب الرئيسية فى بلاد الاغريق الأصلية فحسب ، بل شمل كذلك مذاهب الآلهة الاغريقية المعروفة بين اغريق آسيا ، مثل الإله الفينيقى أدونيس والالهين الفريجيين أجديستيس (Agdistis) وبرياپوس (Priapos) (٥) . ويرى بعض المؤرخين أن عبادة اغريق مصر الحقيقية فى عهد البطالمة كانت ، الى حد ، عبادة آلهة مدنهم التى أتوا منها ، والى حد أكبر ، عبادة المذاهب ذات الأسرار التى كانت معروفة فى بلاد الاغريق وبين اغريق آسيا ، وانتشرت اذ ذاك فى كل أنحاء العالم الاغريقى ، مثل مذهب دمتر ومذهب ديونوسوس زاجريوس (Zagreos) ومذهب أدونيس (٦) .

وتشير القرائن الى أن اغريق مصر سواء أكانوا يقيمون فى مدنها الاغريقية : الاسكندرية (٧) ، ونقراطيس ، وبطوليس ، أم فى الفيوم أم فى أقصى الجنوب فى الفنتين ، قد استمسكوا بعبادة الآلهة الاغريقية : زيوس أو ابولو أو ديونوسوس أو دمتر أو غيرها (٨) . وقد نشر منذ

(1) Bevan, p. 89; Cf. Brady, pp. 11, 15 et passim.
(2) Fraser and Rumpf, J.E.A. 38, 1952, p. 70.
(3) P. Petr., II, 12; Otto, I. p. 169; II, p. 321.
(4) Plato, Leg., I, 910 b.
(5) Otto, I, p. 137; II, p. 276. (6) C.A.H., VII, p. 145.
(7) Fraser, I, pp. 189 ff.
(8) Edgar, Bull. Soc. Arch. Alex., xix, p. 115; Brady, op. cit., pp. 16. 34, 37, 39.

عهد قريب نقش من عهد بطلميوس الخامس يسجل اهداء معبد وسياج مقدس وتماثيل للاله بوسايدون هيبيوس . ولهذا الاهداء دلالة كبيرة فهو يدل على أنه فى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد كان اغريق مصر لا يزالون يستمسكون بمذاهبهم الاغريقية الخالصة (١) ، كما يدل على أنه من المجازفة أن نستخلص من صمت مصادرنا عن بعض الآلهة أن هذا الاله أو ذاك قد فقد مكانته ، اذ أنه حتى نشر هذا النقش لم يكن قد ورد أى ذكر للاله بوسايدون فى النقوش البطلمية ، ولم يذكر فى باقى المصادر البطلمية الا لماما (٢) .

واذا كان أوتو يرجح أن المدن الاغريقية هى التى كانت تتولى الاشراف على كافة شئون العبادة ، كل منها فى نطاقها (٣) ، فاننا نرجح أيضا أن ذلك كان من اختصاص الجاليات الاغريقية خارج تلك المدن . وتوجد كذلك قرائن على مساهمة الأفراد فى المنشآت الدينية ، كتشييد معبد (٤) أو اصلاحه وزخرفته (٥) . وعلى الرغم من افتقارنا الى الأدلة التى تثبت الى أى حد أسهم البطالمة فى المنشآت الدينية الاغريقية ، فلا شك عندنا فى أنه كان للبطالمة الأوائل على الأقل قسط كبير فى ذلك ، تمشيا مع سياستهم التى أشرنا اليها آنفا ، لكننا نرجح أن منشآتهم للآلهة الاغريقية لم تكن بالكثرة التى قد تتبادر الى الذهن . ويجب ألا يتخذ ذلك قرينة على اهمال البطالمة شئون العبادة الاغريقية ، وان كان يمكن اتخاذه دليلا على أن رائد البطالمة فى سياستهم الدينية كان قبل كل شىء دعم أركان دولتهم ، لأن انصراف البطالمة عن الاهتمام بكثرة المنشآت الدينية الاغريقية يرجع فى نظرنا الى اهتمامهم بعبادتين أخريين وهما :

(1) Fraser and Rumpf, J.E.A. 38, 1952, pp. 65—74.

(٢) ويحدثنا نقش آخر (Breccia B. S. A. A. 1932, p. 122 = S. B. 6064) عن الاهداء المقدم من الجالية البويوتية فى جزويس (سخا بالدلتا) الى « زيوس باسيليوس والآلهة الاخرى القومية (Patrioi) » . وهذا النقش بليغ فى دلالته على أنه حتى خارج مدن مصر الاغريقية كان الاغريق ، على اختلاف المدن التى وفدوا منها ، يحتفظون بآلهة مدنهم التى درجوا على عبادتها .

(3) Otto, I, p. 399.

(4) P. Petr., I, no. 21 ; III, no. 1, col. 2, (237 B.C.).

(5) Otto, I, p. 399.

عبادة البطالمة أنفسهم ، وعبادة سرابيس ، هاتان العبادتان اللتان انشأهما البطالمة لتحقيق أغراضهم السياسية .

تشبيه الآلهة المصرية بالآلهة الاغريقية :

واذا كان بعض الباحثين يرى أننا لا نجد فى الوثائق المعابد (١) ، والآلهة الاغريقية (٢) ، بكثرة وافية ، فلعل ذلك يرجع الى حقيقة هامة تتلخص فى أن الاغريق منذ عهد هرودوتوس درجوا على تشبيه الآلهة المصرية بالآلهة الاغريقية حتى أصبح من العسير ، فى ضوء معلوماتنا الحالية ، أن نجزم فى حالات كثيرة هل المقصود اله اغريقى ومعبد اغريقى أم اله مصرى ومعبد مصرى . بيد أنه اذا ورد ذكر اله اغريقى فى احدى المدن الاغريقية ، فانه يمكننا بوجه عام اعتبار ذلك الاله اغريقيا . غير أنه حتى فى هذه الحالة يجب أن نكون حذرين فى حكمنا ، فقد ورد مثلا فى الوثائق ذكر معبد للاله هفايستوس فى الاسكندرية ، ومع ذلك فانه يوجد من القرائن ما يثبت أنه كان معبدا مصريا للاله فتاح (٣) . وأما خارج المدن الاغريقية ، فاننا نستخلص من أمثلة عديدة أن ورود اسم اله اغريقى لا يستتبع دائما أن الاله المقصود اغريقى ، فمثلا وجد نقش اغريقى على تمثال الهة نصه « تمثال أثينا من سايس » فى حين أن التمثال يمثل الالهة المصرية نيت (٤) . ومما يجدر ملاحظته يد اناء برونزى ، من أوائل العصر الهلينيسى ، فهى ترينا الهة متشحة بملابس اغريقية ولها رأس حيوان ، لكنه يمكن تغطية وجهها بقناع اغريقى يسهل تحريكه فلا يمكن رؤية رأس الحيوان الا بنزع القناع (٥) . ونجد كذلك أن فتاح اله منف قد ذكر فى قرار حجر رشيد أحيانا باسمه المصرى ، وأحيانا أخرى باسم هفايستوس . ويجب أن ندرك أن المقصود بالآلهة الاغريقية زيوس وهليوس وهرميس التى ورد ذكرها فى هذا القرار هو مرادفاتها المصرية ، فقد وردت فى النصين الديموتيقى والهيروغليفى لهذا القرار الأسماء المصرية لهذه الآلهة . وقد وصف كهنة فى وثائق بردية مختلفة

(1) Wilcken, Grunzüge, I, p. 96.

(2) Jouguet, Mac. Imp., p. 338 ; Fraser and Rumpf, op. cit., pp. 69 ff.

(3) Otto, I, p. 7.

(4) Rev. Arch, 3 e Serie, XXXVII, 1901, p. 315

(5) Von Bissing, Funde in Agypten, Arch. Anz., 1901, pp. 57 ff.

بأنهم كهنة آلهة اغريقية ، مثل زيوس وهفايستوس وهرميس وأفروديتى فى حين أن أسماء هؤلاء الكهنة ومراتبهم الكهنونية لا تدع شكا فى أنهم كانوا كهنة مصريين لآلهة مصرية (١) .

وعلى كل حال فانه يبدو لنا أن تشبيه الآلهة الاغريقيـة بالآلهـة المصرية لم يكن الا تشبيها سطحيا لم ينفذ الى أعماق عواطف الاغريـق الدينية بحيث تحتل الآلهة المصرية مكان الآلهة الاغريقية عندهم ، وآيـة ذلك أن الاسكندر الأكبر (٢) والبطالمة شيدوا معابد مختلفة لكل من آلهة الاغريق وآلهة المصريين .

وفى نص اغريقى (٣) من العصر الرومانى ، وصف أپولو بأنه قـرين اله مصرى فى معبـده (Synnaos Theos) ، وفى نص آخر (٤) قرن أپولو مع الاله المصرى التمساح سوخوس ، وفى نصـوص أخـرى (٥) قرنت أفروديتى مع الاله المصرى التمساح سوخوس .

ويرى أوتو أنه لما كنا لم نجد بعد دليلا على امتزاج الديانتين الاغريقية والمصرية ، فانه لا يجوز الاستنتاج أنه كان يعبد فى معبد واحد الهان أحدهما مصرى والآخر اغريقى ، وأن المقصود بأپولو فى هذين النصين هو الاله المصرى حر — ور (حارويريس) وكذلك المقصود بأفروديتى فى هذه النصوص هو الالهة المصرية حتحور . غير أنه ليس معنى ذلـك أنه كلما ذكر سويا اله مصرى واله اغريقى ، يتعين أن نجد دائما وراء اسم الأخـير الها مصريا ، فمثلا عندما ذكر سويا فى نص جنـازى اسم الالهين أوزيريس وهرميس ، يبدو جليا أن الشخص المتوفى أراد أن يضمن معونة اله العالم الآخر عند المصريين ودليل الموتى عند الاغريق (٦) .

ضياع المعابد الاغريقية :

ولقد عرفنا أن المعابد المصرية كانت تملك ضياعا واسعة ، ولابد من أنه كانت للمعابد الاغريقية أيضا ضياع (٧) ، لأن الملك كان صاحب أرض

(1) Otto, I, p. 7. (2) Keissling, Chron. Eg., 48, 1949, p. 319.
(3) C.I.G. 4839. (4) B.C.H., XX, 1896, p. 169.
(5) P. Grenf., I, 25 ; 27 ; 44 ; II, 33 ; 35.
(6) C.I.G. 4708; Otto, I, p. 8. (7) Otto, I, p. 278.

مصر جميعا ، واذا كان قد منح المعابد المصرية ضياعا ، فلابد من أن منحه قد شملت المعابد الاغريقية أيضا • غير أنه ليس معنى ذلك أن ممتلكات المعابد الاغريقية بلغت من الاتساع ما بلغته ممتلكات المعابد المصرية ، فقد كانت ترجع الى أقدم عصور التاريخ وازداد اتساعها بمضى الزمن • واذا كانت الأدلة التى وصلت الينا حتى الآن عن ممتلكات المعابد الاغريقية قليلة ، فانها على كل حال تشير الى أن هذه المعابد لم تفتقر الى ممتلكات ، اذ أن وثيقة بردية من القرن الثانى قبل الميلاد تبئنا بأن معبد زيوس فى أرسينوى بالفيوم كان يملك ضيعة (١) • وتحدثنا وثيقة أخرى عن ممتلكات معبد دمتر وقورا ومعبد ديوسقورى فى قروقوديلوبوليس (٢) • ولهذه الوثيقة أهمية خاصة ، لأننا نستقى منها أن الدولة كانت تدير اراضى المعابد الاغريقية مثل ما كانت تدير أراضى المعابد المصرية (٣) • وقد ورد فى أحد النصوص (٤) ذكر أرض لمعبدى زيوس بجهة الاسكندرية لكنه يظن أنه لم يقصد بذلك أرض زراعية بل حرم هذين المعبدين . ويشك أيضا فيما اذا كانت ممتلكات معبد ليتو باقليم پاثوريس (٥) ملكا لمعبد اغريقى ، ولم تكن ملكا لمعبد مصرى (٦) •

الكهنة الاغريق :

ولم يكن الكهنة فى بلاد الاغريق يؤلفون هيئة أو هيئات كهنوتية تنقسم الى طبقات متباينة فى المرتبة ، مثل ما كانت عليه حال الكهنة المصريين • ومرد ذلك الى أن اقامة شعائر الطقوس الدينية لم تكن وقفا على الكهنة ، فقد كان يشاركهم فيها على الدوام أفراد من سائر الناس مثل رب الأسرة أو العشيرة والحكام باعتبار ذلك جزءا رسميا من مهام مناصبهم • ولا يوجد فى مصادرنا ما يمكن الاستدلال منه على أن نظام الكهنة الاغريق كان يختلف فى مصر عنه فى بلاد الاغريق • ومن المرجح أن عدم وجود الأدلة على ذلك لا يرجع الى الصدفة بل الى الشبه بين

(1) P. Teb., I, 86, 52.
(2) P. Peter., III, 97.
(3) Otto, II, p. 346.
(4) Strack, no. 43.
(5) P. Grenf., II, 15, Col. 2, 3.
(6) Otto I, p. 279.

نظام الكهنة الاغريق فى مصر وفى بلادهم الاصلية ، اذ أنه لم يوجد عادة فى كل معبد من معابد مصر الاغريقية سوى كاهن واحد ، وعلى كل حال فانه لم توجد فى المعابد الاغريقية تلك الاعداد الكبيرة من الكهنة التى نجدها فى المعابد المصرية ، ويبدو أن مهمة الكاهن الاغريقى كانت عادة رعاية شئون هيكله واقامة شعائر العبادة فيه (١) .

واذا كانت الوثائق تتحدث عن كهنة (Hjcreis) المعبد الواحد (٢) فربما كان سبب ذلك اطلاق هذه الكلمة بوجه عام لا على الكهنة الحقيقيين فحسب بل أيضا على الموظفين الذين كان لهم طابع دينى ويسهمون فى نشاط الكهنة ، وكان لهم نظراء فى بلاد الاغريق ، نعرف أنهم كانوا يقومون بدور هام فى الشئون الدينية . وقد عرفنا عددا من هؤلاء فى مصر ، مثل الهيروپويوى (Hieropoioi) فى الفيوم (٣) ونوقوپوليس (٤) وبطوليس (٥) ونقراطيس (٦)،والهيرثوتاى (Hierothytai) فى الفيوم (٧) وفى الاسكندرية (٨) والهيرقروكس (Hierokryx) (٩) والتيموخوى (Timouchoi) (١٠) فى نقراطيس . وعلى الرغم من أن معلوماتنا يسيرة عن مهام هؤلاء الموظفين وتنظيمهم وعلاقاتهم بكهنة المعابد ، فاننا نعرف عن يقين أن الهيروپويوى والهيرثوتاى كانوا يقومون فى مصر بتقديم القرابين ، وأن الهيروثوتاى كانوا هيئة يعقد المواطنون زواجهم أمامها ، وأن التيموخوى والهيروقروكس فى نقراطيس كانوا يشتركون فى الحفلات الدينية التى تقيمها مدينتهم . أما نصيب الجومنازيارخوى (Gymnasiachoi) والاكسيجيتاى (Exegetai) والكوسميتاى (Kosmetai) فى الشئون الدينية ، فلا يمكننا الجزم به ، وان كان من المحتمل أنهم كانوا يشرفون

(1) Otto, I, pp. 133—134.

(2) B. G. U., 471, 12.

(3) P. Petr., II, 11, n, S, 2.

(4) C. I. G., II, 4707.

(5) C.I. G., 5012; Strack, Inschriften aus Ptol. Zeit, Archiv, I, p. 209; Rev. Arch., 3 e Ser., XXXVII, 1901, p. 307.

(6) Athenaeus, IV, 149 ff.

(7) P. Fay., 22, 8

(8) Wolf, Written and unwriten Marriage, pp. 38—9.

(9) Athenaeus, IV, 149.

(10) P. Par, 60 bis 16; Cf. Athenaeus, IV, 149 d ff.

على الطقوس الدينية فى مدنهم (١) •

ويستبعد أوتو وجود رئيس أو كبير للكهنة فى كل معبد اغريقى فى مصر ، بالرغم من أن ورود هذا اللقب (archiereis) أحيانا فى مصادرنا قد يبعث على هذا الرأى • ويبنى هذا العالم رأيه على أن هذا النظام غريب عن الاغريق حتى عهد الاسكندر ، وأنه لم يوجد فى العصر الهلينيسى الا فى حالات نادرة ، ولذلك فهو يرى أن لقب كبير الكهنة الذى نجده أحيانا فى مصادرنا عن مصر لا يدل على أن حامله كان رئيس كهنة آخرين ، بل على أنه كان لقبا مزيا فقط • ومن ثم فان أوتو يرى أن الممثلين الرسميين للمذاهب الاغريقية فى مصر كانوا كنظائرهم فى بلاد الاغريق لا يحملون الا لقب كاهن ، غير أنه من الجائز أنهم كانوا يحملون الى جانب ذلك أيضا أحد الألقاب الكهنوتية الاغريقية الخاصة التى كانت مستعملة • وينبه أوتو الى أن كبار الكهنة الذين ورد ذكرهم فى مصادرنا يرجعون الى عصر الرومان ، فيما عدا كبير كهنة ليتوبوليس فهو من العصر البطلمى ، والى أنه لا يجوز اعتبار ذلك دليلا على تطور نظام الكهنة الاغريق فى مصر (٢) • حقا اننا لا نعرف مركز الموظفين الدينيين فى كل معبد بالنسبة الى كاهن المعبد ، لكنهم اذا كانوا يساعدونه فى أداء أعماله ، ففى هذا دلالة على أنه كان أرفع منهم مقاما • وتبعا لذلك اذا كانت مصادرنا تحدثنا عن كبار كهنة المعابد ، فانه لا يستبعد أن كاهن كل معبد كان يعتبر رئيس أولئك الموظفين الذين كانوا يعاونونه فى مهامه • ويبدو أن هذا الرأى لا يبعد عن الحقيقة ، فهو لا يتعارض مع رأى أوتو لكنه فى الوقت نفسه يفسر ما ورد فى مصادرنا تفسيرا أدنى الى التصديق • ومهما يكن من أمر ذلك ، فانه ليس لدينا ما يشير على الاطلاق الى أنه كان يوجد فى عصر البطالمة رئيس عام لكهنة مختلف المعابد الاغريقية فى مصر •

(1) Otto, I, pp. 164—165.
(2) Otto, I, pp. 135 — 37.

الجمعيات الاغريقية :

وقد تكشف تدهور النظم السياسية فى العالم الاغريقى فى خلال العصر الهلينيسى ، وشعور الناس بالحاجة الى أن يعيشوا فى جماعات عاملة توفر لهم لونا من الحياة الدستورية كالمناقشات والانتخابات ، عن تأليف جمعيات متعددة فى كافة أنحاء العالم الاغريقى (١) • وقد وجد اغريق المهجر فى هذه الجمعيات خير ملجأ يلوذون به لسد ما يستشعرونه من نقص فى حياتهم العامة (٢) • ويرى بوشيه لكلرك أن كل جمعية كانت تقوم حول أحد المذاهب الدينية تتخذمنه ذريعة لوجودها وعقد اجتماعاتها (٣) • لكن أوتو يرى أن هذه الجمعيات كانت نوعين : أحدهما دينى بحت والآخر دنيوى ، غير أن نشاط هذا النوع الاخير كان يمتد الى الناحية الدينية أيضا (٤) • وتشير القرائن الى وجود هذين النوعين فى مصر البطلمية ، غير أن الأمثلة التى وصلت الينا من النوع الاول قليلة (٥) : احداها (٦) فى نقراطيس (Synodos Sambatike) ، وأخرى (٧) لا نعرف مكانها وان كنا نعرف اسمها (Synodos tes Aphrodites) ، وثالثة لا نعرف مكانها وان كان من المحتمل أنه كان فيلادفيا بالفيوم (٨) • وأما النوع الآخر فان له أمثلة متعددة أشهرها جمعية دار العلم بالاسكندرية (٩) • وقد حظيت هذه الجمعية بعطف البلاط وتأييده بسبب اعتمادها كلية على الدولة ونزولها عن حقها فى اختيار رئيسها وكاهنها (١٠) • واذا كان يفهم من هذا ضمنا أنه كان لهذه الجمعية رئيس وكاهن ، فان أوتو يرى أن الكاهن كان فى الوقت نفسه رئيس الجمعية (١١) ، وأن

---

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 164.

كانت لهذه الجمعيات أسماء مختلفة :

Synodoi, Hetairai, Orgeones, Eranoi, Thiasoi

(2) Cf. Brady, pp. 26, 34.

(3) Bouché-Leclercq, III, p. 170.

(4) Otto, I, pp. 165—166.

(5) Otto, I, p. 165.

(6) Petrie-Gardner, Naucratis, II, pl. XXII, n. 15.

(7) Otto, II, p. 321 ; Bull. S. A. d'Alex., pp. 120 ff ; Mahaffy, Archiv, V, p. 167 ; Wilcken, op. cit., p. 238.

(8) Synodos Dios Hypsistou, S.B. 7835; Skeat & Nock, The Cult of Zeus Hypsistos, Harvard Theological Rev., 1936, pp. 39 ff.

(9) Otto, I, p. 166 ff ; II, p. 321.

(10) Bouché-Leclercq III, p. 171.

(11) Otto, I, p. 166.

كاهن هذه الجمعية كان فى العصر الرومانى يشغل دائما كذلك منصب أرخيديقاستيس (Archidikastes) مصر (١) .

ومن أمثلة الجمعيات الاغريقية فى مصر التى كان من بين أغراضها اقامة شعائر مذهب اغريقى معين جمعية فنانى ديونوسوس التى ثبت وجودها فى بطوليس على عهد بطلميوس الثالث (٢) ، وفى الاسكندرية (٣) على عهد بطلميوس الخامس ، وكذلك جمعيتان أخريان من القرن الثانى قبل الميلاد ، لا نعرف مكان احداهما ، وان عرفنا أنها كانت جمعية شبان تتجه فى عبادتها الى هرميس (٤) . وأما الأخرى فانها كانت جمعية تتألف من عمال أحواض السفن (Egdocheis) فى الاسكندرية ، أى أنها كانت بمثابة نقابة لعمال هذه الحرفة . وكانت هذه الجمعية تتجه فى عبادتها نحو الآلهة أبولو وأرتميس وليتو . وقد أقام أعضاء هذه الجمعية تمثالين فى ديلوس اجلالا لحاشية بطلميوس يورجتيس الثانى (٥) .

وتوجد جمعيات أخرى كان موضع عبادة بعضها ملوك من أسرة البطالمة وكذلك آلهة اغريقية ، مثل جمعية فنانى ديونوسوس والالهين ادلفوى فى بطوليس (٦) ، وجمعية الملكيين (Basilistai) ، التى أنشأها ضباط حامية أسوان فى معبد جزيرة سيتيس (Setis) فى القرن الثانى قبل الميلاد . وقد حفظ لنا نصان قرارين من قراراتها ، أحدهما من عهد بطلميوس فيلومتور (٧) ، والآخر من عهد بطلميوس يورجيتس الثانى . (٨) ولهذين القرارين أهمية خاصة لأنهما يعطياننا صورة عما جرى عليه الاغريق فى عهد البطالمة من تشبيه الآلهة الاغريقية بالآلهة المصرية ، اذ أن القرار الاول يعرب عن اجلال هذه الجمعية للالهين فيلومتورس وأبنائهما « وآمون ، الذى هو أيضا خنوبيس ، وهيرا التى هى أيضا ساتيس ، وهستيا التى هى أيضا أنوقيس (عنقت ،) وديونوسوس الذى هو أيضا

(1) Otto, I, p. 167.

(2) Strack, nn. 35; 36.

(3) Polyb., XVI, 21, 8.

(4) Milne, J.H.S., 1901, p. 286, n. IX ; Otto, I, p. 169, fn. 1.

(5) Strack, nn. 115 ; 118 ; B.C.H., XI, 1887, pp. 249, 252 ; Otto, I, p. 109; Bouché-Leclercq. II, p. 172.

(6) Strack nn. 35, 36.

(7) Strack, n. 95.

(8) Strack, n. 108.

يتمبامنتيس (Petempamentis) » • وأما القرار الثانى فانه يعرب عن اجلال الجمعية للالهين يورجتيس والآلهة نفسها التى ذكرت آنفا مع تقديم الاسماء المصرية على مرادفاتها الاغريقية ، ويضيف اليها : بتنستيس (Peiensetis) الذى هو أيضا قرونوس (Kronos) ، وبتنسنيس الذى هو أيضا هرميس • وقد أبان كاتب الوثيقتين عن أن آمون ليس آمون المصرى ، بل زيوس آمون الاغريقى • وكاتب الوثيقتين رجل اغريقى من برجام يدعى هردوس بن دموفون (Demophon) ، ورقى الى وظيفة قائد المديرية الجنوبية • ويبدو أن كهنة هذه المنطقة رأوا أن يتزلفوا اليه ، فأغدقوا عليه بعض الألقاب الكهنوتية دون أن يتولى ، فى رأينا ، أى منصب كهنوتى مصرى (١) • وكانت توجد فى طابوسيرس (Taposir's أبو صير) جمعية نعرف أنها أقامت فى عهد بطلميوس الخامس مذبحا للآلهة أوزيريس وسرابيس وايزيس وأنوبيس (٢) •

تعبد الاغريق الى الآلهة المصرية :

وجملة القول أن الاغريق كانوا يتابعون أيضا فى جمعياتهم الخاصة عبادة آلهتهم الاغريقية بل ان بعضهم لم يروا غضاضة فى عبادة الآلهة المصرية واظهار اجلالهم لها • وليس تعلىل عبادة الاغريق للآلهة المصرية أمرا عسيرا ، اذ أن الديانة المصرية تركت فى نفوس الاغريق أثرا بينا ، بسبب قدم عهدها وغموض أسرارها • هذا الى أن الاغريق درجوا على اظهار اجلالهم واحترامهم لآلهة البلاد الأجنبية التى يزورونها (٣) كما درجوا على تشبيه آلهتهم بالآلهة المصرية (٤) • فمثلا الى جانب الآلهة التى مر بنا ذكرها كانوا يشبهون أيضا أبولو بحورس ، وأثينا بثوريس (Thoeris) ونيت بهيرا ، ودمتر بموت (Mout) وهرميس بتحوت ، وهفايستوس بفتاح ، وأسقليبيوس بامحوتب ، الى غير ذلك من التشبيهات (٥) ، وبالرغم من أن هذه التشبيهات لم تقم الا على أدلة

---

(1) Cf. Otto, I, pp. 126-7, 224 ; Bouché-Leclercq, III, p. 212, fn. 5.

(2) Strack, no. 76.

(3) Bell, Cults and Creeds, p. 9.

(4) Bevan, p. 88 ; Bell, Cults & Creeds, pp. 14 — 16 ; Graeco — Eg. Religion in Museum Helveticum. Vol. 10, 1953, p. 223.

(5) Bouché-Declercq, III, p. 212, fn. 7.

سطحية ، فان الاغريق قبلوها الى حد أن المدن المصرية الكبيرة،التى كانت مراكز عبادة اله أو آخر من الآلهة الرئيسية المصرية أصبحت تعرف فى عهد البطالمة بأسماء المرادفات الاغريقية لهذه الآلهة المصرية ، ومثل ذلك أن مقر عبادة آمون الذي شبه بالاله الاغريقى زيوس أصبح يدعى ديوسبولیس (Diospolis = طيبة ، اليوم الأقصر) ، وأن مقر عبادة حرشيف الذى شبه بالإله الاغريقى هرقل أصبح يدعى هيراقليوبوليس (Heracleopolis ، اليوم أهناسيا) ، وأن مقر عبادة حورس الذى شبه بالاله الاغريقى أپولو أصبح يدعى أپلونوپوليس (Apollonopolis ، اليوم أدفو . وينهض هذا دليلا على أن هذه التشبيهات أصبحت معترفا بها وسميا[١] . ويضاف الى ذلك أن المزج (Synkresis) بين الآلهة لم يكن غريبا عن آراء الاغريق الدينية . وازاء ذلك كله لم يجد الاغريق حرجا فى دخول المعابد المصرية وتقديم القرابين للآلهة المصرية، على أساس تشبيهها بآلهتهم الاغريقية[٢]، أو على أساس أنهم كانوا نزلاء فى تلك البلاد التى تتمتع بحماية هذه الآلهة[٣] وأنه كان من سداد الرأى اكتساب عطف هذه الآلهة باظهار اجلالهم لها . وقد عبد الاغريق بعض الآلهة المصرية تحت أسماء اغريقية، وعبدوا بعضها الآخر بأسمائها المصرية التى لم تكن لها مرادفات بين آلهتهم ، لكنها كانت تتمتع لدى أهالى البلاد بمحبة كبيرة استرعت أنظار الاغريق . ومثل ذلك الآلهة بس (Bes) وتاورت (Taurt) ، وسبك (Sebek) الذى حور الاغريق اسمه تحويرا طفيفا ، فأصبح يعرف باسم سوخوس[٤] .

ويحدثنا نقش[٥] من عهد بطلميوس الثالث بأن أيرينى وثيوكسانا (ابنتى دمتريوس القورينى من زوجته ثاسيس Thasis) ، كانتا تدعيان كذلك نفرسوخوس (Nephersouchos) وثاوس (Thaues) وأنهما أهدتا معبدا وحرما مقدسا للالهة ثوريس (Thoeris) . ويدل هذا النقش على أنه عندما تزوج دمتريوس القورينى من سيدة مصرية أنجب منها ابنتين

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 218.
(2) Milne, Hastings' Encyc., p. 375.
(3) Jouguet, Mac. Imp. p. 338.
(4) Milne, Hastings' Encyc., pp. 382-3.
(5) Chrest., I, 51.

أعطاهما اسمين اغريقيين وآخرين مصريين ، وعلى أن التزاوج بين اغريقى ومصرية ساعد على تغلغل المعتقدات المصرية فى أسرته .

وترينا نقوش من أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الأول أن أغريقا يشغلون مناصب رفيعة ويتمتعون بمكانة اجتماعية كبيرة كانوا يتعبدون الى آلهة مصرية مثل حاربايشوس (١) وباستت (٢) . وذهب ضابط اغريقى من الاسكندرية الى حد تشييد بعض الاضافات فى معبد بنغروس فى فيلادلفيا (٣) . وكان القواد يتنافسون فيما يقدمونه من الهبات الى المعابد المصرية (٤) . ويحدثنا نقشان من الفيوم ، أحدهما من عام ٩٨ ق . م . والآخر من عام ٩٥ ق.م. عن قيام شابين من الاغريق (Epheboi) باهداء قطعة أرض مقدسة الى « الاله سوخوس العظيم جدا » (٥) .

ونحن نستطيع أن نتصور أنه كلما أصبح الاغريق أكثر ألفة بآلهة المصريين نتيجة لاختلاطهم بأهالى البلاد أو تزواجهم معهم أو طول استقرارهم بينهم كثر تقربهم الى هذه الآلهة بالعبادة أو تقديم القرابين ومختلف أنواع الاهداءات ، اذ أن الأدلة التى وصلتنا على ذلك تزداد كلما تقدم عصر البطالمة . وهل معنى ذلك أن الأغريق انصرفوا بالتدريج عن عبادة آلهتهم القديمة ؟

استمساك الاغريق بعبادة الهتهم :

ان النقوش ترينا انتشار الجومنازيا والپلايسترا الاغريقية فى مختلف أنحاء مصر واحتفاظ هذه المنتديات بآلهتها الاغريقية مثل ما كانت عليه الحال فى بلاد الاغريق ، فقد كانت توجه اهداءاتها الى هرميس وهرقل ، الالهين التقليديين للپلايسترا (٦) . وقد عثر على مجموعة من الأختام التى كان الاغريق يستخدمونها ، واذا كان طابع بعض هذه الأختام مصريا

(1). S. B. 5021; Kilo XII, 365.
(2) S.B. 1162; 6247.
(3) S.B. 6252; 6253.
(4) O. G. I. S. 177; 179.
(5) Wilcken, Chrest., 141; 142.
(6) S. B. 1164; 6158; B. G. U. 1256.

فان طابع أكثرها أغريقى يمثل رأس أپولو أو أثينا أو ديونوسوس (١) •
وتحدثنا النقوش عن الاهـداءات التى كان كبار الموظفين الأغريق فى خدمة بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى يقدمونها لآلهتهم القديمة بان وزيوس وابولو (٢) .

وفى ضوء ما عرضناه وما نعرفه من أن أكثر الاغريق كانوا ينزلون فى المدن الاغريقية أو يعيشون فى جاليات قومية حيث تتوافر كل الأسباب التى تيسر لهم متابعة عبادة آلهتهم ، يبدو لنا أن الأغريق اذا كـانوا فى بعض الأحيان يتعبدون الى الآلهة المصرية فانهم بوجه عام لم ينقطعوا عن عبادة آلهتهم حتى خارج المدن الاغريقية (٣) •

ويسلم « السير هارولد ادريس بل » بأن الأغريق الذين استقروا فى مصر أحضروا معهم آلهتهم ومذاهبهم الدينيـة (٤) ثم يمضى فيقول انه كان يسود القدماء اعتقاد بأن قدرة الآلهة كانت أكثر مفعولا فى البلاد التى وهبت لها ، وأنه لما كان الاغريق قد درجوا على اظهار اجلالهم واحترامهم لآلهة البلاد الاجنبية التى يزورونها ، فانه كان طبيعيـا أن يتجه اغريق المهجر الى الآلهة الوطنية المحيطة بهم (٥) •

ونحن نرى أن هـذا لا يستتبع حتما اعراض الاغريق عن آلهتهم ومذاهبهم ، والا فلماذا أحضروا هذه الآلهة والمذاهب، وأقاموا لها المعابد والهياكل ، وكلفوا ببناء المذابح لها خارج بيوتهم ، وانشأوا الجمعيات حول مذهب أله أو آخر من هذه الآلهـة ، وأحتفظوا بهرميس وهرقل الالهين التقليديين للبلايسترا ، واتخذوا من رءوس الآلهة الاغريقية طابعا لأختامهم ، واستمروا يحتفلون بأعياد هذه الآلهة ؟

---

(1) P. Eleph. 12—4 ; Edgar, Clay Seals from Thoumis, Annales. VIII, pp. 154 — 9 ; Brady, p. 39.

(2) O. G. I. S. 132 ; Archiv, V, p. 161, no. 6.

(3) Otto I, pp. 2—3 ; Bevan, p. 89 ; Brady, pp. 11. 15—17, 25, 30.

(4) Greek Cults and Creeds, p. 5 ; Graeco—Eg. Religion, Museum Helveticum, X, 1953, p. 223.

(5) Cults, p. 9; Graeco—Eg. Religion, p. 223.

ويبدو أن السير هارولد يتفق معنا فى الرأى ، فهو يقول ان الاغريق احتفظوا بالمذاهب الاغريقية لا فى الاسكندرية فقط بل أيضا فى مصر عامة ، وان أكثر آلهة الاغريق حيوية لم يكن زيوس أو غيره من آلهة أولومبوس وانما الآلهة الصغرى أو الآلهة ذات الأسرار ، وان الالهين التوءمين (Dioscuri) كانا يتمتعان بمحبة كبيرة منذ منتصف القرن الثالث وان دمتر ايضا احتفظت بقدر من حيويتها ، وان ديونوسوس استبقى مكانته وساعده على ذلك زعم البطالمة أنهم ينحدرون منه (١) .

بيد أن السير هارولد يذكر فى موضع آخر (٢) أن الاغريق الذين استقروا فى مصر خارج المدن الاغريقية كانوا يعيشون فرادى متفرقين وسط جموع المصريين ، ومن ثم فانهم وجدوا أنفسهم بعيدين عن هياكلهم ، وأنه كان طبيعيا أن يترتب على ذلك اعتناقهم الديانة المصرية . وفى رأينا أنه اذا كان من الجائز أن بعض الاغريق الذين استقروا خارج المدن الاغريقية كانوا يعيشون متفرقين وسط جموع المصريين ، فانه من المستبعد أن كل أولئك الاغريق كانوا يعيشون على هذا النحو . وذلك لسببين ، وأحدهما هو أنه ضد طبيعة الاشياء أقدام أجنبى على الاستقرار بمفرده وسط بيئة غريبة عنه تتألف من جموع الوطنيين . والسبب الآخر هو أن الشواهد تدل على أن الاغريق كانوا ينزلون عادة جماعات . ويذكر السير هارولد فى موضع آخر (٣) أن النزلاء العسكريين كانوا ينتظمون فى جماعات قومية . ونحن نرجح أن ذلك كان أيضا حال أغلب المدنيين على الأقل ، وفى هذه الجماعات القومية كان الاغريق يستطيعون متابعة حياتهم واقامة شعائر دياناتهم على نحو ما أسلفنا .

واذا سلمنا جدلا بأن بعض الاغريق كانوا يعيشون فرادى متفرقين وسط المصريين ، فلابد من أنهم كانوا قلة لا يعتد بها . وعلى كل حال

---

(1) Cults and Creeds, pp. 16—18.
(2) Graeco—Eg. Religion. p. 224.
(3) Cults and Creeds, p. 5.

فاننا لا نستبعد أن يكون بعض الاغريق قد اعتنقوا الديانة المصرية وانصرفوا عن دياناتهم الاصلية بينما استمسكت غالبيتهم الكبرى بعبادتهم .

ويجدر بنا أن تذكر أنه اذا كانت الديانة المصرية قد قهرت الاغريق فأظهروا اجلالهم لها وقدموا القرابين لآلهتها ، فاننا لم نجد بعد دليلا واحدا على أن الديانة الاغريقية صادفت أى قبول لدى المصريين (١) .

(1) C. A. H., VII, p. 150 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 338.

الفصل السابع

سياسة البطالمة الدينية إزاء العناصر الاجنبية الاخرى

---

١ ــ اليهود*

كان اليهود أهم العناصر الأجنبية بعد الاغريق فى دولة البطالمة (١) . وقد يمم اليهود وجههم شطر مصر واستقروا فيها قبل الفتح المقدونى بأجيال كثيرة (٢) ، ونستخلص ذلك من قصة سيدنا يوسف ومن أشكال الأجناس الاسيوية المصورة على آثار الدولة الوسطى (٣) . ويبدو أنه قد وفدت على مصر أفواج كبيرة من اليهود فى العصر الصاوى ، لأنه يقال انه فى خلال القرن السابع كان ملوك اسرائيل يستبدلون بالجنود خيولا مع ملك مصر (٤) ، ولأن ملوك مصر فى هذا العصر كانوا يشجعون الأجانب ومن بينهم اليهود على القدوم الى مصر للاشتغال بالتجارة والجندية (٥) ، ولأنه عندما استولى نبوخذ نصر (Nebuchadnezzar) فى عام ٥٨٦ على بيت المقدس هاجر كثيرون من اليهود الى مصر حيث فتح لهم أبريس صدره (٦) .

(*) للحصول على معلومات اكثر تفصيلا عن اليهود ، انظر : دكتور مصطفى عبد العليم « اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان » القاهرة ١٩٦٨ . ويسرنى أن أسجل هنا اننى ادين لهذا الكتاب بعدد من المصادر والمراجع الهامة .

(1) Bevan, p. 111.

(2) Tarn, p. 188; L. Fuchs, Die Juden Aegyptens; Bell, Juden und Griechen in röm Zeit.

(3) Jouguet, Mac. Imp., p. 269.

(4) Deuteronomy, XVII, 16.

(5) Peet, Egypt and the Old Testament, p. 189 ; C.A.H., VI, p. 143.

(6) Jeramiah, XXIV, 8; XLII-XLIV ; Isaiah, XI, 11 ; Tscherikower and A. Fuks, Corpus Pap. Jud., vol. I, Harvard Un. Press. Cambridge, Mass., 1957, p. 1.

ونعرف أنه قبل ذلك عندما أثار حامية الفنتين عطف أبسمتيك الأول (٦٦٣ — ٦٠٩) على الاغريق الى حد أنها هربت الى بلاد النوبة ، مما اضطر أبسميتك الى تجنيد حامية أخرى من المرتزقة الآسيويين ، يحتمل أن هذه الحامية الجديدة كانت تتضمن عددا من اليهود (١) • ويحتمل كذلك أن جيش أبسميتك الثانى (٥٦٤ — ٥٨٩) الذى قاده الى النوبة كان يضم جنودا من اليهود (٢) •

وقد عثر فى الفنتين على مجموعة قيمة من الوثائق الأراميـــة (٣) • وبالرغم من أن أقدم وثيقة فى هذه المجموعة ترجع الى السنة السابعة من حكم دارا الاول (٥٢٢ — ٤٨٦ ق • م •) فان احدى هذه الوثائق تشير الى أن المعبد الذى أقامته المستعمرة اليهودية فى الفنتين يرجع الى عهد ملوك مصر (٤) ، أى الى ما قبل الفتح الفارسى (٥) • وازاء ذلك وازاء ما أسلفناه عن احتمال انخراط اليهود فى سلك الجيش المصرى على عهد ابسمتيك الأول والثانى لا يبعد أن تاريخ المستعمـــرة اليهودية فى الفنتين يرجع الى أواخر القرن السابع أو أوائل القرن السادس قبـــل الميـــلاد •

ويستوقف النظر أن يهود الفنتين ، وغيرهم من يهود مصر ، كانوا لا يعبدون الها واحدا ، اذ أن الوثائق الأرامية تذكر خمسة آلهة • ولما كان لمعبدهم فى الفنتين خمسة مداخل ، فانه يظن أن كل مدخل منها كان تحت رعاية واحد من هذه الآلهة • ولاشك فى أن « يهوه » كان الههم الأكبر ولا فى أن معبدهم فى الفنتين كان يسمى « معبد يهوه » (٦) ، أما

(1) Kraeling, The Brooklyn Museum Aramaic Pappri. New Haven, 1953, pp. 43-4.

(2) Pseudo-Aristeas, 2, 96.

(3) Meyer, Papyrusfund von Elephantine ; Schubart, Einführung, p. 329; Sayce and Cowley, Aramaic Papyri Discovered at Assuan, London, 1906 ; Cowley, Aramaic Papyri of the 5th Century B. C., Oxford, 1923 ; Kraeling, op. cit.; also G.R. Driver, Aramaic Documents of the Fifth Century B.C., Oxford, 1924.

(هذه المجموعة الاخيرة من الوثائق الارامية مكتوبة على قطع من الرق)

(4) Cowley, Pap. 30.

(5) Kraeling, p. 42; Bell, Cults and Creeds, pp. 27—9.

(6) Cowley, Pap. 13.

الآلهة الأربعة الأخرى فانها كانت آلهة وثنية (١) .

وقد كانت العلاقات ودية بين يهود الفنتين وكهنة الاله المصرى خنوم حتى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ، لكن الحال لم تلبث أن تبدلت . ولعل عطف الفرس على اليهود كان السبب فى اثارة المصريين عليهم ، اذ أن الفرس انتهكوا حرمة المعابد المصرية لكنهم لم يمسوا معبد يهوه فى الفنتين بسوء (٢) . ونلمس هذا العطف كذلك فى وثيقة أرامية من عام ٤١٩ ق. م. وتتضمن أمرا من دارا الثانى الى حاكم مصر الفارسى ليسمح باحياء أحد أعياد اليهود (٣) . وتحدثنا وثيقة أرامية أخرى (٤) بأنه فى عام ٤٣١ أثار كهنة الاله المصرى خنوم الأهالى ضد اليهود فاعتدوا على معبدهم فى الفنتين وحرموهم متابعة عبادتهم . ولما كان هذا المعبد قد ورد ذكره فى بردية أرامية ترجع الى عام ٤٠٢ ق. م. فان هذا يدل على اعادة بناء المعبد بعد تدميره (٥) .

ويحدثنا المؤرخ اليهودى يوسف بأن الاسكندر الأكبر عندما فتح مصر أسكن فى منطقة طيبة جنود سانبالات (Sanballat) حاكم ساماريا (٦) ، وأنزل عددا من اليهود فى حى خاص بهم فى الاسكندرية (٧) ، لكنه لم يقم بعد دليل على وجود السامريين فى طيبة على عهد الاسكندر (٨)، ولا على أن الاسكندر هو الذى خصص حيا لليهود فى الاسكندرية ، بل ان يوسف نفسه يعود فى موضع آخر فيعزو الى بطلميوس الأول تخصيص حى لليهود فى الاسكندرية (٩) . وعندما ضمت فلسطين الى مصر فى بداية عهد البطالمة نزحت أفواج من اليهود الى مصر من تلقاء

(1) Murad Kamel, Notice on the Aramaic Papyri discovered at Hermopolis West, Rev. Et. Hist. Juive en Eg., 1946, p. 2.

(2) Cowley, Pap. 30.

(3) Cowley, Pap. 21.

(4) Cowley, Pap. 27.

(5) Kraeling, op. cit., Pap. 12, p. 110 ; Cf. Bell, p. 32.

(6) Joseph, Ant. Jud., XI 345.

(7) Joseph Ant. Jud. XII, 8 ; C. Apion. II, 35.

(8) R. Marcus, Josephus, VI, pp. 512, 532.

(9) Joseph, B. Jud., II, 487-8.

تسمها هذا فضلا عن أن بطلميوس الأول نقل أفواجا أخرى منهم ليستقروا في مصر (١) . وقد ازداد توافد اليهود على مصر في عهد بطلميوس الثانى الذى وصف بأنه صديق اليهود بسبب ما كلاهم به من الرعاية أكثر من أى ملك آخر من ملوك البطالمة حتى قيل أنه افتدى أسراهم من ماله الخاص (٢) ، وأجزل الهدايا القيمة لمعبدهم في بيت المقدس (٣) . وقد أنزل بطلميوس الثالث في الأراضى المستصلحة بالفيوم عددا من اليهود الذين أسرهم في أثناء الحرب السورية الثالثة (٤) .

وتشير النقوش والوثائق البردية والخلفات الأثرية الى انتشار اليهود في أنحاء مصر طوال عصر البطالمة، ففى الجبانة اليهودية بالابراهيمية في الاسكندرية وجدت مقابر لليهود من عهد البطالمة الأوائل (٥) . وقد وجدت هياكل لليهود في اثريبيس (Athribis = تل أثريب قرب بنها) (٦) وما جدولا (٧) وسخديا (٨) وهرموبوليس بارفا (٩) (دمنهور) ووادى النطرون (١٠) وجزنفيريس (Xenephyris) (١١) وقروقوديلوپوليس (١٢) = أرسينوى (١٣) والسكندرونيسوس (Alexandrou Nesos) (١٤) بالفيوم ، وكذلك في ليونتوبوليس (Leontopolis = تل اليهودية) (١٥) وهو الهيكل الذى منحه بطلميوس الثالث حق حماية اللاجئين اليه . ومما يجدر بالذكر أنه كانت توجد في الفيوم قرية تدعى ساماريا (١٦) ، وأنه وجدت نقوش يهودية في معبد پان في أپولونوپوليس (أدفو) بمنطقة طيبة (١٧) .

---

(1) Joseph., Ant. Jud., XII, 7—8 ; C. Apion. I, 209-12.
(2) Ps. — Aristeas, 22-5.
(3) Sayce, op. cit., p. 118.
(4) Wallace, Amer. Journ. Phil., LIX. 236. p. 437.
(5) Bull. Soc. Arch. Alex., IX, 1907, pp. 35 ff.
(6) O. G. I. S. No 96 ; Cf. 101 ; C.I.J. 1444.
(7) P. Lille, II, No. 35.
(8) O. G. I. S., 726.
(9) SB, 8562 ; C. I. J. 1441.
(10) SB. 7454 ; C.I.J. 1442.
(11) Preisigke, No. 5862.
(12) Riv. Fil., 67, pp. 247-51.
(13) P. Tebt. 86, 18.
(14) P. Enteuxeis 30, 5 (216 B. C.).
(15) O. G. I. S. No. 12 ; Chrest. No. 45.
(16) P. Tebt., II, p. 383.
(17) O. G. I. S. nos. 73 ; 74.

وقد كان اليهود يمارسون فى مصر مختلف الحرف والمهن كالزراعة وتربية الماشية (١) وادارة المصارف المالية والتزام الضرائب (٢) والجندية (٣) وأعمال الحراسة على النيل (٤) • وقد تولى بعضهم مناصب ذات شأن فى خدمة الحكومة ، اذ نعرف من بينهم ضابطا (٥) وقائدا (٦) وفيما يبدو رئيسا للشرطة فى اثريبيس (٧) وسكرتيرا للملك (هوبومنيسا توجرافوس) (٨) وموظفا كبيرا فى الادارة لعله كان قائد مديرية هليوبوليس (٩) • وذلك فضلا عن قائدى جيش كليوبترة الثانية (١٠) عقب مصرع زوجها فيلومتور وقبل ارتقاء بطلميوس ملك قورينائية عرش مصر •

وقد لوحظ أن ما وصل الينا من الرسائل المعادية لليهود التى ترجع الى العصر الهلينيسى والعصر الرومانى لا يتضمن اتهامهم بالاشتغال بالربا • ومع ذلك فان تاجرا اغريقيا كتب فى عام ٤١ ميلادية الى صديق له فى الاسكندرية كان يعانى ضائقة مالية يوصيه بألا يدخر وسعا فى الوفاء بالتزاماته على أن يبتعد عن اليهود (١١) • والواقع أن البرديات الأرامية ترينا أنه قبل عصر البطالمة كان اليهود رجالا ونساء يقرضون الأموال (١٢) بفوائد قد تصل أحيانا الى ٦٠٪ (١٣) غير أن الوثائق البردية لا تبرر الرأى القائل بأن العمل الرئيسى ليهود مصر كان الاشتغال بالتجارة واقراض الأموال (١٤) •

---

(1) P. C.—Zenon, 59241 ; P. Mich. Zen., 67 ; P. Enteuxeis 2 ; P. Gurob 22 ; P. Tebt. 282 ; Tscherikower, The Jews in Eg., Jerusalem, 1945 pp. 10-11.

(2) G. P. Jud. nos. 13—15 ; 36 ; 48—63 ; 70—72 ; P.C.- Zen. 59367 ; 59377 ; O. Bodl. Tait, 103 ; Wilcken, Ostr. pp. 525 ff ; Chrest. no.. 261 ; L. Fuchs, op. cit., p. 52.

(3) Bull. S.A. Alex., 1902, pp. 48 ff ; P. Hibeh I, no. 96 ; P. Petr, III, no. 21 g ; P. Gurob, 2 ; 8 ; P. Tebt. 815, fr 2, ll. 17-22 ; 817 ; 818 ; 820 ; 856. ll. 46—9 ; 882 ; 1075 ; Joseph., Ant. XII, 45 ; XIII, 287 ; XIV, 99, 133 ; C. Apion., II. 44 ; C. P. J., 13, 147 ; Tscherikower, p. 6.

(4) Joseph., C.Apion., II 64. ; Wilcken, Ostr. I, 282—5.

(5) C. P. J. 24 = P. Tebt. 818.

(6) Archiv, I, pp. 48 ff.

(7) C. P. J. 1443 = OGIS. 96, 4.

(8) C. P. J. 127 (a) = P. Mich. Zen. 55.

(9) C. P. J. 132 = UPZ. 110.

(10) Joseph., C. Apion, II, 49.

(11) Bevan, in The Legacy of Israel, p. 35, fn, 2.

(12) Kraeling, p. 55 ; Cowley, Pap. no. 10, 11.

(13) Cowley, Pap. no. 18.

(14) Tscherikower, pp. 6, 12.

ولقد نزل اليهود بأنحاء مصر المختلفة ، الا أن أكثرهم كانوا يعيشون فى الاسكندرية (١) فى الحى الرابع فى هذه المدينة . وكان هـذا الحى يجاور الحى الملكى من الجهة الشمالية الشرقية ويمتد حتى شاطىء البحر فى جهة ليست بها موان (٢) ، مما يوحى بأن حى اليهود كان شرقى رأس لوخياس مباشرة حيث لم توجد موان ولا فيما يبدو مبان هامة (٣) . لكن اليهود لم يكونوا مرغمين على السكنى فى الحى الرابع ، فقد انتشروا فيما بعد حتى شغلوا الجانب الأكبر من حى آخر فضلا عن انتشارهم فى أحياء أخرى من أحياء المدينة (٤) الا أنهم كانوا يفضلون أن يعيشوا متكتلين بالقرب من بعضهم بعضا ، كما يفعلون اليوم فى المدن التى ينزلون بها . وكان يوجد بالاسكندرية بطبيعة الحال عدد من الهياكل اليهودية لمثل هذه الجالية الكبيرة . وكان أكبر هذه الهياكل فى العصر الرومانى من أعظم المبانى فى الامبراطورية ، ويقال انه كان كبيرا الى حد أن صوت الكاهن الذى يقوم بالمراسم الدينية كان لا يسمع فى آخر القاعة ، فكان يقف شخص فى الوسط يحمل علما يشير به فى اللحظات التى يجب أن يقال فيها « آمين » (٤) . وقد ورد فى الوثائق ذكر هياكل يهودية فى الاسكندرية من عهد البطالمة ، ومثل ذلك الهيكل الذى بناه شخص يدعى ألوبوس (Aiypus) — وكان دو نشك أحد أثرياء اليهود — باسم كليوبترة السابعة وبطلميوس « للاله الأكبر السميع » (٦) .

وعندما ازداد عدد يهود الاسكندرية كونوا لهم جالية (٧) ، منحت قسطا من الحكم الذاتى لم يمنح لأية جالية أخرى فى أية مدينة اغريقية (٨) حتى يقال انهم بعد القرن الثالث منحوا الحق فى ألا يحاكموا الا أمام قضاتهم ووفقا لقوانينهم المتوارثة عن آبائهم (tois patriois nomois chrestai)

(1) Tarn, p. 188.

(2) Joseph., Bell. Jud., II, 295 ; C. Apion., II, 33-4.

(3) Fraser, I, p. 35.

(4) Philo, In Flaccum, 55 ; Bell, Egypt, p. 52.

(5) C. P. J., p. 50, no. 9 ; Bevan pp. 113, 114.

(6) O. G. I. S. no. 742 ; cf. Accordi, in Stud. Scuola Pag. Milano, III, p. 25 ; Inscr. graec. ad res Roman. pertin., i. no. 1077 ; Davis. Race Relations in Ancient Egypt, London., 1953, p. 92.

(7) Ps.-Aristeas, Epistula, 310 ; cf. Bell, Juden u. Griechen in röm. Alex. Beit. z. alten, Orient, 9 ; Tarn, Hell. Civil., p. 188.

(8) Bevan, p. 113.

أو بعبارة أخرى وفقا لقوانين موسى(١) .

ويتبين من التلمود أنه كانت توجد محكمة لليهود (٢) . ويبدو مما يوحى به المنطق وشواهد الوثائق الخاصة بيهود الريف — على نحو ما سنرى تفصيلا فى معرض الحديث عن النظام القضائى — أن حق اليهود فى المحاكمة أمام قضاتهم وفقا لقانون موسى كان مقصورا على مسائل الاحوال الشخصية ، وأما فى حالة وقوع نزاع مدنى أو جنائى بين طرفين سواء أكان كلاهما يهوديين أم كان أحدهما يهوديا والآخر غير يهودى (٣) فان المحاكم العامة العادية هى التى كانت صاحبة الاختصاص فى الفصل فى مثل هذه المنازعات .

وفى أوائل العصر الرومانى كان رئيس الجالية اليهودية يدعى جنارخيس (Genarches) (٤) أو اثنارخيس (Ethnarches) ، وكان يدير شئون الجالية ويصرف العدالة فيها ، بين أعضاء الجالية ، ويشرف على تحرير عقودهم ، ويتولى اصدار القرارات كما لو كان حاكما فى دولة مستقلة (٥) . وكان يهيمن على شئون الجالية اليهودية فى العصر الرومانى مجلس يدعى جروسيا (Gerousia) (٦) يبدو فى رأى « بل » أن أغسطس هو الذى أنشأه احياء لمجلس جروسيا قديم كان يتمتع بالاختصاصات نفسها (٧) .

ولا يستبعد بفان أنه كان للجالية اليهودية فى الاسكندرية مجلس جروسيا منذ عصر البطالمة (٨) . ومجمل هذين الرأيين أن صاحبيهما يريان أن أول عهد يهود الاسكندرية بمجلس جروسيا لم يكن عصر الرومان وانما عصر البطالمة . ونحن لا نرى اسرافا فيما يذهب اليه هذان الباحثان

(1) Joseph., Ant. Jud., XIV, 195, 196, 213 f, 235 etc.; C.P.J., p. 7; Bouché-Leclercq. III, p. 148; Tarn, p. 199.

(2) Tscherikower, The Jews in Eg., p. 17; C.P.J., I, p. 32.

(٣) انظر مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ذكره ص ٩٧ وما بعدها .

(4) Philo, in Flacc., 78,4.

(5) Strab. ap. Joseph., Ant. Jud., XIV, 114; Juster Les Juifs dans L'Emp. Rom., II, p. III. n. 1.

(6) Philo, In Flaccum, 10, 74.

(7) Bell, Juden u. Gr., pp. 12—3.

(8) Bevan, p. 113.

الجليلان لأنه يتمشى مع ما سبق ذكره من أن البطالمة منحوا الجالية اليهودية فى الاسكندرية قسطا من الحكم الذاتى لم يمنح لأية جالية أخرى فى أية مدينة اغريقية .

وسنرى فى سياق الحديث عن الاسكندرية أنه يوجد ما يوحى بأنه كان للجالية اليهودية فى هذه المدينة فى عصر البطالمة مجلس جروسيا .

وكان حكام هذه الجالية فى العصر الرومانى يدعون أرخونتس (Arcohntes) ، ويحتمل أنهم كانوا لجنة مؤلفة من بعض رجال الجروسيا (١) . وأما فى عصر البطالمة ، فان الوثائق لا تطلق على حكام هذه الجالية سوى لقب الشيوخ (Presbyteroi) (٢) . وتذكر بعض المصادر موظفا يهوديا يدعى الابارخيس (Alabarches) ، ويبدو أنه كان حاكما يهوديا يختلف عن الأراباخيس (Arabarches) الذى سنذكره فيما بعد ، الا أنه ليس فى وسعنا أن نحدد مهام الالابارخيس ولا أن نقرر اذا كان يمكن أن نرى فيه الاثنارخيس أو الجنارخيس (٣) .

ويحدثنا المؤرخ اليهودى يوسف تارة بأن الاسكندر خصص لليهود حيا فى الاسكندرية وساواهم فى الحقوق المدنية مع المقدونيين (٤) ، وتارة بأن الاسكندر منح اليهود حقوقا مساوية لحقوق الاغريق (٥) ، وتارة بأن البطالمة هم الذين خصصوا لليهود حيا فى الاسكندرية وسمحوا لهم باتخاذ لقب مقدونيين (٦) ، وبأنه حتى عهد ڤسباسيانوس فى العصر الرومانى كان يهود الاسكندرية يدعون مقدونيين (٧) ، وتارة بأن الاسكندر سمح لليهود بالاقامة فى الاسكندرية على قدم المساواة مع الاغريق وبأن خلفاءه أيدوا هذا الحق فضلا عن أنهم خصصوا لليهود حيا معينا (٨) . ويحدثنا يوسف أيضا بأنه قد جاء فى رسالة الامبراطور

(1) Bevan, loc. cit.
(2) Pseudo-Aristeas $ 310.
(3) Jouguet, Vie, p. 39.
(4) C. Apion, II, 34—35.
(5) Bell. Jud., II, 478.
(6) Bell. Jud., II, 487- 8 ; Cf. Bell, Jews and Christ, pp. 11 ff.
(7) C. Apion, II, 35; Ant. Jud., XII, 8.
(8) Bell. Jud. II, 487—8, Cf. Bell, Jews and Christ., pp. 11-16

قلاوديوس الى أهل الاسكندرية أن اليهود استقروا فى تلك المدنية منذ البداية (١) .

وقد فسر بعض المحدثين ذلك بأن يهود الاسكندرية كانوا يتمتعون بالحقوق المدنية كاملة (٢) . ونحن نعتقد أن هذا هو فعلا ما أراد يوسف ادخاله فى روع الناس تأييدا ليهود الاسكندرية فى كفاحهم المرير مع الرومان من أجل الفوز بحقوق المواطنة حتى لا يدفعوا ضريبة الرأس . ومن البديهى أنه لو كان اليهود يتمتعون فعلا بحقوق المواطنة فى الاسكندرية منذ انشائها لما حرمهم الرومان تلك الحقوق وفرضوا عليهم ضريبة الرأس ، فقد أبقى الرومان على الأوضاع التى وجدوها فى البلاد عندما فتحوها .

ويحدثنا يوسف بأن يوليوس قيصر قضى بأن يقام فى الاسكندرية نصب من البرونز أثبت عليه أن يهود العاصمة مواطنون اسكندريون (٣) وقد أوضحنا فى سياق الحديث عن يوليوس قيصر واليهود بطلان زعم يوسف (٤) . واذا سلمنا جدلا بأن قيصر قد فعل ذلك فانه يحق لنا أن نتساءل عما حدا بقيصر الى اتخاذ هذه الخطوة اذا صح أن الاسكندر كان قد منح يهود الاسكندرية حقوق المواطنة وأن البطالمة كانوا قد أيدوا ذلك ؟

ومن ثم فان القرائن جميعا تشير الى عدم تمتع يهود الاسكندرية بالحقوق المدنية . ومرد ذلك الى أن المساهمة فى الحكومة والادارة نتيجة للتمتع بالحقوق المدنية كانت تقتضى عبادة آلهة المدينة وهو ما كان

---

(1) Joseph., Ant. Jud., XIX, 281—5.

يرى تشريكوفر (C.P.J., II nos. 1424—31) أن يوسف لم يكن أمينا فى نقل رسالة الامبراطور (P. Lond. I, 912, IV, 84) بل زيف عبارته التى تقول أن اليهود سكنوا الاسكندرية منذ زمن طويل .

(2) Schürer, Gesch. d. Jüd. Volk, in Zeit alter Jes. Christi, III, pp. 122 ff., 718 ; Juster, Les Juifs dans l'Empire Romain, II, 1914, p. 9 ; Mahaffy, Empire, p. 86 ; Sayce, Egypt of the Hebrews, p. 141 ; Davis Race Relations in Ancient Eg., Lond., 1953, p. 98 ; Pfister, Alex. d. Gross., pp. 24 ff. ; Box, Philo Alex. In Flaccum, Oxford, 1939, pp. XXIII ff.

(3) Joseph., Ant. Jud., XIV 188.

(٤) راجع الفصل الثالث ، جـ ١ ، ص ٢١٧ و ٢١٨ .

اليهود فى عصر البطالمة يعتبرونه كفرا (١) . فقد كان يصاحب المراسم المدنية والحفلات الرياضية تقديم القرابين للآلهة الوثنية والقسم بتلك الآلهة والمشاركة فى الأكل مما قدم اليها من قرابين ، وكان ذلك لا يتفق ومراعاة الشريعة اليهودية مراعاة دقيقة (٢) .

حقا اننا رأينا أن يهود الفنتين كانوا يعبدون قبل عصر البطالمة آلهة وثنية ، لكنه يبين أنه بمضى الزمن التزم اليهود حدود ديانتهم بدليل ما ستراه من اصرارهم فى عهد فيلوباتور على رفض عبادة ديونوسوس برغم ما انطوى عليه ذلك من الاضرار بهم . ولو أن الاسكندر والبطالمة الأوائل كانوا قد منحوا يهود الاسكندرية فعلا الحقوق المدنية لما مناهم فيلوباتور بمنحهم حقوقا مساوية لحقوق مواطنى هذه المدينة اذا أقبلوا على عبادة ديونوسوس . وفضلا عن ذلك فان يوسف يلوم كليوباترة السابعة على أنه عندما كانت الاسكندرية تعانى قحطا وأمرت كليوبترة السابعة بتوزيع منح من القمح على مواطنى الاسكندرية ، لم يكن ليهود العاصمة تصيب من هذه المنح (٣) وحرمان يهود الاسكندرية هذه المنح يدل على أنهم لم يكونوا فى عداد مواطنى العاصمة (٤) . ويرى « بل » أن خطاب قلاوديوس الى الاسكندريين يتضمن فقرة تدل دلالة قاطعة على عدم تمتع اليهود بحقوق المواطنة . ونص هذه الفقرة هو أن يهود الاسكندرية يستفيدون مما فى حوزتهم ويستمتعون بثروة عريضة فى مدينة ليست مدينتهم (٥) . وازاء كل هذه الاعتبارات يمكننا الجزم بأن اليهود بوجه عام لم يتمتعوا بحقوق المواطنة فى الاسكندرية (٦) ، لكنه لا يبعد أن نفرا قليلا منهم استطاع اكتساب حقوق المواطنه بصفة شخصية (٧) . ونحن نرى أنه لا يجوز أن نفهم من عبارات يوسف الملتوية أكثر من السماح ليهود الاسكندرية بالاقامة فيها فى حى خاص وتكوين جالية قومية لهم على نحو ما فعل الاغريق والمقدنيون .

---

(1) Tarn, p. 19.
(2) Bell, Creeds and Cults, p. 37.
(3) C. Apion, II, 60.
(4) C. A. H. X, p. 36.
(5) Bell, Jews and Christ., pp. 24—5.
(6) Jonguet, Vie. p. 19 ; Bell, Eg., p. 52.
(7) Bell. Juden u. Gr., p. 12 : Tscherikower, C. P. Jud., I. p. 40 ff ; Fraser, I. pp. 55-6.

وقد أظهر البطالمة الثلاثة الأوائل عطفهم نحو اليهود ، فقد رأينا كيف أن بطلميوس الاول أحضر أعدادا كبيرة منهم وأسكنهم فى مصر ، وكيف أن بطلميوس الثانى كلأهم برعايته . ويحدثنا المؤرخ اليهودى يوسف بأن فيلادلفوس أراد أن تترجم الى الاغريقية كتب اليهود المقدسة فأرسل الى العازار (Eleazar) كبير الكهنة بأورشليم بعض الهدايا وكتابا يطلب اليه فيه أن يرسل الى مصر بعض اليهود من رجال الدين والفقهاء لينقلوا الى اللغة الاغريقية كتبهم المقدسة.وعندماأرسل العازارالى بطلميوس سبعين شيخا من خيرة اليهود ، أحسن ملك مصر وفادتهم ، ووقفوا أنفسهم على الترجمة حتى أنجزوها فى خلال اثنين وسبعين يوما (١) . وأغلب الظن أن هذه القصة مخترعة ، وقد يكون مبعثها رغبة فيلادلفوس فى أن تضم « المكتبة الكبرى » ترجمة اغريقية للكتب المقدسة لفريق من رعاياه (٢) ، أو أن يهود الاسكندرية فى عهد بطلميوس الثانى كانوا قد أهملوا لغتهم وأصبحوا يستعملون الاغريقية ، فباتوا فى حاجة الى الى ترجمة كتبهم السماوية الى الاغريقية ، ولما كان بطلميوس الثانى يعطف على اليهود فانهم عزوا اليه ترجمة كتبهم المقدسة (٣) . واذ تدل شواهد لها وزنها على أن أعلام يهود الاسكندرية هم الذين قاموا بترجمة التوراة الى الاغريقية وهى المعروفة بالترجمة السبعينية (Septuagint) ، لا يوجد بعد دليل قوى يدعم ما يقال بأنه سبقت ذلك ترجمة أخرى أو كتابة النص العبرى بحروف اغريقية . ويحتمل أن الترجمة بدأت فى عهد فيلادلفوس ولكنها استغرقت أمدا طويلا. ويبدو جليا أن الأسفار الخمسة الأولى (Pentatauch) كانت أول ما ترجم من التوراة ثم تبعث ذلك ترجمة الأسفار الأخرى بالتدريج . (٤) واذا كانت القرائن تشير الى تغلغل الحضارة الاغريقية بين يهود ليونتوبوليس (Leontopolis = تل اليهودية بالقرب من شبين القناطر) على بعدهم عن عاصمة الحضارة الاغريقية (٥) ، فلابد من أن

(1) Josephus, Ant. Jud., XII, 11—109 ; Ps. Aristeas, Epist. ad Phil., 9 ff.
(2) Jouguet, Trois Et., p. 116.
(3) Tarn, p. 193
(4) Bevan, p. 112 ; Cf. Bell, Cults and Creeds, pp. 44—5 ; Fraser, I, pp. 689—90.
(5) Momigliano, Aegyptus, VII, 1932, p. 17.

حظ يهود الاسكندرية من هذه الحضارة كان أتم وأوفى • ومع ذلك فان البعض يرى أن اصطباغ اليهود بالحضارة الاغريقية لم يكن أكثر من طلاء سطحي (١) • وعلى كل حال فان اليهود لا في مصر فحسب بل في بلادهم نفسها أصبحوا يستخدمون اللغة الاغريقية ، ويتخذون أسماء اغريقية وغير ذلك من المظاهر الخارجية للحضارة الاغريقية (٢) •

وقد رأينا الدليل على حدب بطلميوس الثالث على اليهود وتسامحه معهم الى حد أنه منح أحد هياكلهم حق حماية اللاجئين اليه • وأما بطلميوس الرابع فانه نهج سياسة معادية لليهودية ، فالكتاب الثالث من تاريخ المكابيين (٣) يروى كيف أن هذا الملك زار بيت المقدس ، عقب انتصاره في موقعة رفح ، وأعرب عن رغبته في دخول قدس الأقداس في معبد اليهود ، وكيف أن أحبار اليهود احتجوا على ذلك دون طائل ، وأنه لم يحل دون رغبة الملك الا العناية الالهية ، لأنه خر مريضا بالباب ، مما كان سببا في السياسة العدائية التي اتبعها فيما بعد ازاء اليهود • ذلك أنه عندما عاد بطلميوس الرابع الى مصر طلب الى اليهود أن يعبدوا ديونوسوس غير أنه عندما رفضت غالبيتهم الارتداد عن دينها ، وجه الملك الى قواده وجنوده في أنحاء البلاد رسالة يذكر فيها أنه كان يريد معاملة اليهود بكرم وسخاء ، وأنه كان ينوى رفعهم الى مستوى مواطني الاسكندرية ، ويجعل في الامكان اختيار كهنة الديانة الرسمية الاغريقية العامة من بينهم ، لكنه عندما وجد أنهم متعصبون لا يمكن التفاهم معهم ، وأنهم اضطهدوا النفر القليل منهم الذين قبلوا ما أغدقه عليهم ، فقد رأى تفاديا لحدوث فتنة مباغتة أن يسجل جميع رجالهم ونسائهم وأطفالهم ويرحلوا الى الاسكندرية لاعدامهم • ويحدثنا هذا المصدر بأن أعدادا كبيرة منهم أرسلت الى حلبة سباق الخيل في الاسكندرية لتطأهم بأقدامها فيلة ثملة ، لكن الفيلة هاجمت جنود بطلميوس بدلا من اليهود ، فثاب الملك الى رشده وحرر اليهود • واحتفاء بذلك ، اعتاد اليهود أن يقيموا كل

(1) Segré, The State of The Jews in Ptol. and Rom. Eg., Jewish Social Studies, 1944, Vol. IV, 377 ; Fraser, I, pp. 283-5, 688-9.

(2) Tarn p. 184.

(3) III Macc., 2. 28—7.17.

عام فى مدينة بطوليس عيدا يدوم أربعين يوما من الخامس والعشرين من بشنس (Pachon) الى الرابع من أبيب (Epeiph) [١] .

ويرى بعض المؤرخين أن هذه القصة مخترعة من أولها الى آخرها لعدم وجود ما يؤيدها [٢] ، بينما يرى البعض الآخر أنها مزيج من الخيال والحقيقة [٣] . ويبدو الخيال واضحا فى محاولة صاحب هذه القصة تصوير العناية الالهية على نحو تبدو معه كأنها تقف على الدوام بالمرصاد لانقاذ « الشعب المختار » ، وفى انتحال هذا الانقاذ المزعوم سببا لتفسير حفل حقيقى كان يهود مصر يقيمونه فى وقت معين كل عام .

ونحن نميل الى الاعتقاد بأن هذه القصة لم تخل من الحقيقة ، اذ أنه لا يستبعد على مثل هذا الملك رغبته فى دخول أقدس مكان فى الديانة اليهودية ، وذلك بدافع حب الاستطلاع وبوصف كونه هو نفسه الها يعبد فى سائر معابد مصر ، كما لايستبعد أنه حقق هذه الرغبة رغم أنف اليهود . ذلك أن القرار الذى اتخذه مؤتمر الكهنة المصريين فى منف فى شهر نوفمبر عام ٢١٧ ، بعد أن يصف انتصار فيلوپاتور فى معركة رفح وما استولى عليه من غنائم ، يتبنا بأن الملك طاف بأماكن أخرى تحت سيطرته ودخل المعابد التى توجد فيها [٤] ، ولا يبعد أن معبد بيت المقدس كان أحد هذه المعابد .

ويحتمل أن بطلميوس الرابع ، وكان متحمسا لعبادة ديونوسوس ، قد خدعته شدة الشبه فى الاسم بين ساباتزيوس (Sabazios) [٥] وساباوث (Sabaoth) ، فاعتقد أن اليهود كانوا يعبدون ديونوسوس تحت اسم وشكل آخرين ، وبما أن ديونوسوس كان يسوى بسراپيس كبير آلهة مصر الرسمى فى عهد البطالمة ، فلا يبعد أنه كان يحلم باقامة عبادة واحدة للامبراطورية هى عبادة ديونوسوس ، لتوحد بين العناصر الجنسية المختلفة فى الامبراطورية [٦] ، أو على الأقل لتزيل الفوارق الدينية بين أهم عنصرين

(1) III Macc., 7, 17.
(2) Bevan, pp. 229—230 ; Cf. Fraser, I, p. 285.
(3) Mahaffy, Empire, pp. 267—272 ; Hadas, Third and Fourth Macc., p. 11, Tscherikower, Hell. Civ., p. 282.
(4) Pithom stele, in Bevan, pp. 389—90, and fn. 1, p. 390.
(٥) كان هذا فى الاصل اسم اله فروجى ثم اصبح يطلق على ديونوسوس .
(6) Tarn, p. 183 ; Perdrizet, Rev. E. A., 1910, 224.

من عناصر السكان فى الاسكندرية (١) . ولا ندرى اذا كان فيلوپاتور قد حاول ادخال عبادة ديونوسوس فى بلاد اليهود ، ولكنه يحتمل أنه حاول فرض هذه العبادة على يهود مصر ، وعندما أبوا عليه ذلك جردهم من امتيازاتهم ولم يستردوها الا بعد دفع غرامة مالية . وعلى كل حال لا شك فى أن اليهود قد لاقوا قدرا من الاضطهاد على يدى هذا الملك .

وليس هناك ما يستحق الذكر فيما يتعلق باليهود فى عهد بطلميوس الخامس وأما فى عهد بطلميوس السادس ، فانه نزح الى مصر يهود كثيرون بسبب الأحداث التى وقعت فى فلسطين من جراء السياسة التى اتبعها أنطيوخوس الرابع هناك منذ ارتقائه العرش وبخاصة بعد ما أرغمته روما فى عام ١٦٨ على ترك مصر وشأنها لتصوره أنه لا يستطيع الاحتفاظ بملكه أمام قوة روما ، الا اذا وجد شعوب امبراطوريته بفرض الحضارة والديانة الأغريقية عليها جميعا ، مما أفضى الى ذلك الاصطدام العنيف بينه وبين اليهود ، على نحو مارأينا فى معرض الكلام عن السياسة الخارجية (٢) .

وفى عهد بطلميوس السادس فيلوميتور التجأ الى مصر اليهود الناقمون (٣) على أسرة سلوقس ، وكان على رأسهم أونياس الرابع (Onias) (٤) ابن أونياس الثالث ، وهو الذى كان كاهنا أكبر فى بيت المقدس وقضى نحبه فى مكافحة السلوقيين (٥) . ويبدو أنه قد رافق أونياس عدد كبير من أتباعه ، لأن بطلميوس السادس منحهم قطعة من الأرض على فرع النيل الشرقى فى المديرية العربية (Arabia) (٦) ، عرفت فيما بعد اسم « اقليم أونياس » (٧) . وحوالى عام ١٦٠ (٨) سمح لأنياس بأن يبنى

---

(1) Perdrizet, Bull. Soc. Arch. Alex. n. s., III, 12, 1910, p. 79.

(٢) راجع الفصل الثالث ، حـ ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٨ — ٢١٢ ، ٢٢١ — ٢٢٣ .

(3) Bevan, p. 298.

(٤) لقد كان اسمه الحقيقى (Honya) ، لكن الاغريق حرفوا الاسم الى أونياس ، وكانوا يجدون بعض الصلة بين هذا الاسم والحمار (onos) ، فقد كان يسودهم الاعتقاد بأن اليهود يعبدون الحمار (Bevan p. 299).

(5) Sayce, op. cit., p. 157.
(6) Mahaffy, Empire, p. 353.
(7) Joseph., Ant. XIV, 131; Bevan, p. 299.
(8) Tarn, p. 180.

على مكان معبد مصرى قديم فى ليونتوپوليس معبداً يهوديا على نمط معبد بيت المقدس ، وبأن يقيم هناك طقوس الديانة اليهودية (١) . ويرى پترى (Petrie) أن التل الكبير المصطنع المعروف باسم تل اليهودية هو موقع معبد أونياس ، فقد ثبت له أن هذا التل أقيم دفعة واحدة فى خلال القرن الثانى ، ولاسيما أن الأطلال تتفق مع ما ذكره المؤرخ اليهودى يوسفس ، من أن البناء الرئيسى فى المعبد الذى أقيم على التل كان برجا يبلغ ارتفاعه ستين ذراعا . وكان هذا المعبد نموذجا صغيراً لمعبد سليمان ، وقد نظم ما حوله من الأرض لتشبه على وجه التقريب معالم الأرض المحيطة ببيت المقدس (٢) . وقد ظلت الطقوس اليهودية تقام فى المعبد ، الى أن أغلقه الامبراطور ڤسپاسيانوس (Vespasianus) فى عام ٧٣ للميلاد . وبالرغم من أن أكثر اليهود محافظة وتقوى كانوا لا يعترفون الا بمعبد بيت المقدس ، لتمسكهم بألا يبنى معبد للاله الأعظم خارج تلك المدينة (٣) ، فانه من المحتمل أن غالبية يهود مصر كانوا يعتبرون معبد أونياس كعبتهم (٤) .

وينهض هذا كله دليلا على العطف الذى أولاه فيلوميتور لليهود ، والذى يتجلى كذلك فى تنصيب أونياس حاكما على المديرية العربية (Arabarches) (٥) ، حيث أسكن اليهود وسمح لهم باقامة معبدهم . لكن الشك يخامرنا فيما يزعمه المؤرخ اليهودى يوسفس من أن فيلوميتور أسند الى أونياس الرابع ويهودى آخر يدعى دوسيثيوس الاشراف على الجيش وادارة الدولة بأجمعها . (٦) ولعل ذلك احدى مبالغات اليهود لتأييد ادعائهم بما كان لهم من ماض مجيد . وقد حدا عطف

(1) Joseph., Ant., XIII, 62—79 ; B. Jud., I, 31 ff. ; VII, 422 ff.

(٢) راجع التفاصيل فى :

Petrie, Hyksos & Israelite Cities, British School of Archaecology in Eg., p. 20 ; Cf. Naville, The Mound of the Jew and the City of Onias, pp. 33 ff.

(3) Sayce, op. cit., p. 158 ; Tarn, p. 189.

(4) Bevan, p. 299 ; Fraser, I, p. 83 ; cf. Tscherikower, Hell. Civ. and the Jews, pp. 275-81.

(4) Bevan, p. 293.

(5) Mahaffy, Empire, p. 357.

(6) Joseph., C. Apion., II, 49.

فيلوميتور على اليهود بعض المؤرخين الى أن يعزوا الى هذا الملك — بدلا من فيلادلفوس — ترجمة كتب اليهود المقدسة الى الاغريقية . لكن هذا الرأى الذى بدا قويا فى أول ظهوره قد أصبح غير مقبول ، لأن المؤرخ اليهودى ديمتريوس ، وهو الذى تدل القرائن على أنه لم يعمر بعد حكم بطلميوس الرابع ، يرينا بعض الالمام بهذه الترجمة (١) . ولعل هذا العطف الشديد الذى أظهره فيلوميتور نحو اليهود يرجع الى أنه ، ازاء محبة أخيه بطلميوس الصغير لدى الاسكندريين وعداء المصريين للبطالمة بوجه عام ، أفاء فيلوميتور عطفه على اليهود لكسب تأييدهم وسط المتاعب التى اكتنفته من كل جانب. ويحتمل أنه ترجع الى هذا العهد تلك الامتيازات التى منحت ليهود الاسكندرية وسمحت لهم بتكوين جالية تتمتع بقسط من الحكم الذاتى (٢) .

ويعتبر هذا العطف نحو اليهود نقطة هامة لا فى تاريخ اليهود فحسب بل فى تاريخ مصر أيضاً ، اذ أنه منذ ذلك الوقت بدأت تظهر الرسائل الاغريقية التى تهاجم اليهود والرسائل اليهودية التى تهاجم الاغريق ، كل تلك الرسائل التى ملأت تاريخ العصر الهلينيسى بالأكاذيب ، وهبطت بمستوى الأمانة فى كل آداب القرن الثانى قبل الميلاد (٣) . فقد اتهم الاغريق اليهود بأن حضارتهم ليست أصيلة وانما منقولة عن غيرهم ، وأنه لا تربطهم بالأجناس الأخرى أية مشاعر انسانية ولذلك يعيشون منطوين على أنفسهم ، وأنهم ملحدون لا يعترفون بوجود آلهة أخرى غير يهوه . وقد دافع اليهود عن أنفسهم وأسرفوا فى دفاعهم الى حد أنهم زعموا أن حضارتهم أقدم الحضارات ، وأنهم هم الذين ابتدعوا العلوم والفنون والفلسفة ولقنوها للشعوب الأخرى (٤) .

وأما بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى فانه كان يضمر حقداً دفيناً لليهود ، لأنهم أولا شدوا أزر أخيه بطلميوس السادس وأخته كليوپترة الثانية ضده ، وثانيا كانوا يؤيدون كليوپترة الثانية ضده بعد وفاة

(1) Mahaffy, Empire, pp. 356—357. (2) Fraser, I, p. 84.
(3) Mahaffy, Empire, pp. 357—358.
(4) Tarn, Hell. Civil., 1930, pp. 203—5 ; Fraser, I, pp. 694 ff.

بطلميوس السادس . ويروى المؤرخ يوسف عن بطلميوس الثامن : بعد عودته الى الاسكندرية وارتقائه عرش مصر فى أعقاب وفاة بطلميوس السادس ، القصة التى يرويها الكتاب الثالث من تاريخ المكابيين عن بطلميوس الرابع . ذلك أن يوسف يحدثنا بأن بطلميوس الثامن حاول اهلاك حشد من اليهود تحت أقدام الفيلة ، لكن هذه الحيوانات هجمت على جنود الملك بدلا من اليهود ، وبأنه لم ينقذ اليهود من انتقام الملك الا توسلات محظيته ، وبأن يهود الاسكندرية كانوا يحتفلون كل عام بذكرى نجاتهم (١) . وعلى كل حال فان بعض القرائن تشير الى أنه فى أواخر حكم بطلميوس الثامن تحسنت علاقاته مع اليهود وأصبحت ودية (٢) .

وفى عهد هذا الملك نشطت الرسائل المعادية لليهود والمناصرة لهم : اذ يبدو أن تأييد اليهود لبطلميوس السادس فى حياته ، ثم لابنه وزوجه بعد مماته أثار فى رجال بطلميوس الثامن الرغبة فى القضاء على كرامة اليهود وأهميتهم ، ومن ثم فانه ظهرت حملات لاذعة ضد اليهود الذين قابلوها بالسلاح نفسه (٣) . ومهما تكن قيمة هذه الرسائل ، فانها تشير الى عداء الملك وأعوانه لليهود واستمرار العداء بين الاغريق واليهود .

وقد ساعد على استمرار العداء بين الاغريق واليهود ذلك النزاع الذى وقع فى عهد الحكم التالى بين كليوپترة الثالثة وابنها بطلميوس التاسع فيلوميتور سوتير ، وكان هذا الملك يميل الى شد أزر أنطيوخوس التاسع ضد أخيه أنطيوخوس الثامن واليهود ، فى حين أن كليوپترة الثالثة كانت تود مناصرة الجانب الآخر لكراهيتها لأنطيوخوس التاسع فضلا عن رغبتها فى مساعدة يهود فلسطين ، ليسهل عليها التدخل فى شئون سوريا ، ولكى تضمن ولاء يهود مصر فى النزاع الداخلى . ولذلك فان كليوپترة الثالثة اقتفت أثر أبيها فيلوميتور وأمها كليوپترة الثانية ، واتبعت سياسة مشبعة بالعطف نحو اليهود (٤) .

(1) Joseph., C. Apion., II, 53—55 ; Cf. Hadas, Chronique, 47, 1949 pp. 97—104.
(2) Bell, Cults and Creeds, p. 40.
(3) Mahaffy, Empire, p. 390.
(4) Jouguet, Nat. Eg., III, p. 162.

وليس فى المصادر ما يشير الى أن اليهود لقوا أى اضطهاد فى عهد البطالمة الذين تبوأوا عرش مصر بعد ذلك ، لكنه يبدو أن العداء بين الاغريق واليهود استمر قائما حتى نهاية أسرة البطالمة . غير أن هذا العداء، الذى كان منشؤه سياسيا قبل كل شيء ، لم يتخذ شكلا عنيفا ويتعد المشادات الكلامية الا فى العصر الرومانى (١) .

ويمكننا أن نستخلص مما مر بنا أن سياسة البطالمة الدينية بوجه عام ازاء اليهود كانت تقوم على أساس التسامح الدينى ، وهو الذى قامت عليه سياستهم الدينية ازاء المصريين والاغريق . ولا أدل على ذلك من كثرة عددهم فى مصر ، حتى أن عدد يهود مصر بلغ فى العصر الرومانى نحواً من مليون ، فى وقت كان كل سكان مصر يبلغون فيه نحواً من سبعة ملايين ونصف مليون نفس (٢) ، وذلك بالرغم من الاضطهادات العنيفة الدموية التى شهدها يهود مصر وذهب الكثيرون منهم ضحيتها منذ عهد قاليجولا (٣٧ — ٤١) حتى عهد هادريانوس (١١٨ — ١٣٨) .

ويبدو أن سياسة البطالمة بوجه عام كانت مشبعة بالعطف على اليهود ، لأن فلسطين كانت واقعة بين شقى الرحى ، أو بعبارة أخرى بين البطالمة والسلوقيين ، الذين كانوا يتنافسون فى الاستيلاء عليها . وبطبيعة الحال كان عطف البطالمة على يهود مصر يكسبهم تأييد يهود فلسطين ، ويساعدهم على تحقيق أهدافهم فى سوريا (٣) .

---

(1) Tarn, p. 189.

(2) Bevan, p. 111.

(٣) راجع : Bell, Anti—Semitism in Alex., in J. R. S., XXX, 1941, pp. 1—18.

٢ — الفــرس

نجد فى وثائق عصر البطالمة وكذلك فى وثائق العصر الرومانى حتى منتصف القرن الثانى للميلاد (١) أشخاصا كثيرين يدعون « فرسا » أو « فرس السلالة » (٢) . بيد أنه اذا كان بعض هؤلاء « الفرس » يحملون أسماء ايرانية (٣) ، فان غالبيتهم العظمى يحملون منذ القرن الثانى قبل الميلاد أسماء اغريقية أو مصرية أو أســماء اغريقيــة وألقــابا مصرية . ويستوقف النظر أننا نجد بين كهنة أفروديتى وسوخــوس فى پاثوريس (Pathyris = الجبلين بين اسنا وأرمنت) كاهنين يحملان اسمين مصريين، ومع ذلك يدعيان « فارسيين » (٤) ، وأننا نجد كذلك أشخاصا يدعون « يهودا ، فرس السلالة » (٥) .

وقد كان هؤلاء الفرس يعيشون فى مختلف أنحاء البلاد ، فسنرى عند الكلام عن الاسكندرية كيف أن فئة كبيرة من « فرس السلالة » كانت تعيش هناك وتؤلف طبقة خاصة من سـكان العاصمــة تتمتــع ببعض الامتيــازات . وكان كثــيرون من الفــرس يعيشــون فى لاتوپوليس (Latopolis = اسنا) بمنطقة طيبة وبوجه خاص فى پاثوريس وجارتها قروقوديلوپوليس (٦) ، حيث كانوا يؤلفون حاميــة لاخضاع الأهالى

(1) Tait, Archiv, VII, pp. 175 ff.; Oates, Yale Cl. St., 18, 1963, pp. 5—129.

(٢) يرى البعض أن لقب « فارسى من السلالة » Perses tes epigones يرد فى الوثائق اكثر من لقب « فارسى » Perses ، الى حد انه يمكن اعتبار اللقب الاخير اختصارا للاول . وعلى كل حال فانه لا يمكن التفرقة على وجه التحقيق بين « الفرس » و « فرس السلالة » ، انظر :
Bouché—Leclercq IV, p. 36, fn. 2, cf. Pestman, Aegyptus, 43, 1963, pp. 405-7

(٣) مثل ذلك من عصر بطلميوس الثالث : هارپالوس بن اساموس (Harpalos son of Arsamos) (Neroutsos, L'ancienne Alex., p. 114) وتريداتيس بن الاسكندر (Terridates son of Alexander) (Pap. petr., II, no. 30) ومن عام ١٤٨ ق.م ارساقيس (P. Grenfell, I, no. 21)

(4) P. Grenfell, I, no. 44.

(5) P. Hamburg, 2 ; B. G. U. 1134.

(6) Meyer, Das Heerwesen der Ptolemäer und Römer in Aegypten, pp. 84—86.

المعادين للبطالمة (١) . وكان يوجد فرس كذلك فى طحنا (Akoris) (٢) بمديرية هرموپوليس (الأشمونين) ، وفى الخيبة (٣) (Hipponon ، قرب الفشن) بمديرية هيرا قليوپولس ، وفى منف (٤) ، وفى الفيوم (٥) ، حيث ثبت وجودهم فى العهد الرومـانى كذلك . وكان هؤلاء الفـرس ، اذا استثنينا لقبهم ، لا يختلفون فى شىء عن سائر السكان ، فنرى أن پينتوس ابن ليوتتومنيس ، وكان من فرس السلالة ، قد اشتغل خادما عند تراقى لم يعطه أجره فقدم شكوى يلتمس الحصول على استحقاقه واسترداد العقد المبرم بينه وبين سيده (٦) . وقد كان بعضهم يفلحون الأرض اما بمثابة أرباب اقطاعات ، واما بمثابة مستأجرين ، وكثيراً ما كانوا يقترضون القمح على أن يردوه عند ظهور المحصول الجديد، اذ أن وثيقة بردية (٧) تحدثنا بأن پترون بن ثيون الفارسى من فرقة الفرسان الخامسة نزل فى عام ١١٥ ، بأذن من الحكومة ، عن اقطاعه الى زميـل له فى الفرقة نفسها ، وكان يدعى ديدومارخوس (Didymarchos) ابن أپولونيوس المقدونى . وتحدثنا وثيقتان أخريان (٨) بأن فارسياً من السـلالة ، يـدعى بطلميوس ولقبه پتسوخوس (Petesouchos) ، استأجر اقطاعاً فى عامى ١٠٣ و ١٠١ . وتحدثنا وثائق (٩) أخرى بأن فارسياً من السلالة ، يدعى ديونوسيوس ابن قفالاس (Kephalas) كـان يقترض قمحاً كل عام تقريباً منذ عـام ١١٣/١١٢ الى عام ١٠٣ ، وبأنه عندما تأخر مرة فى سداد دينه اعتدى عليه دائنه ، فقدم شكايتين (١٠) الى رجال الادارة بتاريخ ١٢ و ١٣ من اكتوبر عام ١٠٩ .

وتشير الوثائق الى أن عددا كبيرا من هؤلاء « الفرس » و « فرس

(١) لا شك فى انه كانت توجد فى پاثوريس جمـاعة متجانسـة من الفرس ، كانت بمثابة جالية اجنبية لم تخالط غيرها ، راجع :

Bouché—Leclercq, IV. 37 fn. 2.

(2) P. Reinach, nos. 14 ; 31.

(3) P. Hibeh, nos. 90 ; 98 ; 124.

(4) P. Leid., O.

(5) P. Enteuxis. 48 ; 72 ; 74 ; Pap. Tebt., Index, IV, Perses.

(6) P. Enteux. 48 (218 B.C.).

(7) Pap. Tebt. no. 30.

(8) Pap. Tebt. nos. 105, 106.

(9) P. Reinach, nos. 8—16 ; 20—28.

(10) P. Reinach, nos. 18, 19.

السلالة » كانوا يشتغلون بالجندية ، فى فرق الفرسان المؤلفة من الجنود المرتزقة (١) بل ان بعضهم كانوا فى فرق الفرسان النظامية (٢) ، فقد مر بنا مثلا ان پترون بن ثيون الفارسى كان زميلا لديدومارخوس المقدونى فى فرقة الفرسان الخامسة . ومما يجدر ملاحظته أنه أطلق على ثيوتيموس (Theotimos) ابن فيلياس (Phileas) فى وثيقة من حوالى عام ١١٥ ق.م لقب فارسى من السلالة (٣) ، ثم أطلق عليه بعد ذلك فى وثيقة أخرى من عام ١٠٤ — ١٠٣ ق.م لقب « موسى » (Mysian) فى فرقة الفرسان الرابعة (٤) . ونجد أن پايسيس (Paesis) ابن قفالاس يوصف فى عام ١٠٩ بأنه ليبى (٥) ، فى حين أن أخاه ديونوسيوس ويدعى أيضاً پلنيس (Plenis) كان يوصف عادة بأنه فارسى من السلالة (٦) ، ووصف مرة بأنه مقدونى من السلالة (٧) .

ويبين أن بعض هؤلاء الفرس كانوا لا يتمتعون بسمعة طيبة ، ومثل ذلك ديونوسيوس بن قفالاس الذى مر بنا ذكره ، فقد كان غارقا فى ديونه وعجز مرتين على الأقل عن سداد هذه الديون فى الموعد المحدد (٨) . وقد شكا أحد أرباب الاقطاعات من المشاة فى قرية يوهيمريا (Euhemeria) بالفيوم الى الملكة كليوپترة والملك بطلميوس فيلوميتور سوتر (بطلميوس التاسع) من ثيوتيموس بن فيلياس الفارسى من السلاله بسبب ما كان يدين له به من القمح (٩) . وعندما انخرط ثيوتيموس فى سلك فرق الفرسان وأصبح موسيا ومنح مائة أرورة فى ثيادلفيا ، نجده يشكو من اعتداء رجلين من فرس السلالة عليه (١٠) .

وهكذا يتبين لنا انه كان يوجد فى مصر فى عصر البطالمة وكذلك فى

(1) P. Reinach no. 31.
(2) P. Reinach, no. 14.
(3) Fayum Towns, no. 11 ; Chrest., II, 14.
(4) Fayum Towns, no. 12, ll. 2—3 = P. Lond. 818 ; Chrest., II, 15.
(5) P. Reinach, 17, ll. 2-3.
(6) P. Reinach, 8-10 ; 12 ; 14 ; 15 ; 20-23 ; 26 ; 30 ; 31 ; 39.
(7) P. Reinach, 105, ll. 3-4.
(8) P. Reinach, nos, 8 ; 18.
(9) Fayum Towns, no. 11.
(10) Fayum Towns, no. 12.

عصر الرومان عدد كبير من هؤلاء الفرس ، وأنهم كانوا يمارسون مختلف المهن والحرف وبخاصة الجندية ، بل أنه كان بينهم كهنة مصريون ، وأن الغالبية العظمى من هؤلاء الفرس كانوا يحملون منذ القرن الثانى قبل الميلاد أسماء غير ايرانية ، وأن بعضهم كانوا يوصفون تارة بأنهم فرس وتارة بما ينم عن اكتسابهم جنسية أخرى . فكيف يمكننا تفسير هذه الظواهر ؟

يكاد المؤرخون يجمعون على شيئين وهما : (أولا) أنه كان يوجد فى مصر فى بداية عهد البطالمة عدد من الفرس الحقيقيين الذين يحتمل أنهم كانوا بقية الحامية الفارسية التى وجدها الاسكندر هناك عندما فتح البلاد واندمجت فى خدمته عندئذ . ويحتمل كذلك أنهم كانوا فرقا جندها الاسكندر فى آسيا وأرسلها الى مصر ، أو أحضرها بطلميوس الأول معه . ويحتمل أيضاً أن يكون بطلميوس الثالث هو الذى أحضر هؤلاء الجنود الى مصر بعد حملته فى الشرق ، فقد كان الاغريق يعتبرون الفرس أكثر الشرقيين شجاعة وحضارة . (وثانيا) أن جانباً كبيراً ممن يدعون «فرسا» فى الوثائق لم يكونوا كذلك بسبب أصلهم وانما نتيجة لاكتسابهم هذه الصفة . وتوجد أدلة قاطعة على تغيير الجنسيات فى القرن الثانى قبل الميلاد ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما مر بنا من أن ثيوتيموس كان فارسيا فى عام ١١٥ وموسيا فى عام ١٠٣ ، وأن أسقليبيادس (Asklepiades) ابن بطلميوس كان مقدونيا ثم أصبح كريتياً حوالى عام ١٤٥ ق.م (١) .

ويرجع لونيه (٢) تغيير الجنسية الى سبب عسكرى وهو أن بعض الفرق ولا سيما فرق الفرسان كانت فرقا قومية تميز كل منها بجنسية معينة مثل فرقة التساليين وفرقة التراقيين وفرقة الموسيين وفرقة الفرس . فهل يعد أن اندماج شخص فى احدى هذه الفرق كان يخلع عليه الجنسية التى تميز بها هذه الفرقة ؟ .

بيد أنه اذا كان يمكن تفسير كثير من حالات هذه الجنسيات المكتسبة على ضوء هذا الرأى فانه لا يمكن تفسيرها جميعا ، ومثل ذلك حالة

(1) Pap. Tebt., no. 32.

(2) Launey, Recherches Armées hellenist., p. 64,

ثيوتيموس الذى مر بنا أنه كان فارسيا من السلالة حوالى عام ١١٥ ثم أصبح موسيا فى عام ١٠٤/١٠٣ ، ففى ذلك العام انخرط فى سلك فرقة الفرسان الرابعة (١) ، وكانت احدى فرق الفرسان التى تميز برقمها لا بجنسية أفرادها . ومعنى ذلك أن تغيير جنسية هذا الفارس المغوار لم يكن نتيجة اندماجه فى فرقة قومية .

ويرى لسكييه (Lesquier) (٢) وجود صلة بين هذه الجنسيات المكتسبة وبين الجماعات القومية أو الجاليات (Politeumata) التى كونتها بعض القوميات عند استقرارها بمصر فى عهد البطالمة ، اذ أن الأشخاص (٣) الذين ينتمون الى قومية أجنبية واحدة كانوا كثيرا ما يكونون فى مصر ، من تلقاء أنفسهم ، جاليات خاصة بهم . ويحتمل أنه لم تكن لكل القوميات الأجنبية جاليات ، لكن الوثائق تحدثنا عن جاليات للكريتيين (Cretans) (٤) وللبويوتيين (Boeotians) (٥) وللآخيين (٦) (Achaeans) وللتراقيين (٧) (Thracians) وللقيليقيين (٨) (Cilicians) وللموسيين (Mysians) وللادومايين (٩) (Edumaeans) .ويرجع لسكييه (١٠) أنه بمضى الزمن اندمج أشخاص من قوميات أخرى فى هذه الجاليات واكتسبوا جنسياتها ما داموا مندمجين فيها . ومن المحتمل أنه كانت توجد جالية للفرس ، ترتب على اندماج أشخاص من جنسيات أخرى فيها كثرة عدد « الفرس » الذين تحدثنا الوثائق عنهم .

---

(1) Launey, p. 63.

(2) Lesquier, Institutions Militaires, p. 149.

(٣) يرى البعض أن هذه الجاليات كانت مقصورة على المحاربين راجع :
Heichelheim, Die auswärtige Bevölkerung im Ptolemäerreich, p. 30 n. 3.

(4) Lesquier, Institutions Militaires, pp. 143 ff.

(5) Bull. Alex, 19, 1923, p. 119.

(6) Perdrizet et Lefebvre, Graffites d'Adydos, p. XI.

(7) Ibid.

(8) Bull., Inst. fr. Arch. Orient., XXXV, 1921, p. 179.

(9) Lespuier, op. cit., pp. 143 ff.

(10) Lesquier, op. cit., pp. 150—151.

ويعترض بثاذ (١) على هذا الرأى بافتقارنا الى أدلة على وجود جالية للفرس ، وبأنه حتى اذا وجدت فان هذا لا يمكن أن يفسر هذه الكثرة غير العادية من « الفرس » ، ويميل الى الأخذ برأى تيت (Tait) وبرينجسهايم (Pringsheim) القائل بأنه لما كان الفارسى المدين لا يتمتع بالضمانات نفسها التى يتمتع بها الأوروبى ، فان الشخص المعوز المضطر الى الاستدانة كان يصف نفسه فى عقد القرض بأنه فارسى حتى ولو لم يكن كذلك لكى يؤمن الدائن على دينه (٢) . ويعلل برينجسهام حرمان الفرس الضمانات التى كان يتمتع بها الأوروبيون بالرغبة فى تأكيد أن الفرس لم يعودوا سادة البلاد . ويرى البعض أن المدين الفارسى كان عرضة لأن يصبح عبداً لدائنه (٣) ، بينما يرى البعض الآخر أنه كان محرما عليه الالتجاء الى أى معبد له حق حماية اللاجئين اليه كنتيجة طبيعية لاعتداء الفرس على حرمة المعابد المصرية أيام الحكم الفارسى (٤) .

وفى رأى فريزر أن انتحال المدينين صفة «فرس السلالة» لتأمين دائنيهم كان شائعا فى العصر الرومانى، وأنه يبدو أن اتباع هذه الوسيلة يرجع الى القرن الثانى قبل الميلاد وأن العناصر الأجنبية الاغريقية وغيرها التى كانت تنزل فى الريف وليست فى عداد جاليات عسكرية ولكن عددها وفير كانت تؤلف جاليات تتمتع بحق اصدار القرارات وكل مظاهر الحياة الجماعية المنظمة (٥) .

ولا شك فى أن كثيرين ممن يوصفون فى الوثائق بأنهم فرس أو فرس السلالة لم يكونوا من أصل فارسى ، ولا يبعد أن الرغبة فى تأمين الدائنين كانت من أسباب الاقبال على اكتساب الجنسية الفارسية ، لكننا ونحن نعلم أن البطالمة كانوا يفرضون عقوبات مشددة على الانتقال من احدى طبقات السكان الى طبقة أخرى دون الحصول على اذن بذلك من الملك : لا نستطيع أن نقبل أو نتصور أنه كان يمكن انتحال الجنسية الفارسية دون أن يكون لذلك سند من القانون أو الواقع ودون وجود جماعة بل

(1) Bevan, p. 110.
(2) Pringsheim, in Zeitschrift Savigny-Stiftung, XLIV, 1924, pp. 396 ff ; Tait, Archiv. VII, 1924, pp. 175 ff.
(3) Lewald, Zur Personalexekution in Rechte der Papyri, Leipzig 1915.
(4) Von Woess, in Zeit. d. Savigny-stiftung, Röm, Abt. XLII, 1922, pp. 193 ff.; XLVI, 1926, pp. 30 ff.; Das Asylwesen Aegyptens, pp. 66 ff.
(5) Fraser, I, pp. 58-9.

جماعات قومية (Policeumata) فارسية كان يتم اتخاذ هـذه الجنسيات عن طريقها .

واذا كان فى ضوء هذا الرأى على نحو ما تصوره يمكن أن نفسر كيف أصبح بعض المصريين بوجه خاص « فرسا » : فاننا نعتقد أن هذا الرأى وحده لا يكفى لتفسير هذه الكثرة من الفرس تفسيرا شافيا ، ونعتقد أنه يجب أن نقرن معه رأى چوجيه القائل بأنه ازاء ازدياد الثورات الوطنية عمل البطالمة على تركيز القوى الناهضة للحركة الوطنية بادماج جاليات الجنسيات التى لم تبق منها الافئات قليلة فى جاليات الجنسيات التى كانت أوفر منها عددا ، اذ بينما كان يوجد فى القرن الثالث عدد كبير من الجنسيات المختلفة ، نلاحظ اختفاء الكثير منها فى القرن الثانى وازدياد عدد أفراد الجاليات المقدونية والكريتية والموسية والفارسية نتيجة للتجنس بجنسياتها (١) ، ويبدو كأن السكان وزعوا بين طبقات أقل عددا من الماضى، وفقا لنظام دقيق حدد مرتبة كل طبقة . وكانت فى مقدمة هذه الطبقـات طبقة المقدونيين والكريتيين ، وتأتى بعدها طبقة مواطنى المدن الاغريقية والاغريق فى الأقاليم ، فطبقة الموسيين ، فطبقة الفرس الذين ازداد عددهم فى مصر العليا . وهذا جدير بالملاحظة ، لأن الوجه القبلى كان أقل أنحاء مصر اصطباغا بالحضارة الاغريقية . وقد اندمج فى طبقة الفرس عناصر غير ايرانية ، وبوجه خاص عناصر مصرية كان بينها كثير من الكهنة (٢) .

ويذهب سجريه الى حد القول بأن الفرس فى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد لم يكونوا سلالة الفرس القدماء، بل كانوا محاربين مصريين (Machimoi) أدمجوا فى جالية الفرس نتيجة لانخراطهم فى سلك الجيش (٣) . لكنه اذا كان يمكن التسليم بأن سلالة بعض الجنود المصريين أدمجوا فى جالية الفرس ، فانه من المستبعد أن كل هذه الجالية كانت تتألف من سلالة

(1) Jouguet Mac. Imp., p. 341.
(2) Jouguet, Mac. Imp., p. 342.
(3) Segré, in Aegyptus, 1922, pp. 143-156.

هؤلاء الجنود . ويعتقد البعض (١) أن هؤلاء الفرس كانوا من حيث المبدأ يتألفون من سلالة الفرس القدماء .

وفى ضوء رأى كل من چوچيه ولسكيبه نستطيع تفسير الكثير من حالات تغيير الجنسية وهذه الكثرة من الفرس وكذلك اتخاذ الفرس أنفسهم جنسية أخرى غير جنسيتهم نتيجة اندماجهم فى جالية من الجاليات التى كانت أرفع من جاليتهم مكانة وأوفر امتيازات ، مثل ثيوتيموس الذى مر بنا أنه كان فارسيا من السلالة ثم أصبح موسيا .

وهل كان يمكن تغيير الجنسية اما عن طريق الانخراط فى احدى الفرق القومية واما عن طريق الانضمام الى احدى الجماعات القومية ؟ وهل لم يوجد الا باعث واحد على تغيير الجنسية ؟ اننا نرجح أنه من أجل الانخراط فى احدى الفرق القومية كان يجب أن يسبق ذلك الانخراط فى جماعة تلك القومية . ونرجح أيضا أن سبب تغيير الجنسية كان أما الرغبة الشخصية فى الخدمة بالجيش أو فى زيادة تأمين الدائنين على حقوقهم أو فى الفوز بمكانة أفضل وامتيازات أوفر ، واما رغبة الحكومة فى تركيز القوى المناهضة للحركة الوطنية .

ومهما تكن الآراء التى يذهب اليها المؤرخون المختلفون فى تفسير كثرة عدد الفرس فلا شك فى أن الفرس كانوا يتمتعون فى مصر البطلمية بالحرية الدينية . وحسبنا دليلا على ذلك ما تحدثنا به الوثائق عن وجود معبد للإله الفارسى ميثراس (Mithras) فى الفيوم ، فى القرن الثالث قبل الميلاد (٢) .

---

(١) راجع : Von Woess, in Zeit. Sav.-Stiff., XLVI, 1926, pp. 45 ff.

(2) Smyly, Greek Papyri of Gurob, no. 22; Cf. Archiv. VII, pp. 71,72.

٣ — عناصر أخرى

إن سائر العناصر الأخرى التى نزحت الى مصر . مثل التراقيين والفروجيين والسوريين والفينيقيين والقاريين والبابليين والهنود والأعراب، قد أحضرت معها آلهتها ، مثل ما فعل الاغريق واليهود والفرس . ذلك أنه وجد فى فيلادلفيا بالفيوم نقش من عصر بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى يثبت وجود معبد هناك للاله التراقى هيرون (Heron) وعثر أيضا على نصب أقيم هناك فى عصر بطلميوس الرابع عشر . وهو يحمل اهداء الى ذلك الاله وصورة له تدل دون مجال للشك على أنه اله تراقى ، أحضره التراقيون الذين وفدوا على مصر فى عصر البطالمة وشيدوا له معبدا خاصا بعبادته (١) . وكذلك أقام الفروجيون هيكلا لمعبودتم أجديستيس (Agdistis) (٢) . وتحدثنا الوثائق بأن الفينيقيين كانوا يقيمون طقوس الههم أدونيس (٣) .

ويحدثنا هيرودوتوس (٤) بأن فينيقيين من صور كانوا يعيشون فى منف حيث كان يوجد معبد « لأفروديتى الأجنبية » . ويبدو أن هذه الالهة كانت الالهة السامية استراتى (Astrate) ، ففى خطاب من منتصف القرن الثالث قبل الميلاد موجه الى زينون ، وكيل أشغال أبولونيوس وزير مالية فيلادلفوس ، نجد أن «كهنة استراتى الهة الفينيقيين المصريين المقيمين فى منف» يطلبون منحة من الزيت لاقامة شعائر طقوسهم مثل تلك التى كانت تمنح لمعابد القاريين والاغريق المقيمين فى منف (٥) . وتحدثنا وثيقة من عام ٢٣٢ ق.م. بأنه عندما منح جندى يدعى ماخاتاس (Machatas) مسكنا

---

(1) Annales, XX, pp. 273 ff ; Boak and Petersen, Karanis, 1924-8, 1931, pl. XXIV, fig. 48.

(2) O.G.I.S. 28, 5.

(3) P. Petrie, III, p. 32.

(4) II, 112.

(5) P.S.I. V, 531.

فى بيت رجل يدعى پوؤريس (Pooris) اقتسم البيت مع صاحبه وأقام فى النصف الذى يخصه هيكلا « للالهة السورية وافروديتى برنيقى » (١) .
وقد كان اله قاريا زيوس لابرانديوس (Labrandeos) والالهة البابلية نانا (Nana) يعبدان فى مصر ويشبه الأول بزيوس الأغريق (٢) والثانية بايزيس (٣) .

ويستخلص پترى من التماثيل الهندية التى وجدها فى منف أنه كانت تقام فى مصر حفلات بوذية (Buddhist) فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد (٤) .

وقد قدم الى مصر بعض الأعراب كذلك ، اذ أن الأعراب الرحل فى الصحراء الشرقية كانوا ينزحون فى فئات صغيرة الى وادى النيل ، مثل ما يفعلون اليوم . ومن ثم فانه وجدت قرى متناثرة فى مصر ، كان سكانها يتألفون من الأعراب الذين استبدلوا بحياتهم الصحراوية حياة الاستقرار الزراعية . ومثل ذلك قرية پويس (Pois) فى مديرية منف ؛ التى وصل الينا منها خطاب بتاريخ ٢٠ من سبتمبر ١٥٢ ق.م كان قد أرسله اثنان من أهلها الى صديق لهما . وقد كتب لهما هذا الخطاب بالاغريقية شاب مقدونى يدعى أپولونيوس ؛ وذيل الخطاب باسميهما وهما موروللاس (Myrullas) وخالباس (Chalbas) (٥) . وقد وجد فى القرن الثالث بالفيوم أعراب يشتغلون برعى الماشية على ضيعة أپولونيوس وزير المالية . ويستوقف النظر أن هؤلاء الأعراب يحملون أسماء اغريقية ومصرية (٦) .

ولما كانت كل العناصر الأجنبية الأخرى ، التى استقرت فى مصر ، قد أحضرت معها عبادتها وتمتعت بحريتها الدينية ، فانه مما لا شك فيه أن أعراب مصر أيضا كانوا كغيرهم من الأجانب يقيمون طقوس عبادتهم فى ظل التسامح الدينى الذى كان احدى القواعد الأساسية التى أقام عليها البطالمة سياستهم الدينية .

---

(1) P. Ent. 1 = P. Magd. 2 = Wilcken, Chrest. 101.
(2) P. Mich. Zen. 31, 6.
(3) P. Lond. II, 345, p. 113 = Wilcken, Chrest. 102.
(4) Petrie, Status of the Jews in Eg., p. 32.
(5) Wilcken, U.P.Z., no. 72.
(6) Bevan, p. 111.

الفصل الثانى

الثالوث المقدس

١ — سراپيس

سبب انشاء الديانة الجديدة :

لما كان بطلميوس الأول يعتقد أن ثروة مصر تتوقف على مساهمة المصريين والاغريق سوياً فى العمل على تقدم مرافق البلاد الاقتصادية ، فانه رأى من الضرورى أن يؤلف بين قلوب هذين العنصرين (١) ، ولاسيما أنه كان يعرف أن للمصريين ديانة موروثة راسخة القدم ، وأن الاغريق احضروا معهم دياناتهم ومذاهبهم . وتبعا لذلك فانه وجه همه الى التغلب على النفور الدينى ، الذى كان هيرودوتوس قد لاحظه من قبل وكان من الحتم أن يعوق الألفة بينهم ، بانشاء ديانة جديدة يشترك فى التعبد الى آلهتها المصريون والاغريق على النحو الذى درج عليه كل فريق منهما .

اصل سراپيس :

ويحدثنا پلوتارخ بأن بطلميوس الأول كون لجنة من علماء الدين ، كان من بين أعضائها الكاهن المصرى مانثون والكاهن الاغريقى تيموثيوس (Timotheos) (٢) . وقد استقر رأى الجنة على أن يكون محور الديانة الجديدة ثالوثا ، يتألف من سراپيس (فى البداية Sarapis وفيما بعد Serapis) (٣) وايزيس وحارپوقراتيس (Harpocrates) .

(1) Jouguet, Trois Etudes, 1944, pp. 120-5 ; Kiessling, Chronique, 49, 1948 p. 313 ; Youtie, Harv. Theol. Rev., 41, no, 1, 1948, pp. 9,29 ; Zaki Aly, Et. Papyr, IX, 1971, p. 174.

(2) Plutarch, De Iside, 28.

(3) Fraser, I., p. 246.

وقامت اللجنة بتنظيم شئون هذه الديانة (١) . ولم يشك أحد فى أن ايزيس وحارپوقراتيس (Harpocrates) كانا الهين مصريين : وأما سراپيس ، الاله الأكبر فى الثالوث . فان الآراء تضاربت حول أصله . ولا جدال فى أنه لتقريب شقة الخلاف الدينى بين المصريين والاغريق ، كان يتعين أن يكون محور الديانة الجديدة مذهباً مصرياً يمكن اقناع الاغريق بالاقبال على اعتناقه . وذلك لأنه بقدر ما اعتور ايمان الاغريق من ضعف ، وماساورهم من شكوك فى مقدرة آلهتهم كان المصريون يتمسكون بمعتقداتهم الدينية ويتاخرون بها . وكان يتعين كذلك أن يكون كبير آلهة الديانة الجديدة معروفا للجميع ؛ وفى وسعه أن يحتل مكاناً سامياً فى نفوس الناس وعقولهم .

واذا أجلنا الطرف بين كافة الآلهة المصرية ، فاننا لا نجد الها يمكن أن تتوافر فيه هذه الشروط أكثر من أوزيريس ؛ فقد كان المصريون أجمعون يستجدون حمايته ؛ لأن هذا الاله الذى توفى وبعث كان يحمى الموتى فى خلال رحلتهم فى مجاهل العالم الآخر ويكسبهم جانباً من خلوده . وكان يمكن اقناع الاغريق بأن الههم ديونوسوس زاجريوس (Dionysos Zagreos) الذى قتله التيتان (Titanes) ونفخ زيوس فى صورته،لم يكن الاصورة مقابلة لأوزيريس . ولذلك فان مثل هذا الاله كان خير من يصلح لأن تقوم حوله عبادة تجمع بين معتقدات المصريين ومعتقدات الاغريق ، ويرى فيها المصريون عبادة أوزيريس ، والاغريق عبادة ديونوسوس ، وذلك بعد أن يخلع عليه اسم جديد . غير أنه كان يحتم ألا يكون الاسم جديدا كل الجدة ؛ ومن ثم فانه كان يجب اختيار الاسم من بين أسماء الآلهة المصرية .

وقد كان أوزيريس فى الأصل صورة مجسدة للنيل ؛ وكان ست اله الشر يمتص ماء الحياة منه . أو يقتله كل عام ، ثم يبعث على الدوام . ولم يكن أوزيريس الهاً محلياً ترتبط عبادته باقليم معين ، بل كان الها عاما

(1) Jouguet, Mac. Imp. p. 339.

فى مصر يمكن أن يوحد بأى اله مصرى . ولذلك فانه كان يجد مكانة فى النمص المصرى الخاص بكل مكان . ففى الأماكن التى كان اله الأحياء فيها رع الشمس المشرقة ، كان اله الموتى هو أوزيريس الشمس الغاربة . وفى منف حيث كان الاله الأكبر فتاح يتجسد أحيانا شخصية حابى أو أبيس أى اله النيل الحى فى صورة عجل ، كان أوزيريس يمثل أبيس المتوفى . ويدعى أسار — حابى (Asar-hapi) أو أوسار — حابى (Osar-hapi) ويدعوه الاغريق أوسوروأبيس (Osoroapis) وأوسرابيس (Oserapis) وسورابيس (Sorapis) وسارابيس (Sarapis) وسرابيس (Serapis). وعندما فتح الاسكندر مصر ، كانت مذاهب منف قد اكتسبت من الأهمية بين الناس ما فقدته مذاهب العاصمة القديمة طيبة، فاذا أريد اتباع رغبات الناس واقامة الديانة الجديدة على أسس قوية ، كان لابد من اختيار معبود هذه الديانة من بين آلهة منف (١) ..

وقد كان أوسار — حابى أو أوزيريس — أبيس يتمتع بمكانة كبيرة بين الاغريق النازلين فى مصر قبل ارتقاء بطلميوس عرشها ، اذ أن أقدم وثيقة بردية اغريقية وصلت الينا ، وهى الآن فى المكتبة الأهلية بفينا ، عبارة عن التماس من امرأة اغريقية تدعى ارتميسيا الى الاله أوسرابيس (Oserapis) لينزل نقمته على رجل أنجبت منه ابنة توفيت ووهن جثتها ولم يف بدينه (٢) .

(1) Bouché-Leclercq, I, pp. 113 ff.

(2) SB. 5103 ; Wilcken, U.P.Z.I, 1 ; Bell, Cults & Creeds pp. 3-4.

ومما يجدر بالذكر أن هيرودوتوس (II,36) يحدثنا عن قانون كان يحق للمدين المصرى بمقتضاه رهن جثة ابيه للحصول على قرض بشرط أنه اذا عجز عن الوفاء بدينه حرم هو نفسه الدفن ، وعلاوة على ذلك فانه فى اثناء حياته كان محظورا عليه دفن أى فرد من افراد اسرته .

وقد كان ڤيلكن (١) يميل فى أول الأمر الى أن سرابيس لم يكن الا الاله البابلى شارأبسى (Shar-apsi) والى عـدم وجود صلة بين اسم سرابيس وأوسار حابى الذى كتبته ارتميسيا بالاغريقية أوسرابيس ، لكنه لم يلبث أن عدل عن هذا الرأى وأصبح يرى أن سرابيس معبود الاسكندرية كان اله العالم الآخر الذى يعبد فى المعبد المقام فوق مقابر العجولة المحنطة قرب منف (٢) .

سرابيوم منف :

ويؤيد هذا الرأى أن المعبد المصرى القديم ، الذى أقيم لأوزيريس — أبيس بالقرب من منف ، كان الاغريق يطلقون عليه منذ بداية عصر البطالمة

---

(1) Wilcken, Sarapis u. Osiris-Apis, in Archiv. III. 3, 1904, pp. 249-51.

ويرى لهمـان (Lehmann) أنه لا يوجـد فارق يذكر بين الاسمين سرابيس وأوسار حابى وان بطلميوس الأول اختار هذا الاسم عمدا للاله البابلى الذى جعله معبود الديانة الجديدة ، وذلك لكى يقبل المصريون على عبادة هذا الاله البابلى الذى كان يعرف فى عهد اشوربانيپال باسم شارابسى اى ملك المحيط ؛ وكان بطلميوس قد استنباه لمعرفة مصير الاسكندر عندما اعتراه مرض الموت فى بابل ؛ وأن بطلميوس قد أحضر تمثال هذا الاله من سينوپ ، لأنه عندما فتح الاشوريون آسيا الصغرى انشأوا فى سينوپ عبادة هذا الاله الذى صبغ بصبغة هلينية .

Lehmann, Sarapis Contra Oserspis, Klio, IV, 396-401 ; Sarapis, in Roscher's Lexicon.

ومن الجلى ان هذا الراى متأثر بما رواه المؤرخ القديم اريانوس (Anab. 26 .VII) من ان سرابيس كان فى الاصل الها بابليا اشتهر بانه قادر على اشفاء المرضى ، حتى انه عندما نزل بالاسكندر مرض الموت وذهب اصدقاؤه الى معبد هذا الاله وسألوه اينقلون الاسكندر الى المعبد ام لا ، نصحهم بأن يتركوه حيث هو لأن نهايته اقتربت . ويبدو ان راى لهمان لم يصادف قبولا حتى لدى علماء الدراسات الاشورية ؛ ونحن لا نستطيع قبوله ازاء ما لدينا من الادلة على الاصل المصرى ، ولاننا لا نعقل أن يجعل بطلميوس الها بابليا عماد الديانة التى أنشأها للتقريب بين معتقدات المصريين والاغريق الدينية ، ولا نرى لماذا يختار بطلميوس الها بابليا ثم يضفى عليه صفات مصرية واغريقية لكى يقبله الفريقان .

(2) Wilcken, U. P. Z. I, pp. 85 ff.

ومن اصل سرابيس راجع ايضا :

Bell, J.E.A., 1922, pp. 143 ff ; Cults and Creeds, p. 19 ; Otto I, pp. 11 ff ; Sethe, Zur Herkunft der Sarapis, in Janus, I 1922, pp. 207 ff ; Roeder, Sarapis in P.W. Realencycl. ; Jouguet, B. I. F. A. O., XXX, pp. 530 ff. ; Brady, The Reception of Eg. Cults by the Greeks, Un. Missouri Studies, 10, 11935, pp. 9 ff.; Fraser, I, pp. 116, 246—59, 267—8.

اسم السرابيوم أى معبد سرابيس . وكان هذا المعبد يقوم على بعد أربعة أميال من منف ، بالقرب من سفح التلال التى تحد وادى النيل من الناحية الغربية . وقد أثبت ڤيلكن (١) خطل الافتراضات التى تناقلها المؤرخون عن ماريت (Mariette) . اذ انه لم يوجد سرابيوم اغريقى وسرابيوم مصرى ، بل سرابيوم واحد يتألف من مجموعة مبان ، تقوم على الأرض المرتفعة الى ما وراء الأراضى الزراعية .

ولعل منشأ هذه الافتراضات أنه وان كان اله سرابيوم منف مصريا ، الا أنه فى أحد هياكل هذا المعبد كان يوجد تمثال لهذا الاله فى شكله الاغريقى ، أى فى الصورة التى قدم بها الى الاغريق لكى يقبلوا على عبادته . وهذا يرينا أن المصريين والاغريق كانوا يعبدون الاله نفسه ، وانما فى صورتين مختلفتين تناسب كل صورة منهما معتقدات كل فريق . وإذا استثنينا الالهة السورية أستراتى (Astrate) ، فان الآلهة التى كانت تشرك مع اله سرابيوم منف فى العبادة ، كانت آلهة مصرية غير أنها شبهت أيضا بآلهة اغريقية ، مثل امحوتب الذى شبه باسقليبيوس (Asclepios) « اله الشفاء » عند الاغريق ؛ فكان المعبد الذى شيد فوق مقبرة امحوتب يدعى معبد اسقليبيوس (Asclepeion) . وكانت توجد داخل الأسوار المقدسة ، أمام هيكل أستراتى فيما يظن ، قطع الصخر التى كانت تأتى اليها فى يوم معين «القديستان التوءمان» لتقديم القرابين للاله أسقليبيوس . ووفقا لرواية هيكاتايوس (Hecataeos) ، كان يوجد بالقرب من باب مقبرة العجول أبيس هيكل لآلهة جنازية ، يحتمل أنها كانت أيضا آلهة مصرية لكنه أضفى عليها طابع اغريقى .

وقد احتفظت آلهة مصرية أخرى بأسمائها الأصلية مثل بيس (Bes) وهو الذى أقبل عليه اغريق مصر ، الى حد أنه يبدو أن تماثيله الصغيرة التى صبغ طرازها بصبغة اغريقية ، وكذلك تماثيل حاربوقراتيس ، أكثر التماثيل البرونزية والفخارية عددا فى مجموعاتنا .

(1) Wilcken, U.P.Z., I, loc. cit.: Bevan, p. 41

وكان يقيم هناك كثيرون من الاغريق العكف « سجناء الاله المتصوفين » مثل بطلميوس بن جلاوقياس وأخيه أبولونيوس ، كما كان يقيم مفسرون اعريق للأحلام . ويعتقد چوجيه أنه لم يحدث فقط أن خضع الاغريق لمقتضيات الطقوس المصرية ، بل حدث أيضاً أن أثرت الأفكار الاغريقية أحياناً في الديانة المصرية ، اذ أنه يبدو أن « الاستخارة » التي كانت تعس في الطقوس الجنازي للعجل أبيس كانت من أثر المعتقدات الاغريقية . وعلى أحد جانبي الطريق المرصوف ، المؤدي من معبد نقتانبو الى معبد سرابيس داخل الأسوار المقدسة . كان يوجد هيكلان صغيران ، طراز أحدهما مصري وطراز الآخر اغريقي . ومن المحتمل أن الهيكل الأخير كان المكان المخصص للمصابيح . وفي المنطقة نفسها ، كانت توجد قاعة مكسوة بها تماثيل لبينداروس وپروتاجوراس وأفلاطون (١) . وعلى حافة الصحراء بالقرب من الأراضي الزراعية ، كان يوجد معبداً أنوبيس(٢) . ومن هذا المعبد ، كانت تمتد عبر الصحراء الى السراپيوم طريق مرصوف تقوم على جانبيه تماثيل لأبي الهول .

وكان السراپيوم يتصل بمدافن العجول أبيس المتوفاة ، وكانت أجسادها المحنطة توضع في غرف نحتت في جوانب دهاليز تحت الأرض وكانت تخصص غرفة لدفن كل عجل يتوفى . وأما العجل أبيس الحي ، فانه كان يوضع في هيكل في منف يدعى أبيوم (Apieum) ، ويتصل بمعبد فتاح المقام في الأراضي الزراعية . وكان العجل أبيس الحي — وهو عجل أسود على جبهته شارة بيضاء — يعتبر صورة مجسدة لاله النيل ويشبه أحياناً بفتاح (٣) . وكما كان كل اله وبشر عند وفاته يصبح أوزيريس . فان العجل أبيس كان يصبح بوفاته أوزيريس — أبيس (أوسار — حابي)(٤) .

---

(1) Jouguet. Nat Eg., III, pp. 173—5 ; Mac. Imp. p. 237.

(٢) كان يوجد ، في وقت متأخر من عصر البطالمة داخل أسوار هذا المعبد ، مركز للشرطة وسجن يتصل به ومكتب حكومي لتحرير الوثائق (grapheion) ومكتب لممثل حاكم مديرية منف . وكان الحاكم نفسه ينزل هناك عندما يزور السراپيوم . ونسمع مرة انه في عهد بطلميوس السادس قضى الحاكم يومين في تعاطي الشراب في معبد أنوبيس . (Bevan, pp. 41—2)

(3) Budge, The Gods of the Egs., II. p. 350.

(4) Jouguet, Mac. Imp., p. 236.

وكانت كل مصر تشترك فى جنازه ويدوم الحداد فى كل مكان سبعين يوماً ، وهى الفترة التى تستغرقها عملية تحنيط الجثة ، وترسل كل المعابد كتاناً للفائف المومياء ؛ وتقوم بالعويل والبكاء بالقرب من الجثة فى منف كاهنتان ، هما توءما منف المشهورتان ، اللتان تمثلان الالهتين الأختين : ايزيس ونفثيس(١) . وعند إتمام كل شيء ؛ كانت المومياء تحمل فى موكب يقوده حتى معبد أنوبيس كاهن يحمل قناعاً يمثل الاله تحوت . وهناك كان يحل مكان هذا الكاهن كاهن آخر يمثل أنوبيس ، دليل الموتى ، ويقود الموكب بالطريق المرصوف حتى السراپيوم ، حيث يدفن فى غرفة أعدت لهذا الغرض فى أحد الدهاليز تحت سطح الأرض .

ويرى ڤيلكن أنه بينما يقوم العمال بنحت الغرفة التى سيدفن فيها العجل أپيس الحى الموجود فى منف ، كانت الطقوس تقام له فى الدهاليز التى تحت الأرض ويشبه فى هذه الطقوس بأوزيريس اله الموتى . وقد كان العجل أپيس الحى يدعى أپيس أوزيريس ، وأما بعد وفاته فانه كان يدعى أوزيريس أپيس . وكانت العبادة فى المعبد الذى فوق الأرض توجه الى أوزيريس أپيس ، لكنها كانت لا توجه الى واحد معين من العجول المقدسة ، بل الى الألوهية المجسدة فيها جميعاً . وكان المتعبدون لا يميلون الى اعتبار أوزيريس أپيس عجلا متوفى ، بل اله العالم الآخر تحت اسم محلى وفى شكل بشرى ، لعله كان شكل أوزيريس جالساً على عرش وله رأس ثور (٢) . لكن أوزيريس أپيس أو سراپيس كان يصور للاغريق فى شكل يناسب آراءهم . وداخل أسوار معبد سراپيس فى منف ، كان يحتشد جمع خليط من الكهنة والمتعبدين ، يتعبد كل منهم الى هذا الاله فى صورته المصرية أو الاغريقية وفقا لجنسيته(٣) . واذا كنا نجد فى سراپيوم منف مراقب المعبد ومختلف أنواع الكهنة المصريين الذين نجدهم فى المعابد

(1) Jouguet, Nat. Eg., III. p. 39 ; Cf. Otto, I, pp. 116—118.
(2) Bevan, pp. 41—3 ; Jouguet, Nat Eg., III, p. 39.
(3) Jouguet, Nat. Eg., III, p. 39 ; Mac, Imp., p. 237.

المصرية الأخرى ، فاننا لا نجد فى الوثائق ما يشير الى وجود كهنة اغريق هناك ، الا أنه يجب ألا يتخذ صمت الوثائق دليلا على عدم وجود كهنة اغريق فى سرابيوم منف (١) ، اذ أن وجودهم كان ضروريا لاقامة طقوس سرابيس فى شكله الاغريقى لزواره الاغريق . وقد استمرت عبادة العجل المقدس فى منف حتى العصر الرومانى ، ونجد اسم أوزيريس أبيس أو أوسورابيس (Osorapis) على الدوام فى الوثائق الديموتيقية (٢) ، وأحيانا فى الوثائق الاغريقية (٣) التى عثر عليها هناك .

سرابيوم الاسكندرية :

واذا حولنا النظر الى الاسكندرية ، وكانت فى عصر البطالمة المركز الأول لعبادة سرابيس ، فاننا نجد هناك ما يشير بجلاء الى الصلة بين سرابيس وأوزيريس أبيس ، فقد بقى بين أطلال معبد سرابيس تمثال للعجل أبيس ، أهداه الى سرابيس الامبراطور هادريانوس (٤) . ويضاف الى ذلك أن القرائن تشير الى أنه كان يعهد الى كهنة سرابيوم منف بتولى مناصب دينية فى سرابيوم الاسكندرية .

ويعتقد بعض المحدثين أن هذا المعبد كان تحت سيطرة رجال الدين المصريين وكانوا يدعونه معبد أوزيريس أبيس فى راقوتى (٥) . ويرى « شوبارت » أن شعائر العبادة فى هذا المعبد كانت تقام وفقا للطقوس المصرية وأنه لم يطرأ عليها جديد الا بعض المظاهر الخارجية مثل تقديم سرابيس للاغريق فى شكل اغريقى (٦) . وفى رأى « يوتى » أن أبرز مظاهر

(1) Otto, I, p. 116.
(2) Cairo Cat., Demot. Denk., nos. 23178 28182, 31104, 31110.
(3) P. Leyd., G, 10 ; H, 1 ; P. 1 ; P. Lond., 18, 23.
(4) Hastings' Encycl., vol. 6, p. 377 ; Breccia, Alex. ad Aegyptum, Eng. ed., pp. 114—5, fig. 47.
(5) Rev. Hist Rel, 1909, pp. 292—3.
(6) Schubart, Aegypten, pp. 81 ff.

الشعائر الاغريقية لسرابيس وايزيس وأوزيريس كان احتواءها على طقوس ذات أسرار تختلف عن الطقوس المصرية القديمة (١) . ويذهب «يوتى» الى حد القول بأن كل شعائر سرابيس سواء فى منف أم فى الاسكندرية كانت اغريقية (٢) . ويعتقد ڤيلكن أن الغلبة كانت للعنصر الاغريقى فى سرابيوم الاسكندرية الذى شيد وفقا لطراز اغريقى ووضع تحت اشراف كهنة اغريق(٣). ويرى كيسلينج أنه لم يوجد فى سرابيوم الاسكندرية الا تمثال هذا الاله فى صورته الاغريقية، لكن شعائر عبادته كانت تقام وفقا للطقوس المصرية وكذلك وفقا للطقوس الاغريقية ، غير أن الأولى كانت أهم من الثانية وكذلك كان كهنة هذا المعبد المصريون أكثر أهمية من كهنته الأغريق . ومع ذلك فان كيسلينج يلاحظ أنه حتى العصر الرومانى لم يوجد فى المعابد التى أقيمت لسرابيس فى الخارج على نمط سرابيوم الاسكندرية الا كهنة اغريق ، ومرد ذلك فى نظر كيسلينج الى أنه خارج مصر لم يوجد مصريون ولا كهنة مصريون يجب أن يحسب حسابهم (٤) .

وعندنا أن أقرب هذه الآراء الى الصحة هو رأى ڤيلكن . ولا يفوتنا ما لاحظه كيسلينج من أن المعابد التى شيدت لسرابيس فى خارج مصر لم يوجد فيها فى العصر الهلينيسى الا كهنة أغريق لعدم وجود مصريين هنالك . ونحن نرى أنه لما كانت توجد فى الاسكندرية عناصر مصرية الى جانب العناصر الاغريقية وكان الهدف من انشاء هذه العبادة هو ازالة النفور الدينى بين المصريين والاغريق ، فانه كان طبيعيا أن يضم معبد سرابيس الاغريقى معبدا أو هيكلا لسرابيس المصرى ، مثل ما كان سرابيوم منف المصرى يضم هيكلا لسرابيس الاغريقى ، وذلك ليشعر الفريقان أنهما يعبدان الاله نفسه ، وكان طبيعيا كذلك أن تقوم فى هذا المعبد أو الهيكل صورة مصرية لهذا الاله . واذا صح أنه لم توجد فى سرابيوم الاسكندرية الا صورة واحدة للاله فى شكله الاغريقى فكيف نفسر تقديم الامبراطور هادريانوس تمثالا للعجل ابيس لهذا المعبد ؟ وكيف نفسر كذلك تعيين كهنة

(1) Youtie, p. 11.
(2) Youtie, p. 28.
(3) U. P. Z., I. p. 94.
(4) Chronique, 49, 1949, pp. 321—3.

مصريين فى سرابيوم الاسكندرية ؟ وهل يمكن أن تتصور أن الكهنة المصريين كانوا يقيمون طقوس العبادة المصرية حول تمثال اله اغريقى ؟ وما كانت الفائدة العملية التى ترجى من وراء ذلك ؟ لكننا نستطيع أن تتصور أن يقيم الكهنة الاغريق شعائر عبادتهم حول تمثال الاله الاغريقى والكهنة المصريون شعائر عبادتهم حول تمثاله المصرى . ولما كان سرابيوم منف معبد الاله المصرى أوزيريس أبيس الذى درج المصريون على عبادته منذ قديم الأزل واستمروا يعبدونه حتى زوال الوثنية ، وكان هذا المعبد يقوم فى العاصمة المصرية العريقة الزاخرة بأهيلها المصريين ، وكان من ذلك يوجد فى هذا المعبد هيكل به تمثال لسرابيس فى صورته الاغريقية ليتيسر للاغريق عبادة هذا الاله ، فاننا نستطيع أن تتصور أنه كانت تقام لهذا الاله فى منف مثلما كانت تقام له فى الاسكندرية شعائر مصرية للمصريين وشعائر اغريقية للاغريق . بيد أنه اذا كانت الغلبة فى الاسكندرية للشعائر الاغريقية ، فان الغلبة فى منف كانت دون شك للشعائر المصرية . وازاء اقامة شعائر مصرية وأخرى اغريقية للاله نفسه فى مكانين متقاربين فى معبد واحد فى منف وفى الاسكندرية ، كان طبيعيا أن تتسرب على مضى الزمن بعض هذه الشعائر من ناحية الى أخرى .

سرابيس فى أبيدوس :

وفى أبيدوس (العرابة المدفونة قرب البلينا) مقر ثالث المعابد الكبيرة لسرابيس ، لم يكن هذا الاله سوى الترجمة الاغريقية لأوزيريس . ونستدل على ذلك من أنصاب الموتى التى زينت حسب التقاليد المصرية بمنظر يمثل أوزيريس ، وهو يستقبل الموتى ، ووجهت الأدعية التى على هذه الأنصاب باللغة الهيروغليفية [١] أو بالديموتيقية [٢] الى أوزيريس . وأما باللغة الاغريقية [٣] فانها وجهت الى سرابيس . وقد وجدت أنصاب مماثلة فى مقابر الفيوم وسقارة [٤] .

(1) Cairo Cat., Stèles hierog. ptol. et rom., nos 22122—40.
(2) Cairo Cat., Demot. Inschriften, nos. 31091, 31098.
(3) Cairo Cat., Greek Inscriptions, nos. 9208—11.
(4) Hastings' Encyc., Vol. 6, p. 311, fn. 7.

اشراك سراپيس دائما مع آلهة مصرية :

وقد سبق أن ذكرنا أنه أشرك مع سراپيس الهان مصريان وهما ايزيس وحارپوقراتيس ، وأن هؤلاء الآلهة الثلاثة كونوا معا ثالوثا مقدسا ، وهذا دليل آخر على الأثر المصرى فى هذه العبادة الجديدة . ذلك أن فكرة الثالوث قديمة العهد فى الديانة المصرية بل ترجع الى أقدم العصور (١) ، اذ أنه كان يوجد فى كل اقليم فى مصر ثالوث مقدس يتألف من أب وأم وابن . ففى منف مثلا ، كان الثالوث يتألف من «فتاح» وزوجه «سخميت» وابنهما « نفرتوم » (٢) ، وفى طيبة كان أعضاء الثالوث « آمون » وزوجه « موت » وابنهما « خنسو » (٣) .

وعندما انتشرت عبادة سراپيس خارج مصر فى العالم الأغريقى ، بقى أصله المصرى واضحا جليا بالرغم مما أدخل على هذا الاله من الصفات الهلينية ، فانه كان يشرك دائما مع آلهة مصرية صميمة مثل ايزيس وأنوبيس وحورس . وبما أنه كان فى الأصل صورة من أوزيريس ، فانه كان يحل عادة مكان أوزيريس فى العالم الاغريقى وتشرك معه ايزيس ، هذا والى كان أوزيريس يضم اليهما فى بعض الأحيان (٤) . وكانت الأوز تقدم قرابين لسراپيس ، وهو ما كان الأغريق لا يفعلونه فى حالة اله اغريقى صميم (٥) .

متى انشئت عبادة سراپيس ؟

ويرى بعض المؤرخين أن عبادة سراپيس نشأت من تلقاء نفسها عن اغريق مصر ويرى البعض الآخر أن الاسكندر هو الذى أنشأها (٦) . لكن الرأى السائد اليوم هو أن بطلميوس الأول هو الذى أنشأ هذه العبادة (٧) . ويرجع پلوتارخ (٨) وتاقيتوس (٩) انشاء هذه العبادة الى

---

(1) Budge, op. cit., I, p. 113.
(2) Budge, op. cit., I, p. 16.
(3) Budge, op. cit., II. pp. 1 ff.
(4) Bevan, pp. 45—46.
(5) Wilcken, U. P. Z., I, p. 401.
(6) Schubart, Einführung, p. 339 ; Pfister, Alex. d. Grosse, pp. 15—17.
(7) Schubart, Die religiose Haltung des frühen Hellenismus, Alte Orient, 35, Heft 2, 1937, p. 6 ; Kiessling, op cit., p. 318 ; Fraser, I, pp. 246—50.
(8) De Is. et Os., 28.
(9) Hist., IV, 83.

عهد بطلميوس الأول . ويتأيد ذلك بما تتكشف عنه مصادرنا القديمة من المام بعض الشخصيات المعاصرة بهذه العبادة (١) ، مثل الشاعر مناندروس (٢) وهو الذى توفى فى عام ٢٩١/٢٩٠ق.م (٣) ، وديمتريوس الفليرى (٤) وهو الذى عرفنا أن بطليموس الأول استضافه فترة من الزمن . وأما نقش هاليقارناسوس (٥) الذى ورد فيه أن أرسينوى أقامت معبداً لسرابيس فى تلك المدينة ، وكان يستند اليه فى ارجاع تاريخ انشاء هذه العبادة الى عهد ولاية بطلميوس ، فانه يعتقد الآن أنه لا يمكن ارجاعه إلى تاريخ سابق على عهد بطلميوس الثانى (٦) .

ويبدو أن بطلميوس الثانى قد ورث عن أبيه الاهتمام بعبادة سرابيس، اذ أنه يتبين من النقش السالف الذكر أن أرسينوى شيدت معبدا لهذا الاله فى هاليقارناسوس . وتتضمن احدى الوثائق البردية (٧) أمرا أرسله وزير المالية أبولونيوس الى وكيل أشغاله ليبنى معبداً لسرابيس فى فيلادلفيا بالفيوم .

اصل تمثال سرابيس :

ويروى بلوتارخ (٨) ، نقلا عن مانثون ، أن بطلميوس الأول رأى فيما يرى النائم الها يأمره باحضاره دون ابطاء الى الاسكندرية ، ولما كان بطلميوس لم ير هذا الاله من قبل وكان لا يعرف موطنه ، فانه استدعى رجلا من أخصائه يدعى سوسيبيوس ، وكان قد جاب أقطار العالم ووقف على أخبارها ، وقص عليه الرؤيا ، فقال لبطلميوس انه شهد ذلك الاله فى مدينة سينوب ؛ وتبعا لذلك أحضره بطلميوس الى الاسكندرية . ويحدثنا تاقيتوس (٩) بأنه أنشئت عبادة جديدة فى عهد بطلميوس الأول ، وبأن هذا الملك رأى فى منامه شاباً يأمره بارسال رجال يثق بهم الى ساحل

---

(1) Brady, p. 9.
(2) P. Oxy. 1803, 9 ; Aegyptus, XI, pp. 13—15.
(3) Körte, Archiv, VII, 1924, p. 247.
(4) Diogenes Laertius, Lives, V, 5, (7) 76.
(5) O. G. I. S., 16.
(6) Nelly Greipl, Phiologus, 85, 1930, pp. 159 ff.
(7) P. C. Zen. 59168.
(8) De Is. et Osir., 28 ; Soll. anim., 37 ; Budge II, pp. 199 ff.
(9) Hist., IV, 83—84.

البحر الأسود . ليحضروا من هناك الاله الذى يجب أن تعبده الاسكندرية لكى تنعم امبراطورية البطالمة بالرخاء والسعادة ؛ لكن بطلميوس لم يول هذه المسألة أهمية فى بادىء الأمر الى أن أتاه الشاب نفسه فى منامه مرة أخرى وهدده بخراب ملكه اذا لم يطع ما أمر به ؛ فاستطلع الملك رأى كهنته ونصحه تيموثيوس باحضار اله سينوپ . وعند ما فشلت المفاوضات التى دامت ثلاث سنوات مع حاكم سينوپ ، اتخذ الاله نفسه سبيله نحو الاسكندرية ، حيث أقام له بطلميوس معبدا عظيما فوق أطلال معبد شيد قديما لايزيس وسرابيس . ويذكر هيرونيموس ، نقلا عن يوسيبيوس (١) أن احضار تمثال سرابيس الى الاسكندرية كان فى عام ٢٨٦ . ويحدثنا قلمنس الاسكندرى (٢) بأن تمثال سرابيس كان فى الأصل تمثال پلوتو اله سينوپ ؛ وأن أهل هذه المدينة أهدوه الى بطلميوس الثانى اعترافا بجميله لأنه كان قد أمدهم بالغلال عندما كانوا فى مسيس الحاجة اليها ، فقبل بطلميوس الهدية شاكراً وأقام التمثال على تل راقوتيس الحصين . ويضع قوريلوس الاسكندرى (٣) هذا الحادث حوالى عام ٢٨٠ ، بينما يضعه النص الأرمنى لرواية يوسيبيوس (٤) فى عام ٢٧٨ ق.م .

ولما كانت العبادة الجديدة قد أنشئت فى عهد بطلميوس الأول ، فاننا لا نستطيع قبول الروايات التى تقول بأن تمثال سرابيس أحضر أو صنع بعد عهد مؤسس أسرة البطالمة ، ولا سيما أن أكثر المصادر القديمة وخاصة پلوتارخ ، وهو الذى أعتمد فى هذه المسألة على مانثون ، وكان معاصرا لبطلميوس الأول وأحد صناع الديانة الحديدة ، يؤكد أن ذلك حدث فى عهد بطلميوس الأول .

---

(1) Eusebius, Chronica II, 120 b.

(2) Clem. Alex., Protrept, IV, 48 (p. 367 Hopfner) = F. H. G. III. pp. 487—8.

وقد اورد قلمنس روايتى اثينودوروس من طارسوس وايسيدوروس من خاراقس واستبعدهما . ويعتقد الأول ان مثالا اغريقيا يدعى برواكسيس : سمى المثال الذى عاش فى القرن الرابع ق.م. هو الذى صنع تمثال سرابيس فى مصر ؛ ويرجح انه اقيم فى راقوتيس فى عهد سيزوستريس . ووفقا للثانى ، احضر التمثال احد البطالمة من « سلوقيا بالقرب من انطاكية » .

(3) Cyrillus, Contra Julionum, p. 13.

(4) Vers. Arm., T. Hopfner, Fontes hist. relig. aegyp., 486.

ويستوقف النظر أن أكثر المصادر القديمة تذكر أن تمثال سرابيس جاء من سينوب . ومن الجائز أن مبعث ذلك هو أن المنطقة الصحراوية التى يقوم فيها سرابيوم منف كانت تدعى سينوبيون (Sinopion) . واذا كانت عبادة سرابيس الاسكندرية فى الأصل عبادة اله سنوبيون منف، فلا يبعد أن يكون الأمر قد اختلط على المؤرخين القدماء ، ولذلك عزوا أصل تمثال سرابيس الى مدينة على البحر الأسود . ومع ذلك فانه يبدو بعيداً عن الاحتمال أن توجد مصادفة صلة بين سرابيس وبين مكانين يبعدان عن بعضهما هذه المسافة ويحملان الاسم نفسه . فلعل هذه الصلة لم تكن مصادفة ، أى لعل تمثال سرابيس قد أحضر من سينوب نتيجة لرؤيا ، فقد كانت الأحلام توجه الناس فى العصور القديمة ، فى مثل هذه الأمور . ولذلك فانه يحتمل أن عقل صاحب الرؤيا ، عندما كان فى شغل بالبحث عن الصورة التى يقدم فيها اله سينوبيون منف للاغريق ، اتجه نحو سينوب ، بتأثير التشابه بين الاسمين (١) . ولا جدال فى أن الغموض الذى كان يحيط بأصل سرابيس وتمثاله ، ويتردد صداه فى روايات المؤرخين القدماء وآراء المؤرخين الحديثين ، لينهض دليلا على مهارة صناع العبادة الجديدة ، الذين تعمدوا دون شك أن يحيطوها بالغموض والأسرار ، لكى لا تبدو ديانة مصطنعة ، ولكى تستهوى الأفئدة بأسرارها وغموضها .

سرابيس يقدم للاغريق فى صورة اغريقية :

وسواء أكانت سينوب مصدر تمثال سرابيس أم لم تكن ، فان مصدر تمثال الاله يجب ألا يؤثر فى أن أصل الاله نفسه مصرى . وسواء أصنع التمثال فى الأصل لمعبد سينوب أم لمعبد الاسكندرية ، وسواء أكان برواكسيس (Bryaxis) (٢) هو الذى صنع التمثال الأصلى لسرابيس أم لم يكن ، فان الصورة التى قدم بها سرابيس الى الاغريق اغريقية بحت (٣) . وهى ترينا الاله مرتديا ملابس اغريقية — خيتون

(1) Bevan, p. 44.
(2) Cf. Amelung, Le Sarapis de Bryaxis, Rev. Arch., 1903 II. p. 185 : Reinach, Le moulage des statues et le Serapis de Bryaxis, in Cultes, Mythes et Religion II, pp. 338—55.
(3) Wilcken, U. P. Z., I, pp. 77—8.

Chiton = قميصا) طويلا تعلوه هيماتيون (Himation = ملحفة)
فضفاضة — وفى شكل يشبه عن قرب الاله زيوس ، وقد علت وجهه
مسحة من الهدوء والكآبة ، اذ أن لحيته الوقور ، وشعر رأسه الكث القوى
تظلل خصله الجبهة ، ونظرته الحالمة تكسبه منظرا ينم عن حزن صادر
من أعماق قلب كبير . ويحمل الاله فوق رأسه المد ، أى السلة المقدسة
التى كانت مألوفة كذلك فى طقوس ديميتر الأليوسية (١) ؛ وتطل سنابل
قمح من هذه السلة التى تزينها ثلاث أشجار زيتون مصورة بنقش بارز .
ويجلس الاله على عرش ، وتعتمد يمناه على صولجان ؛ على حين يستدعى
أن يده اليسرى تهدىء روع الكلب قربروس (Cerberos) ، وكانت له
ثلاثة رءوس نابحة (٢) ، ويلتف ثعبان حول جسمه . ويشير ذلك كله
الى أن سرابيس صور للاغريق فى صورة پلوتو ، اله العالم الآخر عندهم .
ذلك الاله الذى كان يسيطر على الأموات فى المجاهل السفلى ، لكنه كان
أيضاً الاله الذى يضمن خصوبة التربة ؛ وذلك نتيجة للجمع بين أفكار
منتشرة فى الديانات القديمة . واذا لم يوجد لتعريف سرابيس سوى
الشكل الذى نراه فى تماثيله الاغريقية ، فلا شك فى أنه يصعب أن نرى
فيه الهاً مصريا . ومع ذلك فان شمپليون تعرف فى هذا الاله الاغريقى على
الاله أو سور حاپى ، الذى كان يعبد فى منف (٣) .

تشييد معبد لسرابيس فى الاسكندرية :

وكان طبيعيا أن يتبع انشاء العبادة الجديدة تشييد معبد لكبير آلهتها
فى الاسكندرية واقامة تمثال له فى هذا المعبد . وقد سبق أن أوردنا ما
رواه تاقيتوس من أن بطلميوس الأول أحضر تمثال سرابيس من سينوپه ،
وأقامه فى المعبد العظيم الذى شيده فى الاسكندرية على أطلال معبد قديم

(1) Nilsson, Griech, Feste, pp. 350—2 ; Jouguet, Trois Et., p. 12.

(٢) هذا ونق لأرجح الآراء (راجع .Sethe, Janus, I, 218) . ويرى البعض انه كان لهذا الحيوان ثلاثة رءوس احدها راس اسد والآخر راس ذئب والثالث راس كلب .

(3) Jouguet, Nat. Eg., III, pp. 38—39.

لايزيس وسرابيس (١) . ولكنه على حين أننا نفتقر الى الأدلة الأثرية التى تؤيد رواية تاقيتوس وتثبت أن بطليموس الأول أو حتى الثانى شيد معبدا لسرابيس فى الاسكندرية ، تقطع الأدلة الأثرية ، على نحو ما سنرى ، بأن بطليموس الثالث هو الذى شيد المعبد الكبير لهذا الاله . فكيف يمكن اذن تفسير رواية تاقيتوس ؟ .

لما كان من الواضح الآن أن بطليموس الأول لم يشيد معبداً لسرابيس فى الاسكندرية ، وكان قد عثر فى المكان الذى أقيم عليه فيما بعد معبد سرابيس على قاعدة تمثال تحمل نقشاً يتضمن اهداء لسرابيس ومكتوباً بحروف يدل شكلها على أن النقش يرجع الى النصف الأول من القرن الثالث أى الى ما قبل الوقت الذى شيد فيه السرابيوم (٢) ، وكان أريانوس يحدثنا بأن الاسكندر وضع أساس معبد لايزيس فى الاسكندرية (٣) ، فاننا نعتقد أنه عندما أنشأ بطليموس الأول العبادة الجديدة وأحضر تمثال سرابيس أقام هذا التمثال فى معبد ايزيس — الذى وضع الاسكندر أساسه وأغلب الظن أن قليومينيس أقام دعائمه — بدلا من اقامته فى معبد جديد لسرابيس ، وذلك من ناحية لأن ايزيس كانت أحد أعضاء ثالوث العبادة الجديدة ، ومن ناحية أخرى بسبب شدة حرص بطليموس على المال . وبطبيعة الحال أصبح هذا المعبد يعرف منذ ذلك الوقت باسم معبد ايزيس وسرابيس .

ولما كان من المعروف أن بطليموس الأول هو الذى أنشأ العبادة الجديدة واختار تمثال سرابيس ، وكان من المعروف كذلك أنه اقيم لسرابيس معبد كبير (مكان معبد ايزيس وسرابيس القديم) ، فلابد من أنه بعد مرور فترة طويلة تصور كثير من القدماء ، وتاقيتوس من بينهم ، أن بطليموس الأول هو الذى أنشأ المعبد الكبير كذلك .

---

(1) Hist., IV, 84.
(2) Wace, Bult. Alex. Un., II. 1944, p. 18.
(3) Arrian., III 1, 5.

والحفائر التي أجريت بمنطقة كوم الشقافة (تل راقوتيس القديم) كشفت في ٢٧ من أغسطس سنة ١٩٤٣ وفي ٣١ من ديسمبر سنة ١٩٤٤ وفي ٣٠ من أكتوبر سنة ١٩٤٥ (١) عن ثلاث مجموعات من اللوحات: الأولى تحت أساس الركن الجنوبي الشرقي لسياج السرابيوم البطلمي ، والثانية تحت أساس الركن الجنوبي الغربي لهذا السياج ، والثالثة تحت أساس الركن الجنوبي الشرقي للمعبد نفسه . وتتألف كل من المجموعتين الأولى والثانية من عشر لوحات ، خمس منها من الزجاج وواحدة من كل من المواد التالية : الذهب والفضة والبرونز والخزف وطمي النيل . وتتألف المجموعة الثالثة من أربع لوحات : احداها من الطمي والثلاث الباقية من الزجاج . وكل اللوحات تحمل نقشا واحداً مكتوباً باللغتين الهيروغليفية والاغريقية وفحواه أن بطلميوس الثالث شيد لسرابيس معبداً وحرما مقدساً .

وقد أثبتت الحفائر أن سياج المعبد البطلمي كان يمتد من الشمال الى الجنوب حوالى ١٧٥٫٧٠ مترا ومن الشرق الى الغرب ٨٧ مترا ، وأن هذا السياج كان يتألف من جدار خارجي يمتد في موازاته من الداخل بهو أعمدة يظن أنها كانت أيونية ، وأن المعبد ذاته كان يقع في الجزء الشمالي من سياجه (٢) حيث توهم بوتي (Botti) (٣) أنه كانت توجد بقايا معبد ايزيس . وهكذا يبين أن سرابيوم الاسكندرية كان يشبه معبدي أدفو ودندره المصريين من حيث تشييده في الجزء الشمالي من سياجه ، وكذلك من حيث امتداد محوره من الشمال الى الجنوب (٤) . ومن المؤسف حقا أنه لم يعثر على شيء من مباني المعبد التي كانت مقامة فوق الأرض وان كان قد عثر في طرفه الجنوبي على بعض الدهاليز والغرف التي نحتت في الصخر تحت الأرض ، وكانت تستخدم لأغراض دينية ولتخزين كتب المكتبة الصغرى ، وأما طرفه الشمالي فانه لم يتيسر عمل حفائر فيه بسبب وقوعه تحت جزء من جبانة باب سدره . ويستخلص

(1) Rowe, Discovery of the Famous Temple, Suppl. Annales, Cahier 2, 1946, pp. 50—52.

(2) Rowe, op. cit., pp. 19 ff., 51—2, pl. XVII.

(3) Botti, Fouiles à la Colonne, 1896, pp. 101 ff.

(4) Wace, J. H. S., 1945, p. 100.

من المصادر القديمة أن هذا السرابيوم كان معبداً عظيما (١) يقوم فوق ربوة مرتفعة ولذلك كان يؤدى الى سياجه المقدس سلم كبير يتألف من مائة درجة ، وأنه كانت له مداخل شامخة وأعمدة ضخمة تحيط بجهاته الأربع ، وأنه قد وضع فى قدس الأقداس تمثال لسرابيس دقيق الصنع ومرصع بالأحجار الكريمة . فلا عجب أن هذا المعبد كان يعتبر أعظم المعابد فى حوض البحر المتوسط حتى أنه كان لا يفوقه سوى معبد القابيتول فى روما (٢) .

وتشير وثيقة بردية من العام الرابع من عهد بطلميوس الثالث (٣) الى أن متخاصمين تبادلا مواثيق الوفاق فى معبد سرابيس الذى شيده پارمنيسقوس . واستنادا — من ناحية الى أن احدى مقطوعات قاليماخوس تشير الى هذا المعبد وتذكر أنه يقع خارج أسوار الاسكندرية ، ومن ناحية أخرى الى اولا ، أنه يتبين من رواية استرابون أن السرابيوم كان يقع داخل أسوار المدينة ، وثانيا ، ألى أن بردية من عهد بطلميوس الثالث أو الرابع تشير الى « السرابيوم فى راقوتيس » ، وثالثا ، الى أنه من المستبعد أن تل راقوتيس لم يقع داخل أسوار الاسكندرية فقد كان التل الطبيعى الوحيد فى المدينة وتبعا لذلك أقروپولها الطبيعى — يرى فريزر أنه لايجوز الخلط بين سراپيوم پارمنيسقوس وسراپيوم بطلميوس الثالث (٤) . وعلى كل حال فان اللوحات التى عثر عليها تحت سياج المعبد وتحت المعبد نفسه على تل راقوتيس تقطع بأن بطلميوس الثالث هو الذى شيد هذا المعبد وسياجه . ولما كنا قد رجحنا أن بطلميوس الأول جعل من معبد ايزيس الذى وضع الاسكندر أساسه معبدا لسرابيس وايزيس ، وكان النص الاغريقى الذى نقش على اللوحات السالفة الذكر هو : « الملك بطلميوس بن بطلميوس وأرسينوى ، الالهين أدلفوى (الأخوين) ، شيد لسرابيس المعبد والسياج المقدس » ، فانه يصعب قبول ما يذهب اليه البعض من أن هذا النص

(١) يقول پاوسانياس (I, 24) ان أعظم معابد سرابيس كان فى الاسكندرية واقدمها فى منف .

(2) Botti, L'Acrople d'Alex. et le Serapeum, 1895, pp. 7 ff. ; Kyrillos, Bull. Soc. Geog., 1910, pp. 18 ff.

(3) P. Cairo-Zen, 59355.

(4) Fraser, I, pp. 270—1.

لا يتضمن « سوى أن بطلميوس الثالث بنى اضافات الى معبد كان قائماً من قبل منذ عهد بطلميوس الأول أو الثانى على أبعد الفروض » (١) .

الصفات التى اغدقت على سرابيس :

لقد كان سرابيس اذن أوزيريس المصري وپلوتو الاغريقى ، ومثال أوزيريس شبهه الاغريق بديونوسوس ، وفقا لأفكار دينية ترجع على الأقل الى أيام هيرودتوس (٢) . ولاكساب سرابيس مكانة عظمى نشر فى الناس أن هذا الاله يشفى المرضى ، فأصبح معبده الاسكندرى كعبة طبية . وكان من بين الذين أشفاهم أشخاص عظام ، فقد قيل ان ديمتريوس الفليرى مستشار بطلميوس الأول أصابه العمى ، ولم يسترد بصره الا بفضل سرابيس (٣) . وهكذا ربط بينه وبين امحوتپ ، وشبه بالاله أسقليپيوس (Asklepios) . اله الشفاء عند الاغريق ، وفيما نعلم لم تكن لأوسرحاپى فى منف هذه الصفة (٤) . وقد عثر على خطاب أرسله الى اپولونيوس ، وزير مالية بطلميوس الثانى ، أحد المتعبدين الذين أشفاهم سرابيس . وفى هذا الخطاب ، التمس كاتبه من أپولونيوس أن يساعده على انشاء معبد لسرابيس بالقرب من البحر (٥) . وأضفيت على سرابيس صفات أخرى كثيرة لا نستدل عليها من أدلة بطلمية وانما من أدلة بعضها هلينيسية من خارج مصر وبعضها رومانية من مصر مثل تشبيهه بزيوس فى ديلوس وفى مصرالرومانية حيثأحرزلقب زيوس سرابيس.ولماكانزيوس يشبه بآمون رع ، فانه اكتسب صفات آمون رع ، وأصبح يدعى سرابيس زيوس آمون رع أو زيوس آمون سرابيس . وحيث أن رع كان اله الشمس المصرى ، فان زيوس آمون سرابيس شبه باله الشمس الاغريقى هليوس (Helios) . ولكى يثبت للناس أن سلطان سرابيس يمتد فوق السماء والأرض والبحر ، فانه شبه أيضا بالاله پوسايدون (Poseidon)

---

(١) الاستاذ زكى على ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، الجزء الثانى ، ١٩٤٤ ، ص ١٥٨ .

(2) Jouguet, Nat. Eg., III, p. 40.

(3) Diogones Laertius, Lives, V, 5, 76 ; Fraser, I, p. 257.

(4) Bevan, p. 45.

(5) C. A. H., VII, p. 146 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 340 ; Zeno Papyri, no. 59034 ; cf. Schubart, Die Religiöse Haltung des früben Hellenism., Der Alte Orient, 35, Heft, 2, p. 9.

اله البحر (١) .

الاغريق والديانة الجديدة :

وجملة القول أن سرابيس قدم الى الاغريق فى صورة اله اغريقى ، وخلعت عليه صفات الآلهة الاغريقية . بيد أنه لما كان الاغريق قد أحضروا معهم دياناتهم ومذاهبهم ، وكانت الديانة الجديدة ديانة مصطنعة حديثة العهد ، فان القرائن تشير الى أنها لم تصادف هوى فى نفوسهم أول الأمر . ولكنه يجب ألا ننسى أن كيان أغلبهم ومستقبلهم ورفاهيتهم كانت تتوقف على رضاء الملك عنهم ، اذ أن كثيرين منهم كانوا يخدمون فى الجيش ، وكثيرين غيرهم يتولون مناصب حكومية ، وكانت ترقيتهم جميعا بل كان احتفاظهم بمناصبهم رهنا بمشيئة الملك . فلا عجب أنه عندما أدرك الاغريق اهتمام الملك بالديانة الجديدة أخذ الموظفون منهم يقبلون على الديانة الجديدة ، وأصبح الناس يعتبرون سرابيس الاله الذى يستطيع رفع شأنهم (٢) وحسبنا أن زويلوس (Zoilos) من أسبندوس كتب الى أبولونيوس وزير المالية مذكرا اياه بأنه فى وسع سرابيس أن يزيده حظوة لدى الملك (٣) . وما كاد ينتصف القرن الثالث حتى كان الاغريق بوجه عام قد أقبلوا بحماس على عبادة ثالوث الاسكندرية (٤) .

ولم يقف رجال الجيش والموظفون عند حد التعبد الى هذا الاله بل عملوا على نشر عبادته ، ليستمتعوا بالصحة والعافية فضلا عن الفوز بعطف البطالمة وما يستتبعه ذلك من الخير العميم (٥) .

وترينا وثائق زينون البردية اهتمام البطالمة بهـذه العبادة فى عهد بطلميوس الثانى (٦) ، وحسبنا ما سبق ذكره مـن أن أرسينوى أنشأت معبدا لسرابيس فى هاليقارناسوس ، ومن الأمر الذى أرسله أبولونيوس الى وكيل أشغاله ليبنى معبدا لسرابيس فى فيلادلفيا بالفيوم .

ومنذ عهد بطلميوس الثالث كان «القسم الملكى» الذى قضت الحكومة

---

(1) Hasting's Encyc., vol. 6. p. 377 ; cf. Fraser, III, S.V. Sarapis, p. 70.
(2) Fraser, I, pp. 258-9.
(3) P. Cairo-Zen. 59034.
(4) Brady, pp. 10—13 ; Cf. Fraser, I, p. 273.
(5) Brody, p. 25.
(6) Arthiv, IV, p. 394.

بأن يستخدمه المصريون فى المحاكمات والمعاملات الرسمية بالملك الحاكم وزوجه وبالبطالمة المؤلهين وبسرابيس وبكل آلهة مصر والآلهات الأخرى . وأما القسم الذى كان الاغريق يستخدمونه فانه حذفت منه كلمة مصر(١) .

ولم تلبث عبادة سرابيس أن انتشرت من الإسكندرية فى حوض البحر المتوسط ، بل وصلت حتى الهند ، وأصبحت أهم العبادات الغامضة التى غزت عالم بحر ايجة (٢) . فكانت المعابد تقام فى مدينة بعد أخرى ، اما لسرابيس وحده واما لسرابيس وايزيس (٣) . والطريقة التى انتشرت بفضلها عبادة سرابيس فى بحر ايجة خير دليل على أن الطبقة الحاكمة هى التى قامت بنشر هــذه العبادة خارج مصر مثل ما فعلت داخلها (٤) . ولا يفوتنا أن نشير هنا الى ما كان لانتشار عبادة سرابيس من الأثر فى دعم مكانة مصر وتأييد سياستها (٥) . ونحن نتفق مع برادى (٦) فى أنه بانتهاء عصر بطلميوس الثالث لم تعد مصر مركز نشر عبادة سرابيس فى العالم الاغريقى . فمن ناحية أخذ نفوذ مصر الخارجى فى التقلص منذ عصر بطلميوس الرابع ، ومن ناحية أخرى تأثرت مكانة سرابيس فى مصر ذاتها بعاملين : أحدهما هو العناية الشديدة التى أولاها بطلميوس الرابع لعبادة ديونوسوس فأراد أن يجعله الاله الأكبر للامبراطورية البطلمية . والعامل الآخر هو أن ثورات المصريين على البطالمة منذ عهد بطلميوس الرابع حفزت الاغريق على الالتفاف حول البطالمة والاهتمام بعبادتهم الى حد جعل الملك الحاكم يحتل مكانة سرابيس فى العبادة بين الاغريق بوصفه

---

(١) راجع S. B. 5680 . وتجد نفس العبارات فى الوثائق الديموتيقية P. Eleph. dem. VII, XXVI . واما قبل عهد بطلميوس الثالث فانه كان لا يذكر فى القسم سوى الملوك ، راجع P. Hib. 38 ; P. Petr. III 56 (a) ، بينما نجد فى وثيقة من عهد بطلميوس الخامس أن التقليد الذى بدا فى عهد بطلميوس الثالث قد بقى معمولا به طوال عصر البطالمة Petr., III, 57 .

(2) Tarn, p. 320.

(3) Lafaye, Hist. du Culte de Divinités d'Alex. hors de l'Eg. ; Rusch, De Sarapide et Iside in Graeciae Cultis ; Roussel, Les Sanctuaires égypt. de Délos et d'Etrurie, Rev. Egypt., n. s. I, 1919, pp. 81—92 ; Fraser, I, pp. 275—6.

(4) Brady, p. 22.

(5) Jouguet, Trois Et., p. 125 ; cf. Wilcken, U. P. Z., I, p. 33.

(6) Brady, p. 32.

كبير آلهتهم • وليس معنى ذلك بطبيعة الحال توقف انتشار عبادة سرابيس خارج مصر أو تلاشيها داخل مصر (١) وان كنا لا نجد أية اهـداءات اغريقية الى سرابيس من تاريخ لاحق لبداية عهد بطلميوس فيلوميتور (٢) • وقد وجدت عبادة سرابيس تأييدا جديدا فى القرن الأول بعد الميلاد ، عندما استخدم أباطرة الرومان نفوذهم منذ عهد الأباطرة الفلافيين لنشر عبادة سرابيس وايزيس فى روما وفى الامبراطورية الرومانية (٣) •

وقد أصبح سرابيس أحد الآلهة التى كانت لها مكانة كبرى لدى الاغريق لا فى مصر وحدها بل فى كل أنحاء العالم الاغريقى أيضا (٤) ، اذ أنـه اكتسب عنـد الاغريق من المكانة مثـل ما كان للأم العظمى وميثراس (Mithras) فى آسيا الصغـرى ، والشمس فى سـوريا ، وسابازيوس (Sabazios) فى تراقيا (٥) • ولا أدل على مكانة سرابيس لدى اغريق مصر من أنه كان كبير آلهتهم ، وأن معبده فى الاسكندرية كان مقر المكتبة الصغرى ومركز محفوظات الدولة • وتحدثنا أوراق البردى الواردة من البهنسة (Oxyrhynchos) (٦) عن دعوات الى ولائم تقام تحت رعايته فى السرابيوم وفى أماكن أخرى • واذا كانت كل الوثائق التى تحدثنا عن هذه الدعوات من القرنين الثانى والثالث بعد الميلاد ، فاننا نسمع أنه بين عامى ٢٢٠ و ١٦٦ ق٠م٠ كانت جماعات من أتباع هذا الاله الأوفياء الذين يعيشون فى ديلوس يلتقون فى أيام معينة كل شهر فى معبد سرابيس (٧) • وكثيرا ما كان الناس يوجهون أدعيتهم اليه فى خطاباتهم الخـاصة (٨) • واذا كانت صوره كثيرة على الخواتم ، فان تماثيله البرونزية والفخارية

(1) Cf. Brady, p. 26.

(2) Cf. Brady, p. 28.

(3) Toutain, Les Cultes Paiens dans l'Empire Romain, ii, pp. 31 ff.

(٤) عن المكانة الرفيعة التى احتلها سرابيس ، انظر
Bell, Cults and Creeds, pp. 20—1 ; Zaki Ali, The Popularity of The Sarapis Cult, Etudes de Papyrologie, IX, 1971, pp. 174, ff. ; Fraser, III, p. 70, s. v. Sarapis.
بحث الاستاذ زكى على يتناول الموضـوع فى العصر الرومانى بصـفة خاصة •

(5) C. A. VII, p. 146.

(6) P. Oxy. 110 ; 523 ; 1484 ; 1755.

(7) Roussel, Cultes égyp., pp. 100, 253, 285.

(8) Zaki Aly, op. cit., pp. 177 ff.

قليلة بالرغم من رخص هاتين المادتين ، اللتين كانت تصنع منهما التماثيل بكثرة للآلهة الأخرى . وقد استخلص الباحثون من ذلك أن الصفات التى أغدقت على سرابيس رفعته الى مرتبة سامية رهيبة لم يكن من شأنها أن تؤثر فى وجدان عامة الناس وتمس شغاف قلوبهم ، فلم يروا فيه سوى الاله الأعظم الرسمى الذى يكتفون بتوجيه الأدعية وتقديم القرابين اليه ، ولم يتخذوا منه رفيقا لهم فى حياتهم الخاصة ، يقيمون له التماثيل فى بيوتهم لكى يكون ملاكهم الحارس (١) . ويبدو لنا أن عبادة سرابيس لم تنتشر انتشارا واسعا بين اغريق مصر ، وتكتسب ما كان لها من الأهمية عندهم ، الا نتيجة للرعاية التى أولتها الحكومة اياها ، ومن ثم فانه لم يكن لاقامة شعائر هذه العبادة فى المعابد أثر عميق فى حياة الناس الخاصة . ولا أدل على ذلك من الاصطناع الواضح فى صيغ الأدعية والضراعات الموجهة الى سرابيس فى الخطابات ، ومن تكرار هذه الصيغ فى أكداس هذه الخطابات تكرارا آليا لا يمكن أن يكون مبعثه ايمان دينى عميق .

المصريون وسرابيس :

واذا كان سرابيس قد قدم للاغريق فى صورة اغريقية وأغدقت عليه صفات اغريقية وكانت تقام له طقوس اغريقية ، فان المصريين لم يروا فيه سوى الههم القديم أوزيريس أبيس أو أوزيريس الذى ظل بالنسبة لهم الها مصريا صميما فى شكله وصفاته وكذلك فى طقوسه بوجه عام .

---

(1) Hastings, Encyclop.., p. 878.

٢ — ايزيس

أصلها ومكانتها :

ولما كانت المعتقدات الدينية بين المصريين والاغريق تقضى بأن يكون لسرابيس زوجة ، فان رأى صناع الديانة الجديدة استقر على اختيار ايزيس للقيام بهذا الدور . ويبدو لنا أن هذا الاختيار كان طبيعيا ، اذ أنه وفقا لأصول الديانة المصرية القديمة كانت ايزيس زوج أوزيريس ، وأنه كما عرفنا لم يكن سرابيس الا صورة من أوزيريس . ويضاف الى هذا أن ايزيس كانت تتمتع لدى المصريين طوال عهد الأسر الفرعونية بمكانة فاقت ما كان لآلهات مصر الأخرى . ونستدل على ذلك من كثرة الاشارة اليها فى النصوص المصرية القديمة ، ومن انتشار معابدها فى جميع أنحاء البلاد ، ومن اقبال كافة الطبقات على تقديم القرابين والهبات اليها (١) .

ومنشأ هذه المحبة التى فاضت بها قلوب المصريين نحو ايزيس هو أنها كانت فى نظرهم المثل الأعلى للأم الحنون والزوج الوفية ، التى تفانت فى حب ابنها حورس وفى الاخلاص لزوجها أوزيريس ، ذلك أنها ، عندما قتل ست أخاه أوزيريس ، أعادته الى الحياة بفضل قواها السحرية ، وكلفت بتربية ابنها حورس بعيدا عن شرور عمه حتى نما وترعرع وانتقم لأبيه من عمه (٢) . وكانت قصة ايزيس وأوزيريس وحورس من أشهر أساطير الديانة المصرية ، وكان لها أثر أى أثر فى نفوس المصريين فقد اعتقدوا أن ايزيس ستمنحهم حياة ثانية كما منحت زوجها «أوزيريس» (٣) .
وكانت ايزيس تصور للمصريين منذ أيام الفراعنة فى شكل امرأة تحمل

(1) Hasting's Encyclop., p. 878., Budge, II, 203.
(2) Breasted, History of the Ancient Egs., pp. 58—9,
(3) Budge, op. cit., p. 213.

على رأسها أحيانا رمز اسمها ، وهو العرش ، وأحيانا أخرى قرنى بقرة يتوسطهما قرص الشمس وتمسك بيدها صولجانا من البردى (١) .

الاغريق وايزيس :

وكان الاغريق منذ القدم يشبهون ايزيس بديمتر (Demeter) (٢) ، وفى عهد البطالمة كانوا يشبهونها كذلك بأفروديتى (٣) وبهيرا (Hera) وبأثينا (Athena) (٤) . فلا عجب فى أن أرسينوى الثانية التى تشبهت بأفروديتى قد تشبهت كذلك بايزيس ، فكانت نقوش الاهداءات تصفها بأنها أرسينوى الالهـة فيـلادلفوس ، أو أنها ايزيس أرسـينوى فيلادلفوس (٥) . وكان تقديم آنية القرابين التى تحمل اهداء لأرسينوى فيلادلفوس ايزيس أمرا شائعا بين نساء الاسكندرية (٦) . وترينا الأدلة الأثرية أن الكثيرات من ملكات وأميرات البطـالمة قد تشبهن بايزيس وصورن على هيئتها بطراز اغريقى (٧) .

وهكذا تتبين أنه كان لتلك الأميرات منذ عهد أرسينوى الثانية شأن يذكر فى نشر عبادة ايزيس بين الاغريق ، فلم يأت منتصف القرن الثالث حتى كانت ايزيس قد احتلت مكانا بارزا بين الاغريق (٨) . ومنذ عهد بطلميوس الرابع ، بقدر ما تضاءلت مكانة سرابيس ازدادت مكانة ايزيس ، فلم يأت آخر عهد بطلميوس السادس فيلوميتور حتى كانت قد أصبحت بدلا من سرابيس أهم آلهة ثالوث الاسكندرية (٩) .

---

(1) Budge, op. cit., p. 202.
(2) Herodotus, it, 59.
(3) Hastings' Encyclop., p. 378.
(4) Milne, Hist. of Eg. Under Roman Rule. p. 208.
(5) OGIS. I, 30 ; 31 ; 32 ; P.S.I., V, 539, 3.
(6) Mowat, Le vase sacrificatoire des Reines d'Egypte, Rev. Num., 4me Serie, V, pp. 14—35.
(7) Noshy , op. cit., pp. 126—7 ; Fraser, I., pp. 238—46, 260, 298.
(8) Brady, p. 13.
(9) Brady, pp. 29 ff.

ايزيس تقدم للاغريق فى صورة اغريقية :

ومثل سرابيس ، قدمت ايزيس للاغريق فى صورة اغريقية ، لكن هذه الالهة اختلفت عن سرابيس فى شيئين : أحدهما هو أنها كانت تحمل فى كل اقليم ألقابا محلية خاصة ، والآخر هو أن الشكل الذى قدمت به للاغريق كان أكثر تمصرا من شكل سرابيس دون أن يكون دائما واحدا مثل تماثيل هذا الإله ، الا أن الاختلاف بين تماثيل ايزيس لم يكن بينا (١) . وكانت ايزيس تصور عادة مرتدية ملابسها ، وواقفة أو جالسة على عرش ترعى طفلها حاربوقراتيس ، وتحمل فوق رأسها تاجا محلى بقرنى بقرة وبقرص الشمس وبغطاء رأس فى شكل أحد الطيور المقدسة التى كانت من خواص الآلهات المصريات . واذا كنا نلمس أحيانا فى ثيابها شيئا من تأثير بعض الثياب الاغريقية ، فاننا برغم ذلك نعتقد أنها لم تكن سوى ثياب مصرية أدخل عليها تعديل طفيف (٢) .

المصريون وايزيس :

وكما كان المصريون لا يرون فى سرابيس غير أوزيريس أبيس أو أوزيريس ، لم يروا أيضا فى ايزيس الا زوجة أوزيريس وأم حورس ، فلم يعبدوا طوال عصر البطالمة ذلك الطراز من ايزيس الذى ظهر فى العصر الهلينيسى وكان الاغريق يعبدونه وانما استمسكوا بالهتهم القديمة فبقيت ايزيس بالنسبة لهم مصرية بحتا فى شكلها وصفاتها وطقوسها .

مراكز عبادة ايزيس :

وكان أهم مقر لعبادة ايزيس منذ عهد البطالمة هو جزيرة فيلة ، حيث شيد البطالمة لها وللالهة المتصلة بها معابد عظيمة ، قدر لها أن تكون آخر معاقل الوثنية فى عهد الديانة المسيحية بمصر . ويبدو ان الاسكندر والبطالمة أقاموا لايزيس عدة معابد فى الاسكندرية وما يجاورها ، حيث عبدها الناس مع سرابيس وكذلك بوصفها الهة فاروس الحامية (٣) . وقد كانت

(1) Hastings' Encyclop., p. 378.

(2) Edgar, Cairo Cat., Greek Bronzes, p. v.

(٣) عن عبادة ايزيس ومعابدها والقابها انظر : Fraser, III, p. 45, s.v. Isis.

لايزيس معابد فى طول مصر وعرضها كذلك ، نذكر منها على سبيل المثال المعبد الذى شيده لها أپولونيوس فى فيلادلفيا بالفيوم (١) . ومما يجدر بالملاحظة أن وثائق عصرى البطالمة والرومان تردد اسمها أكثر من أسماء الآلهة الأخرى (٢) ، كما نلاحظ أن تماثيلها البرونزية والفخارية كانت وفيرة وأن ظهورها على الخواتم غير قليل (٣) .

ولم تكن عبادة ايزيس مقصورة على المصريين والاغريق فى مصر ، بل سرعان ما انتشرت هذه العبادة فى حوض البحر المتوسط (٤) ، وتبوأت ايزيس ذات الأسماء المتعددة مكانة يحتمل أنها بزت مكانة كافة آلهة العصر الهلينيسى . وكان الاغريق يشبهون ايزيس بكل الهة أخرى وبكل سيدة رفعت الى مصاف الآلهة ، ويعتبرونها : « سيدة الجميع ، البصيرة ، القهارة ، ملكة العالم المأهول ، نجم البحر ، تاج الحياة ، مانحة القانون ، المنقذة ، منبع الرشاقة والجمال ، مصدر الحظ والثراء ، رمز الصدق والحب » ، لأنها وهبت العالم فنون الحضارة ووضعتها تحت رعايتها (٥) .

(1) P. Cairo—Zen. 59168 ; Bell, J. E. A., 1948, p. 85.
(2) Hastings' Encyclop., p. 379.
(3) Cf. Noshy, Arts in Ptol. Eg., 125 ff.
(4) Brady, pp. 19—20.
(5) Tarn, p. 322.

٣ — حاربوقراتيس

ولم يجد صناع الديانة الجديدة صعوبة في استكمال ثالوث الاسكندرية المقدس ، بعد أن وقع اختيارهم على أوزيريس أبيس ليكون الاله الأكبر فى هذا الثالوث ، وعلى ايزيس لتقوم بدور زوج هذا الاله ، ذلك أنه لاستكمال هذا الثالوث كان طبيعيا أن تتجه الأنظار الى الطفل الذى أنجبته ايزيس من زوجها أوزيريس ، وعرفه المصريون باسم حورس الصغير ، لكن الاغريق حرفوا اسمه المصرى «حورپاخراد» وأطلقوا عليه «حاربوقراتيس» . وكان هذا الاله احدى الصور العديدة التى عبد تحتها الاله حورس ، الذى عرف فى مصر منذ أقدم العصور ، قبل اتحاد الوجهين القبلى والبحرى (١) . فقد كان للاله حورس صورة متعددة فى مختلف أقاليم البلاد ، أهمها صورتان تمثل احداهما حورس الأكبر فى شكل رجل له رأس صقر أو أسد ويلبس تاج الوجهين القبلى والبحرى، وتمثل الأخرى حورس الصغير فى شكل طفل له ذؤابة وقد وضع أصبعه فى فمه اشارة الى حداثة سنه (٢) . وقد كان حورس الأكبر أعظم الآلهة التى تحمل اسم حورس ، وكان اله ليتوپوليس (Letopolis = أوسيم) ، وأما حورس الطفل فانه كان اله بوتو (Buto = أم الفراعين قرب دسوق). ولم توجد أية صلة بين هذين الالهين من حيث النشأة ، لكن حورس الطفل استفاد من اشتراكه فى الاسم مع حورس الأكبر ، وورث عن هذا الاله ما كان له من نفوذ وسلطان (٣) .

(1) Breasted, op. cit., p. 36.
(2) Budge, vol. I, p. 466.
(3) Moret, The Nile and the Egyptian Civilisation, p. 67.

حاربوقراتيس والاغريق والمصريون :

وتتيجة للصفات التى ورثها حورس الطفل عن حورس الأكبر ، شبه بالبطل الاغريقى هرقل وبالإله الاغريقى أپولو (١) ، وقدم للاغريق فى صورة اغريقية ، ولم يلبثوا أن أقبلوا على عبادته (٢) .

لكنه لا اشراك حورس الطفل فى ثالوث الاسكندرية ، ولا تشبيهه بالآلهة الاغريقية حرمه فى نظر المصريين صبغته المصرية ، اذ أنه بقى بالنسبة لهم مصريا صميما مثل أمه ايزيس .

وتشير كثرة تماثيله الصغيرة وصوره على الخواتم الى انتشار عبادته ومحبته بين الناس . ولاغرو فقد كان يمتاز بما ورث عن حورس الأكبر من العطف الانسانى ، وبعدم اثقال كاهله بما كان لسراپيس من العظمة ، وبما كان يحوط عبادة ايزيس من الأسرار . وتبعا لذلك فانه كان أقرب آلهة هذا الثالوث الى قلوب الناس عامة ، وأعظمهم شأنا بين الطبقات الوضيعة خاصة .

قرن عبادته بعبادة آلهة اخرى :

والى أن كشفت حفائر متحف بلدية الاسكندرية فى ٢٨ من أكتوبر عام ١٩٤٥ عن الأدلة على أن بطلميوس الرابع شيد معبداً صغيراً لهذا الاله (٣) ، لم نعرف أن أى معبد شيد خصيصاً من أجله . وقد ساعد ذلك على الاعتقاد بأن عبادته فى المعابد كانت تقرن دائماً بعبادة آلهة أخرى ، اذ أننا نجده فى فيلة مقترنا بايزيس وسراپيس ، وفى قفط بايزيس وپان ، وفى الفيوم بايزيس وسراپيس وسوخوس ، الا أنه كان له كهنة يختصون باقامة طقوس عبادته ، كما أن القرابين كانت تقدم له منفرداً .

---

(1) Milne, Hist. of Eg. Under Roman Rule, p. 211.

(2) Brady, p. 16.

(3) Rowe, op. cit., pp. 54 ff., Pls. XVI and XVII.

ولعل اشراكه دائما مع أمه ايزيس يرجع الى أنه كان طفلا لا يمكن ابعاده عن أمه (١) .

مدى نجاح الديانة الجديدة :

وقد نجحت الديانة الجديدة من حيث فوزها بعدد كبير من الأتباع ، ولكن نجاحها الحقيقى يجب أن يقاس بمقدار ما أفلحت فى تأدية الغرض المنشود من اقامتها ، وهو ربط المصريين والاغريق بازالة الفوارق أو على الأقل تضييق شقة الخلاف بين المعتقدات الدينية لكل من الفريقين . حتا أن المصريين كانوا يعبدون آلهة ثالوث الاسكندرية ولكن فى ثوبها المصرى، ولأنها كانت فى عداد الآلهة التى ظلوا على ولائهم لها . وارضاء للبطالمة ، رعاة الديانة الجديدة ، اعتنق الاغريق هذه الديانة ولا سيما أن الهتهاقدمت لهم فى ثوب اغريقى ، بل على أنها نظائر لآلهتهم . والواقع أن الاغـريق لم يقفوا عند هذا الحد ، فقد كانوا — كما مر بنا آنفا — يعبدون آلهة متعددة أخرى ، بعضها تحت أسماء اغريقية وبعضها بأسمائها المصرية . وليس من العسير تعليل احترام الاغريق لآلهة المصريين ، فقد أدخل على عقولهم أن تلك الآلهة لا تختلف فى شىء عن آلهتهم . وفضلا عن ذلـك فانهم كانوا يعتبرون أنفسهم ضيوفا على البلاد ، ولذلك فانه كان مـن أصالة الرأى أن يستجدوا عطف الآلهة التى تشملها بالرعاية . بيـد أنه حيثما كان الاغريق ينزلون فى كثرة ، سواء أكان ذلك فى المدن الاغريقية أم فى خارجها ، كانوا يقيمون المعابد لآلهتهم القديمة ، مثل زيوس وأپولو وديمتر . ويكاد أن يكون من المحقق أن الديانة الحقيقية للاغريق طـوال

لقد كشفت هذه الحفائر عن اساسات المعبد وهى تدل على انـه كان معبدا صغيرا تبلغ مساحته ٨٫٨٠ مترا × ٥ مترا ، كما كشفت ايضا لوحات كثيرة تحمل نقشا باللغتين الهيروغليفية والاغريقية نصه : اقـام الملك بطلميوس بن الملك بطلميوس والملكة برنيقى ، الالهين الخيرين ، هـذا المعبد للاله حاربوقراتيس وفقا لتوجيهات سرابيس .

(1) Hasting's Encyclop., p. 379.

عصر البطالمة كانت الى حد عبادة المدن التى أتوا منها ، والى حد أكبر عبادة المذاهب ذات الأسرار التى كانت معروفة فى بلاد الاغريق وبين اغريق آسيا وانتشرت اذ ذاك فى كل أنحاء العالم الاغريقى ، مثل مذهب ديمتر ومذهب أدونيس ومذهب ديونوسوس زاجريوس .

ولا شك فى أن الديانة الجديدة تمتعت بأهمية عظمى بفضل رعاية الملوك لها ، لكنه لم يكن مقدرا لها أن تنجح فى تحقيق الغرض الذى أنشئت من أجله ، ولا سيما أن الوسيلة التى اتبعت لتنفيذ الفكرة كفلت لها فشلا محققا ، اذ أن تقديم الآلهة نفسها للاغريق فى صورة اغريقية وللمصريين فى صورة مصرية كان من شأنه توكيد الخلافات القائمة بين الفريقين . واذا قيل : وهل يعقل أن يكون الاختلاف فى الصورة سببا فى اختلاف العقائد ؟ وكيف يمكن أن تبقى هناك خلافات دينية بين الاغريق والمصريين بعد افهامهم أنهم يعبدون الآلهة نفسها ؟ فانه يمكن الرد بأن الاختلاف فى الصورة مرده فى الواقع الى اختلاف جوهرى فى العقيدة ، وبأنه على كل حال لا يجوز الاقلال من أهمية الفوارق الدينية مهما تكن يسيرة ولا من خطورة النتائج المترتبة عليها . ولا أدل على ذلك من أن أتباع الديانات السماوية يعبدون جميعا الله سبحانه وتعالى ومع ذلك فان عقائدهم الدينية تختلف اختلافا تسبب يوما فى حروب شعواء ، ولا يقل عن ذلك دلالة ما نعرفه عن أهوال الصراع بين الطوائف الدينية التى وان كانت جميعا تعتنق دينا واحدا بعينه الا ان كلا منها اختارت لنفسها مذهبا خاصا اعتبرته العقيدة الوحيدة السليمة وكل ما عدا ذلك الحادا وكفرا . وفى رأينا أنه لم توجد الا وسيلة واحدة لازالة النفور الدينى بين المصريين والاغريق وهى أن يعتنق أحدهما ديانة الآخر . ولما كان ذلك أمراً متعذراً عندئذ ، فانه لم يوجد اذن سبيل الى القضاء على ذلك النفور الذى كان يزيده حدة فوارق الجنس واللغة والعادات فضلا عن الفارق فى المعاملة التى كانت

الأسرة الحاكمة تكيلها لكل من الفريقين . ورب معترض يقول : وكيف يتمشى القول بأن الاغريق استمسكوا بدياناتهم مع القول بأن الضعف تطرق الى ايمانهم بآلهتهم . والرد على ذلك هو أن الاغريق استمسكوا بدياناتهم لأنها كانت مظهرا من مظاهر حضاراتهم وهى التى كانوا يعتزون بها أشد الاعتزاز ويعتبرونها أسمى الحضارات .

ولا أدل على هذا الاخفاق من الرأى الذى نودى به منذ بضع سنين(١) ، وفحواه أن هدف بطلميوس الأول من انشاء عبادة سرابيس قد أسىء فهمه ، لأنه لم يكن داخليا أو بعبارة أخرى التأليف بين قلوب اغريق مصر وأهلها الوطنيين بقدر ما كان اقامة اله للامبراطورية البطلمية يرعاها ويدعم بنيانها ، اذ أن الاغريق حين حلت بهم الكوارث فضاقوا ذرعا بشرور الدنيا وتملكتهم رغبة شديدة فى اعتناق ديانة تضمن لهم التمتع فى العالم الآخر بحياة لا تعتورها نقائص الدنيا ، أخذوا ينشدون ضالتهم فى الديانات الشرقية . ومعنى ذلك أن بطلميوس أراد أن يدعم امبراطوريته عن طريق تحقيق رغبة الاغريق بامدادهم باله مصرى تكفل لهم عبادته ما يبتغونه من السعادة السرمدية . واذا صح أن هذا قد كان حقا هدف بطلميوس فانه أيضا باء بالفشل . ذلك أن قوة البطالمة وحدها هى التى كانت سند امبراطوريتهم ، ولا أدل على ذلك مما رأيناه من أنه عندما تلاشت قوتهم لم يفقدوا مبراطوريتهم فحسب بل فقدوا أيضا ملكهم ودولتهم .

وعلى كل حال فان صاحب هذا الرأى لم يلبث أن عدل عنه الى الرأى الشائع عن الهدف من وراء انشاء عبادة سرابيس ، وأن قرن ذلك بأن هذه العبادة أخفقت فى تحقيق هدفها (٢) .

---

(1) Bell, Egypt, p. 40.

(2) Bell, Cults and Creeds, p. 20 ; Graeco — Eg. Religion, Museum Helveticum, vol. X, 1953, p. 228.

وبعد أن يحدثنا فريزر حديثا طليا عن الآلهة الاغريقية التى أحضرها الاغريق معهم الى مصر وعن ولاء هؤلاء الاغريق وبخاصة اغريق الاسكندرية لهذه الآلهة ؛ وعن الأصل المصرى للاله سرابيس ، وعن قرن هذا الاله بالآلهة المصرية ايزيس وحاربوقراتيس وأنوبيس (١) ، يطالعنا برأى طريف فحواه أن هدف بطلميوس من انشاء ديانة سرابيس كان اقامة اله راع لاغريق مصر عامة ولاغريق الاسكندرية خاصة (٢) . واذا كنا قد نفهم ان يقال ان ذلك كان هدف بطلميوس الأول من جعل عبادة الاسكندر عبادة اغريقية رسمية عامة تؤرخ باسم كاهنها كافة الوثائق الرسمية فى أنحاء البلاد جميعا ، فانه يدق علينا أن نفهم أن ذلك كان هدف بطلميوس الأول من انشاء ديانة سرابيس . ذلك أنه اذا صح أن هدف بطلميوس كان إقامة اله راع لاغريق مصر عامة ولاغريق الاسكندرية خاصة ، فانه من العسير أن نتصور أنه كان يختار لتحقيق هذا الهدف الها مصرى الأصل كانت تشرك معه فى مصر وفى خارجها آلهة مصرية صميمة . ولماذا قدم كل من سرابيس وزوجه ايزيس وابنهما حاربوقراتيس الى الاغريق فى صورة اغريقية والى المصريين فى صورة مصرية؟ ألا ينهض ذلك كله دليلا على أن هدف بطلميوس كان محاولة ازالة النفور الدينى بين الاغريق والمصريين ، وعلى أن رأى فريزر يجنح عن جادة الصواب ؟ .

---

(1) Fraser, I, pp. 193 ff. 246—59, 267—8, 784—5.
(2) Fraser, I, p. 273 ; cf. II, n. 691 p. 429.

الباب الخامس

أداة الحكم

الفصل التاسع

السلطة المركزية

---

١ – ألقاب الملك

لقد رأينا أن البطالمة ، على الرغم من أنهم كانوا سادة مصر أساسا بحق الفتح ، فانهم لم يعتمدوا على هذا الحق وحده لتبرير سلطانهم بل لجأوا الى الديانة لصبغ مركزهم بصبغة شرعية ، فاتخذوا صفات الفراعنة وتشبهوا بهم أمام رعاياهم المصريين ، ورفعوا أنفسهم الى مصاف الآلهة الاغريقية فى نظر رعاياهم الاغريق . ولكن تأليه البطالمة لم يؤد – كما كان يحدث أحيانا فى الممالك الشرقية – الى أن يعيشوا فى أعماق قصورهم ، بعيدين عن رعاياهم ، تكتنفهم الأسرار . فقد كانوا يقابلون الجميع ويظهرون أمام الملأ ويسمعون شكاوى رعاياهم ويعيشون دون كلفة مع أصدقائهم (١) .

اسم بطلميوس فى الاسرة المالكة :

وعلى نقيض الفراعنة القدماء من حيث أنه كان لكل منهم اسم عرش خاص به ، كان ملوك البطالمة جميعا يحملون اسم بطلميوس . ويبدو أنهم أرادوا بذلك اثبات دوام الملكية فى

---

(1) Jouguet, Mac. Imp., pp. 297—298.

أسرتهم بالرغم من انتقالها من فرد الى آخر . وأما الفراعنة فانهم لم يعنوا الا باثبات دوام الملكية التي تعتمد على حق الملوك الالهي . ولذلك فانهم كانوا جميعا يحملون اسم خورس ، وكان يعبر في العقائد المصرية عن حق الملوك الالهي . ونرى أثر ذلك الاتجاه البطلمي فيما درجوا عليه عادة حتى آخر عهدهم من وضع صورة مؤسس أسرتهم على أحد وجهي العملة التي كانوا يسكونها . وهل كان البطالمة يحملون هذا الاسم الملكي ــ اسم بطلميوس ــ عند ارتقائهم العرش ، أم أن هذا الاسم كان يعطى لأولياء العهد منذ اشراكهم في الحكم ، أم منذ ميلادهم ؟ .

بما أن ملوك البطالمة جميعا كانوا يحملون اسم بطلميوس ، وبما أننا نجد في نصوص لا يرقى الشك الى صحتها (١) أن أكبر أبناء الملوك كانوا يدعون بطلميوس حتى قبل اشراكهم في الملك ، فاننا نستخلص من ذلك أن ولي العهد كان يدعى بطلميوس منذ ميلاده ، وأنه اذا آل الملك الى شخص آخر فان هذا الشخص كان يترك اسمه الأصلي الخاص به ويحمل اسم بطلميوس (٢) . ونحن لا نعرف الاسم الذي كان بطلميوس الثاني يحمله ، قبل حرمان أخيه بطلميوس قراونوس وراثة العرش . وأما القول بأنه كان يدعى فيلادلفوس (٣) فمردود لسببين : وأحدهما هو أنه لم يطلق على بطلميوس الثاني لقب فيلادلفوس الا في القرن الثاني قبل الميلاد ، والآخر هو أن فيلادلفوس لم يكن اسما بل لقبا وأن أرسينوي الثانية كانت أول من حمله (٤) . ولسنا نعرف أيضا الاسم الذي كان يحمله بطلميوس الثامن يورجتيس الثاني قبل ارتقائه العرش ، لكننا اذا كنا نجهل اسم بطلميوس الثاني وبطلميوس الثامن قبل أن يؤول اليهما الملك : فاننا نعرف أنه كان لبطلميوس الثاني ، الى جانب خليفته بطلميوس الثالث ، ابن صغير يدعى لوسيماخوس ، وأنه كان لبطلميوس الثالث أيضا ، الى جانب خليفته بطلميوس الرابع ، ابن صغير يدعى ماجاس ، وأن بطلميوس

(1) Strack, nos. 57—59 ; 70 ; cf. p. 9.
(2) Bouché-Leclercq, III, p. 71.
(3) Strack, pp. 9, 115—120.
(4) Bouché-Leclercq, III, p. 72.

العاشر ، منافس أخيه الأكبر بطلميوس التاسع فيلوميتور سوتير ، كان يميز عن أخيه الأكبر بتلقيبه بالاسكندر ، وليس ببعيد أنه قد كان اسمه فى بادىء الأمر قبل ارتقائه العرش .

ولما كانت لاتوجد قرينة على أن الأبناء الآخرين للبطالمة ، عدا الذين كانوا أولياء العهد منذ ميلادهم ، كانوا يدعون كذلك « بطلميوس » ، فانه يبدو أن هذا الاسم كان مقصورا فى الأسرة الملكية على الملك وخليفته . لكن البطالمة لم يحتكروا هذا الاسم ، اذ أنهم سمحوا لرعاياهم بحمله (١) .

ملكات البطالمة واسم كليوبترة :

ومنذ زواج بطلميوس الخامس من كليوبترة الأولى ابنة انطيوخوس الثالث ، كانت كل ملكات البطالمة تحملن اسم كليوبترة (٢) منذ ميلادهن ، فيما عدا برنيقى الثالثة ابنة بطلميوس التاسع ؛ وبرنيقى الرابعة ابنة بطلميوس الثانى عشر .

لكل ملك لقب الهى اغريقى :

واذا كان ملوك البطالمة قد حملوا جميعا اسم « بطلميوس » ، اما اعتزازا بانتسابهم الى رأس الأسرة ولاثبات حقهم فى الملك ، واما للدلالة على أن الملكية لم تتغير بانتقالها من فرد الى آخر ، فانه كان لكل منهم ، باستثناء بطلميوس الثانى ، لقب الهى اغريقى يميزه عن غيره (٣) . ولسنا نعرف منشأ كل هذه الألقاب (٤) ، وان كنا نعرف أن بعضها يعبر عن خدمات جليلة أو صفات رفيعة مثل المنقذ والخير ، وأن بعضها الآخر يعبر عن صلات أسرية مثل المحب لأبيه أو المحب لأمه . وهل كان الملوك هم الذين يتخذون هذه الألقاب أم أن رعاياهم هم الذين كانوا يخلعونها عليهم ؟ يجب أولا استبعاد الرأى القائل بأن الكهنة المصريين هم الذين كانوا

(1) Bonché-Leclercq, III, p. 73.
(2) Jouguet, Mac, Imp., p. 298.
(3) Bouché-Leclercq, III, p. 32.
(4) Bevan, p. 131.

يخلعون هذه الألقاب على الملوك (١) ، ذلك أن ديباجة الوثائق المصرية تعطى الملك الألقاب الفرعونية الخمسة التقليدية ثم تضيف اليها خارج الخرطوش ترجمة لقبه الالهى الاغريقى الذى لا شك فى أن صيغته الاغريقية هى الأصلية (٢) . ويضاف الى ذلك أن طابع هذه الألقاب الالهية اغريقى ، ولا يمت بصلة من قرب أو بعد الى صفات الآلهة المصرية . ويبدو أنه لم توجد قاعدة ثابتة لهذه الألقاب ، لأنه اذا كان أهل رودس هم الذين خلعوا على بطلميوس الأول لقب المنقذ ، فانه من المرجح أن البطالمة الآخرين هم الذين اختاروا لأنفسهم الألقاب الالهية الاغريقية التى حملوها .

وهل هذه الألقاب تعبر عن صفا تحقيقية أو منتحلة فى الملوك ، أو أنها تخلد ذكرى حوادث معينة ؟ لاشك فى أن أهل رودس خلعوا على بطلميوس الأول لقب سوتير (المنقذ) اعترافا بصنيعه ، ولا فى أن بطلميوس الثانى وزوجه أرسينوى لقبا بالالهين أدلفوى (الأخوين) تخليدا لذكرى زواجهما . وأما بطلميوس الثالث ، فانه لا يعرف لماذا حمل لقب يورجتيس (الخير) ، وان كان معروفا أن مجمع الكهنة المصريين فى ٢٣٨ لم يخلع عليه هذا اللقب (٣) . ولا يستبعد أنه اتخذ هذا اللقب عند ارتقائه العرش تخليداً للخدمة التى أسداها الى مصر بتوحيد قورينائية معها ، نتيجة لزواجه من برنيقى ابنة ماجاس . ولعل السبب نفسه هو الذى حدا ببطلميوس الثامن الى اتخاذ هذا اللقب الالهى نفسه لأنه أعاد توحيد مصر وقورينائية اثر توليه حكمهما منذ عام ١٤٥ بعد أن كان يحكم قورينائية فقط (٤) منذ اتفاقية التقسيم فى عام ١٦٣ .

واذا كان يمكن تفسير الألقاب الالهية التى حملها البطالمة الثلاثة الأوائل تفسيرا معقولا ، فان ذلك ليس يسيرا فى كل حالة منذ بطلميوس الرابع ، وان كنا نرجح أن هذا الملك لقب نفسه فيلوباتور ،

---

(1) Strack, pp. 12, 131.
(2) Bouché-Leclercq. III, p. 75.
(3) Bouché-Leclercq. III, p. 77.
(4) Bouché-Leclercq, III, p. 78.

أى المحب لأبيه ، ليحاول بذلك أن يكتسب لنفسه المحبة التى كان أبوه يتمتع بها بين الشعب • ونرجح أيضا أن بطلميوس السادس لقب بفيلوميتور أى المحب لأمه لأن أمه تولت الوصاية عليه فى حداثته ، لكننا لا نعرف لماذا لقب بطلميوس الخامس «الاله ابيفانيس» • ويبدو أنه منذ عهد بطلميوس الثامن ، اما أن يكون معين البطالمة فى اختيار ألقابهم الالهية قد نضب واما أنهم أرادوا التشبه بأجدادهم ، فأخذوا يكررون ألقاب أسلافهم مثل يورجتيس ، سوتير ، فيلادلفوس ، فيلوباتور •

ولقد كان للبطالمة عدة ألقاب تذكر فى ديباجة الوثائق ، غير أنهم لم يستخدموا عادة من هذه الألقاب الا لقب « ملك » ولقب « اله » فضلا عن اللقب الالهى الخاص بكل منهم • وكان اللقب الأول يذكر قبل الاسم واللقب الثانى بعد الاسم ؛ وانما قبل اللقب الالهى مباشرة ، فكان بطلميوس الثالث مثلا يدعى « الملك بطلميوس الاله يورجتيس » • وكان ينقش على نقود البطالمة الاسم مشفوعا بلقب ملك فقط أو باللقب الالهى فقط دون ذكر كلمة اله • وحسبنا دليلا على أن اللقب الالهى كان الاسم الذى يعبد تحته الملك ، أن عبارة اله كانت لا تضاف الى اسم بطلميوس بل الى اللقب الالهى ، فكان لا يقال « الاله بطلميوس » بل مثلا « بطلميوس الاله الخير أو المحب لأبيه ، أو المحب لأمه الخ.(١) » • ونعتبر عبارة « الملك بطلميوس الاله الاسكندر » (٢) خطأ فاحشا ، مرجعه الى أن الكاتب اعتبر الاسكندر لقبا الهيا (٣) ، علما بأن اللقب الالهى الذى حمله هذا الملك كان أحيانا الاله فيلوميتور وأحيانا أخرى الاله فيلوميتور سوتير ، على نحو ما مر بنا • ومما يجدر بالملاحظة أن البطالمة لم يجدوا داعيا لأن يدعوا نفسهم فى الوثائق الاغريقية ملوك مصر العليا ومصر السفلى ، على نحو ما كان الفراعنة يفعلون ، أو لأن يشفعوا أسماءهم بأسماء ممتلكاتهم الخارجية ، كما يفعل بعض ملوك العصر الحديث •

---

(1) Bouché-Leclercq, III, pp. 76—77.

(2) Strack, no. 149 ; O. G. I. S., no. 181.

(3) Bouché-Leclercq, III, p. 77, fn. 1.

تعدد القاب البطالمة الالهية :

ومنذ عهد بطلميوس الخامس ظهر تقليد جديد هو تعدد الألقاب الالهية (١) ، بدل أن كان كل ملك يكتفى فيما مضى بلقب الهى واحد ، فقد كان بطلميوس الخامس الاله ابيفانيس يوخاريستوس ، وكانت كليوپترة الثانية الالهة فيلوميتور سوتيرا ، عندما انفردت بالملك بعد فرار بطلميوس الثامن . وكانت كليوپترة الثالثة عندما اشتركت فى الحكم مع ابنها بطلميوس التاسع ، تدعى وحدها «الالهة فيلوميتور سوتيرا ديقايوسونى نيقفوروس » (الالهة المحبة لأمها المنقذة العادلة المنتصرة) ، وتعرف هى وابنها بطلميوس التاسع ، وكذلك هى وابنها بطلميوس العاشر « بالالهين فيلوميتورس سوتيرس » (الألهين المحبين لأمهما المنقذين) . وكان بطلميوس الثانى عشر يعرف أول الأمر « بالاله فيلوپاتور » لكنه عندما تزوج أخته أضاف الى ذلك لقب « فيلادلفوس » ، ولم يلبث أن أضاف الى ذلك لقبا آخر هو « ديونوسوس الجديد » . ويمكننا أن نستخلص من استقراء الحوادث ، أنه منذ أيام بطلميوس الثالث كان الملك يتخذ لقبا الهيا أساسيا نتيجة لتأليهه عقب ارتقائه العرش ، لكنه منذ أيام بطلميوس الخامس كان يضاف أحيانا الى هذا اللقب لقب آخر ، وذلك فيما يبدو نتيجة لحوادث معينة .

ويعزو بعض المؤرخين الألقاب الاضافية الى الرغبة فى تفادى الخلط بين الملوك ، عندما درج البطالمة الأواخر على أن يتخذوا لأنفسهم ألقابا الهية كان أسلافهم قد حملوها من قبل . لكننا لا نرى هذا الرأى ، لأن بطلميوس الثامن ، وكان أول من حمل لقبا الهيا سبقه اليه بطلميوس آخر هو بطلميوس الثالث ، لم يكن له سوى لقب الهى واحد هو يورجتيس ، وفضلا عن ذلك فان بطلميوس العاشر حمل نفس اللقبين الالهين « فيلوميتور سوتير » اللذين حملهما بطلميوس التاسع . ويضاف الى ذلك أن هذا الرأى لا يفسر لنا لماذا حمل بطلميوس الخامس لقبين الهيين هما ابيفانيس ويوخاريستوس ، إذ أنه لم يحمل أى بطلميوس قبله أى لقب من هذين اللقبين . لقد كانت هناك وسيلة أخرى لتفادى هذا

(1) Bouchhé-Leclercq, III pp. 79—80.

الخلط وهى ترقيم البطالمة ، لكنه لم يلجأ الى هذه الوسيلة سوى بعض المؤرخين القدماء (١) .

القاب السخرية :

وأما ألقاب السخرية التى كثيرا ما عرف بها الملوك فيما كتبه المؤرخون القدماء بدلا من ألقابهم الرسمية ، فلا شك فى أنها خلعت على الملوك ابان حكمهم ، ولا فى أنها أكثر ألقابهم مطابقة للحقيقة باعتبارها تمثل شخصيتهم فى نظر الرأى العام . ويكفى أن نثبت هنا بعض هذه الألقاب ، فقد أطلق مثلا على بطلميوس الثالث وعلى بطلميوس الرابع « الخليع ، Tryphon » وعلى بطلميوس الثامن « البطين ، Physkon » و « الشرير ، Kakergetes » و « الخليع » ، وعلى بطلميوس التاسع « حمص ، Lathyros » ، وعلى بطلميوس الثانى عشر « الزمار ، Auletes » (١) . وأما ألقاب التشريف التى كانت تضاف الى ألقابهم الرسمية فى عبارات الاهداء وبعض الوثائق الأخرى ، فقد أغفل ذكرها المؤرخون لأنها وليدة المداهنة (٢) .

القاب زوجة الملك :

وكانت زوجة الملك تحمل لقب « الملكة » وتشارك عادة زوجها فى لقبه الالهى » لكن لقب « الملكة » كان يمنح كذلك لأميرة لم ترتق

---

(١) بطلميوس الأول (Callix., ap. Athen. V. 203 d)
بطلميوس الثانى (Josph., A. Jud., I, 3 ; Ptol. ap. Athen. II, 576 e)
بطلميوس الثالث (Euphant. ap. Athen. VI, 251 d ; Strab., XVII, 796 ; Joseph., C. Apion, II, 5).
بطلميوس الرابع (Clem. Alex., Protrept. IV, 54)
بطلميوس السادس (Suidas, s. v. Heracleides)
بطلميوس الثامن (Posidon. ap. Athen. VI, 252e ; XII, 549 d ; Strab., XVII, 796)
وبطلميوس أوليتيس . (Strab., Ibid.)
ولم يتعد پورفوريوس فى ترقيم البطالمة بطلميوس الخامس ايپفانيس . (F. H. G. III, p. 719 ; Euseb. p. 160 Schoene)

(٢) راجع الجدول المثبت فى ص ٨٢ ، ٨٣ من كتاب بوشيه لكلرك جـ ٣ .
(2) (Bouché-Leclercq, III, p. 81.

العرش ، مثل فيلوتيرا شقيقة بطلميوس الثانى ، وبرنيقى ابنة بطلميوس الثالث . وفى أواخر عصر البطالمة ، كان أبناء الملك يدعون آلهة ويمنحون ألقاب أبويهما المقدسة (١) . ففى وثيقة بتاريخ ٣١ من مايو عام ٥٢ نجد ذكر الملك بطلميوس الاله ديونوسوس الجديد وأبنائه الآلهة الصغيرة فيلادلفوى (٢) . وكما كان يحدث أيام الفراعنة ، كان يطلق كذلك على ملكات البطالمة ، منذ زواج بطلميوس الثانى من أخته أرسينوى ، لقب « الأخت » ، حتى عندما لم تكن الملكة أخت الملك ، ومثل ذلك برنيقى الثانية زوج بطلميوس الثالث ، وبرنيقى الثالثة زوج بطلميوس العاشر ، اذ أن هاتين السيدتين لم تكونا ، على نحو ما مر بنا ، أختى هذين الملكين .

---

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 70.

(2) Botti, B. S. A. A., IV, 1902, no. LXIII. p. 96 ; Strack, Archiv, 4, 1903, no. 40, p. 558 ; Bouché-Leclercq, II, p. 164, fn. 1.

٢ ــ وراثة العرش

وللوراثة بوجه عام قواعد تنظم انتقال الميراث الى الورثة المباشرين ، وتعين حالات حرمان هؤلاء الورثة ارثهم ، ووسائل انتقال حق الميراث الى الورثة غير المباشرين . وهذه القواعد فى كل البلاد جزء أساسى من القانون الخاص ، ولا يمكن الاستغناء عنها بوجه خاص لتنظيم وراثة العرش ، ولاسيما أن هذا الارث لا يقبل التقسيم كأى ارث آخر .

وعندما ارتقى البطالمة عرش الفراعنة ، وجدوا للوراثة فى مصر قانونا تقليديا . ولاشك فى أنهم كانوا يلمون جيدا بتقاليد بلادهم ، فهل قبلوا التقاليد المصرية كافة ، أم بقــوا على ولائهم لكل التقاليد الاغريقيــة والمقدونية ، أم أنهم اختاروا من التقاليد المصرية والتقاليد الاغريقيــة والمقدونية ماراق لهم ؟ انه لم يصل الينا أى نص قانونى عن الوراثة فى الأسر المالكة ، سواء فى مصر أم فى بلاد الاغريق أم فى مقدونيا ، وتبعا لذلك فانه لا مفر من أن نستخلص قانون الوراثة من مجرى التــاريخ برغم ما يكتنفه من الغموض والابهام .

الوراثة عند المصريين :

ويرى كثيرون من علماء الدراسات المصرية القديمة أن أهم ظاهرة فى القانون العام وفى القانون الخاص عند المصريين ، هى حق المرأة فى الميراث على قدم المساواة مع الرجل ، ولذلك فانه كان يحق لابنة الملك أن ترث العرش مثل أخيها ، ولهذا السبب كان الفراعنة يتزوجون من أخواتهم محافظة على وحدة الملك . لكن بوشيه لكلارك لا يأخذ بهذا الرأى لسببين : وأحدهما هو أن الحالات التى حملت فيها التاج أو تولت الوصاية سيدة مصرية حالات قليلة ومتباعدة[1] ، وقد تكون من قبيل الاستثناء الذى

---

(١) راجــع بوشيه لكلرك جـ ٣ ص ص ٨٦ ــ ٨٨ . والامثــلة التى يذكرها هذا الباحث لسيدات حملن التاج أو تولين الوصاية هى : نيتوقريس وتفرتارى وحتشپســوت وامنريتيس . لكنه يظن اليوم انه لم يحمل اللقب ــ

يثبت القاعدة • والسبب الآخر هو أنه يمكن تفسير زواج الأخوة من أخواتهم تفسيرا آخر ، وهو الرغبة فى الاحتفاظ بالدم الملكى نقيا خالصا (١) •

ولاجدال فى أنه وفقا للقانون الخاص عند المصريين كان للمرأة الحق فى الميراث على قدم المساواة مع الرجل (٢) ، لكنه يبدو أنه كان لوراثة العرش وضع خاص وأن المرأة كانت تلعب فيها دورا هاما ، فقد كان يشترط فى ولى العهد أن يسرى فى عروقه دم ملكى من ناحية الأم بوجه خاص ، اذ أن المصريين كانوا يعتقدون أن الملكة المنحدرة من سلالة ملكية أقدر من الملك على نقل حق وراثة العرش • ويبدو أن مرد ذلك الى أنها لم تكن فقط قادرة على صيانة الدم الملكى نقيا ، بل أنها كانت أيضا تنقل من فرعون الى آخر الصفة الالهية التى كانت تعزى الى الفراعنة منذ أقدم العصور ، اذ أن المصريين كانوا يعتقدون أن هذه الصفة تنتقل عن طريق النساء لا عن طريق الرجال (٣) • وازاء ذلك اذا تزوج ملك سيدة لم تكن من سلالة ملكية ، فانه لم يكن لأبنائه منها حق شرعى فى العرش الا اذا تزوج أحد هؤلاء الأبناء أميرة من سلالة ملكية • وخير مثل لذلك أنه عندما مات أمنحتب الاول دون أن يترك من بعده أبنا ليخلفه على العرش كانت ابنته أحمس هى صاحبة الحق فى وراثة الملك فتزوجها أمير من أمراء البيت المالك يدعى تحتمس الأول ومن ثم فانه أصبح

= مثل الرجل سوى نيتوقريس فى نهاية الاسرة السادسة وسبك رع فى نهاية الأسرة الثانية عشرة وحتشپسوت . اما اللائى تولين الوصاية فكن خنت كاوس على ابنها ساحورع فى الأسرة الخامسة ، وام پيپى الثانى التى تولت الوصاية فى عهد الأسرة السادسة ، واحمس نفرتارى التى تولت الوصاية علي ابنها امنحتپ الأول . اما شهيرات النساء مثل اياح حتپ ، تى ، نفرتيتى ، نفرتارى زوجة رمسيس الثانى ، وكثيرات غيرهن فلم يكن سوى زوجات ملكيات أو امهات ملكيات .

(1) Bouché-Leclercq, III, pp. 28—9.

(2) Cf. Pirenne, Hist. des Inst. et du Droit privé de L'anc. Eg., II p. 52, fn. 3.

(3) Drioton et Vendier, Les peuples de l'orient medit., II, L'Egypte, 1952, p. 453.

له الحق فى ولاية العرش (١) . ونعرف أن تحتمس الأول تزوج عددا من السيدات لم تكن من بينهن سيدة من سلالة ملكية الا أحمس وأنجب من زوجاته الأخريات أبناء ذكورا كان أكبرهم قبل وفاته تحتمس الثانى فى حين أنه لم ينجب ذكورا من الملكة أحمس وان أنجبت له حتشبسوت . وفى أواخر أيام تحتمس الأول زوّج تحتمس الثانى الى حتشبسوت حتى يضمن له العرش (٢) .

ويمكننا أن نستخلص مما أسلفناه أنه كان لا يحق للبنت وراثة العرش الا اذا مات أبوها دون أن يترك ذرية من الأولاد الذكور ، أو مات عن ذرية لم تتوافر العناصر الأساسية للحق الشرعى فى وراثة العرش لأحد من أفراد هذه الذرية الا للبنت . غير أنه لما كان المصريون يكرهون أن يروا امرأة تتولى الملك ، فانه كان يتعين عليها أن تتزوج ، وكان العرش لا يؤول اليها وانما الى زوجها ، حتى ولو لم يكن من الأسرة المالكة ، لكنه يبدو أنها فى بعض الحالات كانت تعتبر شريكة لزوجها فى الملك بدليل أنها كانت تحمل مثله لقب ملك الوجهين .

وازاء هذه الاعتبارات جميعا يصعب انكار حق المرأة فى وراثة العرش وان كان فى الوقت نفسه يصعب التسليم بأنها كانت أحق بالعرش من اخوتها الذكور أو حتى بأنها كانت ترث العرش على قدم المساواة معهم ، اذ أنه وفقا للتقاليد المصرية وطبيعة المرأة ذاتها كان يتعذر عليها النهوض بأعباء الملك الرئيسية مثل عبادة الآلهة الكبرى وقيادة الجيوش وتصريف العدالة (٣) .

ووسط هذه الظروف كان من اليسير أن تنجم مشاكل خطيرة حول ارتقاء العرش . ويبدو أنه لتفادى ذلك درج الفراعنة منذ عهد الأسرة

---

(١) احمد فخرى : مصر الفرعونية ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٢) احمد فخرى ، ص ٢٢٨ ؛ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم جـ ١ ص ٤٩ .

(3) Cf. Moret, The Nile and Eg. Civilisation, pp. 306 ff.

الثانية عشرة على اشراك ولى العهد فى الملك مع أبيه . وقد حدث ذلك أيضا فى حالات كثيرة فى عصر الدولة الحديثة (١) .

ويذهب بوشيه لكلرك الى أنه كان لا يرتقى العرش الا أكبر أبناء فرعون الذين ولدوا ابان تربعه على العرش (٢) ، لكن الشواهد التاريخية لا تؤيد هذا الرأى . ويبدو أن نقاء الدم كان العنصر الأساسى للحق الشرعى ، ولكى يصونه الفراعنة لخلفائهم دأبوا على اتخاذ احدى أخواتهم الشقيقات أو غير الشقيقات زوجة عظمى أو ملكة ، وكان الابن البكر المولود من هذا الزواج يعتبر وارثا منتظرا يرتقى العرش عند موت والده . غير أن الدم الالهى وحق الابن البكر وان كانا الشرطين الأساسيين فانهما لم يكونا كافيين لارتقاء العرش ، بل كان يتعين أن يهبه اله الشمس «وظيفته» بطريق التنصيب المقدس وأن يجعل من «ابنه» خلفا له . وفى هذا الاحتفال كان الاله يضع التاج المزدوج على رأس الملك ، ويربط حورس وتحوت النباتين الرمزيين للوجهين القبلى والبحرى تحت عرشه وتكتب الالهة سشات اسمه على ورق الشجرة المقدسة (٣) .

الوراثة عند الأغريق :

وأما عند الاغريق ، فان المرأة كانت تعتبر دائما قاصرا وتحرم الميراث لصلحة اخوانها ، وكانوا يقتسمونه فيما بينهم بالتساوى . وكانت المرأة لا ترث الا اذا كانت الوحيدة (epikleros) ، وفى هذه الحالة كان يحتم عليها أن تتزوج من أقرب أقاربها لكى تحتفظ بالارث فى الأسرة (٤) . فما أقرب وجه الشبه بين الظروف التى كان يحق فيها للمرأة الاغريقية الحصول على الارث العادى والظروف التى كان يحق فيها للمرأة المصرية وراثة العرش . وعند الاغريق ، لمن كان يؤول الملك ؟ لم توجد ملكية فى بلاد الاغريق فى العصور التاريخية الا فى اسبرطة ، حيث كانت تحرم النساء ارتقاء العرش ، ويتولى الملك الابن الأكبر الذى ولد ابان تربع

---

(1) Frankfort, Kingship and the Gods, 1948, p. 101.

(2) Bouché-Lecl., III, pp. 91—2.

(3) Drioton et Veadier, pp. 89—90.
(الترجمة العربية : عباس بيومى ، ص ٩٢)

(4) Bouché-Leclercq, III, p. 98.

أبيه على العرش (١) . فهذا على الأقل هو المبدأ القانونى الذى عرضه دماراتوس (Demaratos) على دارا لكى يقنعه بأن يجعل اجزير كسيس خليفته ، اذ أنه قال له : « فى اسپرطة أيضا ، اذا كان يوجد أبناء ولدوا قبل ارتقاء أبيهم العرش ثم أنجب هذا الأب ابنا عندما أصبح ملكا ، فان هذا الابن هو الذى كان يخلف أباه » (٢) .

وفى مقدونيا ، كانت الملكية وراثية الا فى حالة النزاع على ارتقاء العرش ، فان الجيش هو الذى كان يفصل عندئذ بين المتنازعين (٣) . وكان التاج المقدونى يؤول عادة الى أكبر الأبناء على الاطلاق (٤) .

قواعد الوراثة عند البطالمة :

فماذا فعل البطالمة؟ يرى بعض المؤرخين أنه لما كان البطالمة قد أخذوا عن الفراعنة حق الملوك الالهى وعادة زواج الأخ من أخته ، فانهم لم يستحدثوا شيئا فى قانون الوراثة المصرى (٥) . وأما البعض الآخر فيرى أن البطالمة لم يرعوا الا قانون الوراثة العادى عند الاغريق ، فكان العرش ينتقل الى أكبر الأبناء الذكور على الاطلاق ، وكانت البنات لا يرثن العرش الا عند عدم وجود وارث شرعى ، وفى هذه الحالة كن يتزوجن من أقرب أقاربهن ، وكان الأبناء غير الشرعيين يحرمون الارث (٦) . واذا اختلف هذان الرأيان فى ظاهر الأمر فانه يتضح مما أسلفناه أنهما متفقان فى الجوهر . وعلى كل حال فانه يجدر بنا أن نستعرض الحوادث قبل أن ندلى برأى فى هذا الموضوع .

ان القانون الخاص عند الاغريق كان يقسم الارث بالتساوى بين الأبناء الذكور ، ولم يجعل لأحدهم أفضلية على أحد ، غير أن العرش كان لا يمكن تقسيمه بل كان يجب أن يؤول الى أحدهم . وقد أكمل قانون اسپرطة هذا النقص ، فجعل الملكية من نصيب الابن الأكبر الذى

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 90.
(2) Herod., VII, 3.
(3) C. A. H, VII, p. 9.
(4) Tarn, Hell. Civ., p, 44.
(5) Cf. Bouché-Leclercq, III, p. 88.
(6) Cf. Bouché-Leclercq, III, p. 93 ; Jouguet. Mac. Imp., p. 208.

يولد ابان تربع أبيه على العرش . بيد أن هذا كان يخالف ما جرى به العرف فى مقدونيا . ومن البديهى أنه لم يكن فى وسع البطالمة تجاهل ذلك ، ولا سيما أن جيش البطالمة ، وكان يعتز بأنه مقدونى ، قد احتفظ بالتقليد المقدونى ، وكان يعطيه حق المناداة بالملك الجديد . واذا تصفحنا تاريخ البطالمة فاننا نلاحظ أولا أنه ، باستثناء حالة بطلميوس قراونوس (الصاعقة) ، كان أكبر أبناء الملك هو الذى يخلف أباه على العرش . ولكن هل سبب حرمان قراونوس يرجع الى أنه ولد قبل ارتقاء أبيه العرش أم لأن أباه لم ير أنه صالح لتولى الملك ؟ يبين من القرائن أن الاحتمال الثانى هو الأدنى الى الحقيقة .

وفى سائر الممالك الأخرى كان أولياء العهد يتزوجون بمجرد بلوغهم سن الرشد ، لكن ذلك كان مخالفا لتقاليد البطالمة ، فقد جرت العادة بألا يتزوج أولياء العهد فى دولة البطالمة قبل ارتقائهم العرش ، أو على الأقل قبل اشراكهم فى الملك . ولذلك فان بطلميوس الثانى والثالث والرابع لم يتزوجوا قبل اشراكهم فى الملك أو ارتقائهم العرش ، ولما كان خلفاؤهم قد ارتقوا العرش فى حداثتهم ، فانهم بطبيعة الحال لم يتزوجوا قبل أن يصبحوا ملوكا . ولا يجوز الاعتراض على ذلك بأن بطلميوس الأول لم يحترم هذا التقليد اذ أنه تزوج بل أنجب خليفته بطلميوس الثانى قبل أن يتخذ لقب ملك ، وذلك لأن بطلميوس الوالى كان فى الواقع ملكا غير متوج فى مصر ولم ينقصه سوى اللقب ، وكان يعتبر مصر ملكه الخاص منذ انتصاره على برديقاس . ولعل هذا المبدأ يفسر لنا لماذا اكتفى ميثر يداتيس بأن يخطب ابنتيه الى الأميرين البطلميين اللذين كانا عنده وأرجأ اتمام الزواج الى أن يرتقى أحدهما العرش (١) .

وكيف نفسر التزام البطالمة بهذا التقليد ؟ لعل خير تفسير لذلك هو رغبة البطالمة فى الجمع بين التقليد المقدونى الذى كان يقضى بأن يتولى العرش أكبر الأبناء على الاطلاق ، والتقليد الاسبرطى الذى كان يشترط أن يكون مولد ولى العهد بعد ارتقاء أبيه العرش .

---

(1) Cf. Mahaffy, Rev. Laws, p. XXVI.

ونلاحظ ثانيا أنه لم يكن للمرأة حق وراثة العرش ، الا فى الحالات التى تشابه ما نص عليه القانون الخاص الاغريقى • ولا أدل على ذلك من أن كثيرات من أميرات البطالمة تزوجن ملوكا من السلوقيين ، ولم نسمع بأن احداهن نقلت الى زوجها حق اعتلاء عرش مصر ، أو حق امتلاك جزء من ممتلكات مصر ولو كانت الأميرة كبرى بنات الملك البطلمى ، مثل كليوپترة ثيا ابنة بطلميوس السادس وهى التى تزوجت على التتابع اسكندر بالاس وديمتريوس الثانى وأنطيوخوس السابع • وعندما نشبت الحرب فى عام ١٣١ بين كليوپترة الثانية من ناحية وبطلميوس الثامن وكليوپترة الثالثة من ناحية أخرى : وانفردت كليوپترة الثانية بالملك عامين ؛ اتخذت لنفسها خلالهما سنى حكم خاصة بها ، وهو ماحدث كذلك عندما فر بطلميوس الزمار من الاسكندرية فى عام ٥٨ وتولت الحكم ابنته برنيقى الرابعة مع كليوپترة تروفاينا لمدة عام ثم بمفردها حوالى عامين • ولاشك فى أن هاتين الحالتين كانتا وليدة ظروف طارئة وخروجا على العرف والتقاليد وانتهتا سريعا بعودة كل من بطلميوس الثامن والزمار الى عرشه •

وعندما توفى بطلميوس التاسع فيلوميتور سوتير ولم يكن له وارث شرعى فى مصر سوى ابنته برنيقى الثالثة ، بل لم يوجد فى مصر عندئذ أى أمير من سلالة البطالمة الشرعية ، آل الملك الى برنيقى بمفردها • ولم يعترض الاسكندريون على ذلك ؛ لأنهم كانوا يحبونها حبا جما ، ويخشون تجدد الخلافات الأسرية ، اذا أثاروا مشكلة حق امرأة فى التربع على العرش بمفردها دون أن يكون لها زوج أو وارث ، فآثروا الهدوء والسكينة على مراعاة التقاليد مراعاة دقيقة • وتبعا لذلك فان برنيقى الثالثة حكمت بمفردها بضعة شهور الى أن أرسل صلا من روما بطلميوس الحادى عشر ابن بطلميوس العاشر مزودا بأمر منه باقامته على العرش • وعندما نودى بهذا الشاب ملكا تزوج ابنة عمه برنيقى ، وبذلك روعيت التقاليد فضلا عن أحكام القانون الخاص الاغريقى وهى التى كانت تقضى بزواج الوارثة الوحيدة من أقرب أقاربها حفاظا على الارث فى الأسرة •

ولم تتول الملك كليوبترة السابعة ابنة بطلميوس الثانى عشر ، الا باعتبارها زوجة أولا لأخيها بطلميوس الثالث عشر ثم لبطلميوس الرابع عشر . وعندما توفى أخواها ، أشركت معها ابنها قيصرون وهو الذى أعلنت أنها أنجبته من الاله آمون رع (١) .

ونلاحظ أخيرا أنه لم يكن للأبناء غير الشرعيين حق فى وراثة العرش(٢) فقد مر بنا فى معرض الكلام عن السياسة الخارجية أن بطلميوس الثامن أوصى بقورينايئة لابنه غير الشرعى بطلميوس ابيون ، لكنه لما كانت نقود قورينايئة منذ عام ١١٦ حتى عام ١٠٧ تحمل اسم بطلميوس التاسع فيلوميتور سوتير ، فان هذا يدل على أمرين ، وأحدهما هو امتداد سلطان هذا الملك على قورينايئة ، والأمر الآخر هو عدم احترام الوصية طالما لم يتوافر لدى أبيون القوة اللازمة ولا الفرصة المناسبة لتأييد حقه وفقا لهذه الوصية . ولم يتسن لأبيون أن يقيم نفسه ملكا على قورينايئة الا عندما انفجر الصراع فى أسرة البطالمة وطرد بطلميوس التاسع من مصر فى عام ١٠٧ . ولكى يضمن أبيون الفوز بتأييد روما ، وتبعا لذلك عدم تصدى ملك مصر الجديد له ، اقتفى أثر أبيه فى عام ١٥٥ ووأصى بمملكته لروما من بعده .

ويمكننا اذن أن نلخص القواعد الأساسية فى قانون وراثة العرش عند البطالمة فيما يلى :

١ — كان يرث العرش أكبر الأبناء الذكور على الاطلاق ، مع الالتزام بمبدأ عدم زواج أولياء العهد قبل ارتقائهم العرش أو قبل اشراكهم فى الملك .

٢ — لم يكن للنساء حق وراثة العرش مادام يوجد وارث شرعى ذكر ، وأما اذا لم يوجد هذا الوارث الشرعى ، فانهن كن يرثن العرش بشرط أن يتزوجن أقرب أقاربهن .

---

(1) Cf. Bouché-Leclercq, III, pp. 89. 89—90.

(٢) سبق أن اوضحنا فى سياق الحديث عن السياسة الخارجية (الجزء الاول ، ص ٢٦١) القرائن التى ترجح ان بطلميوس الثانى عشر واخاه بطلميوس ملك قبرص كانا ابنين شرعيين لبطلميوس التاسع فيلوميتور سوتير .

٣ — لم يكن للأبناء غير الشرعيين حق وراثة العرش .

انَّ أثر القانون الخاص الاغريقي واضح في قانون وراثة العرش عند البطالمة ، وكذلك أثر التقاليد المقدونية والاسبرطية . ولا نرى في القانون البطلمي ما ينافي العرف الذي جرى عليه الفراعنة .

٣ — ارتقاء العرش والاشراك في الملك

ولم يصل الى علمنا شيء على الاطلاق عن مراسم ارتقاء الملوك العرش في اسبرطة أو مقدونيا أو الممالك الهلينيستية ، اذ أن المؤرخين القدماء الذين أفاضوا في وصف جنائز ملوك اسبرطة لم يدر بخلدهم أن يصفوا لنا مراسم ارتقائهم العرش ومباشرتهم سلطة الحكم . غير أننا قد لا نعدو الحقيقة ، اذا افترضنا أن تلك المراسم كانت عبارة عن تقديم الملك القرابين للآلهة القومية ، وتعبير الشعب عن ولائه للملك .

وأما فيما يتعلق بالبطالمة فانه يجب أن نفرق بينهم بوصفهم فراعنة ، وهو ماكانوا يتظاهرون به أمام المصريين ، وبينهم بوصفهم ملوكا اغريقا ، وهو ما كانوا يظهرون به أمام الاغريق . وقد كان الملك يؤكد سلطانه وقدسيته أمام المصريين بأداء مهامه الكهنوتية ، وبرسامته في معبد فتاح بمنف أمام ممثلي المعابد المختلفة . وتحدثنا المصادر القديمة عن حفلات في الاسكندرية تدعى أناقليتيريا (Anakleteria) وپروتوقليسيا (Protoklesia) كان لها من الأهمية بحيث أنه كان يدعى اليها مبعوثون من الدول الأجنبية . واذا كان لا سبيل الى الشك في أن الأناقليتيريا كان حفل اعلان بلوغ الملك سن الرشد (١) ، فاننا لا نعرف على وجه التحقيق ماذا كان حفل الپروتوقليسيا . ذلك أن كل ما نعرفه هو أن الكتاب الثاني من تاريخ المكابيين يحدثنا بأن أنطيوخوس الرابع أرسل الى مصر بمناسبة پروتوقليسيا بطلميوس السادس مبعوثا يدعى أپولونيوس (٢) . ويجب أن نستبعد أولا ما يقترحه بعض المحدثين من أن هذا الحفل كان حفل

(1) Polyb. XXIII, 55, 3—4 ; XXVIII, 12, 8—9.
(2) II Macc., 4, 21.

زواج بطلميوس السادس ، اذ أن كلمة بروتوقليسيا لا تمت الى الزواج بصلة عن قرب أو بعد . ولنر الآن هل كان هذا الحفل هو حفل ارتقائه العرش ؟ أم هو حفل اعلان بلوغه سن الرشد ؟ أم هو الحفل رسامته فرعونا ، الذى لابد من أنه قد أعقب ذلك ، جريا على التقليد الذى وضعه بطلميوس الخامس ؟ ولما كانت صبغة حفل رسامة الملك فرعونا مصرية بحتا وينتفى معها حضور ممثلين من الدول الاغريقية ، فاننا نستبعد أن أبولونيوس قد مثل أنطيوخوس فى حفل رسامة بطلميوس السادس فرعونا . ولما كان بطلميوس السادس قد ارتقى العرش قبل حفل البروتوقليسيا ، وكان هناك وجه للشبه بين معنى أناقليتيريا وبروتوقليسيا (١) : فلابد من أن هذا الحفل كان حفل بلوغه سن الرشد أى أن كلمتى بروتوقليسيا وأناقليتيريا كانتا مترادفتين (٢) . لكن أحد المؤرخين يرى أنه لم يوجد فى عهد البطالمة سوى حفل واحد لاثبات مباشرة الملك سلطته ، وهو حفل رسامته فرعونا (٣) . غير أننا لانستطيع قبول هذا الرأى ، لأن هذا الحفل كان مصريا بحتا ، كما مر بنا ، ولأنه كان للبطالمة صفتان كما ذكرنا ، احداهما باعتبارهم فراعنة والأخرى باعتبارهم ملوكا اغريقا . واذا كانت رسامتهم فراعنة تثبت للمصريين توليهم سلطة الملك ، فلابد من أنه كان يوجد حفل آخر ليثبتوا أمام الأغريق مباشرتهم السلطة الشرعية . وفضلا عن ذلك فان البطالمة الأوائل لم يرسموا فراعنة ، فهل لم يحتفلوا اذن بمباشرتهم سلطتهم ؟ يبدو جليا مما أوردناه عند الكلام عن البطالمة واتخاذهم صفة الفراعنة أن حفل رسامتهم فراعنة كان يأتى دائما عقب ارتقائهم العرش ، أى بعد الاحتفال فى الاسكندرية بتوليهم سلطتهم الملكية أمام الاغريق ، ولعل هذا الحفل الاسكندرى كان عبارة عن تقدم الملك الى « جمعية الجيش » لتبايعه بالملك وفقا للعرف المتبع فى مقدونيا . فقد ورد فى المصادر القديمة ذكر هذه الجمعية المقدونية التى وجدت فى بعض الممالك الهلينيسية وبخاصة فى مصر . وقد

---

(1) Swain, Class. Philol., 39, 1944, p. 80 ; Cf. Otto, Zur Gesch. 6 Ptol., pp. 15 ff.

(2) Bouché-Leclercq, II, p. 5.

(3) Breccia, Diritto Dinastico, p. 70.

كانت هذه الجمعية فى الأصل مصدر السلطات بوصفها الشعب المقدونى منتظما فى صفوف فرقة الحربية (١) . ولعله حين فقدت هذه الجمعيـــة أهميتها أصبح الملك يتقدم الى ضباط القصر وجنوده ليبايعوه بالملك .

ولننتقل الآن الى دراسة نقطة أخرى ، وهى اشراك وارث العرش مع أبيه فى الملك . وقد لوحظ أنه فى الأسر الناشئة التى لم يوطد مرور الزمن دعائمها ، وفى البلاد التى يسمح فيها بتعدد الزوجات ، وفى الممالك التى يؤول الملك فيها الى أكبر الأبناء الذين يولدون بعد تربع أبيهم على العرش، يكتنف انتقال الملك من فرد الى آخر بسبب الوفاة منافسات خطيرة . والوسيلة المثلى لاتقاء هذا الخطر ، هى أن يجعل الملك خليفته فى مركز يسمح له بالتغلب على أى منافس له باشراكه معه فى السلطان ، وهكذا يضمن له منذ ذلك الوقت طاعة رعاياه واحترامهم . ولم يجهل الفراعنة هذه الوسيلة ، فقد سلف القول أنه فى عهد الدولتين الوسطى والحديثة كان ولى العهد يشرك مع أبيه فى الملك . واذا كانت الأمثلة المعروفة من عهد الفراعنة لا تسمح لنا بالجزم بأن كل الفراعنة درجوا على هذه العادة ، فانها تكفى لترينا أن هذه الوسيلة استخدمت فى أحيان كثيرة ، ولا سيما أنه وجد ما يبررها فيما فعله الآلهة قديما ، اذ أن والد أوزيريس هو الذى توجه وعلمه فنون الملك (٢) .

ولقد كان لاشراك ولى العهد مع أبيه فى الحكم ميزة أخرى ، الى جانب ضمان فوز ولى العهد بالملك . ذلك أن مهمة الملك دقيقة ، وتتطلب مرانا طويلا عليها قبل الانفراد بالاضطلاع بأعبائها . ولذلك فان البطالمة الأوائل حرصوا على اعطاء أبنائهم ثقافة اغريقية ممتازة تكسبهم اعجاب العالم الاغريقى ، كما حرصوا أيضا على أن يكسبوا ورثتهم المعرفة التى حصلوا عليها من تجاربهم العملية . وكان ذلك لا يحدث بالتعليم النظرى، وانما بالمران العملى على ادارة دفة الملك باشراك ولى العهد مع أبيه .

(1) Friedrich Granier, Die Maledon Heeres—Versammlung, in Munch. Beit. Pap., XIII, Munich, 1918 ; Bickermann, Institutions des Seleucides, pp. 7—9 ; Aymard, Rev. Et. Anc., XL, 1937, p. 362.

(2) Bouché-Leclercq, III, pp. 95—96.

وقد كان من أهم ما هدفت اليه الرسائل الكثيرة التي كتبت عندئذ حول الملكية ، تلقين الملوك وأبنائهم فلسفة الملكية والأساس المعنوى الذى كانت تقوم عليه . وكانت هذه الرسائل من وضع الفلاسفة ، والفلاسفة بطبيعتهم لا يعنون بالحياة العملية ، فى حين أنه كان يتعين على الملوك وورثتهم أن يكونوا عمليين وألا يعتمدوا على النظريات وحدها (١) . ومما يجدر بالملاحظة أن ضمان الملك للوارث الذى اختاره الملك الحاكم ليخلفه باشراكه معه فى الملك لم يؤد الى وضع هذا الوارث على قدم المساواة مع أبيه ، ولا الى استعمال نظامين للتأريخ ، أحدهما للأب والآخر للابن فى أثناء اشتراكهما فى الملك (٢) ، وان كان أولئك الأبناء درجوا بعد ارتقائهم العرش على اعتبار بداية عهدهم منذ تاريخ اشراكهم مع آبائهم فى الحكم على نحو ما من بنا .

وسواء لدينا أكان بطلميوس الأول قد اقتبس فكرة اشراك خليفته فى الملك من تقاليد مصر القديمة أم أملاها عليه بعد نظره وفطنته ، فانه أشرك معه فى الملك ابنه الصغير بطلميوس الثانى . ولكى لا يدع أية فرصة لابنه الأكبر قراونوس ، فانه أعطى كل سلطته لابنه الصغير الى حد أن المؤرخين اعتبروا ذلك نزولا عن العرش . وترينا الوثائق أن بطلميوس الثانى أشرك « ابنه » معه فى الملك منذ العام التاسع عشر من حكمه (٣) (عام ٢٦٧/٢٦٦) ، لكن اسم هذا الشريك قد اختفى من الوثائق بعد العام السابع والعشرين من حكم بطلميوس الثانى (٢٥٩/٢٥٨ (٤) . وقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع ووجدنا أن هذا « الابن » الذى أشركه بطلميوس الثانى معه فى خلال تلك المدة كان ابن أرسينوى الثانية من لوسيماخوس . وقد سبق أن ذكرنا كذلك أن بطلميوس الثانى أشرك معه فى أواخر حياته ابنه من أرسينوى الأولى ، منذ نوفمبر سنة ٢٤٧ حتى يناير سنة ٢٤٦ (٥) .

---

(1) Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 1077—8.
(2) Bouché-Leclercq, III, p.96.
(3) Pap. de Louvre Demot. 2424, 2433, 2453, etc. ; Rev. Eg. I, pp. 2 Petr. P. II, 26 ; SB. 6709 ; Zen. P. 3 Annales, 1919, p. 165.
(4) Grenfell and Mahaffy, Revenue Laws, Col. I, and Col. 24.
(5) Bouché-Leclercq, I, p. 213, fn. 3 ; Ernst Meyer, Untersuch. Chron. ersten Ptol., p. 33 ; Bevan, pp. 66, 77, 386.
راجع الجزء الأول، ص ص ١١٦ — ١١٩ .

ولا نستطيع الجزم بأن بطلميوس الثالث أشرك معه فى الملك خليفته بطلميوس الرابع، الا أنه من المحتمل أن يكون قد اتخذ هذه الحيطة (١) • ولما كانت لدينا من عهد بطلميوس الرابع وثيقة ديموتيقية مؤرخة بالعام الخامس عشر (٢٠٨/٢٠٧) من عهد هذا الملك و « ابنه بطلميوس (٢) » ، فان هذا يدل على أن بطلميوس الرابع أيضا لجأ الى اشراك ابنه الصغير معه جريا على العرف المتبع منذ عهد بطلميوس الأول •

وقد أشرك بطلميوس السادس فيلوميتور معه فى الملك أولا ابنه يوپاتور منذ عام ١٥٣/١٥٢ ، وبعد ذلك ابنه نيوس فيلوپاتوز • ونعرف أن بطلميوس الثانى عشر ، بعد أن استرد عرشه فى عام ٥٥ ، أشرك معه ابنيه اللذين خلفاه على العرش ، كليوپترة السابعة وبطلميوس الثالث عشر • وكذلك أشركت كليوپترة السابعة معها فى الملك ابنها قيصرون •

ويتسم عهد بطلميوس السادس فيلومیتور بأربع ظواهر : الأولى ، هى تولى أم الملك الوصاية عليه والاعتراف بها شريكة له • والثانية ، هى ذكر الزوجة مع الملك الحاكم فى الصيغة الرسمية لتأريخ الوثائق • والثالثة ، هى اشتراك أكثر من ملك واحد فى الحكم على قدم المساواة • والرابعة ، هى تقسيم الدولة قسمين مستقلين أحدهما عن الآخر • واذا كانت هذه الظواهر جميعا وليدة مقتضيات الظروف وخارجة عن نطاق العرف والقانون، وكانت الظاهرتان الأولى والثالثة قد زالتا بزوال تلك الظروف ، فان الظاهرة الثالثة تكررت فى عهود بطلميوس الثامن والتاسع والعاشر بسبب المنازعات الأسرية وكذلك بسبب قوة مراس كليوپترة الثالثة • وأما الظاهرة الثانية فانها أصبحت تقليدا ثابتا منذ ذلك الوقت •

ووصاية كليوپترة الأولى على ابنها الصغير بطلميوس السادس فيلوميتور كانت أمرا من اليسير تبريره فى نظر الاغريق والمصريين على السواء ، وذلك لعدم وجود وصى ذكر من الأسرة الحاكمة • وبما أن كليوپترة الأولى هى التى كانت تمارس السلطة فعلا ، فانه لم يكن هناك مفر من الاعتراف بها شريكة للملك • ولا أدل على أن

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 96.
(2) Strack, 30 ; Bouché-Leclercq. I, p. 322, fn. 1.

ذلك كان ظرفا خاصا اقتضته ظروف تبرره من أن كليوپترة الأولى لم تلق عناء فى الاعتراف بوضعها ، فى حين أن كليوپترة الثانية لم تستطع أن تحكم بمفردها ، بعد طرد بطلميوس الثامن وكليوپترة الثالثة الا بالاعتماد على القوة وقد أخفقت هذه المحاولة الثورية .

وازاء حداثة سن بطلميوس السادس لم ينطو اشتراك كليوپترة الأولى معه فى الملك على اقتسام السلطة فعلا بينهما ، اذ أنه وان كانت الوثائق تؤرخ باسميهما الا أن كليوپترة بوصفها الوصية على الملك ، هى التى كانت تمارس السلطة الفعلية . وأما أول مثل فعلى لاشراك أكثر من ملك واحد على قدم المساواة فانه يرجع الى عام ١٧٠ قبل الميلاد ، عندما تقرر اشتراك بطلميوس الصغير مع أخيه الأكبر بطلميوس السادس فيلوميتور وأختهما كليوپترة الثانية ، وبذلك أصبح يحكم مصر الثلاثة الملوك فيلوميتورس ، أى ملكان وملكة . ويختلف هذا الاشتراك فى الحكم عن اشراك ولى العهد مع أبيه كما كان يحدث فى الماضى بشيئين : أحدهما هو المساواة فى السلطان ولو شكلا بين الملوك الثلاثة وفعلا بين الملكين ، والآخر هو استخدام نظام جديد للتأريخ فى خلال فترة الاشتراك . وأما بعد انتهاء هذه الفترة فان كلا من بطلميوس السادس وأخيه بطلميوس الصغير كان يعتبر بداية حكمه منذ ارتقاء كل منهما العرش .

لكن نظام الاشتراك فى الملك على قدم المساواة لم يكن وطيد الدعائم وسرعان ما خلفه نظام تقسيم المملكة بايعاز من روما ، فأصبح بطلميوس الأكبر يحكم مصر وقبرص ، وبطلميوس الصغير يحكم قورنايئة . وفى عهد بطلميوس الثامن أصبح يحكم مصر ثانية ثالوث ملكى ، لكن هذا الثالوث كان يتألف هذه المرة من ملك وملكتين ، وهم بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى وكليوپترة الثانية وكليوپترة الثالثة ، ولكنه لا شك فى أنه لم توجد اذ ذاك مساواة حقيقية بين هؤلاء الملوك . واذا كان اشتراك كليوپترة الثالثة فى الملك — بعد وفاة بطلميوس الثامن — مع ابنيها بطلميوس التاسع ثم العاشر بناء على وصية زوجها المتوفى ، فان ذلك كان خروجا على كل السوابق البطلمية والقواعد الأساسية فى قانون

وراثة العرش عند البطالمة . ونتيجة لارغام كليوپترة الثالثة على أن تشرك معها ابنها الأكبر بدلا من ابنها الأصغر المفضل لديها قسمت المملكة من جديد ، وكانت قبرص نصيب الأبن الأصغر . ومن الخطأ تفسير هـذه الظاهرة بأنها كانت تطبيقا للقانون الاغريقى ، الذى يقسم الارث بالتساوى بين الورثة ، اذ أنما حدث كان وليد منازعات وظروف غير طبيعية . ومن الخطأ كذلك أن يفسر اشراك الملكات فى الحكم بأنه كان تطبيقا للقانون المصرى الذى يجعل المرأة مساوية للرجل فى الحقوق ، لأنه لم توجد مساواة حقيقية بين الرجال والنساء فى وراثة العرش فى دولة البطالمة .

ولا يوجد فى هذه الحالات جميعا دليل على وجود قانون لوراثة العرش يسوى بين المرأة والرجل ، ولا على اشراك المرأة فى الملك اشراكا شرعيا يمنحها حقوق زوجها كافة ، أو يجعلها فى مركز يسمح لها بمنافسة ابنها (١) . لكن أحد المؤرخين يرى أنه وجد قانون جديد منـذ عهد كليوپترة الثانية ، وذلك استنادا الى أن لقب ملكة ، وذكر الملكات فى قائمة البطالمة المؤلهين ، وتصويرهن على النقود مع شارات الملك ، تنهض دليلا على اشراكهن فى الملك فعلا . ويستدل هذا المؤرخ على هذا الاشراك بأمرين وأحدهما هو ادماج الاسم مشفوعا بلقب ملكة فى ديباجة الوثائق الرسمية ، والأمر الآخر هو وضع سنى حكم خاصة بهن على النقود (٢) . ويمكن الرد على هذا الرأى بأن ذكر الملكات فى قائمة البطالمة المؤلهين وتصويرهن على النقود أمران يسبقان عهد كليوپترة الثانية بأمد طويل ، وبأن كليوپترة الثانية وبرنيقى الرابعة هما الوحيدتان اللتان استخدمتا سنى حكم خاصة بهما ، وذلك فى ظروف استثنائية طارئة على نحو ما مر بنا ، وبأن اشراك الملكة اشراكا فعليا فى الملك لم يحـدث الا فى ثلاث حالات : أولاها هى حالة كليوپترة الثانية عنـدما أشركت مع أخويها بطلميوس السادس وبطلميوس الصغير ، وثانيتها هى حالة كليوپترة الثالثة عندما أشركتها وصية زوجها فى الملك مع أحـد ابنيها واستغلت ذلك فاشتركت مع ابنيها بطلميوس التاسع والعاشر ، وثالثتها هى حالة كليوپترة

(1) Bouché-Leclercq, III, pp. 97—98.
(2) Cf. Bouché-Leclercq, III, p. 98, fn. 1.

السابعة وهى حالة لها ظروفها الخاصة المعروفة ؛ وبأن ادماج اسماء الملكات فى الديباجة الرسمية منـذ اشراك كليوپترة الثانيـة مع أخويها لا يدل على شيء أكثر من ازدياد نفوذ الملكات . وفى ضوء هذه الاعتبارات يصعب القول بأنه وجد قانون جديد لوراثة العرش منذ عهد كليوپترة الثانية .

ويمكننا أن نجمل ما أوردناه آنفا فى أن قانون الوراثة الطبيعى عند البطالمة كان يقضى بأن يرتقى العرش أكبر الأبناء الذكور على الاطلاق . وأما الاشتراك فى الحكم أو تقسيم الملك ، فانه كان ينافى قانون وراثة العرش الذى لم يحترم فى بعض الأحيان بسبب ظروف طارئة اقتضت ذلك . وقد كان أول من خالف هذا القانون بطلميوس الأول عندما حرم ابنه بطلميوس قراونوس وراثة العرش .

٤ — سلطة الملك

كان الملك صاحب مصر وسيد رعيته المطلق الذى تتركز فى يديه كل السلطات ، ذلك أنه كان فى الوقت نفسه الرئيس الدينى ، بل اله جميع رعيته ، وكبير القضاة (١) ، والقائد الأعلى للجيش والأسطول ورئيس الأداة الحكومية . وبما أنه كان الها فان سلطته كانت لا تحد ، وكانت لأوامره سلطة القانون ، بل كان السلطة الوحيدة التى تستطيع اصدار قوانين يخضع لها سكان البلاد جميعا . وكان مصدر تلك الدساتير (Politeiai) وقوانين المواطنين (Politikoi nomoi) ، التى أباحت لذلك العدد القليل من المدن الاغريقية فى مصر وللجاليات الأجنبية التى تكونت خارج تلك المدن أن تنعم بقسط من الاستقلال الذاتى . وكان أيضا القاضى الأعلى الذى يفزع اليه رعاياه كلما حاق بهم ظلم . وفى بعض الأحيان كان يفصل شخصيا فى أمور تافهة ، مثل تجنيد شاب مقدونى فى حامية بلد غير البلد الذى سجل فيه ، أو دفع ما تأخر من مرتبات صغار الكهنة . وكثيرا ما كان يسمح لرعاياه بمقابلته لانباء أعمالهم سواء فى

(1) Bouché-Leclercq. III, p. 101.

الاسكندرية أم في خلال رحلاته العديدة في أنحاء البلاد • وتبعا لذلك فانه كان يوجد على مقربة من الملك سكرتارية خاصة تضم عددا كبيرا من الموظفين لتسجيل أوامره وقراراته والقيام بشئون مراسلاته السياسية والادارية • ويمكننا أن نستنتج كثرة عدد موظفي سكرتارية الملك من عدد السكرتيرين الذين كانوا يصحبون أپولونيوس — وزير ما. بطلميوس الثاني — في رحلاته ، اذ أن حاشية وزير المالية كانت صورة مصغرة لحاشية الملك • وتحدثنا وثائق زينون ، وكيل أشغال أپولونيوس ، بأن رجال السكرتارية كانوا يعملون آناء الليل وأطراف النهار • وقد كان المسئول عن مراسلات الملك كلها سكرتير خاص يدعى أپيستولوجرافوس (Epistolographos) •وأما الأوامر وفيما يظن أيضاالتوقيعات على الشكاوى المرفوعة الى الملك فانها كانت من اختصاص سكرتير آخر يدعى هوپومنيماتوجرافوس (Hypomnematographos) [1] • وأما لتنفيذ سلطة الملك والاضطلاع بما تتطلبه ادارة البلاد ، فانه كانت توجد أداة منظمة تنظيما دقيقا سنعود الى الكلام عنها فيما بعد •

ويجدر بنا الآن أن نأتي على تعريف تلك المصطلحات التي كانت شائعة في لغة الادارة البطلمية لوصف ما يصدر عن سكرتارية الملك من رسائل • وهذه المصطلحات هي :
(epistole, entole, prostagma, nomos, diagramma, diorthoma, programma)

أما الاصطلاح الأول (epistole) فأمره يسير ، اذ أنه كان يعبر عن أية رسالة ادارية توجه الى أي موظف ، في حين أن الاصطلاح الثاني (entole) كان يعبر عن أي منشور اداري يوجه الى عدد من الموظفين •

أما الاصطلاح الثالث (prostagma) فانه كان يطلق على كل أمر يصدره صاحب سلطة [2] ، كأمر من الملك الى مساعديه ورعاياه [3] ، أو أمر من موظف الى مرءوسيه [4] ، أو أمر من أحد الآلهة الى أحد

---

(1) C.A.H., VII. p. 119 ; Collomp, Chancellerie, p. 49.
(2) Lenger, Rev. Int. Droits Ant., I, 1948, p. 123.
(3) Modrzejewski, J. Jur. Pap. V, 1951 p. 187.
(4) Modrzejewski, op. cit., pp. 199—200.

اتباعه . وكانت الأوامر الملكية تستخدم أيضا لاشهار الأحكام التى يصدرها الملك بوصفه القاضى الأعلى ولا يمكن الاستئناف منها . لكن الأوامر الملكية كانت قبل كل شيء أداة من أدوات سلطة البطالمة التشريعية ، وبواسطة هذه الأداة كان البطالمة يشرعون لمصر وولاياتها وللمصريين والاغريق فى كل ناحية من نواحى القانون العام والقانون الخاص (١) .

وكانت الأوامر الملكية نوعين : أحدهما عبارة عن أمر يتضمنه خطاب ، والآخر أمر يذاع فى الناس ويستهل بعبارة تفيد صدوره عن الملك (٢) . ويتبين من الوثائق أن الأوامر الملكية التى من النوع الأول قد تتناول أمورا عامة أو خاصة ، فى حين أن الأوامر الملكية التى من النوع الثانى لا تتناول الا مسائل عامة فقط (٣) .

ويرى بيكرمان (٤) أنه يصعب التمييز من حيث الشكل بين ماهية الوثائق التى يطلق على بعضها nomoi (ومفردها nomos) وعلى بعضها الآخر diagrammata (ومفردها diagramma) وذلك لأن كلا من النوعين كان يتألف من عدد من البنود تتعلق بموضوع واحد ولأن كلا منهما كان ينشر فى مقر الملك الذى يصدره ويبلغ الى الموظفين المختصين .

ويرى ولز (٥) أنه يوجد وجه شبه بين طبيعة هذين النوعين ، وأن اصطلاح دياجراما قد أدخل فى لغة الادارة الهلينيسية للتفرقة بين القوانين الجديدة التى وضعها الاسكندر وخلفاؤه وبين قوانين المدن الاغريقية .

وترى الآنسة لانجيه (٦) أن عدد هذين النوعين من الوثائق محدود بحيث يصعب معه تعريف فحوى كل نوع . ومع ذلك فانها تستخلص من دراسة هذه الوثائق أن كلمة (nomos) كانت تطلق عند البطالمة على نوع بعينه من القوانين هو قوانين الدخل . ولكنه فات هذه الباحثة أن قوانين المواطنين (poltikoi nomoi) كانت تنظم كل نواحى حياة مواطنى المدن

(1) Lenger, op. cit., pp. 126—7.
(2) Wilcken, Dikaiomata, pp. 43 ff. ; Lenger, Chron., 37, 1944, pp. 111—18 ; Modrzejewski, p. 187.
(3) Modrzejewski, pp. 196—7.
(4) Bickermann, Diagramma, Rev. Phil., XII, 1938, p. 303.
(5) Welles, A.J.A., 42, 1938, pp. 259—60.
(6) Lenger, Chron., 37, 1944, pp. 114—5.

الاغريقية وأعضاء الجاليات القومية ، ويدل اسمها ذاته على أن نطاقها لم يقتصر على الناحية المالية .

وترى هذه الباحثة أن الدياجراماتا كانت تشريعات لا تقتصر على الشئون المالية بل تمتد الى نواح أخرى ، وأن هذه التشريعات كانت على ما يلوح تتخذ فى كل حالة شكل مجموعة نظم خاصة بموضوع معين . وتشارك هذه الباحثة رأى ولز (١) فى أن الدياجراماتا بوصفها « قوانين عامة» كانت تحل بالتدريج محل القوانين القائمة التى كان نطاقها محدودا . ويرى بيكرمان (٢) أن أكثر الدياجراماتا فى مصر البطلمية كانت عبارة عن الخطط السنوية للاقتصاد الموجه ، وأن بعض الدياجراماتا ذات طابع قانونى ، وتستكمل بعض نواحى الاجراءات القضائية والقانون الخاص . ويبدو لنا أننا قد لا نعدو الحقيقة اذا اعتبرنا الدياجراماتا أوامر يصدرها الملك لتخلف بعض القوانين القائمة أو للتنسيق بين بعض هذه القوانين أو لاستكمال ما فى بعض القوانين القائمة من ثغرات ، أو لتحقيق أكثر من غرض واحد من هذه الأغراض مثل الدياجراما التى أصدر بها « بطلميوس » دستور قورينى ؛ على نحو ما سنرى فيما بعد .

والرأى السائد هو أن الديورثوماتا (٣) (diorthomata) كانت قرارات لتنقيح وتعديل القوانين واللوائح القائمة . والأمثلة التى وصلت الينا خاصة بالشئون المالية ، فقد كانت قوانينها كثيرة التعديل لتطابق احتياجات الملك المالية وظروف الحياة الاقتصادية . ويبدو أن هذه القرارات كانت غير معروفة خارج نطاق الشئون المالية .

وكان لاصطلاح پروجراما (Programma) معنيان ، وأحدهما هو الدعوة للمثول أمام القضاء ، والآخر هو اعلان يتضمن أمرا اداريا . ومثل ذلك أنه عندما قدم پتيسيس (Peteesis) كبير المحنطين فى مديرية منف التماسا الى الملك بطلميوس اسكندر الأول يطلب عدم الاعتداء على

---

(1) op. cit., pp. 259—60.

(2) op. cit., pp. 305 ff.

(3) Mitteis, Grundz., p. XIII n. 4 ; Semeka, Ptol. Prozessrecht, I, p. 158 ; Collomp, Chancllerie, p. 8 ; Lenger, op. cit., p. 115.

بيته ، بعث الملك الى كل موظفى الادارة فى مديرية منف منشورا (entole) لتنفيذ هذا الالتماس وكلف المشرف على معبد أنوبيس باعداد وتعليق اعلان (Programma) بالاغريقية والديموتيقية على بيت صاحب الالتماس يحظر فيه الاعتداء على ذلك البيت بناء على أمر الملك (١) .

٥ ـ خاشية الملك

وقد احتفظ البطالمة وكذلك ملوك الدول الهلينيسية الأخرى بتقليد كان معروفا فى مقدونيا وفى مصر القديمة (٢) وفى بلاد الفرس (٣) ، وهو تربية عدد من ابناء كبار الموظفين والأسر العريقة مع أبناء الأسرة الملكية . ويظن أنهم كانوا بمثابة رهائن لضمان ولاء أسرهم للعرش ، على أنه كان يختار منهم كبار الموظفين (٤) . ولكنه يجب ألا يفهم من ذلك أن كبرى المناصب المدنية والعسكرية كانت وقفا عليهم ، فقد أفسح الملوك الفرصة أمام أصحاب المواهب مهما تكن نشأتهم (٥) . وكان يطلق على هؤلاء الأولاد الذين يربون مع أبناء الأسر المالكة اسم فتيان القصر (Paides Basilikoi) ، وعندما يرتقى العرش الأمير الذى ربوا معه ، كان يطلق عليهم أقران الملك (Syntrophoi Basileos) . والرأى القائل أنه كان لبعض هؤلاء الفتية صبغة عسكرية ويطلق عليهم اسم ملاقس (Mellakes) (٦) لم يعد يلقى قبولا ، ويبدو أن الملاقس كانوا أفيبوى بدأوا حديثا أو على وشك بداية تدريبهم فى الجومنازيوم (٧) . ومن المحتمل أن عددا من الفتيات كان يربى كذلك مع أميرات الأسرة المالكة (٨) .

وكان أغلب مساعدى الملك الرئيسيين فى ادارة مملكته من بطانته ، وقد كونوا على مضى الزمن بالإطا ينقسم طبقات تميز كل منها بالقاب

---

(1) Lenger, op. cit., p. 115, and references.

(2) Diod., I, 53, 2—4 ; Petrie, in Ancient Eg., 1924, p. 119 ; Junker, Giza III, 226 ; Sethe, Urk. I., 51 ff ; 251 ff ; Blackman, J. E.A., XXI. p. 3 ; Erman-Ranke, Aegypten, 91.

(3) Bevan, p. 123.

(4) Bouché-Léclercq, III, p. 118.

(5) Aymard et Auboyer, p. 404.

(6) Letronne, Recueil, I, pp. 412 ff. ; Jouguet, op. cit., p. 298.

(7) Fraser, I, p. 86 ; II p. 166 n. 326.

(8) Bevan, p. 118.

ذخرية . فقد كانت توجد طبقة أقرباء الملك (Syngeneis) ونظرائهم (homotimoi) ، وطبقة الأصـــدقاء الأول (Protoi Philoi) ونظرائهم (Isotimoi) ، وطبقة كبار رجال الحرس الخاص (Archisomatophylakes) وطبقة الأصدقاء (Philoi) ، وطبقة الخلفاء (Diadochoi). . وكانت حاشية الملك تضم الى جانب ذلك عددا كبيرا من موظفى القصر بأدق معانى الكلمة، مثل الأمين (Eisangeleus) وكبير الصيادين (Archikynegos) والياور (Epi tais heniais) وكبير المشرفين على طعام الملك (Archideatros) وكبير الساقين (Archioinochoos) وكبير الأطباء (Archiatros) والأطباء العاديين (Iatroi) ومعلم الملك (Tropheus) ومربيه (Tithenos) وخدم مخدعه (Kateunastai) وعدد كبير من الخدم والحشم (Archiyperetai, Hyperetai) (١) .

وقد كانت الألقاب الفخرية معروفة فى بلاط مصر القديمة وبلاد الفرس ومقدونيا والممالك الهلينيسية . ففى مصر القديمة كان يوجد على عهـد الفراعنة الوطنيين عدة ألقاب فخرية لعـل أهم ما يعنينا منها هنا لقب «قريب الملك» (nsut-rekh) ولقب « الصديق الأوحد » (smer-wa) (٢) . وكان لقب « قريب الملك » موجودا كذلك فى البلاط الفارسى ، ويبدو أنه كان مقصورا فى الأصل على أفراد السبع الأسر التى كانت تعتبر أعرق الأسر الارستقراطية هناك (٣) . لكنه اذا صح ما يرويه ديودوروس (٤) من أن جيش دارا الثالث فى موقعة جاوجميلا كان يضم ألف فارس ممتاز من « أقرباء الملك » فان معنى ذلك أن هذا اللقب أصبح يمنح كذلك لفريق ممتـــاز من الفرسان . ويحـــدثنا جزنفون (٥) بأن لقب النظراء (homotimoi) ترجمة اغريقية للقب فارسى كانت تحمله فئة ممتازة من المشاة الكاملى العدة فى الجيش الفارسى .

(1) C.A.H., VII, p. 116 ; Jouguet, op. cit., pp. 298—9 ; Bouché-Leclercq, III, pp. 118 ff.

(2) Moret, The Nile and Eg. Civ., pp. 159, 160 ; Royauté Phar., p. 131 ; Bouché-Leclercq III, p. 106.

(3) Cf. Herod., III, 84 ; Jouguet, Mac. Imp. p. 299 ; Atkinson, Aegyptus, 32, 1952, pp. 212—3.

(4) Diod., XVII, 59.

(5) Xen., Cyrop., II, 1. 3 ; VII, 5, 17.

وفى الدول الاغريقية ، سواء فى العصر الكلاسيكى أم الهلينيسى ، كان كثيرا ما يوصف المقربون الى الملك أو الطاغية بأنهم أصدقاؤه • وفى مقدونيا ، نعرف أنه على الأقل منذ عهد أرخيلاوس (٤١٣ — ٣٩٩) كان بعض النبلاء يختارون لصحبة الملك ويدعون «رفاق الملك» (hetairoi) • ويروى ديودورس أنه فى أثناء الاحتفال بزواج كليوپترة ابنة فيليب الثانى (عام ٣٣٦) تقدم الملك فى دخول المسرح بمدينة ايجى (Aegae) جماعة « من أصدقائه [1] » ، وأنه قبل أن يبدأ الاسكندر غزو آسيا عقد مجلسا من كبار ضباطه وأبرز «أصدقائه»،وكان من بينهم پارمنيو وانتيپاتروس[2]، وأنه عندما شفى الاسكندر على يدى فيليپ الأقرنانى رفعه الى مصاف « أقرب الأصدقاء اليه [3] » ، مما يوحى بأنه كانت توجد طبقات فخرية متباينة فى البلاط المقدونى • ويستوقف النظر أن أريانوس يطلق وصفى « أصدقاء » (Philoi) و « رفاق » (Hetairei) على ذات الاشخاص فى الفقرة نفسها [4] • واذا كان يبين أن أصفياء الملك كانوا يوصفون تارة بأنهم أصدقاؤه وتارة بأنهم رفاقه ، فانه من المحتمل أنه منذ عهد خلفاء الاسكندر أصبحت كلمة « أصدقاء » تستخدم بدلا من كلمة « رفاق » فى وصف أصفياء الملك [5] •

وعندما تربع الاسكندر على عرش بلاد الفرس واعتنق التقاليد الشرقية ، خلع على رجال البلاط من الوطنيين الالقاب الفخرية التى اعتادوا عليها وخاصة لقب « أقرباء الملك » • وعندما ضاق المقدونيو ذرعا باستشراق سيدهم وثاروا عليه فى أوپيس (Opis) فى عام ٣٢٤ عـ نه قالينيس (Callines) عن شعورهم بقوله : « انه لما يؤلم المقدونيـ يا مولاى أنكم اتخذتم لكم أقرباء من الفرس فأصبحوا يدعون أنفسـ أقرباء الاسكندر،وسمحتم لهم بتقبيلكم ، فى حين أنه لم يحظ بهذا الشرف أحد من المقدونيين » • فأجابه الاسكندر : « لكننى أعتبركم جـ

---

(1) Diod., XVI, 9, 4.
(2) Diod., XVII, 19, 1.
(3) Diod., XVII 31, 6.
(4) Arr., I, 25, 4.
(5) Real-Encycl., XX, 1941, col. 96, s.v. Philos.

أقربائى وسأدعوكم على هذا النحو منــذ الآن » . وعندئذ تقــدم منه قالينيس وقبله وتبعه فى ذلك كل من أراد (١) ، فقد كان حق تقبيل الملك مقصورا على « الأقرباء » (٢) . ويبدو أن الاسكندر أغدق أول الأمر لقب « أقرباء الملك » على الفرس من رفاقه الفرسان ثم توسع بعد ذلك فخلعه على كل المقدونيين من هؤلاء الرفاق (٣) . ومن ناحية أخرى قصر الاسكندر لقب «رجال الحرس الخاص» على كبار ضباطه من المقدونيين ، وتقرر منذ ذلك الوقت ألا يزيد عدد من يحملون هذا اللقب الفخرى على سبعة أشخاص (٤) ، الا أن هذا اللقب لم يفصل بعد عن المنصب الـذى كان ينم عنه ، بمعنى أنه كان لا يمنح عندئذ لأشخاص يتولون مناصب تبعدهم عن شخص الملك . ونستخلص مما مر بنا أنه بعــد القضاء على الامبراطورية الفارسية أصبح لدى البلاط المقدونى على الأقل ثلاثة ألقاب فخرية وهى : «الأقرباء» و «رجال الحرس الخاص» و « الرفاق » .

ويتردد ذكر « أصدقاء » الملك أنطيوخوس الأول فى نقش من حوالى عام ٢٧٧ ق.م. (٥) وجــاء ذكر « الأصدقاء » كذلك فى القــرار الــذى أصدره سلوقس الثانى عقب ارتقائه العرش (٢٦٤ ق.م.) (٦) . وقبل اندلاع لهيب الحرب بين روما وأنطيوخوس الثالث كان يمثل الملك فى المفاوضات مع السفراء الرومان شخص يدعى مينيو (Minio) وصفه ليفيوس بأنه « كبير الأصدقاء » (٧) . ويتضح المقصود بهذه العبارة من الخطوة التالية التى اتخذها الملك وهى دعوة مجلسه للانعقاد (٨) ، فقد كان أحد أعضاء هذا المجلس اسكندر الاقرنانى الذى يصفه ليفيوس بأنه كان فيما مضى « صــديق » فيليب الخامس ثم هجــره الى الملك السلوقى . ولما كان اسكندر هذا ملما بشئون بلاد الاغريق والرومان،فانه

---

(1) Arr., VII, 11, 6-7.
(2) Arr., VII, 16, 1.
(3) Atkinson, p. 213, fn. 2.
(4) Arr., VII, 28, 4.
(5) O.G.I.S. 219.
(6) O.G.I.S. 227.
(7) Liv., XXXV, 15.
(8) Liv., XXXV, 17.

رفع الى تلك المرتبة من أصدقاء الملك التى تبيح له المشاركة فى مجالسه الخاصة (١) . ويستخلص من ذلك أن مرتبة « الأصدقاء الأول » كانت تعنى عندئذ مستشارى الملك السلوقى وأن مينيو كان أحدهم (٢) . ويستدل من المصادر اليهودية على وجود الألقاب « أقرباء الملك » (٣) : و « الأصدقاء الأول » و « الأصدقاء » فى البلاط السلوقى (٤) .

ولنر الآن ما كان من أمر البطالمة . ان بلوتارخ يحدثنا بأن بطلميوس الأول كان يزور « أصدقاءه » ويتناول الطعام وينام فى بيوتهم ، وبأنه كان يقترض منهم أدوات الطعام عندما يدعوهم لديه ، لأنه كان لا يملك أكثر مما يلزم له ، فقد كان يرى أنه أحرى بالملك أن يعمل على اثراء الآخرين عن أن يثرى هو نفسه (٥) . ويدعو ديودوروس القائدين قيليس (٦) (Killes) ونيقانور (٧) « صديقى » بطلميوس الأول . ويطلق استرابون على المهندس المعمارى سوستراتوس لقب « صديق الملكين » (٨) أى صديق بطلميوس الأول والثانى . ويرى بعض المؤرخين أن « الصديق » أنتيجونوس (٩) الذي أحضر الى فيلادلفوس جنودا مرتزقة من الغال و « الصديق » أنطيوخوس (١٠) الذى عهد اليه بطلميوس الثالث بقيليقيا لم يكونا أنتيجونوس جوناتاس وأنطيوخوس هيراكس بل رجلين من بلاط الاسكندرية (١١) .

وتحدثنا احدى برديات (١٢) زينون بأن زويلوس اتصل « بأصدقاء » الملك قبل أن يكتب فى ٢٥٧ ق.م. الى أبولونيوس وزير مالية بطلميوس الثانى طالبا التصريح له ببناء معبد لسرابيس فى مدينة لم يحددها . ويحتمل أن بردية أخرى (١٣) من عام ٢٥٦/٢٥٥ تمدنا بدليل على وجود

(1) Liv., XXXV, 18.
(2) Atkinson, p. 208.
(3) II, Macc., 11, 1 ; Joseph., A. J., XIII, 102 ; O.G.I.S. 104, fn. z ; Bickermann, in P.—W., s. v. syngenes.
(4) Joseph., A. J., XII, 134 ; XIII, 43 ; 45 ; 75 ; I Macc., 10, 65.
(5) Plut., Apophth. reg. ; Bouché-Lecl. I, p. 189 fn. 3 ; III, p. 109.
(6) Diod., XIX, 93, 1—2.
(7) Diod., XVIII, 43, 2.
(8) Strabo, XVII, 791.
(9) Callim., In Del., 171 Schol.
(10) Hieronym., In Dan., XI, 7.
(11) Bouché-Lect., I, pp.167, fn. 2, 254 ; III, p. 109.
(12) P.S.I. 435 ; P. Cairo—Zen. 59034, l. 2.
(13) P. Mich—Zen. [illegible] 1 2 ; Atkinson, p. 206.

طبقة « الأصدقاء الأول » . ونجد فى نقش (١) من عهد بطلميوس الثانى أن پلوپپس بن اسكندر حاكم ساموس قد وصف بأنه « صديق الملك بطلميوس » .

واذا صح أن النقش (٢) الذى ذكر فيه ليونيداس بن فيلوتاس يرجع الى عام ٢٥٥ ق.م . (٣) فانه يمدنا بمثل طريف لأب وابنه كانا فى عداد « الأصدقاء الأول » فى عهد بطلميوس الثانى . وفى المراسلات التى تبودلت بين بطلميوس الثانى والعازار كبير كهنة أورشليم وصف مبعوثو الملك الى العازار بأنهم « أجل الأصدقاء » ووصف أحدهم ، وكان يدعى اندرياس ، بأنه « كبير رجال الحرس الخاص (archisomatophylax) (٤) .

وتحدثنا أربع برديات من عهد بطلميوس الثالث احداها (٥) من عام ٢٣٠/٢٢٩ والثانية (٦) من عام ٢٢٧/٢٢٦ والثالثة (٧) والرابعة (٨) من عام ٢٥٥ بأن خروسيپوس (Chrysippos) وزير مالية بطلميوس الثالث كان يحمل لقب « كبير رجال الحرس الخاص » .

وقد كان أپولونيوس بن ثيون وزير مالية بطلميوس الخامس ينتمى انى طبقة « الأصدقاء » (٩) فى حين أن پولوقراتيس حاكم قبرص فى عهد هذا الملك كان ينتمى الى طبقة « الأصدقاء الأول » (١٠) .

ومن الثابت أن هيپالوس — وهو الذى يرجح ترجيحا قويا أنه أقيم حاكما عسكريا عاما على كل أقاليم مصر عدا الاسكندرية منذ ابريل عام ١٨٥ حتى ديسمبر عام ١٦٩ (١١) — كان ينتمى الى طبقة « الأصدقاء الأول » (١٢) منذ عام ١٧٥ على الأقل . وكان ينتمى الى هذه الطبقة أيضا قومانوس (١٣)

---

(1) S.E.G. 364.
(2) S.B. 6665.
(3) Cf. Breccia, BSAA., 19, 1923, p. 123, no. 1.
(4) Joseph., A. J., XII, 50 et 53.
(5) P. Petr., III, 53 (I) ll. 3—4.
(6) P. Cairo-Zen. 50250, ll. 7—8, Archiv, 2, 1903, p. 80.
(7) P. Grenf., II, 14 (b) 1.2.
(8) P. Petr. III, 53 (m) ll, 2—3.
(9) S. B. 2637, ll. 3—4 ; O.G.I.S. 100, ll. 1—2.
(10) Aegyptus, 32, 1952, p. 210.
(11) Skeat, Archiv, 12, 1937, pp. 40—43.
(12) P. Tebt., 895, l. 1.
(13) P.Col. inv. 481 ; Prosop. Ptol., I. ne. ; Cf. Class. Phil., 40, 1945, pp. 115—6.

(حاكم مديرية أرسينوى فى عام ١٨٧ ثم أحد مستشارى بطلميوس الصغير عندما أقامه الاسكندريون مكان أخيه فى عام ١٧٠ عقب غزوة أنطيوخوس الرابع ووقوع بطلميوس السادس فى قبضته) وقراتيروس [١] (حاكم منف فى عام ١٧٦/١٧٥ أو ١٦٥/١٦٤) وديونوسيوس [٢] (حاكم ليونتوپوليس بين ١٦٩ و ١٦٤ • وترينا هذه الأمثلة أنه فى أوقات متقاربة كان ينتمى الى طبقة « الأصدقاء الأول » أشخاص تتفاوت أهمية مناصبهم تفاوتا كبيرا •

وقبل الاستطراد فى الكلام عن الطبقات الفخرية البطلمية يجدر بنا أن نشير هنا الى ما سنلاحظه عند الكلام عن نظام الادارة المحلية من أنه كان يوجد فى منطقة طيبة ثلاث فئات من الحكام وهى : أولا : الحاكم العام وكان نفوذه يمتد على المنطقة بأجمعها • وثانيا : فئة الحكام الذين كان نفوذ كل منهم يمتد على عدد من المديريات أو المحافظات • وثالثا فئة الحكام الذين كانت منطقة نفوذ كل واحد منهم مديرية أو محافظة واحدة فقط •

ومما يجدر بالملاحظة أنه طوال النصف الأول من القرن الثانى كان كل من نعرفهم من الفئة الأولى من حكام منطقة طيبة مثل نومنيس [٣] (١٧١/١٦٩) وهيرونوموس [٤] (١٦٩/١٦٣) وبويثوس [٥] (١٦٣/١٤٥) كانوا ينتمون الى طبقة « كبار رجال الحرس الخاص » ، شأنهم فى ذلك شأن أكثر من نعرفهم من حكام المديريات خارج منطقة طيبة مثل بطلميوس [٦] (حاكم أرسينوى حوالى ١٧٥/١٧٠) وسوتيون [٧] (حاكم بوباستيس ١٦٣/١٤٥) ، وأريوس [٨] (حاكم فاربايثوس ١٦٣/١٤٥) وبطلميوس [٩] (حاكم هيراقليوپوليس ١٥٦/١٥٥) ، فى

---

(1) UPZ., 124, ll. 1—2.

(2) S. B. 3941, ll. 1—8 ; cf. Prosop. Ptol., I, no. 243.

(3) Siut Archive B. M., 10591 recto II, ll. 3—4, III l. 21, verso III, ll. 3—4 ; P. Grenf. I, 38, ll. 1—2 ; P. Lond. 610.

(4) S.B. 1436, ll. 8—9.

(5) O.G.I.S. 111, ll. 7—11.

(6) P. Tebt. 895, l. 5 ; 779, l. 1 ; 780, l. 1 ; 781, 1.

(7) R. E. G. 27, 1914, p. 475. ; Prosop. Ptol., no. 335.

(8) S. B. 1164, ll. 5—7.

(9) P. Berl. Zilliacus 1, ll. 57—58, 65, 81 ; 2, ll. 19—20.

حين أن قومانوس (حاكم أرسينوى) وقراتيروس (حاكم منف) وديونوسيوس (حاكم ليونتوپوليس) كانوا ينتمون ، كما مر بنا ، الى طبقة « الأصدقاء الأول » . واذا كنا نعرف أن خلفاء قراتيروس حتى عام ١٥٨ مثل ديودوتوس (١) وديونوسيوس (٢) وپوسيدونيوس (٣) ينتمون الى طبقة « الأصدقاء » ، فاننا مع الأسف لا نعرف شيئا عن خلفاء ديونوسيوس حاكم ليونتوپوليس . ولا جدال فى أن منطقة طيبة بأسرها باعتبارها وحدة ادارية كانت أكثر أهمية من أية مديرية واحدة ، ومع ذلك فاننا رأينا كيف أن حاكم عام منطقة طيبة كان يحمل لقبا مساويا للقب حكام المديريات فى أكثر الحالات وأقل مرتبة من لقب أولئك الحكام فى حالتين . وقد كان حكام طيبة من الفئتين الثانية والثالثة مثل دايماخوس (٤) ولوقيسقوس (٥) وبطلميوس (٦) ينتمون الى طبقة الخلفاء مثل ما كان قودياس (٧) حاكم هيراقليوپوليس ، بينما كان انياس (٨) (Aineas) حاكم أفروديتوپوليس (١٥٤/١٥٣) — وهى احدى مديريات منطقة طيبة — ينتمى الى طبقة « رجال الحرس الخاص » .

وفى النصف الثانى من القرن الثانى ارتفعت ألقاب الحكام جميعا . ذلك أنه فى عام ١٤٨ أصبح بويثوس ينتمى الى طبقة «الأصدقاء الأول»(٩) وفى عام ١٣٦/١٣٥ الى طبقة « الأقرباء (١٠) » . ومنذ ذلك الوقت أصبح كل من يتولى منصب حاكم عام منطقة طيبة ينتمى الى طبقة « الأقرباء » ، مثل پاوس (١١) ، (عام ١٣٠) ولوخوس (١٢) (عام

---

(1) U.P. Z. 5, l. 1.

(2) U. P. Z. 7, ll. 1—2.

(3) U. P. Z. 12, ll. 1—2 ; 13, ll. 1—4 ; 14, ll. 96, 103, 120, 143—145 ; 15, ll. 29—30, 37—39 ; 16, ll. 18—19 ; 122, ll. 1—2.

(4) P. Par. p. 415 ; S. B. 7657, l. 1=8033.

(5) P. Lond. 610.

(6) B. G. U. 992 col. I, ll. 10—11 ; S.B. 4512, ll. 10—11.

(7) P. Hamb. 57, l. 21 ; 91, l. 1 ; U.P.Z. 9. l. 12 ; 10, ll. 27—28 ; 11, l. 19.

(8) P. S. I., 815, ll. 1—2.

(9) P. Merton 5, l. l.

(10) Archiv, 5, 1913, pp. 415—6, l. 14 ; S. B. 4638, l. 1 ; P. Amh. 35. ll. 1—2.

(11) O. G. I. S, 132, ll. 6—7 ; Revillout, Mél. p. 343, l. 1.

(12) O.G.I.S. 135, ll, 5—7 ; 139, ll. 15—16 ; U.P.Z. 187, ll. 6—7.

١٢٧/١٢٦) وهيرموقراتيس(١) (عام ١١٥) وفوموس(٢) (عام١١١/١١٠)
وابولودوروس (٣) (بعد عام ١٠٥) وقاليماخوس (٤) (عام ٧٦/٧٥) •
وفى المديريات الواقعة خارج منطقة طيبة ، نعرف أن حكام أرسينوى
أصبحوا فى الربع الثالث من القرن الثاني ينتمون الى طبقة « الأصدقاء
الأول » مثل فانياس (٥) ، وابولونيوس (٦) ، وفيلينوس (٧) ، بينما كان
بولمارخوس (٨) حاكم هيراقليوپوليس ينتمى الى طبقة « كبار رجال
الحرس الخاص » وابولودوروس (٩) حاكم هرموپوليس الى طبقة
« نظراء الأصدقاء الأول » • وفى الربع الأخير من هذا القرن كان حكام
أرسينوى مثل پارثينيوس (١٠) ولوسانياس (١١) وابولونيوس (١٢)
وايريناس (١٣) وبطلميوس (١٤) وكذلك اسقليپياديس (١٥) حاكم
هرموپوليس ينتمون الى طبقة « الأقرباء » •

وفى القرن الأول كان جميع حكام المديريات سواء فى منطقة طيبة أم خارجها ينتمون الى طبقة « الأقرباء » مثل قاليماخوس (١٦) حاكم عام منطقة طيبة وايماخوس (١٧) وابولونيديس (١٨) وپسايس (١٩) ومنقرع (٢٠) ونيقوماخوس (٢١) وهم من الفئة الثانية من حكام منطقة طيبة ، ومثل زينون (٢٢) وپانيسقوس (٢٣) وپلاياس (٢٤) وهم من الفئة

(1) O. G. I. S. 168, ll. 34, 49.
(2) U. P. Z. 192, ll. 1—2 ; 193, ll. 1—3.
(3) S.B. 1568, ll. 1—4.
(4) S. B. 3926, l. 13.
(5) P. Tebt. 959, ll. 1—2 ; 61 (f) ll. 46—7, 362—3 ; 72, ll. 359—60.
(6) P. Tebt. 802, ll. 5—7 ; P. Amh. 35, ll. 1—2.
(7) P. Tebt. 700, ll. 18—19, 97.
(8) P. Tebt. 810, ll. 12—14.
(9) P. Ryl. 253 recto II. ll. 1—2.
(10) P. Tebt. 401. ll. 2—3.
(11) P. Tebt. 41, ll. 11—12.
(12) P. Tebt. 43, ll. 33—34.
(13) P. Tebt. 64 b, l. 18 ; 72, ll. 241—3, 264—5, 279—81.
(14) P. Tebt. 15 l. 15 ; 42, l. 1.
(15) P. Rein. 18, l. 1.
(16) S. B. 3926, l. 13.
(17) C.I.G. 4897 b. ll. 1—6.
(18) C. I. G. 4900, ll. 1—2 ; 4911, ll. 1—4.
(19) Z. A. S., 51, 1914, pp. 68—9, ll. 3—4.
(20) O. Theb. II. D. 22, p. 37, ll. 5—6 ; Z.A.S., 53, 1917, p. 128.
(21) CIG. 4930 d, ll. 1—3.
(22) CIG. 4920, ll. 1—3.
(23) CIG. 4897 C, ll. 1—3.
(24) S.B. 6028, ll. 4—5 ; 6029, ll. 5—6 ; 6030, ll. 2—3; 6031. ll. 4—5.

الثالثة من حكام منطقة طيبة ، ومثل أپولونيوس (١) وديوسقوريديس (٢) حاكمى أرسينوى ، ومثل ديونوسيوس (٣) وپانيسقوس (٤) وسلوقس (٥) وسوتليس (٦) ويوزولوخوس (٧) وهليودوروس (٨) حكام هيراقليوپوليس .

ولا جدال فى أن منصب وزير المالية كان أرفع مقاما وأخطر شأنا من أى منصب آخر فى الحكومة البطلمية . وقد عرفنا أنه فى النصف الأخير من القرن الثالث كان خروسيپوس ينتمى الى طبقة « كبار الحرس الخاص » وأپولونيوس بن ثيون الى طبقة « الأصدقاء » فقط . وفى القرن الثانى حين كان حاكم عام منطقة طيبة وأكثر حكام المديريات ينتمون الى طبقة «كبار رجال الحرس الخاص» بل حين كان اثنان من حكام المديريات ينتميان الى طبقة « الأصدقاء الأول » كان وزيرا المالية أسلقبياديس (٩) (١٦٣) وديوسقوريديس (١٠) (١٥٦) ينتميان الى طبقة«كبار رجال الحرس الخاص» بل ان ديوسقوريديس(١١) كان لايحمل فى عام ١٥٨ سوى لقب « صديق » ، لكن الوزير سارابيون (١٢) كان ينتمى حوالى عام ١٥٠ الى طبقة « الأقرباء » . وحين كان بويثوس حاكم عام طيبة ينتمى الى طبقة « الأصدقاء الأول » كان الوزير ديونوسيوس (١٣) (حوالى عام ١٤٨) ينتمى الى طبقة « الأصدقاء » ، وحين كان پاوس حاكم عام منطقة طيبة ينتمى الى طبقة « الأقرباء » كان الوزير أپولونيوس (١٤) ينتمى الى طبقة « الأصدقاء الأول » . لكنه منذ أن أصبح ايريناپوس (١٥) (١١٤/١١٢) وزيرا للمالية كان كل وزراء

---

(1) S.B. 6236, ll. 34—35 ; 6154, ll. 20—24.
(2) S.B. 1161, ll. 31—2 ; 6156, ll. 25—6.
(3) BGU, 1745, l. 7.
(4) BGU. 1192, l. 3 ; 1813, ll, 1—2 ; 1814, ll. 1—2 ; 1815, ll. 3—4.
(5) BGU. 1761, l. 12 ; 1826, l. 1 ; 1827, l. 1 ; 1828, ll. 1—2.
(6) BGU. 1834, ll. 3—4 ; 1836, ll. 1—2 ; 1837, ll. 1—2.
(7) SB. 7609 ll. 14—16.
(8) BGU. 1730 ; 1782, ll, 1—2 ; 1825, ll. 1—2.
(9) U.P.Z. 25, ll. 4—5 ; 26, ll. 3—4.
(10) P. Berl. Zilliacus 1, 1.22.
(11) U.P.Z. 14, ll. 99, 123.
(12) P. Tebt. 743, ll, 5—6.
(13) P. Tebt. 79, l. 56.
(14) Revillout, Mélanges, p. 323 l. 1 ; p. 325, l. 5.
(15) P. Tebt. 7, ll. 7—8 ; 26, ll. 5—6 ; 27, ll. 3, 85—86 ; 65, l. 20.

المالية الذين نعرفهم سواء فى القرن الثانى مثل بطلميوس (١) (عام١٠٨) أم فى القرن الأول مثـل أثينايوس (٢) (عام ٦٣/٦٤) وقاسـتور (٣) (عام ٥٧ أو ٨٩) ونومنيوس (٤) (٥٦/٥٧) وثيون (٥) (القرن الأول) ينتمون الى طبقة « الأقرباء » شأنهم فى ذلك شأن حكام جميع المديريات.

وقد كان حكام ممتلكات مصر الخارجية يحملون مختلف الالقاب فقد كان لادموس(٦) (عام ١٦٤/١٦٣ ـ عام ١٥٠/١٤٩) وأرنستيپوس(٧) (عام ١٦٣) « ثيرا » ينتميان الى طبقة « الخلفاء » ؛ وكان پلوپس (٨) (عهد بطلميوس الخامس) « ساموس » وتيمايوس (٩) (عهد بطلميوس السادس) « ميثانا » يحملان لقب « صـديق » ، وكان اجيـاس (١٠) (عهد بطلميوس الخامس) « كريت » ينتمى الى طبقة « كبـار رجال الحرس الخاص » ؛ وكان پولوقراتيس (١١) (عهد بطلميوس الخامس) « قبرص » وفيلوتاس قائد حامية اتانوس (١٢) (حـوالى بداية القرن الثانى) ينتميان الى طبقة « الأصـدقاء الأول » . فى حـين أن خلفاء پولوقراتيس فى حكم قبرص ، مثل ارخياس (١٣) وهلنوس (١٤) وسلوقس ابن بويثوس (١٥) وثيودوروس بن سلوقس (١٦) ، وهم الذين تولوا حكم تلك الجزيرة فى عهـد بطلميوس السادس وكليوپترة الثانيـة وعهد بطلميوس الثامن ؛ وكذلك أو نيساندروس (١٧) الذى شغل المنصب نفسه فى عهد بطلميوس التاسع فيلوميتور سـوتير كانوا جميعا ينتمـون الى طبقة « الأقرباء » .

---

(1) P. Grenf. II, 23, 9—10.
(2) BGU. 1744, 3 ; 1747, 8 ; 1748, 7 ; 1749, 4.
(3) O.G.I.S. 188, 1—5 ; 189, 1—4.
(4) B.G.U. 1782, 3—4.
(5) B.G.U. 1845, 4—6.
(6) O.G.I.S. 735.
(7) S.E.G. 843.
(8) S.E.G. 364.
(9) O.G.I.S. 115.
(10) O.G.I.S. 113.
(11) Aegyptus, 32 1952, p. 210.
(12) O.G.I.S. 119, 6.
(13) Strack, no. 96 ; Bengtson, Strategie, p. 23, no. 139.
(14) OGIS., 148 ; Bengtson, p. 233, no. 140.
(15) OGIS., 151 ; 152 ; Bengtson, p. 234, no. 141.
(16) OGIS., 157 ; Bengtson, p. 234, no. 142.
(17) O.G.I.S. 172.

وما الذى نستطيع استخلاصه من ذلك كله ؟

ينهضُ ذلك كله دليلا على أن أدلة القرن الثالث قبل الميلاد طفيفة اذا ما قورنت بأدلة القرنين الثانى والأول ، ولا تمدنا بكل مراتب الالقاب التى نجدها فى القرنين الأخيرين . ومع ذلك فان تلك الأدلة على قلتها ترينا أن لقبين على الأقل ــ ان لم يكن ثلاثة ــ كانا يستعملان قبل عصر بطلميوس الخامس . وازاء ذلك لا يمكن قبول الرأى القائل بأن بطلميوس الخامس هو الذى أنشأ الألقاب الفخرية فى دولة البطالمة . ولاسيما أنه لا يمكن أن تصور أن البطالمة الأوائل عاشوا وحيدين لا تحيط بهم نخبة من من الأصفياء ، وبخاصة أنه كان للاسكندر وكل الخلفاء مثل هؤلاء الأصدقاء .

ولكنه كيف يمكن تفسير ندرة الأدلة المستمدة من النقوش والوثائق البردية عن الألقاب الفخرية فى عهد البطالمة الأوائل ؟ هناك حقيقة مسلم بها وهى أن النقوش والوثائق البردية الاغريقية التى ترجع الى النصف القرن الأول من عصر البطالمة ، وهى الفترة التى يحتمل أن تكون الألقاب قد أنشئت فيها ، قليلة الى حد أننا نفتقر افتقارا شديدا الى أدلة من هذه الفترة عن سائر النظم البطلمية ، ومن ثم فانه لاعجب فى أن الأدلة التى لدينا من هذه الفترة عن الألقاب الفخرية قليلة . وأما قلة الأدلة عن هذه الألقاب طوال القرن الثالث قبل الميلاد ، فانها يمكن أن تعزى الى أحد أمرين أو كليهما معا ، وأحدهما هو الصدفة ، والآخر هو الاحتمال بأنه فى عهد البطالمة الأوائل كان منح الألقاب محدودا مثل ما كانت الحال فى عهد الاسكندر الأكبر ، عندما قصر لقب « رجال الحرس الخاص » على سبعة فقط الى أن أدمج بيوقستاس فى عداد تلك الفئة الممتازة ، فأصبح عددهم ثمانية . وفضلا عن ذلك فان النقوش والبرديات لم تكن قوائم ولا نشرات رسمية صادرة عن القصرالملكى أو الدوائر الحكومية بحيث أنه كان يتعين دائما قرن الاسماء الواردة فيها بألقاب أصحابها الفخرية . ولما كنا نعرف عن يقين أنه حتى بعد عهد بطليموس الخامس كثيرا ما أغفلت بعض النقوش والبرديات ذكر ألقاب أشخاص حدثتنا

نقوش وبرديات أخرى أقدم منها بأنهم كانوا يحملون ألقابا فخرية ، فلا عجب أن كان اغفال ذكر الألقاب أكثر وأعم فى برديات ونقوش الفترة التى يرجح أن تكون الألقاب أنشئت فيها واقتصد فى منحها اقتصادا شديدا وتبعا لذلك فان عامة الناس كانوا قليلى الألفة بها .

واذا صح أن بطلميوس الخامس هو الذى أنشأ فعلا الألقاب الفخرية فى مصر البطلمية ، فكيف اذن أن الكتاب القدماء أغفلوا الاشارة الى هذا الحدث الجديد ؟ وكيف يمكن أن نقبل الرأى القائل بأن بطلميوس الخامس أنشأ الألقاب الفخرية تقليدا للبلاط السلوقى مع أنه لا يوجد دليل على وجود كل هذه الألقاب فى ذلك البلاط، وهو ما سبق أن لاحظه ديتنبرجر (١) ؟ وأخيرا ، كيف أنه كان يتسنى لملك مثل بطلميوس الخامس — بعد ما عاناه من وصاية منكودة ومن ذل الحماية الرومانيـة ومن ضياع ممتلكات مصر الخارجيـة فى مستهل عهـده — أن يضفى على مجموعة من الألقاب تبتدع دفعة واحدة فى عهده مجـدا كان هو نفسـه يفتقر اليه ؟

وازاء كل الاعتبارات التى أوردناها نرى أن انشاء الألقاب الرئيسية على الأقل يجب أن يعزى الى البطالمـة الأوائل الذين يبـدو أنهم كانوا شديدى الاقتصاد فى منحها ، ولكنه على مر الزمن زيد عـدد الألقـاب واتسعت دائرة الأشخاص الذين كانت تغدق عليهم .

وكما يحتمل أن قلة الأدلة من القرن الثالث تصور اقتصاد البطالمة الأوائل فى منح الألقاب ، يحتمل أيضا أن وفرة الأدلة من القرنين الثانى والأول تصور سخاء البطالمة الأواخر فى هذا الصدد . وقد لا نعـدو الحقيقة اذا عزونا بداية هذا الاتجاه نحو السخاء فى منح الألقاب الفخرية الى عصر بطلميوس الرابع ، اذ أنه عندما اشتعل لهيب الثورات المصرية اضطر هذا الملك الى محاولة كسب ود المصريين بحدبه على الديانة المصرية ورسم نفسه فرعونا وقرن اسمه بالألقاب الفرعونية التقليدية لا فى الوثائق المصرية فحسب بل فى الوثائق الاغريقية أيضا . ولما لم يكن فى وسـع

(1) OGIS., I, p. 182.

بطلميوس الرابع اغفال الاغريق الذين كانوا سنده وعضده ولاسيما بعد قيام الثورات المصرية ولم يرضهم بطبيعة الحال ما أظهره الملك من عطف نحو المصريين ، فانه من الجائز أن يكون هذا الملك قد عمل على استرضاء الاغريق ودعم سيطرته عليهم بالتوسع فى اغداق الألقاب الفخرية عليهم ، فضلا عن اهتمامه بعبادة ديونوسوس اهتماما شديدا ، واتخاذه الخطوة التى أكملت تحويل عبادة البطالمة عبادة اغريقية رسمية عامة الى عبادة أسرة البطالمة ، وجعله عبادة بطلميوس الأول فى مدينة بطوليس عبادة رسمية عامة فى منطقة طيبة لبطلميوس الأول والملك الحاكم .

وازاء تفاقم المتاعب التى واجهت خلفاء بطلميوس الرابع ، كان طبيعيا أن يزداد سخاء البطالمة الأواخر فى منح الألقاب الفخرية . ويبدو محتملا أن هذا الاتجاه كان مزدوجا بحيث تضمن زيادة فى عدد المنتفعين وكذلك فى عدد مراتب الألقاب من أجل الاحتفاظ ، على حد رأى هن (Henne) [1] ، بقدر من التفرقة بين حملة الألقاب . وعندما نلقى سلسلة الألقاب البطلمية الفخرية كاملة نجد أنها أصبحت تمنح لمختلف أنواع الموظفين عسكريين ومدنيين ، فى الادارة المركزية والادارة المحلية، فى الاسكندرية وفى الريف ، فى مصر وفى ولاياتها .

ويتضح جليا من الأمثلة والمقارنات التى أوردناها أنه :

أولا : لم توجد فى الأصل صلة بين الألقاب والمناصب، والا لما حمل لقبا بعينه رجال تتفاوت مراتب وظائفهم تفاوتا كبيرا ، ولما حمل أشخاص فى وظائف أجل شأنا من وظائف غيرهم ألقابا أقل مرتبة من ألقاب هؤلاء الأشخاص . واذا كنا لا نعرف الأساس الذى كانت الألقاب تمنح بمقتضاه، فاننا نعرف أنه منذ أواخر القرن الثانى أصبح أمرا مألوفا أن ينتمى كبار الموظفين حتى فى الادارة المحلية الى طبقة الأقرباء .

ثانيا : قد صاحب التوسع فى منح الألقاب الفخرية اتجاه عام نحو

(1) Henne, Rev. Et. Anc., XLII, 1940, p. 180.

هبوط قيمة الألقاب لم يكن مقصورا على حكام الأقاليم بل تعداهم حتى شمل كل الموظفين المدنيين والعسكريين •

ثالثا : لم تتمتع مديرية أرسينوى (الفيوم) بأية ميزة خاصة تكسب حاكمها مكانة اسمى من مكانة حكام المديريات الأخرى •

رابعا : من الجائز أن العسكريين كانوا أول الأومر أكثر امتيازا من المدنيين بوجه عام من حيث الألقاب التى حملوها ، غير أن هذه الميزة — اذا كانت قد وجدت على الاطلاق — لم يعد لها وجود عند نهاية القرن الثانى ، لكنه لا يمكن القول بأنه على مر الزمن سبق المدنيون العسكريين فى شوط الألقاب (١) •

وقد كانت الألقاب الفخرية على الأقل منذ القرن الثانى تشمل الطبقات التالية مرتبة على هذا النحو :

١ — الأقرباء •
٢ — نظراء الأقرباء •
٣ — الأصدقاء الأول •
٤ — نظراء الأصدقاء الأول •
٥ — كبار رجال الحرس الخاص •
٦ — الأصدقاء •
٧ — رجال الحرس الخاص •
٨ — الخلفاء (٢) •

وهكذا يبين أن البطالمة لم يستحدثوا جديدا عند انشاء الارستقراطية التى تحيط بهم ، لأن نظم البلاط فى مقدونيا وبلاد الفرس ومصر الفرعونية كانت بوجه عام متشابهة ولم تختلف عنها كثيرا النظم التى وضعها البطالمة لبلاطهم • ويجب أن نشير هنا الى أنه لم يكن فى وسع بلاط البطالمة، وقد أنشىء فى بيئة غريبة عنه ليست له فيها جذور أصيلة ، أن يرتكز على ارستقراطية وراثية وانما على ارستقراطية حكومية فى

(1) Cf. Henne, op. cit., p. 184.
(2) Henne, op. cit., p. 178.

مجموعها تتألف من كبار الموظفين الذين خلع الملك عليهم ألقاب التشريف. واذا كان من المحتمل أن بعض أفراد الأسر المقدونية النبيلة استمروا يتمتعون بمكانة خاصة فى البلاط البطلمى، فانه لم يكن هنالك مفر من أن تتضمن الارستقراطية الحاكمة فريقا من الاغريق الذين وفدوا على مصر. اذ لاشك فى أنه بمضى الزمن اكتسبت بعض الأسر الاغريقية التى استقرت فى مصر نفوذا كبيرا عندما تولى أفرادها مناصب رفيعة وضمنوا لأبنائهم مثل هذه المناصب ونحا هؤلاء نحو آبائهم.

ولا جدال فى أن لقب « قريب الملك » كان أعلى الألقاب الفخرية. ويلاحظ أن الرسائل الملكية الى « الأقرباء » كانت أحيانا تدعو المرسل اليه « الأخ » على نحو ما يفعل الملوك فى مخاطبة بعضهم بعضا (١)؛ فنجد أمرا من يورجتيس الثانى وكليوبترة الثانية الى « لوخوس الأخ » (٢)، وخطابا مرسلا منهما الى « لوخوس القريب والقائد (٣) »، وخطابين مرسلين من بطلميوس فيلومتور سوتير وكليوبترة الثالثة أحدهما الى «فوموتيس (Pbommoutes) الأخ » (٤) والآخر الى « هيرموقراتيس الأخ (٥) ».

وخير دليل على تسلسل الألقاب بالترتيب الذى أوردناه أن بويثوس حاكم عام منطقة طيبة حين تلقاه لأول مرة كان ينتمى الى طبقة « كبار رجال الحرس الخاص» ثم تلقاه بعد ذلك فى طبقة «الأصدقاء الأول» وأخيرا فى طبقة « الأقرباء ». والنتيجة المنطقية لهذا الترتيب أن طبقة « كبار رجال الحرس الخاص » كانت أعلى مقاما من طبقة « الأصدقاء ». ويؤيد ذلك أولا أن هيراقلايديس حاكم مديرية پريثيبيس كان رئيس المحكمة التى نظرت قضية هيرمياس المشهورة وكان ينتمى الى طبقة « كبار رجال الحرس الخاص » فى حين أن اثنين من أعضاء هذه المحكمة وهما أپولونيوس

(1) Bouche-Leclerc. III, p. 112
(2) Strack, no. 103 B.
(3) Strack, no. 103 A.
(4) Strack, no. 140, 26.
(5) Strack, no. 140, 36.

وهيرموجنيس كانا ينتميان الى طبقة « الأصدقاء » (١) ، ومن غير المعقول أن يكون المرءوس أعلى مقـاما من الرئيس . وثانيا أن وزير المالية ديوسقوريديس قد وصف فى عام ١٥٧ بأنه من « الأصدقاء » (٢) وفى العام التالى بأنه من « كبار رجال الحرس الخاص » (٣) .

ولما كانت القرائن توحى بأن الألقاب الفخرية كانت مرتبة طبقات ، فلابد من أنه فى الظروف العادية كان يجب التقدم فى سلكها خطوة اثر أخرى دون القفز عدة خطوات دفعة واحدة . لكنه لمـا كان منح هذه الألقاب عادة رهن ارادة الملك ، فان وجود نظام معين لهذه الألقاب كان لا يحول دون الخروج على هذا النظام أحيانا ارضاء لرغبة الملك . ولسنا نعرف اذا كانت الألقاب البطلمية تبيح لصاحبها أن يحمل شارة تدل على لقبه ، ولا اذا كانت تستتبع التزامات معينة أو على العكس تحمل معها منحا معينة من الملك (٤) . ولا توحى الأدلة بأن الألقاب كانت تورث ، وان كنا لا نستبعد افادة الأبناء من مكانة آبائهم وايثار أبناء أصحاب الألقاب على غيرهم .

٦ — القصر الملكى

بالرغم من الاشارات المتعددة الى قصور البطالمة فيما كتبه المؤرخون القدماء ، فاننا لا نعرف عنها شيئا يستحق الذكر ، اذ أنه لم يصل الينا أى وصف لها ، ولم يعثر المنقبون عن الآثار على أطلالها . ولا شك فى أن قصور البطالمة كانت ترفل فى كل مظاهر الجلال والعظمة ، فقد كان غنى البطالمة مضرب الأمثال بفضل ثروة مصر ورخائها . وازاء ذلك نعتقد أنه ليس من الاسراف القول بأنه كان لا يدانى قصور البطالمة قصور الملوك فى أية دولة هلينيسية أخرى . ومع ذلك فانه لابد من أن الذوق الاغريقى قد خد من مظاهر العظمة ، التى كانت تسرف فيها قصور الفراعنة وملوك الفرس ، أو قصور ملوك فرنسا فى القرن الثامن عشر .

(1) P. Taur. no. 1, 1-5.
(2) U.P.Z. 14, 99-101, 128.
(3) P. Berl. Zilliacus I, l. 22.
(4) Bouché-Leclercq III, p. 117.

ولا شك فى أن الصبغة العامة التى سادت قصور البطالمة كانت اغريقية لأن هؤلاء الملوك نصبوا أنفسهم حماة للحضارة الاغريقية ، وزعموا أنهم من سلالة الآلهة الاغريقية ، فقد كانوا يدعون كما سلف القول ، أنهم ينحدرون عن هرقل وديونوسوس . هذا وان كانوا قد سمحوا للكهنة المصريين بأن يصوروهم على جدران المعابد المصرية فى شكل الفراعنة ، وبأن يصفوهم بأنهم أبناء رع ، من أجل الفوز بولاء رعاياهم الوطنيين . وكانت لغة البلاط الرسمية هى اللغة الاغريقية ، لكنه يبدو أن اللغة المقدونية كانت تستعمل فى دوائر الأسرة المالكة . وعندما تعلمت كليوپترة السابعة اللغة المصرية ، اعتبر ذلك أمرا فذا غير عادى (١) .

ولابد من أن ملابس رجال البلاط كانت اغريقية بسيطة فى مظهرها . ويبدو أنه لم يفرق بين ملابس الملك أو رجال البلاط وبين ملابس المواطنين الاغريق العاديين الا جودة القماش ولونه (اللون القرمزى) ودقة زركشته . وكان رداء الملك فى الحفلات الرسمية الزى المقدونى العسكرى ، ويتألف من قبعة من الفل لها دائر عريض (Kausia) ومن ملحفة (١) (Chlamys) تعلو سترة قصيرة ، ومن نعل بأشرطة على الساق لمسافة غير قصيرة (Krepides) . ولم يكن لأحد من ملوك العصر الهلينيسى تاج بالمعنى المعروف ، اذ أنهم اقتفوا أثر الاسكندر فكانوا يلفون حول رءوسهم شريطا (Diadema) يربطونه عند مؤخرتها فيتدلى طرفاه على ظهر العنق . وكان هذا الشريط عادة أبيض وأحيانا أبيض وقرمزى اللون (٢) . وعندما يرتدى الملك القبعة ، كان الشريط الملكى يربط حول قرص القبعة ويتدلى طرفاه الى الخلف . ويحتمل أن سراة المصريين — فيما عدا الكهنة — أو على الأقل أولئك المصريين الذين يتولون مناصب فى القصر أو فى الحكومة كانوا يرتدون ثيابا اغريقية . وترينا تماثيل البطالمة أنهم كانوا حليقى الذقن والشوارب ، ولا ريب فى أن رجال بلاطهم كانوا مثلهم .

(1) Bevan. p. 120,

وصف ملحفة ديمتريوس « محاصر المدن » بأنها كانت ارجوانية قاتمة اللون تحليها زركشة ذهبية تمثل النجوم وابراج السماء .

(2) Aymard et Auboyer, p. 401 ; Heuzey, Hist., du Costume Antique pp. 135 ff.

وقد شاعت عادة حلق الذقن والشوارب فى العالم الاغريقى بعد عصر الاسكندر ، واعتنقتها الأرستقراطية الرومانية فى القرن الأول قبل الميلاد ، واستمرت هذه العادة الى أن خلفتها عادة اطلاق اللحى فى عهد الامبراطور هادريانوس (١) •

ولا يبعد أن قصور البطالمة كانت تشبه منازل أغنياء الاغريق ، وان كانت أكثر منها اتساعا وبهاء • ويظن أن جدران القصور الملكية بنيت اما من ألواح من الصخور الملونة واما من الطوب الذى غطى بهذه الألواح ، وأن غرفها كانت تزخر بأثاث أنيق صنع من الخشب ورصع بالعاج والمعادن النفيسة ، وكانت مفروشة بطنافس بديعة فوق أرضية مرصوفة بالفسيفساء (٢) • ويرى بعض الباحثين أن عمارة هذه القصور وأثاثاتها كانت اغريقية فى طرازها فلا تشبه بقايا المبانى الفرعونية ، وانما تشبه ما نراه فى الصور التى حليت بها جدران المنازل فى بومبيى • ولذلك يظن أن أبهية الأعمدة فى قصور البطالمة كانت مكونة من أعمدة اغريقية قورنثية أو أيونية ، ولم تكن مؤلفة من أعمدة مصرية (٣) • لكننا نعتقد أنه من الخطأ الجزم بأن القصور الملكية كانت اغريقية فى جميع مظاهرها برغم افتقارنا الى دليل ، وبرغم معرفتنا أن قاعة الاحتفالات العظيمة التى شيدها بطلميوس الثانى (٤) ، والمركب الفخم الذى بناه بطلميوس الرابع (٥) كانا يزدهيان بأعمدة مصرية • وفى ضوء ذلك نرى أنه بالرغم من الصبغة الاغريقية العامة التى كان يصطبغ بها البلاط والقصور البطلمية ، فانه لا يبعد أنه كانت توجد فى المبانى بعض عناصر العمارة والزخرفة المصرية •

وكان البلاط يقيم عادة فى الاسكندرية ، منذ نقل العاصمة اليها ، الا أنه كان ينتقل فيما يبدو مع الملك فى مناسبات معينة من الاسكندرية الى قانوب ، اذ أن وثائق زينون البردية تحدثنا عن وجود البلاط فى

(1) Bevan, p. 119. (2) Rostovteff, Soc. and, Ec., 417.

(3) Bevan, pp. 119—120.

(4) Athenaeus, Deipnosoph. V,196-197c ; Studniczka, Das Symposion Ptolemaios II.

(5) Athenaeus, op. cit., 204 e-206 c.; Rev. des Etudes Anicennes, 1915, I, 33; Caspar, Jahrb., XXXI, pp. 1. ff.

قاتوب ، بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد الملك . وقد كان البطالمة المتأخرون يقيمون كذلك فترات قصيرة فى منف (١) .

وعندما استخدم بطلميوس الأول المؤرخ هيقتايوس (Hecataeus) من أبديرا (٢) ليكتب تاريخ مصر ، مجد الملكية وصورها على النحو الذى يتمثله الاغريق ، فوصف الحياة التى كان الملوك يحيونها بأنها لا تشبه حياة غيرهم ممن يتمتعون بسلطة مطلقة ويتصرفون فى كل شىء على نحو ما يروقهم . فمثلا فى حالة أعوانهم لم يكن من بينهم عبد واحد بل كانوا جميعا أبناء أبرز رجال الدين ، وذلك ليكون الملك — وقد أحاط نفسه بأنبل الرجال للعناية بشخصه والقيام على خدمته آناء الليل وأطراف النهار — فى مأمن من الانحدار الى الدنايا ... وقد نظمت أوقات الملوك ليلا ونهارا بحيث خصص وقت معين لكل شىء ، وكان عليهم مراعاة ذلك بدلا من مراعاة رغباتهم الخاصة . فقد كان هناك وقت محدد لاستقبال الناس أو تصريف العدالة ، ووقت للنزهة ، ووقت للاستحمام ، ووقت لمعاشرة الزوجة . وكان على الملوك أيضا أن يتبعوا نظاما معينا فى الأكل يبدو أنه كان من وضع أحكم الأطباء . ولما كان مثل هؤلاء الملوك يعيشون وفقا لنظم اختارها لهم أرشد الناس ، وكانوا يعاملون رعاياهم بالعدل ، فانهم كانوا لا يرتكبون الا أقل الأخطاء وكان رعاياهم يظهرون نحوهم من المحبة ما يفوق حبهم لذويهم (٣) .

ولما كنا نعتقد أن ما كتبه هيقتايوس يصور سلوك الفراعنة من وجهة نظر الفلسفة السياسية الاغريقية ، فان هذا التاريخ يعطينا فكرة جلية عما كان الاغريق النابهون يتوقعون عندئذ من الملوك المعاصرين . ولا نستبعد أن يكون بطلميوس الأول قد اهتدى ببعض هذه الأفكار فى وضع أساس التقاليد التى يجب أن يعيش هو وخلفاؤه على نمطها . واذا صح أن يكون البطالمة الأوائل قد راعوا مثل هذه التقاليد ، فانه لا يخامرنا شك فى أن البطالمة الأواخر ، ولا سيما العابثين منهم ، قد

---

(1) Bevan, pp. 123-124.
(2) Fraser, II, nn. 5 and 6 pp. 718—9.
(3) Diod., I, 70, 1—12 ; 71, 3—4.

انحرفوا عنها انحرافا شديدا فأهملوا شئون الدولة وانغمسوا فى ملاذهم وأصبح بلاطهم يعج بأحط العناصر مما كان له أسوأ الأثر فى مصير دولتهم .

٧ — الوزراء

ومن بين رجال البلاط كان الملك يختار مجلسه ، الذى لا نعرف عنه شيئا ، وكذلك وزراءه وكبار موظفيه . ويذكر « چوجيه » أنه كان يأتى فى مقدمة رجال السلطة المركزية « كبير الوزراء » ، ويصفه بأنه كان حامل أختام الدولة ويرجح أن لقبه كان مثل لقب كبير الوزراء فى دولة السلوقيين «المشرف على شئون الدولة» (Ho epi ton pragmaton) (١) . ويبين أن چوجيه قد استخلص ذلك من النظام الذى كان معمولا به عند السلوقيين ولم يستخلصه من الوثائق البطلمية ، اذ أنه ليس فى هذه الوثائق أى سند لهذا الرأى . ولعل هذا هو ما حدا به الى القول فى موضع آخر انه من العسير القول بأنه كان فى خدمة البطالمة عادة موظف يمكن أن ندعوه كبير الوزراء وأن نشبهه بالوزير عند فراعنة الدولة الحديثة (٢) . والواقع أنه يصعب أن نتصور وجود وزير فى دولة البطالمة يفوق فى أهميته ومكانته واتساع سلطاته ونفوذه وزير المالية وهو الذى كان يتمتع بمكانة سامية فى البلاط ويكاد يسيطر سيطرة تامة على كل نواحى الحياة العامة فى البلاد . ولا غرو فقد كان يشرف على حياة البلاد الاقتصادية وكافة موارد الخزانة العامة وخرجها ، وكان يطلق عليها اسم «خزانة الملك» (Basilikon) . ولعل السبب فى هذه التسمية يرجع الى أن الملك والدولة كانا لا ينفصلان ، ولذلك فانه لم يكن فى الوسع التفرقة بين ما يملكه أحدهما ويملكه الآخر ، حتى ليمكننا القول بأن شعار البطالمة كان كشعار لويس الرابع عشر « الدولة أنا » (L'Etat c'est moi) . وكان الوزير الذى يضطلع بمهام هذه الأعباء الخطيرة يدعى ديويقيتيس (Dioiketes) ، وهو لقب متواضع يحمل معنى « مدير الضيعة » (٣) ، ومع ذلك فان هـذا اللقب بالغ الدلالة على أن البطالمة كانوا يعتبرون مصر ضيعتهم

(1) Jouguet, Mac. Imp., p. 299. (2) Jouguet, Trois Et., p. 68.
(3) C.A.H., VII, p. 120.

الخاصة ، ومن ثم فانه يتفق تمام الاتفاق والنظم التى استنوها لحكم هذه الضيعة . وسنعود مرة أخرى الى الكلام عن هذا الوزير الخطير .

ويمكن اعتبار موظف كبير ، يدعى أرخيديقاستيس (Archidikastes) ، وزير العدل (١) . وبالرغم من أننا لا نعرف مهامه على وجه التحقيق ، فانه من المرجح أنه كان يعين بعد موافقة الملك القضاة الاغريق (خريماتيستاى Chrematistai) والقضاة المصريين (لاؤقريتاى Laokritai) فى طول البلاد وعرضها . ويظن أنه كان أيضا يحضر للملك القضايا التى كان أربابها يستأنفون الأحكام التى صدرت فيها الى الملك ، باعتباره محكمة الاستئناف العليا (٢) . وسنرى فى سياق الحديث عن الاسكندرية وبطوليس أن القرائن توحى بأنه منذ وقت ما فى القرن الثالث كان الأرخديقاستيس هو الذى يختار قضاة محاكم هاتين المدينتين ، أى أنه أصبح يختار قضاة جميع المحاكم على اختلاف أنواعها . وعلى عهد البطالمة الأوائل على الأقل كان يوجد وزير للأشغال (Architekton) كانت مهمته العناية بنظام الرى وصيانة وسائله . وكان ينفذ أوامره فى كل مديرية مهندسون كان لديهم من السلطة ما يمكنهم بمساعدة قائد المديرية من تسخير ما يلزمهم من الأيدى العاملة (٣) . ويرجح البعض أنه كان يوجد كذلك وزير للحرب يقوم بالاشراف على تجنيد الجيوش ودفع مرتبات الجنود ومنح الاقطاعات (٤) . ويرى البعض الآخر (٥) أن الملك بوصفه القائد الأعلى للجيش هو الذى كان يشرف على التجنيد . واذا كان يصعب الادلاء برأى حاسم فى هذه المسألة بسبب قلة ما لدينا من الأدلة ، فانه مع ذلك يبدو لنا أن الملك أو الوصى على العرش هو الذى كان يضطلع بكل هذه المهام بمساعدة وزير المالية وأصحاب الحظوة لدى البلاط وكذلك قائد الجيش ، حين يكون للجيش قائد غير الملك .

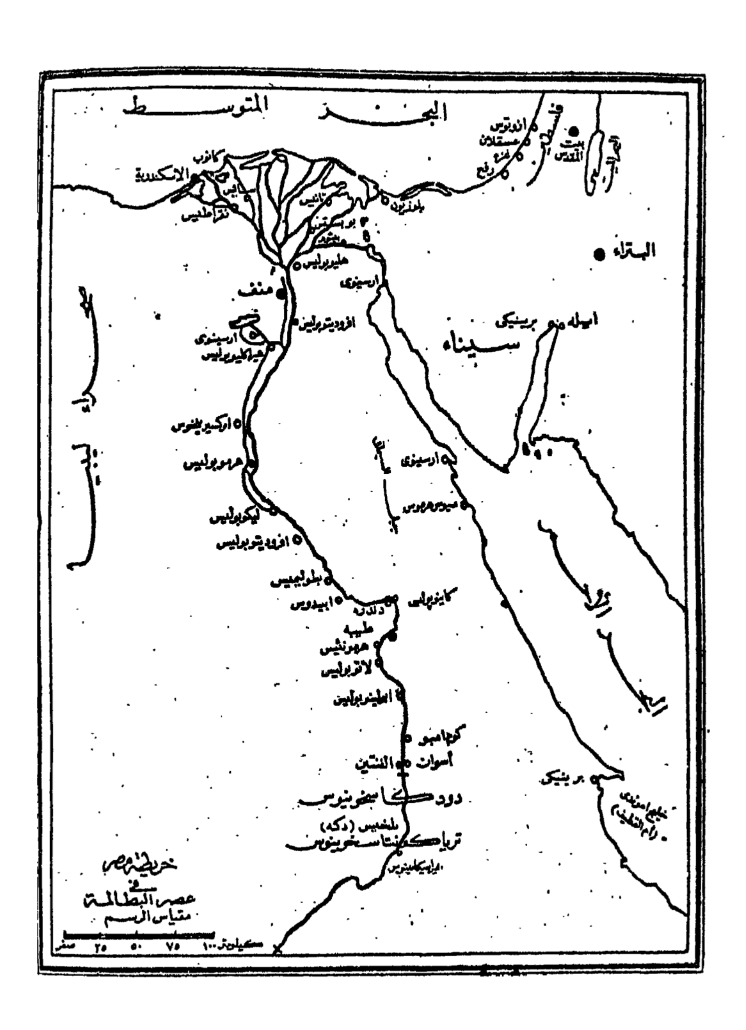
(1) Jouguet, loc. cit.
(2) C.A.H. VII, pp. 119—120.
(3) Petr. Pap., II, 42 a.
(4) C.A.H., VII, p. 116.
(5) U.P.Z., 14, 1—35, 49—50 ; P. Bad. 47, 9—15 ; cf. Lenger, Melanges Georges Smets, esp. pp. 512, 521 ; P. Hib., II, p. 94.

الفصل العاشر

السلطة المحلية

ولم يكن فى وسع الملك ووزرائه الاضطلاع بمهام الحكم ، دون مساعدة هيئة مدربة من الموظفين . ويعتبر تكوين هذا الجيش من الموظفين من جلائل أعمال البطالمة . ويزيد فى قيمة عمل البطالمة الأوائل أنه لم تكن لهم ولا لأعوانهم الذين وفدوا معهم دراية خاصة ، ولا تعليم مناسب للعمل الذى اضطلعوا به ، اذ أنهم قبل ذلك كانوا يديرون شئونهم الخاصة بطريقة بدائية ، كما أن ادارة الشئون العامة التى اشترك فيها بعض هؤلاء المهاجرين فى بلادهم الأصلية كانت أولية اذا قيست بالنظم البطلمية . ومن العسير أن نعرف كيف استطاع البطالمة تكوين هذه الأداة الحكومية الدقيقة ، فى بلد أجنبى ووسط ظروف غريبة ، من عناصر لم تتوافر لديها المؤهلات اللازمة لمثل هذا العمل ، اذ أن رءوس هذه الأداة ومديرى مصالحها المختلفة وأقسامها المتعددة كانوا كلهم تقريبا من الاغريق وهم الذين لم يعدهم ماضيهم للاضطلاع بمثل هذه الأعمال المعقدة .

ولا شك فى أن أداة البطالمة الحكومية كانت الى حد ما من تراث الماضى ، لكنها أصبحت فى مجموعها أداة اغريقية منظمة تنظيما دقيقاً . ولم تقتصر هذه الصبغة الاغريقية على أسماء المناصب — وكانت فى بداية الأمر غامضة غير دقيقة — ولا على استخدام اللغة الاغريقية ، ولا على نظام اغريقى للمحاسبة ، اذ أن هذه الأداة كانت اغريقية فى نظامها وفى الروح الذى سرى فيها ، وقد كان ذلك طبيعيا لأنه كانت للبطالمة وبخاصة الأوائل منهم أهداف وأغراض جديدة ، كان تحقيقها يتطلب اعادة تنظيم الشئون الادارية والمالية والاقتصادية القديمة التى كانت سائدة فى مصر قبل مجيئهم اليها . ومن ثم فانهم كانوا يتطلبون من موظفيهم أن ينشئوا



البحر المتوسط
كانوب
الاسكندرية
سايس
نقراطيس
تانيس
بلوزيون
بوبسطس
هليوبوليس
منف
ارسينوى
افروديتوبوليس
ارسينوى
هيراكليوبوليس
انزوتوس
عسقلان
غزة
رفح
بيت المقدس
البتراء
ايله
برينيكى
سيناء
اوكسيرينخوس
هرموبوليس
ارسينوى
ميوس هرموس
ليكوبوليس
افروديتوبوليس
بطوليميس
ابيدوس
دندره
كاينوبوليس
طيبه
هرمونثيس
لاتوبوليس
ابولينوبوليس
كوم امبو
أسوان
الفنتين
برينيكى
دوديكاسخوينوس
بلخيس (دكه)
ترياكونتاسخوينوس
خريطة مصر
في
عصر البطالمة
مقياس الرسم
كيلومتر ١٠٠
٧٥
٥٠
٢٥
صفر

ويجددوا ، وألا يكتفوا بتسيير الأداة الحكومية القديمة . ولا أدل على المهارة التى اكتسبها أولئك الموظفون على عهد بطلميوس الثانى من القوانين المالية والاقتصادية التى أصدروها فى عهده ، على نحو ما سترى فى الجزء الثالث .

ونجاح البطالمة فى اعادة تنظيم الأداة الحكومية لتحقيق أهدافهم ، يعتبر من أبدع مبتكرات العبقرية الاغريقية،ودليلا على مرونتهاواستعدادها لتكييف نفسها وفقاً للظروف التى توجد فيها . ومن المؤكد أن البطالمة انفسهم وكبار مساعديهم ومستشاريهم هم الذين وضعوا أساس البناء ، الذى كان يجب على صغار الموظفين استكماله . واذا كانت الظروف قد قضت أول الأمر باختيار الموظفين من أوفق العناصر الأجنبية التى توفرت لدى الملك ، فان هؤلاء الموظفين اكتسبوا بمضى الزمن دراية بعملهم أورثوها لخلفائهم ، ولا يبعد أنه قد كانت مكاتبهم منذ البداية مصالح حكومية ، وفى الوقت نفسه مراكز لاعداد الشبان لتولى المناصب الحكومية . وقد نجحت الأداة الحكومية البطلمية فى أداء عملها بدقة ومهارة فى كل فروع الادارة . واذا لم تكن هذه الأداة الحكومية أداة كاملة الاتقان — ويجب أن نلاحظ أننا لم نسمع قط عن أية أداة حكومية كاملة — فانها كانت كفيلة بتحقيق أهداف البطالمة . لكن هذه الأداة الدقيقة تدهورت فى أواخر عصر البطالمة ، وأصبحت أداة فاسدة مرهقة كل همها ابتزاز الأموال ، غير أن هذا لم يكن عيب تصميم هذه الأداة ، وانما عيب الظروف التى عملت فيها وطبيعة الأهداف التى وجهت اليها[1] .

ولا شك فى أنه عند وفاة بطلميوس الثانى ، كانت قد وضعت القواعد الأساسية التى قام عليها نظام الحكم ، الذى نستخلص من الوثائق البردية أنه كان متبعاً فى عصر البطالمة . ولعل السر فى ندرة الوثائق البردية الاغريقية ، التى تصف لنا النصف القرن الأول من حكم البطالمة ، يرجع الى أن بطلميوس الثانى هو الذى استكمل نظم الحكم البطلمية [2] .

---

(1) Cf, Rostovtzeff, Soc. and Ec., pp. 1078—81.
(2) Bevan, 'dd 132—3.

وأول ما يسترعى انتباهنا فى دراسة نظم الحكم البطلمية ، هو الفارق بين النظم التى وضعت للاغريق والنظم التى طبقت على أهل البلاد . ويبدو هذا الفارق جلياً فى المركز الشخصى الذى اختص به الاغريق ، وفى المدن الاغريقية التى أنشئت على أرض مصر . واذا كان كر السنين وتتابع الأحداث قد خففا من حدة هذا الفارق ، فانهما لم يقضيا عليه كلية .

١ — المدن الاغريقية فى مصر

ولقد كان انشاء المدن الاغريقية فى مصر أمراً لا مندوحة عنه ، لأن المدينة (Polis) كانت البيئة الأساسية لحياة الاغريق العامة ، اذ أن الاغريق تشبعوا بالفكرة القائلة بأن المدينة هى النظام الطبيعى الوحيد الذى يستطيع أن يعيش فى كنفه الرجال الأحرار . ذلك أن نظم المدينة الحرة كانت تكفل لمواطنيها حرية القول والعمل ، وتتيح لهم المشاركة فى ادارة دفة شئونها ، وتوفر لهم من أسباب الحياة ماهو خليق بانسان يحترم نفسه وجدير بالاستمتاع بحياته . ومن ثم فان المدينة كانت فى نظر الاغريق تعبر عن كل ما تشمله حياة الانسان وواجبه نحو الجماعة ، أو بعبارة أخرى عن اتحاد النوع الانسانى لغاية مشتركة ، هى وحدها التى تستطيع أن تبرز وتستغل أنبل الغرائز وأقدر الكفايات فى كل فرد حر . ولذلك فان الاغريق كانوا ينشئون مدينة لأنفسهم ، حيثما نزلوا فى مكان واتخذوه مستقراً دائماً لهم ، ومثل ذلك المستعمرات العديدة التى أنشأوها على شواطىء البحر المتوسط والبحر الأسود فى « عصر الاستعمار » (القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد) . وقد كانت هذه المستعمرات مدناً تكون كل منها دويلة مستقلة ، حتى عن المدينة الأصلية التى نزح منها أولئك المستعمرون ، اذ أنه لم تكن تربطهم عادة بوطنهم الأصلى سوى روابط دينية وروحية .

وفى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ، عندما صمم الاسكندر الأكبر على فتح الشرق ، نادى بأنه يقوم بهذه الحملة بوصفه القائد الأعلى لعصبة

المدن الاغريقية ، ومن أجل خدمة الحضارة الهلينية . ولذلك فانه عندما كون ميراطوريته الشرقية ووجد فى الأقاليم التى أخضعها لسلطانه مدنا اغريقية ، سمح لهذه المدن بالبقاء ، اللهم الا اذا استثنينا بعضها التى دفعته أسباب خاصة الى القضاء عليها . ولم يجد الاسكندر وسيلة لنشر الحضارة الاغريقية بين ربوع امبراطوريته ، أفضل من انشاء مدن اغريقية جديدة فى أماكن عنى باختيارها .

وعندما تداعت امبراطورية الاسكندر ، وقامت على أنقاضها ممالك كانت تضم بين جوانبها مدناً اغريقية ، وجد مبدآن متعارضان وهما : مبدأ السلطة الملكية ومبدأ استقلال المدن . ولم يكن هناك مفر من أن تفقد هذه المدن جانباً من إستقلالها ، وتصبح خاضعة لسلطة الملك ، فلم تعد دولا مستقلة بل أصبحت جزءاً من دولة أكبر منها ، لكن المدن لم تفقد حق ادارة نفسها ، أو بعبارة أخرى حق تمتعها باستقلال ذاتى . وقد كان هذا الاستقلال الذاتى أهم فارق يميز الاغريقى عن الشرقى ، على أساس ان الاغريقى يعيش فى المدن (Kata poleis) ويشترك فى حكم الجماعة التى ينتمى اليها،وأماالشرقىفانهيعيشفىالقرى (Kata Komas) ولا يتمتع بأى نوع من أنواع الاستقلال ، بل يخضع لأوامر حاكم موفد من قبل السلطة المركزية .

ولعل الاسكندر كان يعلل الأمل بأنه سيجىء يوم فى المستقبل البعيد ، يمتزج فيه الشرقيون والغربيون ويكونون شعباً واحداً ، يعيش فى المدن على النمط الاغريقى تحت سلطة خلفائه ، وذلك نتيجة لمجهودات الاغريق فى سبيل تقدم المبادىء التى قامت عليها حضارتهم ، واقبال الشرقيين رويداً رويداً على المساهمة فى الحياة السياسية ، بتأثير المدن الاغريقية المنتشرة بين أرجاء الامبراطورية ، الى أن يندمجوا فى هذه المدن تدريجياً . لكن هذا الأمل لم يتحقق فى أغلب أقاليم العالم ، الا فى عهد الرومان ، الذين كانوا ورثة الاغريق فى الشرق ، ففى مصر مثلا لم تثبت

بذور الاستقلال المحلى التى غرسها هناك فتح الاسكندر ، الا فى خلال القرن الثالث بعد الميلاد (١) .

* * *

وقد عرفنا أنه عندما قدم الاسكندر الى مصر وجد بين جنباتها مدينة اغريقية قديمة ، هى مدينة نقراطيس التى تأسست فى عهد الأسرة السادسة والعشرين ، وكانت بمثابة دولة اغريقية داخل الدولة المصرية . ومتى عرفنا ما كانت عليه هذه المدينة من الثراء ، اذ أنه كانت فى قبضتها تجارة مصر مع دول البحر المتوسط ، فاننا لا ندهش اذا كان الاسكندر قد فكر لحظة فى أن يجعلها العاصمة الجديدة (٢) . لكنه اذا كانت هذه الفكرة قد دارت بخلد الاسكندر ، فلا شك فى أنها كانت فكرة عابرة ، لأن نقراطيس كانت بعيدة عن البحر ولا تتصل به الا عن طريق أحد فروع النيل ، ولأن ثراءها يعزى قبل كل شىء الى عدم وجود موانىء هامة على شاطىء البحر فى هذه الناحية ، فلم يكن هناك مفر من أن تفقد نقراطيس أهميتها الأولى يوم تقوم مدينة كبيرة على شواطىء البحر المتوسط ، وهو الذى كانت تتجمع حول حوضه دول العالم المتمدين . وقد أثبتت الأيام صحة هذا الرأى ، لأن عصر نقراطيس الذهبى أخذ ينحسر تدريجا منذ أن أنشأ الاسكندر مدينته التى خلدت اسمه على تعاقب الأجيال . واذا كان الاسكندر قد شيد الاسكندرية لتكون منبع الحضارة الاغريقية فى مصر ، وتقضى على نفوذ العاصمة المصرية القديمة منف ، فان بطلميوس الأول أنشأ بطوليس فى أقاصى الصعيد لتواجه طيبة ، العاصمة المصرية الخالدة التى شهدت أزهى عصور الفراعنة .

ولقد ضمت امبراطورية البطالمة بين أنحائها مدناً اغريقية كثيرة ، الا أنه لم يوجد فى مصر نفسها فى خلال القرون الثلاثة التى تربع فيها البطالمة على عرش مصر سوى هذه المدن الثلاث التى ذكرناها . لكن وثيقة من القرن الثانى للميلاد قد أوحت بالفرض القائل بأن پارايتو نيون

(1) Jouguet, La Vie Municipale en Eg. à l'epoque Remanie, pp. 1 ff.
(2) Mahaffy, Empire, pp. 10—11.

Paraetonion = مرسى مطروح) كانت مدينة كذلك (١) ، قيل ان الاسكندر أسسها (٢) ، غير أننا فى الواقع لا نكاد نعرف عنها شيئاً (٣) . واذا كان بعض المؤرخين الحديثين يزعمون أن لوقوپوليس (أسيوط) وهرموپوليس ماجنا (الأشمونين) كانتا أيضا مدينتين اغريقيتين ، فلا شك فى أنهم قد أساءوا فهم الوثائق التى بنوا عليها زعمهم (٤) .

ومما يجدر بالملاحظة أن المستعمرات التى أنشئت لتعمير مديرية الفيوم واستقرار جنود البطالمة فيها لم تكن مدناً اغريقية ، بل كانت قرى أسكن فيها الاغريق وغيرهم من الأجانب مع المصريين ، ومنحوا امتيازات أكسبتهم مركزا سما بهم فوق مركز المصريين ، فكانت حالهم شبيهة بحال الاغريق الذين استوطنوا فى منف (٥) أو فى غيرها من المدن والقرى المصرية .

واذا كان السلوقيون قد أنشأوا فى امبراطوريتهم مدنا اغريقية أكثر عدداً مما أنشأه البطالمة فى امبراطوريتهم ، فان أعظم المدن السلوقية شأنا لم تضارع الاسكندرية من قرب أو بعد ، هذا الى أن القرائن توحى بأن حظ المدن السلوقية من الاستقلال الذاتى لم يكن أوفى من حظ الاسكندرية أو نقراطيس أو پطوليس . وازاء ذلك يبدو أن الباعث على قلة منشآت البطالمة وكثرة منشآت السلوقيين كان طبيعة ظروف امبراطورية كل من الفريقين .

ومعلوماتنا طفيفة عن المدن الاغريقية فى مصر ، اذ أننا لا نكاد نعرف شيئا عن نقراطيس فى عصرى البطالمة والرومان ، ولا نعرف الا النزر اليسير عن الاسكندرية وپطوليس ، وما نعرفه عن احدى هذه المدن يصعب تطبيقه عادة على غيرها لعدم توافر الأدلة لدينا ، ولا سيما أن ما نعرفه عن موقع هذه المدن ومظهرها الخارجى يدفعنا الى الشك فى أن الحياة العامة فى هذه المدن كانت تخضع دائما للقوانين نفسها . ومع ذلك فانه يبدو أن المدن الاغريقية فى مصر كانت تتفق فى ظاهرتين على الأقل ، وهما وجود هيئة مواطنين فى كل منها ، وتمتع هؤلاء المواطنين بحق امتلاك الأراضى

(1) Reinach, T., Un Code fiscale de l'Eg ronaine, 1920—1, p. 88.
(2) Grenf. and Hunt, Oxyr. Pap., I, 12 (col. 5) ; Pseudo-Calligth., I, 31.
(3) Jouguet, Mac. Imp., p. 305 ; Jones, Cities of Eastern Boman Provinces, 1937, Oxford, p. 307.
(4) Jouguet, Vie Municip., 5 ; Bouché-Leclercq, III, p. 143.
(5) Bouché-Leclercq, III, p. 143.

فى اقليمها امتلاكا حرا (١) ، وهو حق لم يتمتع به أحد فى مصر خارج هذه المدن فى خلال القرن الثالث على الأقل ، على نحو ما سنرى فيما بعد .

نقراطيس

مظهرها الخارجى واقليمها :

ويرى «چوجيه» (٢) أن نقراطيس لم تختلف كثيرا فى مظهرها الخارجى عن أى بلد مصرى ، وأنها كانت تتألف من بيوت مبنية من اللبن ، على جوانب شبكة معقدة من الشوارع والأزقة . وأما « لويس ممفورد » فانه يرى أن تخطيط نقراطيس كان يتسم بسمات خاصة من النظام والتناسق . ويبدو من سياق حديثه أنه يرى أنها خططت وفقا للتخطيط الشبكى الذى نشأ فى « ميلتوس » التى وفد منها مؤسسو نقراطيس (٣) . ويبدو أن اتساعها لم يزد على ٨٠٠ متر فى الطول و ٤٠٠ متر فى العرض ، وأنه لم تحط بها أسوار ، لأن الفراعنة كانوا لا يسمحون للاجانب بأن يستقروا فى مكان منيع بل انهم وضعوا فى هذه المدينة حامية مصرية .

وكانت المدينة الاغريقية عادة لا تشمل المدينة فحسب ، بل تشمل كذلك اقليما زراعيا خارج حدودها . ولا يبعد أن ذلك كان أيضا حال كل المدن الاغريقية فى مصر . ولعل اقليم نقراطيس كان ما يطلق عليه فى قوائم أسنا اسم مديرية نقراطيس . وقد كانت نقراطيس تقع فى مديرية سايس ، غير أنه لا سبيل الى الشك فى أن هذه المدينة الاغريقية كانت مستقلة عن تلك المديرية (٤) .

وقد مر بنا أن تجار ميلتوس أسسوا هذه المدينة ، حوالى مطلع القرن السابع قبل الميلاد،على فرع النيل القانوبى قرب قرية كوم جعيف الحديثة(٥) بمركز ايتاى البارود ، وأنها أصبحت فى عهد أماسيس المقر الوحيد للتجار

---

(1) Cf. Jouguet, Mac. Imp., pp. 308—9.

(2) Jouguet, Vie Municip., p. 6.

(٣) لويس ممفورد « المدينة على مر العصور » ص ٣٤٣ وما بعدها ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

(4) Cf. Jouguet, Vie Municip p. 8.

(٥) الجزء الأول ، ص ٣ .

الاغريق . وقد أسهم فى عمران هذه المدينة فى عهد أماسيس اغريق من جزيرة ايجينة ومن المدن والجزر الأيولية والأيونية والدورية فى شرق بحر أيجة وشاطىء الأناضول الغربى (١) . ويلوح مما نعرفه عن أصل هذه المدينة أن أهلها كانوا ينقسمون منذ البداية الى طبقات لكل منها حقوق مختلفة ، اذ أنه يبدو مما كتبه هيرودتوس (٢) أنه كان يفرق فى نقراطيس بين الاغريق المستوطنين الذين أعطاهم أماسيس المدينة ليتخذوها وطناً لهم، وبين الاغريق الذين لم يستقروا فيها بصفة دائمة ، غير أن أماسيس منحهم أماكن ليقيموا فيها مذابح وهياكل ، ومعنى هذا أنهم لم يكونوا زائرين عابرين فقط (٣) . وقد كان الهلينيون (Hellenion) أحد هذه الهياكل ، وأسهمت فى نفقات تشييده المدن الأيونية خيوس وتيوس وفوقايا (Phocaea) وقلازومنى والمدن الدورية ليندوس (Lindos) وياليسوس (Jalysos) وخاميروس (٤) (Chamiros) وقنيدوس وهاليقارناسوس وفاسيليس (Phaselis) ، والمدينة الأيولية موتيلينى (Mytilene) . وكانت توجد كذلك هياكل منفصلة لاغريق ميلتوس وايجينة ، ويحتمل أيضاً لاغريق قورينائية . ومن المؤكد أن أصحاب الهلينيون أنشأوا أيضا سوقا عامة ، هى التى كان يشرف عليها « مراقبو السوق» (Prostatai tou emporiou) وكان ينتخبهم ، على الأقل بادىء الأمر ، أولئك الاغريق الذين أسسوا الهلينيون والسوق العامة ، ولا شك فى أنه كانت توجد كذلك أسواق خاصة لأهل ميلتوس وايجينة وساموس لم تكن خاضعة «لمراقبى السوق» . ويظن أيضاً أن هؤلاء المراقبين لم يكونوا بين حكام المدينة ، بل كانوا نوعا من القناصل التجاريين يقيمون دائما فى المدينة (٥) .

ولابد اذن من أن النقراطيسيين كانوا يكونون جماعة منفصلة عن أولئك السكان غير الدائمين ، ويحتمل أنهم كانوا بادىء الأمر يكونون

(1) Wilcken, Grundzüge, I, p. 12.

(2) Herod, II, 178.

(3) Jouguet, Vie Municip., p. 23.

(٤) يذكر هيرودوتوس رودس بدلا من ليندوس وياليسوس وخاميروس ، لكن لابد من أنه كان يقصد هذه المدن الثلاث ، لأنه عندما زار مصر فيما بين عامى ٤٤٨ و ٤٤٥ لم تكن دولة رودس قد تأسست بعد .

(5) Jouguet, loc, cit.

وحدهم هيئة المواطنين الذين يتمتعون بحقوق المواطنة . واذا كان يبدو أن المستعمرين الأصليين من أهل ميلتوس وسلالتهم كانوا يكونون نواة مواطنى نقراطيس ، فانه يصعب علينا أن نعتقد أن الجماعات القومية المختلفة التى أسست الهلينيون والسوق العامة لم تكتسب بمضى الزمن أهمية كبيرة فى حياة المدينة ، وأن «مراقبى السوق» لم ينته بهم الأمر بأن أصبحوا فى عداد حكام المدينة . واننا فى الواقع لنستشف من عبارات هيرودوتوس اتجاهين متضادين : كان أحدهما انفصال هذه الجماعات عما عداها ، والآخر نحو ادماجها فى المواطنين الأصليين . اذ لا شك فى أننا عندما نقرأ فى هيرودوتوس أن حق اختيار « مراقبى السوق » كان مقصورا على المدن التى أنشأت الهلينيون ، نستخلص أن ذلك كان رجع الصدى لأصوات الاغريق الهلينيون ، كما نستخلص أن الأغريق الآخرين فى نقراطيس،وقد بهرهم ثراء السوق العامة،كانوا يطالبون بالاسهام فى ادارتها، فبدأ على هذا النحو تطور لا نستطيع أن نتتبع أدواره ، وان كنا لا نستبعد أنه انتهى بالتآلف بين مختلف القوميات الاغريقية هناك ، وبعدم قصر السوق العامة على فئات بعينها ؛ ومن ثم فانها أصبحت سوقا عامة للمدينة بأسرها . ولابد من أن تآلف هذه العناصر المتباينة لم يتم دون أن يترك وراءه أثرا ، ودون أن يؤدى الى تقسيم السكان الى طبقات ، غير أن المعلومات التى لدينا قليلة الى حد أننا لانعرف اذا كان يوجد بين النقراطيسيين مواطنون يتمتعون بحقوق المواطنة كاملة ، وآخرون لا يتمتعون الا ببعض هذه الحقوق . ويستبعد بعض المؤرخين أن المواطنين كانوا ينقسمون الى قبائل وعشائر ، بحجة أن نقراطيس أسست قبل أن يبتكر قلايسثينيس (Cleisthenes) هذا النظام الذى نقلته المدن الأخرى عن أثينا (١) . بيد أنه اذا كان هذا السبب لا ينهض دليلا على أن نقراطيس لم تقتبس هذا النظام بعد وجوده ، فانه على كل حال لا يوجد أى دليل على وجود هذا النظام فى نقراطيس ، وان كان يستخلص مما عثر عليه هناك من العملة الأثينية والآنية الفخارية الأثينية أن الأثر الأثينى كان يسود نقراطيس فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل

---

(1) Wilcken, op. cit., p. 18.

الميــلاد (١) .

وقد جمع أثيناسيوس (٢) بعض ما كتبه المؤرخون عن نقراطيس ، مسقط رأسه ، فنجد أن شخصا يدعى هيرمياس يحدثنا عن وجود حكام في نقراطيس يدعون تيموخوى (Timouchoi) ؛ كما يحدثنا عن الولائم التي كانت تقام في دار البروتانيون ، مما يدل على أنه كان يوجد أيضا بروتانيس (Prytaneis) . وكلمة تيموخوى اصطلاح كان مستعملا في لغة الادارة في مدن آسيا الصغرى الأيونية ومستعمراتها (٣) ، فقد وجد هذا الاصطلاح في تيوس (٤) وسينوپ (٥) وماسيليا (٦) . ويحتمل أنه كان يقصد بهذا الاصطلاح أعضاء مجلس أرستقراطي شبيه بمجلس ماسيليا ، حيث كان يشرف على هذا المجلس لجنة مؤلفة من خمسة عشر عضوا يعهد اليهم بتصريف الشئون العادية . وكانت هذه اللجنة تختار من بينها ثلاثة لادارتها ، يتمتع أحدهم بسلطة شاملة . لكننا لا نعرف هل كان أعضاء لجنة الخمسة عشر وأعضاء لجنة الثلاثة يحملون أيضا لقب تيمخوى أم أنهم كانوا يدعون پروتانيس ، غير أننا نرجح أنهم كانوا يحملون اللقب الأخير وذلك بسبب طبيعة عملهم . ويؤيد هذا الرأى ما نستخلصه من رواية هيرمياس عن وجود تيموخوى وپروتانيس في نقراطيس ، لكننا لا نعرف اذا كان يوجد في نقراطيس الى جانب مجلس التيموخوى لجنتان مثل ما كان يوجد في ماسيليا . واذا صح أن هيرمياس هذا هو هيرمياس من ميثومنى (Methymne) ، معاصر أفلاطون (٧) ، فان ما رواه عن نظم نقراطيس ينصب على فترة سابقة على عصر البطالمة . ومع ذلك فان الوثائق البردية تشير الى أن نقراطيس احتفظت في عهد

(1) Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 89.

(2) Athen. IV, 149d—150 b.

لكن راجع :

Lumbroso, Rendiconti della Reale Academia dei Lincei, XI, p. 584 ; Jouguet. Vie Municip., pp. 24, 475.

(3) Jouguet, Vie, p. 37.

(4) O. G. I. S., 309, 1. 12.

(5) Ditenberger, Sylloque, 609.

(6) Strabo, 179 C.

(7) Bouché-Lecl., III. p. 145, fn. 1.

البطالمة بنظمها القديمة (١) ، بل انها كانت تسك عملة خاصة بها في خلال الفترة الواقعة بين وفاة الاسكندر الأكبر واتخاذ بطلميوس الأول لقب ملك (٢) . ونعرف أن بطلميوس الثانى اهتم بتجديد معالم هذه المدينة(٣) ، وأنه كان لا يزال لها شأن كبير فى القرن الثانى ، فقد أسلفنا أنه عندما غزا أنطيوخوس الرابع الدلتا وحاصر الاسكندرية اهتم بكسب ود نقراطيس فوزع الهبات على مواطنيها (٤) . ولا شك فى أن كل ذلك ينهض دليلا على أن هذه المدينة كانت موضع عناية البطالمة ورعايتهم .

ونستخلص من وثيقة (٥) يبدو أنها من عصر بطلميوس الرابع فيلوپاتور أو بطلميوس السادس فيلوميتور (٦) ، أن نقراطيس كانت لا تزال تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتى فى عصر البطالمة ، لأننا نرى فى هذه الوثيقة أن مدينة نقراطيس تمنح مراسم التشريف لكاهن الالهة أثينا ، وكان يجمع بين وظيفته الدينية ووظيفة حارس العقود (Syngraphophylax) فى هذه المدينة (٧) .

واننا لا نعرف كيف نظمت علاقة نقراطيس بالسلطة المركزية ، لكنه لا شك فى أنه مهما يكن حظ هذه المدينة والمدينتين الاغريقيتين الأخريين فى مصر من الاستقلال الذاتى فى ادارة شئونها المحلية ، فانها كانت جميعا تخضع لسلطة الملك . ولضمان ذلك اتخذت وسائل شتى ، سنحاول التعرف عليها عند الكلام عن الاسكندرية وبطوليس . وكل مانعرفه فى هذا الصدد عن نقراطيس مستقى من نقش (٨) من عهد بطلميوس الرابع ، وصف فيه شخص يدعى قومون (Comon) بأنه أويقولوموس (Oikonomos) نقراطيس ، وهو اللقب الذى سنرى أنه كان يطلق على موظف كبير من موظفى الادارة المالية المركزية فى المديريات . وقد يؤدى هذا الى الافتراض

(1) P. Paris, 60 bis, l. 16 ; Cf. Lumbroso, Recherches, p. 222.
(2) Bevan, p. 90.
(3) Petrie, Naucratis, I, pp. 8, 26.
(4) Polyb., XXVIII, 20, 10.
(5) O.G.I.S., 120 ; Petrie, Naucratis, I, p. 63, pl. XXX, 3.
(6) Jouguet, Vie, p. 475.
(7) Bouché-Leclercq, III, p. 145.
(8) Strack, no. 57.

أن البطالمة وضعوا السلطة المحلية فى المدينة تحت اشراف مندوب للادارة المالية المركزية هناك ، لكنه من المحتمل أيضا أن قومون لم يكن الا موظفا محليا أى أحد موظفى البلدية ، أو أنه كان حقا مبعوث الادارة المالية المركزية ، غير أن مهمته كانت مقصورة على العناية بشئون الحامية فى نقراطيس.(١) . ولعل البطالمة قد اكتفوا بوجود هذه الحامية فى نقراطيس لضمان خضوعها لسيطرتهم .

ويستدل على احتفاظ نقراطيس بنظمها حتى العصر الرومانى بأن الامبراطور هادريانوس اتخذ فى القرن الثانى من هذه النظم نموذجا احتذاه فى انشاء مدينة أنطينوؤپوليس (٢) (الشيخ عبادة على الضفة الشرقية للنيل أمام الروضة بمركز ملوى فى محافظة المنيا) .

وتحدثنا وثيقة من القرن الثانى للميلاد (٣) بأن قوانين نقراطيس كانت لا تعترف بشرعية الزواج بين الاغريق والمصريين . ويرجح المؤرخون الحديثون أن هذه القوانين التى ترمى الى الاحتفاظ بالعنصر الاغريقى نقيا خالصا ، كانت قائمة كذلك فى عصر البطالمة بل منذ انشاء المدينة (٤) .

وقد انتقص تأسيس الاسكندرية من الأهمية التجارية التى كانت تتمتع بها نقراطيس ، لكن ما وجد بين أطلالها من الآنية الفخارية الكثيرة المصنوعة فى الخارج يرينا أن هذه المدينة كانت مزدهرة فى عصر البطالمة(٥) . ومرد ذلك الى أن نقراطيس كانت المركز الرئيسى على الطريق البرى بين پلوزيون والاسكندرية (٦) ، وكذلك الميناء الرئيسى على الطريق المائى بين منف والعاصمة .

واذا كانت نقراطيس قد احتفظت فى عصر البطالمة بنظمها كمدينة

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 145.
(2) Jones, op. cit., p. 302.
(3) Wilcken, Grundzüge, no. 29.
(4) Wilcken, Grundzüge, I, p. 18 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 323.
(5) Petrie, Naucratis, I, p. 8.
(6) Edgar, Annales, XXII, p. 6.

اغريقية ، فانها احتفظت كذلك بتقاليدها فى حلبة الثقافة الاغريقية ، ولا أدل على ذلك من عدد رجال الأدب الاغريق الذين أنجبتهم فى عصرى البطالمة والرومان (١) . لكن صبغتها الاغريقية العامة لم تحل دون وجود عناصر مصرية هناك ، ونستدل على ذلك من بقايا المعبد المصرى التى كشف عنها هناك (٢) . ولا شك فى أن المصريين المقيمين فى نقراطيس لم يعتبروا بين مواطنيها ، على نحو ما سنرى أنه كان حال المصريين فى الاسكندرية وبطوليس أيضا .

الاسكندرية

على بعد حوالى أربعين ميلا من نقراطيس فى الاتجاه الشمالى الغربى ، وعلى مسافة بضعة أميال غربى فرع النيل القانوبى ، اختار الاسكندر البقعة التى شيدت عليها مدينة الاسكندرية ، وهى تقع على ذلك الشريط من اليابسة الذى يفصل البحر عن بحيرة مريوط (٣) . ويبدو أن الاسكندر اختار هذه البقعة لجفافها وارتفاعها عن مستوى الدلتا ، وبعدها عن رواسب فرع النيل القانوبى ، وسهولة وصول مياه الشرب اليها ، وذلك فضلا عن قرب جزيرة فاروس (٤) وبحيرة مريوط منها . فقد قدر الاسكندر أنه بمد جسر من الجزيرة الى الشاطىء يمكن توفير مرفأين فى هذا المكان ، يستخدم أيهما تبعا لاتجاه هبوب الريح ، وأن البحيرة يمكن استخدامها مرفأ للمراكب الآتية من داخل البلاد عن طريق النيل (٥) . وجملة القول أن الاسكندر أدرك تماما أبرز ما اتسمت به هذه المنطقة من مميزات جعلتها أفضل مكان على الشاطىء لانشاء مدينة كبيرة (٦) .

ولعل وجه الشبه بين موقع جزيرة فاروس تجاه شاطىء الدلتا وموقع

---

(1) Bevan p. 90.

(2) Bevan, p. 91 ; cf. Marion Smith, Naukratis, Journ. Soc. Or. Res., 10, 1926, pp. 119—226 ; Gunn, J. E. A., 29, 1943, pp. 55—9.

(3) Arrian, III, 1 ff.

(٤) كانت فاروس تقع شمالى الاسكندرية بنحو ميل ويبلغ طولها حوالى ثلاثة أميال ويقول هوميروس انه كان يوجد بها مرفأ أمين .

(5) Hogarth, Alex. in Eg., J. E. A., II, 1915, p. 55 ; Jouguet, Mac. Imp., p. 278.

(6) Fraser, I, p. 5.

صور (١) على جزيرة تجـاه الشاطىء الأسيوى هو الذى لفت نظـر الاسكندر (٢) الى ما يتوافر لموقع الاسكندرية من مميزات (٣) ، فقرر على الفور انشاءها دون تدبير سابق ، بدليل ما ترويه المصادر القـديمة عن عدم توافر كمية كافية من الجير لتعيين مواقع الأجورا والمعابد وأسوار المدينـة والاستعانة بالحبوب المخصصة لمؤنة الجنود لاتمام التخطيط مما اعتبر فألا سعيدا ينم عما ستصيبه المدينة من الرخاء والرفاهية (٤) .

وما الذى حدا بالاسكندر الى تأسيس الاسكندرية ؟ هل أراد أن يجعل هذه المدينة مقر امبراطورية تتألف من عالم البحر المتوسط ؟ نحن لا نستبعد على الاسكندر أية مشروعات انشائية ، لكننا نستبعد عليه التفكير فى قصر امبراطوريته على هذه الدائرة الضيقة فقد كان هدفه الاستيلاء على آسيا ، بل على العالم فيما يبدو (٥) . أم هل فكر فى جعل الاسكندرية مقر امبراطوريته ؟ ونحن نستبعد ذلك أيضا لأنه لو قصر امبراطوريته على العالم الاغريقى والامبراطورية الفارسية ، لكانت بابل بحكم موقعها أفضل من الاسكندرية للاضطلاع بهذه المهمة . ولو صح ما قيل من أنه كان يريد فتح الغرب أيضا (٦) لاتجه بتفكيره الى أثينـا بحكم ماضيها ومكانتها وموقعها . أم هل أراد ، وقد حطم منذ فترة قصيرة مدينة صور التى كانت أكبر ميناء فى شرق البحر المتوسط ، أن ينشىء ثغرا مقدونيا يخلف صور فى العالم التجارى (٧) ؟ هذا محتمل ، ولا سيما أنه لم يكن لمصر ميناء جدير بأهميتها وغناها على شواطىء البحر

---

(١) كانت صور تقع على جزيرة تجاه الشاطىء الأسيوى ومن اجل فتحها اضطر الاسكندر الى تشييد جسر يربطها بالشاطىء فاصبحت جزءا متصلا باليابسة ونشأ عن اقامة هذا الجسر ميناء ان مثل ما حدث فيما بعد فى الاسكندرية عنـد ما ربط جسر الهبتاستاديون جـزيرة فـاروس بالبر .

(2) Cf. Van Groningen, A propos de la fondation d'Alex., Aegyptus, 1925, pp. 200 ff.

(3) Cf. Arrian. III, 1, 5 ; Curt. IV, 8 1.

(4) Arrian. III, 2, 1—2 ; Strab., XVII, 792 ; Plut., Alex., 26 ; Curt., IV, 8, 6 ; Amm. Marcellinus, XXII, 16, 7.

(5) Jouguet, Nat. Eg. III, p. 4.

(6) Cf. Diod., XVIII. 4 ; Tarn, J. H. S., 1921, pp. 1 ff ; 1939, pp. 124 ff.

(7) Bevan, p. 4 ; C. A. H., VI, p. 377.

المتوسط ، وذلك بالرغم من أن علاقاتها بعالم بحر أيجة كانت فى ازدياد مطرد منذ عدة قرون خلت . ولا أدل على ذلك من أن الفراعنة قد تركوا منذ مدة طويلة عواصمهم القديمة فى الجنوب واتخذوا مقرهم فى الدلتا التى أصبحت قلب بلادهم النابض ، الى حد أن الاسكندر لم ير ضرورة للذهاب الى الحدود الجنوبية واكتفى بارسال حامية صغيرة الى الفنتين لتحمل الى أهالى منطقة طيبة نبأ وصول عاهلهم الجديد (١) . وبعد دخول مصر حظيرة الامبراطورية المقدونية ، كان طبيعيا أن يزداد اتجاه نشاطها نحو بحر ايجة . ولعل هدف الاسكندر لم يكن اقتصاديا فحسب ، وهو ما يذهب اليه بعض الباحثين (٢) ، بل كان عسكريا أيضا ، وهو أن يجعل من الاسكندرية قاعدة بحرية تدعم سيطرته على بحر ايجة وشرق البحر المتوسط . ولعله أراد كذلك أن تكون مدينته الجديدة ، وقد قامت على أسس الحضارة الاغريقية ، منبعا يفيض بماء هذه الحضارة فينشر خصبها بين ربوع الشرق القديم .

ويبين أن الاسكندرية كانت أول ميناء لمصر على مياه البحر المتوسط العميقة ، لأن بلوزيون — اذا صح ما يرويه استرابون (٣) — كانت تقع على فرع النيل ابلوزى على مسافة أربعة كيلومترات تقريبا من البحر . وقد كانت نقراطيس تبعد كثيرا عن البحر . أما قانوب ، وهى التى كانت تعتبر ميناءها ، فانها بحكم موقعها عند مصب فرع النيل القانوبى وتعرضها للرواسب الطمية كانت لا تصلح للوفاء بالهدف المنشود . واذا كانت بلوزيون قد احتفظت بمكانتها باعتبارها مفتاح مصر من ناحية الشرق — وترينا وثائق زينون أن جماركها كانت عامرة فى القرن الثالث بما يتدفق عليها من واردات سوريا — فان نقراطيس تضاءلت أهميتها تبعا لازدياد أهمية الاسكندرية التى جذبت اليها أنظار الشرق والغرب معا وأصبحت تقوم بدور كبير فى حياة مصر الاقتصادية ، لا باعتبارها عاصمتها فقط بل أيضا باعتبارها ميناءها الأول . ذلك أنها كانت تستقبل من الخارج ما تحتاج اليه البلاد فتوزعه عليها ، ويأتى اليها من كل أنحاء البلاد ما يزيد

---

(1) Jouguet, Mac. Imp., 29.
(2) Fraser, op. cit., p. 1.
(3) Strabo, XVII, 1, 21.

على حاجتها فتصــدره الى مختلف الأسواق الخــارجية • ولم تكن الاسكندرية مركزاً تجارياً ممتازاً فحسب بل كانت أيضاً مركزاً صناعياً هاماً (١) •

وسرعان ما غدت الاسكندرية أكبر مدينة اغريقية فى العالم تفوق فى اتساعها أكبر المدن القديمة : أثينا وقورنثة وسراقوسة (٢) • وقد غدت كذلك فى طليعة عواصم الحضارة الاغريقية واستمتعت بمكان الصدارة فى حلبة هذه الحضارة طوال القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ، فلا عجب أن خلعت اسمها على حضارة هذين القرنين •

ويبدو مما يرويه استرابون أنه كانت تقوم فى البقعة التى شيدت الاسـكندرية عليها قرية تدعى راقوتيس (Rhakotis) ، اذ أنه يحدثنا بأن ملوك مصر السابقين كانوا قانعين بمنتجات بلادهم ولا يريدون استيراد شىء من الخارج ، ويكرهون الأجانب وبخاصة الاغريق بسبب ما عرف عنهم من الجشع فى اغتصاب البلاد الأجنبية • وتبعا لذلك فان الفراعنة أقاموا فى هذه البقعة حامية عسكرية لصد الأجانب عن دخول البــلاد وأنزلوا جنودهم فى القرية التى كانت تعرف باسم راقوتيس ، وأصبحت جزءا من مدينة الاسكندرية وراء أحواض الميناء (٣) • ونقرأ فى « قصة الاسكندر » المنحولة على قاليسثينيس أن البقعة التى شيدت الاسكندرية عليها كان يقـوم عليها قديما ست عشرة قرية مصرية كانت راقوتيس أكبرها (٤) • وقد ورد ذكر راقوتيس فى مصادر بطلمية ورومانية أخرى من أقدمها بردية من أواخر القرن الثالث قبل الميلاد (٥) • وفى رأى أحد الباحثين أن راقوتيس كانت فى عهد الأسر الفرعونية الأخيرة مدينة هامة ولم تكن قرية صغيرة بائسة ، وأن أهميتها هى التى حدت بالاسكندر الى اختيار موقعها لانشاء الاسكندرية (٦) • وفى رأى باحث آخر أن راقوتيس

(1) Jouguet, Trois Etudes, pp. 91 ff. ; Fraser, I pp. 132, 134—43, 175.
(2) Rostovtzeff, S. and E., p. 415.
(3) Strabo, XVII, 792.
(4) Ps. — Callisthenes, I, 31, 2.
(5) Fraser, I, p. 5 ; II n. 17 p. 7.
(6) Wace, Alex. Un. Bull. Fac. Arts, 4, 1948, pp. 2 *ff.*

كانت القلعة الرئيسية على الحدود فى الشمال الغربى للدلتا منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة على الأقل (١) • ويبدو لنا أن هذين الرأيين انبثقا من الكشف عن مخلفات أثرية ضخمة فى قاع البحر عند فاروس ، على نحو ما سيجىء ذكره بعد قليل •

وتدل الأبحاث الجيولوجية الحديثة على أن شاطىء الاسكندرية كان فى عصر ما قبل التاريخ يتألف من سلسلة من الجزر الصغيرة ، تقع عند مدخل الخليج الذى أصبح فيما بعد بحيرة مريوط ، لكن تراكم رمال الصحراء أدى على تعاقب الأجيال الى ربط هذه الجزر بعضها ببعض وتحويل الخليج الى بحيرة • وبمضى الزمن طرأت تغيرات أخـرى على أرض الاسكندرية ، اذ أن مستواها اليوم قد انخفض عما كان عليه فى عصر البطالمة والرومان مسافة تتراوح بين متر ومتر ونصف أو أكثر من ذلك فى الداخل وبحوالى أربعة أمتار عند الشاطىء• ويبدو أن هذا الانخفاض قد حدث بالتدريج ، اما نتيجة لهزات زلزالية عنيفة واما نتيجة لاحـدى الظواهر الجيولوجية ، واما لارتفاع مستوى البحر ، فطغى على المنطقة الساحلية وكانت بها قصور البطالمة وغيرها من أبرز معالم المدينة • ويجب أن يلاحظ أيضا أن مستوى المدينة القديمة أوطأ من مستوى المدينة الحديثة بضعة أمتار ، لا بسبب هذا الهبوط فحسب بل بسبب مخلفات العصور المختلفة التى كونت طبقات فوق طبقات ، اذ أنه لكى نصل الى مستوى المدينة فى العصر الرومانى يجب أن نحفر فى باطن الأرض ستة أو سبعة أمتار • وازاء ذلك فانه لابد من أن أطلال المدينة البطلمية تقع على عمق أبعد من ذلك، ومن ثم فانه يرجح أن المياه تغمر كل طبقات ذلك العصر(٢)• وقد كان من جراء ذلك أنه يتعذر اعطاء صورة كاملة لمدينة الاسكندرية القديمة •

وقد كان يظن أن فاروس لم تكن وقت مجىء الاسكندر أكثر من مأوى لبعض صائدى السمك المصريين ، وأن الإسكندر وخلفاءه من أفراد

---

(1) Rowe, Bull. Ryl. Lib., 36, 1953 — 4, p. 137 § 1 ; Cf. Fraser, II n. 22 p. 9.

(2) Breccia, Alex. ad Aeg., pp. 66, 67, (Eng. Ed.) ; Fraser, I, pp. 9 ff,

أسرة البطالمة هم الذين أنشأوا فى هذا المكان ميناء عظيما . لكن أبحاث جاستون چونديه (Gaston Jondet) أثارت مشكلة هامة ، اذ أنه كشف فى قاع البحر ، عند المكان الذى كان يعرف قديما باسم جزيرة فاروس ، عن بقايا أرصفة ومنشآت بحرية ضخمة . ولم يثبت بعد اذا كانت هذه الأطلال جزءا من ميناء الاسكندرية فى العهد الاغريقى ، أو جزءا من ميناء أقدم عهدا من ذلك ثم أهمل وعفا عليه الزمن قبل الفتح المقدونى . ومع ذلك فان چونديه يميل الى الاعتقاد بأن رمسيس الثانى أو الثالث هو الذى أنشأ الميناء المندثر ليحمى مصر من طغيان سكان البحار ويقول :

« ان مواد البناء ضخمة ، كما هى الحال فى أبنية الفراعنة ، ولابد من أن نقلها وانشاءها كانا أصعب من اقامة الأحجار التى تتألف منها الأهرام الكبيرة » (١) . ويرى فريق من الباحثين أن هذه المخلفات المطمورة فى الماء مخلفات موانئ بحرية يعزون انشاءها الى الكريتيين فى العصر المينوئى المتوسط أو الحديث أى فى عصر الدولة الوسطى أو الدولة الحديثة (٢) . هذا الى أن الدكتور الفخرانى يرى أن ملوك مصر فى عهد الدولة القديمة هم الذين أنشأوا هذه الموانئ المطمورة ، وأن هذه الموانئ ازدادت فى الأهمية فى عصر الأسرة التاسعة عشر وظلت قائمة الى أن حدثت تغيرات جيولوجية وطبيعية أفضت الى اختفائها تحت الماء (٣) . ولما كان لا يوجد أى دليل على خضوع أى جزء من مصر للمينوئيين ، فان الرأى الثانى مرفوض شكلا وموضوعا . ويبدو لنا أن الرأى الثالث ليس الا تطويرا للرأى الأول ، وأنه لا يمكن قبول أيهما أو ترجيحه على الآخر قبل انتشال المخلفات من البحر ودراستها أو العثور على أدلة أخرى نستهدى بها .

وقد اهتم الكتاب القدماء بتفاصيل قصة تعيين مواقع أسوار المدينة أكثر من اهتمامهم باعطائنا معلومات دقيقة عن مقاييس الأسوار وأبعادها

---

(1) Gaston Jondet, Les Ports submergés de l'ancienne île de Pharos (Mémoires présentés a L'Inst. Eg., Vol, IX. le Caire 1916).

(2) Raymond Weill, Les Ports antihelleniques de la côte d'Alex. et l'empire Crétois, Bull. Inst. Fr. Ar. O., 1916, XVI ; Sir Arthur Evans, The Palace of Minos at Knosses, London, (1929), pp. 292 ff. ; Camille Antran, Les Pheniciens, 1920.

(٣) دكتور فوزى عبد الرحمن الفخرانى : موانئ الاسكندرية القديمة ، ١٩٦٣ .

وشكلها ومواقعها . وقد انفرد تاقيتوس (Tacitus) (١) من بين كافة المؤرخين القدماء بأن عزا انشاء الأسوار الى بطلميوس الأول ، وأما غيره من قدامى المؤرخين فانهم لم يشيروا الى الأسوار الا اذا عرضت مناسبة للاشارة الى أحد الحصارات التى عانتها المدينة . ولا سبيل الى — فى أن أســوار الاسكندرية كانت أعظم من أسوار أية — اغريقية أخرى : فيما عدا سراقوسة وأثينا . ذلك أن الأحداث قد أثبتت أنها كانت منيعة على الدوام ، فقد فشل أمامها أنطيوخوس الرابع ملك سوريا فى عامى ١٧٠ و ١٦٨ ق.م . وقضى دقلديانوس ثمانية أشهر للاستيلاء عليها فى عام ٢٩٥ — ٢٩٦ . ويكاد ينحصر كل ما نعرفه عن هذه الأسوار فى عصر البطالمة فيما يلى :

(أولا) أنه كان يحيط بالاسكندرية عندئذ أسوار يبلغ أقصى طولها حوالى ١٥ ك.م. مع ملاحظة أنه وفقا للعادة الشائعة عند الاغريق كانت المقابر تقع خارج الأسوار وتبعا لذلك كانت الجبانتان الغربية والشرقية ، جبانة القبارى وجبانة الشاطبى ، تقعان خارج أسوار الاسكندرية .

(ثانيا) حصنت هذه الأسوار باقامة أبراج عليها فى مسافات متقاربة .

(ثالثا) كانت هذه الأسوار تتبع فى الناحية الشمالية مجرى الشاطىء ، فيما بين حدودها الغربية (جبانة القبارى) وحدودها الشرقية (جبانة الشاطبى) . وعند رأس لوخياس « Lochias » كانت تتجه جنوبا حوالى كيلومترين صوب القناة المتفرعة من الفــرع القــانوبى . وفى الناحيــة الجنوبية كانت الأسوار تتبع الشاطىء الشمالى لبحيرة مريوط (٢) .

ويحدثنا استرابون بأن المدينة كانت تبلغ ٣٠ ستاديا (Sladia ومفردها Stadion = ٦١٠ قدم أو ١٨٥٫٩ متر) فى الطول وسبعة أو ثمانية فى العرض (٣) . وأما المؤرخ اليهودي يوسف (٤) فانه يتفق مع استرابون من

---

(1) Hist. IV, 83, 1.
(2) Breccia, op. cit., p. 71 ; Cf. Fraser, I, pp. 11 ff.
(3) Strabo, XVII, 795.
(4) Joseph., Bell. Jud., II, 386.

حيث تقدير طول المدينة ، ولكنه يختلف معه من حيث تقدير عرضها فهو يحدثنا بأنه كان ١٠ ستاديا،وهو التقدير نفسه الذى نجده عند فيلون (١) .

ومن المعروف أن المدينة الاغريقية كانت تتألف عادة من المدينة واقليمها الزراعى ، لكن چوجيه يعتقد أن الاسكندرية لم تتألف الا من المدينة وضواحيها ، وذلك لأن ما يعرف باقليم الاسكندرية كان فى العهد الرومانى منفصلا عن المدينة ويكون مديرية على حدة تحت سيطرة قائد يقيم فى هرموپوليس پارڤا (Hermopolis Parva = دمنهور) ، ويرجع چوجيه أن هـذا النظام كان سائدا فى عهد البطالمة أيضا (٢) . ونحن نستبعد أنه حين كانت الاسكندرية عاصمة البطالمة وأعظم مدينة فى العالم الاغريقى بأسره لم يكن لها اقليم زراعى مثل غيرها من المدن الاغريقية ، ولا سيما أننا سنرى فيما بعد أنه كان من أنواع الأراضى فى عصر البطالمة ما يعرف بأرض المدينة (ge Politike) وهى الأرض التى خصصت للاسكنـدرية وپطوليس وكذلك الأرض التى كانت تمتلكها المدينة الاغريقية القديمة نقراطيس (٣) . ولعل اتساع نطاق اقليم الاسكندرية الزراعى هو ما حدا بالرومان الى جعله مديرية قائمة بذاتها . وقد يؤيد ما نذهب اليه شدة عطف البطالمة وحدبهم على مواطنى عاصمتهم الاغريق. ويجب ألا نخلط بين اقليم الاسكندرية(Alexandreias chora) وبين ذلك الجـزء من مديرية ليبيا وهو الذى كان يطلق عليـه أفوريسمنى (Aphorismene) وتخصص منتجاته للاسكندرية . ومما تجدر ملاحظته أن الاسكندرية كانت لا تعتبر جزءا من مصر وانما مجاورة لها ، على حد تعبير الاغريق والرومان وكانوا يـدعون الاسكنـدرية على النحو التالى pros Aigypto» أو kat' Aigypton (٤) أو apo Aigyptou (٥) أو «ad Aegyptum.

ويحدثنا مؤلف قصة حياة الاسكندر (٦) بـأن الفاتح الكبير وضع أساس مدينة الاسكندرية فى اليوم الخامس والعشرين من شهر طوبة عام

(1) Phil., In Flac., 92.
(2) Jouguet, Vie, p. 8.
(٣) انظر الجزء الثالث ، الفصل الثالث عشر .
(4) Rostotveff, Soc. and Ec., p. 415
(5) Syll. 3, no. 583, l. 315.
(6) Ps.—Callisthenes, I, 32, 10.

٣٣١ ق٠م ٠ وبأن المدينــة كلها اعتــادت طــوال العصــور القديمــة تزين الحيوانات بالزهور وتقــديم القرابين لآلهــة المــدينة الحــارسة (Agathoi Daimones) فى مثل هذا الموعد (١) من كل عام ٠

وكان المهنــدس الذى استخدمه الاسكندر لتخطيط المدينة يدعى دينوقراتيس (Dinocrates) ٠ وقد طبق هذا المهندس أفكار تخطيط المدن التى نشرها هيپوداموس (Hippodamos) من ميلتوس فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وطبقت فى اعادة تخطيط پايرايوس (Peiraios) ورودس وهاليقارناسوس (٢) ٠ وأهم طابع لتخطيط الاسكندرية هو شوارعها التى تجرى فى خطوط مستقيمة من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب ، حتى لتشبه لوحة الشطرنج ٠ وقد شبه الأقدمون شكل رقعة المدينة بشكل ملحفة الحرب المقدونية (٣) وكانت كقطاع من دائرة يبلغ طوله ضعف عرضه تقريبا ٠

واذا كان فليومينيس النقراطيسى هو أول من بدأ فى اقامة منشآت الاسكندرية وكان كل البطالمة تقريبا قد أسهموا فى تجميل هذه المدينة ، فانه لا سبيل الى الشك فى أنه كان لبطلميوس الأول والثانى أكبر نصيب فى ذلك ٠ ويبدو أنها فى عهد بطلميوس الثانى كانت قد استكملت أهم مظاهرها التى اشتهرت بها فى عصرى البطالمة والرومان ٠

ومصدرنا الرئيسى عن وصف معالم الاسكندرية هو استرابون ، ويتبين من وصفه أنه كان يشق المدينة عدد من الشوارع يتقاطع بعضها مع بعض ، وأن أهم هذه الشوارع شارعان يتقاطعان عموديا ويزيد

---

(١) وفى راى چوجيه انه لما كان التقويم المصرى لم يصحح الا فى عهد بطلميوس الثالث ، فان تاريخ تأسيس المدينة كان يوافق ٧ من ابريل
(Jouguet, Rev. Et. An., 42, 1940, pp. 192—7 ; Bull. Inst. Eg., 24 1942 pp. 158—74).
ولكنه فات چوجيه اننا نستمد هذا الموعد من قصة حياة الاسكندر وهى التى كتبت فى العصر الرومانى حين كانت مصر تستخدم التقويم الرومانى، ومن ثم فان فيلكن يرى بحق أن ٢٥ من طوبة كان يوافق ٢٠ من يناير —
(Wilcken, S.B. Berlin, 30, 1928, p. 579, n.3)
وعن مناقشة هذه المشكلة راجع : Fraser, II, n. 9 p. 3

(2) Breccia, op. cit., p. 67.

(3) Plut., Alex., 26, 8 ; Strabo, XVII, 793 ; Diod., XVII, 52 ; Plin., N. H., V, 62.

عرض كل منهما على ثلاثين ياردة (١) • وتوحى القرائن بأنه كانت تقوم على جانبى هذين الشارعين دهاليز أعمدة كانت تضاء ليلا ، وبأنه على الأقل فى العصر الرومانى كانت شوارع المدينة مرصوفة بالحجارة (٢) • ويحدثنا استرابون بأن أحد هذين الشارعين الرئيسيين كان يجتاز المدينة من الغرب الى الشرق بادئا عند الجبانة الغربية (القبارى) ومنتهيا عند باب قانوب فى الشرق مارا بالجومنازيوم (٣) • وما زال الجدل قائما حول تحديد مسار هذا الشارع وان كان لا يستبعد أنه كان يماثل فى بعض أجزائه الشارع المعروف اليوم باسم طريق الحرية (سابقا شارع رشيد ثم شارع فؤاد الأول) • ولا جدال فى أن الشارع الرئيسى الآخر كان يبدأ فى مكان ما عند بحيرة مريوط فى الجنوب الشرقى الا أنه فى ضوء معلوماتنا الحالية لا يمكن القول عن يقين أو ما يشبه اليقين اذا كان ينتهى اما عند أو شرقى الجسر الذى يربط الشاطىء بجزيرة فاروس واما عند رأس لوخياس (٤) • وقد كان هذا الشارع يتقاطع عند وسطه تقريبا فيما يظن مع الشارع الأول فيتألف فى ذلك المكان ميدان كبير (Mesón pedion) (٥) • وكانت بقية الشوارع بوجه عام تجرى موازية لهذين الشارعين الرئيسيين • وكان كثير من هذه الشوارع يسمح بمسير العجلات ، وذلك على نقيض الشوارع الضيقة التى كانت توجد عادة فى المدن الاغريقية القديمة •

ويبدو أنه عندما توفيت أرسينوى فيلادلفوس كان من بين ما فعله بطلميوس الثانى لتخليد ذكراها أنه أعاد تسمية شوارع الاسكندرية أو على الأقل ما يمر منها فى الحى الملكى وأطلق عليها اسم أرسينوى ، اذ أن برديتين بطلميتين حفظتا لنا أسماء عدة من شوارع الاسكندرية وأن كلا من هذه الشوارع يحمل اسم أرسينوى ، لكنه لتمييز بعضها عن

(1) Strabo, loc. cit.

(2) Rostovtzeff, Soc. and Ec., p. 417; Breccia, Alex., pp. 71 ff.

(3) Strab, XVII, 795.

(4) Cf. Breccia, pp. 71—6; Fawzi Fakharani, Arts Faculty Bulletin, Alex. Un., 18, 1964, pp. 184 ff.; Fraser, I, pp. 13—4.

(5) Jouguet, Mac. Imp., p. 278; Parsons, The Alex. Library, p. 58.

بعض أضيف الى اسم أرسينوى فى كل حالة لقب احدى الآلهات الاغريقية التى شبهت بها • فقد أضيف الى اسم أرسينوى الألقاب التالية : باسيليا (Basileia) وكذلك تليا (Teleia) تشبها بهيرا ، واليوسينيا (Eleusinia) على غرار ديمتر ، واليمون (Eleemon) مثل أفروديتى فى قبرص ، وخالقيوتقوس (Chalkioikos) كأثينا فى اسبرطة (١) ، ... ربوفوروس (Karpophoros) (٢) • وكانت قوانين المدينة تقضى بأن يترك بين كل بيت وما يجاوره مسافة قدم واحدة على الأقل ، الا اذا تم الاتفاق على عكس ذلك بين الجارين ، وكان يحق لهما اذا شاءا بناء جدار مشترك بين بيتيهما (٣) •

وقد ربط جزيرة فاروس بشاطىء المدينة جسر أطلق عليه اسم الهپتاستاديون (Heptastadion) ، لأن طوله كان ٧ ستاديا أى حوالى ١٣٠٠ متر ، فنشأ عن ذلك ميناءان أحدهما الى الشرق ويدعى « الميناء الكبير » (Megas Limen) والآخر الى الغرب ويدعى « يونوستوس » (Eunostos) • ويظن أن هذا الاسم اما مأخوذ من اسم ملك سولى فى قبرص ، زوج ابنة بطلميوس الأول ، واما لأن معنى هذا الاسم بالاغريقية « العودة السالمة » (٤) • وكان هذان الميناءان يتصلان بواسطة ممرين فى جسر الهپتاستاديون عند طرفيه (٥) • وقد خصص لاستعمال الملوك ميناء خاص يسمى « ميناء الملوك » ، وكان يقع على الشاطىء الجنوبى للميناء الكبير تجاه جزيرة انتيرودس (Antirrhodos) (٦) ، الواقعة فى الجنوب الشرقى داخل الميناء الكبير • واذا كان الهپتاستاديون يؤلف الجانب الغربى للميناء الكبير فان رأس لوخياس كان يؤلف جانبه الشرقى • وكان يمتد من رأس لوخياس صوب الشمال الغربى لسان يحمى هذا الميناء من التيارات والرياح الشمالية • وكان لا يفصل هذا

(1) P. Lond. inv. 2243 (252 B. C.) ; Bell, Arhiv, VII, pp. 22 ff., ; J. E., A., XII, 1926. p. 247 ; XIII, 1927, pp. 171 ff ; Bevan pp. 91—92.

(2) P. Tebt., 879 (190 B. C.).

(3) P. Halensis, I, ll. 91—97 ; Partsch, Archiv, VI, p. 47 ; Bevan, p. 92.

(4) Bevan, p. 94.

(5) Jouguet, op. cit., p. 280.

(6) Graindor, La Guerre d'Alex., p. 48.

اللسان عن الصخرة التى تقوم عليها المنارة شرقى جزيرة فاروس الا مدخل ضيق للميناء الكبير .

وكان يقوم على رأس لوخياس (اللسان الموجود حاليا عند منطقة السلسلة) بعض القصور الملكية . وكان هذا البعض يتصل ببقية القصور الملكية وكانت تقع عند بداية رأس لوخياس وتمتد غربا حتى « ميناء الملوك » تجاه جزيرة أنتيرودس من ناحية والمسرح الكبير من ناحية أخرى ، ويرجح أن هذا المسرح كان يقوم حيث يوجد اليوم مستشفى(١) كلية الطب (المستشفى الأميرى سابقا) . وكان يلى ذلك معبد بوسايدون على نتوء داخل الميناء الكبير . وقد أضاف أنطونيوس الى هذا النتوء جسرا شيد عند طرفه مسكنا منعزلا عرف باسم التيمونيون (Timoneion). وبعد ذلك كان يوجد المعبد المعروف بمعبد قيصر (Caesareum) ، ويحتمل أن كليوپترة السابعة هى التى بدأت انشاءه ، اجلالا اما لقيصر واما لأنطونيوس ، غير أن بناءه لم يتم الا بعد الفتح الرومانى وأصبح مقر عبادة أغسطس فى الاسكندرية (٢) .

وكانت تلى هذا المعبد من الناحية الغربية الأرصفة وبجوارها مركز تجارى (Emporion) ومخازن البضائع (Apostaseis) وكذلك أحواض للسفن (neoria) تمتد حتى جسر الهپتاستاديون (٣) . وقد رأى البعض أن الأرصفة وما يجاورها كانت منطقة حرة (exhairesis) تفصلها أسوار عن المدينة ، وأن البضائع كانت تنقل الى هذه المنطقة دون فرض مكوس جمركية عليها ، وأما البضائع التى تنقل من هناك الى المدينة فانه كانت تجبى عنها المكوس الجمركية المقررة (٤) . ولكن هذا الرأى يلقى معارضة قوية بسبب افتقاره الى أدلة مقنعة تدعمه . ولعل الأرجح أنه عند وصول البضائع من الخارج كانت تودع فى المخازن ثم تنقل الى الأمپوريون حيث تفحص وتفرض عليها المكوس الجمركية ،

(1) Fraser, I, p. 23.
(2) Fraser, I, p. 24.
(3) Strab., XVII, 794.
(4) Preisigke, Archiv, V, pp. 306—7 ; Wilcken, Chrest., no. 260.

وأن الأمبريون كان فى الوقت نفسه مركزا تجاريا عاما مثل ما كانت عليه الحال فى أثينا (١) .

ولا ترد أية اشارة عند استرابون الى المعبد (Arsinoeion) الذى أقيم اجلالا لأرسينوى فيلادلفوس ، ولكننا تبين من مصدر قديم أن هذا المعبد كان يوجد بجوار الامبوريون . ويذكر بلينيوس أن المعمارى تيموخاريس شرع فى بناء سقف هذا المعبد من مواد ممغنطة بحيث يبدو تمثال أرسينوى المصنوع من الحديد وكأنه معلق فى الهواء ، وأن بطلميوس الثانى أمر بأن تنقل من هليوبوليس مسلة لنقتانبو وبأن تقام فى سياج هذا المعبد ، وأنه فى بداية عهد أغسطس قام الحاكم العام الرومانى فى مصر بنقل هذه المسلة الى السوق العامة (٢) (agora = forum) .

ويحدثنا استرابون (٣) بأنه غربى جسر الهپتاستاديون كان يقع ميناء يونوستوس حيث أنشىء فى داخله ميناء عرف باسم الصندوق (Kibotos) وبأنه كانت توجد به أحواض للسفن ، وتنتهى عنده القناة التى تربطه ببحيرة مريوط ، وبأن هذه القناة كانت الطريق الرئيسى لنقل التجارة من داخل البلاد الى الاسكندرية ، وكان حجم هذه التجارة يعادل حجم التجارة الخارجية . ويوحى الموقع الداخلى لميناء الصندوق بأن أحواض السفن التى أنشئت فيه كانت الأحواض الرئيسية للسفن (٤) ، أو بعبارة أخرى الترسانة الملكية الرئيسية .

وقد كان حى القصور الملكية (Broucheion) يطل على الميناء الكبير ويمتد فيما بين البحر وشارع قانوب ويشغل ربع مساحة المدينة أو ثلثها تقريبا ، ويكون الجانب الأكبر مما يعرف باسم المدينة الجديدة (Neapolis) فى الجزء الشمالى الشرقى من الاسكندرية ، حيث كانت تقوم أروع معالم العاصمة . فقد كانت توجد فى هذا الحى القصور والحدائق الملكية وحدائق الحيوان التى زينت بنافورات رائعة ، ودار العلم (Mouseion)

(1) Fraser, I, p. 25 ; II, p. 72, n. 165.
(2) Fraser, I, p. 25 ; II, pp. 72—5, nn. 167—173.
(3) Strabo, XVII, 792 ; 795.
(4) Fraser, I, p. 26 ; Cf. Graindor, p. 68.

ويظن أنه كان يتصل بها هيكل هوميروس — وهو الذى شيده فيلوپاتور — والمكتبة الكبرى . وكانت توجد فى هذا الحى كذلك دار القضاء (Dekasterion) ، والجومنازيوم ، ويحتمل أنه كان أهم جومنازيا العاصمة وأنه كان يلقى رعاية ملكية خاصة ، وكان بناء رائعا له بهو أعمدة يمتد مسافة تزيد على ستاديون ، ويظن برتشيا أنه كان يوجد شمال شرقى الحى الذى يعرف اليوم باسم كوم الدكة . وكان يوجد هناك أيضا الپانيون (Paneion) وهو تل اصطنع اجلالا للاله پان ، وتشرف قمته على المدينة بأكملها وتحيط به حديقة . ودأب الباحثون على اعتبار كوم الدكة موقع الپانيون ، ولكنه عندما أزيل هذا الكوم حديثا لم تكشف الحفائر عن أية مخلفات أثرية فوق سطح الأرض وان كشفت تحت مستوى الأرض باثنى عشر مترا عن بقايا مباز رومانية [1] .

ويحدثنا استرابون بأنه كان يوجد فى هذا الحى الأثر المعروف باسم سيما (Sema) وهو الذى كان سياجا يضم قبور الملوك وقبر الاسكندر ، وبأن الاسكندر كان مدفونا فى تابوت من الذهب استبدل به بطلميوس العاشر اسكندر الأول تابوتا من الألبستر [2] . وفى رأى فريق من الباحثين أن السيما كان معبدا جنازيا للاسكندر ، وأنه بمضى الزمن شيدت حول هذا المعبد معابد جنازية أخرى للبطالمة المؤلهين ، وأن بطلميوس الثانى بدأ هذا العمل بتشييد معبد لأبويه ومعبد آخر ، فيما يظن ، لزوجته أرسينوى وليكون كذلك مثواه الأخير [3] . بيد أن زنوبيوس يحدثنا بأن الاسكندر والبطالمة كانوا مدفونين فى مقابر منفصلة الى أن أنشأ بطلميوس الرابع لأسلافه والاسكندر مقبرة ضخمة (Mausoleum) لتضم رفات أسلافه والاسكندر ودعا هذه المقبرة السيما [4] . ولعل أن فريزر على حق فيما يراه من أنه ليس هناك تعارض

(1) Breccia, pp. 100—1 ; Fraser, I, p. 29.
(2) Strabo XVII, 793—4.
(3) Breccia, pp. 96—8; Rostovtzeff, S. and E., p. 419.

كان كثيرون يرون أن قبر الاسكندر يقع قرب مسجد النبى دانيال لكن الحفائر لم تؤيد بعد هذا الراى واليوم ينادى البعض بالبحث فى منطقة مقابر اللاتين عن هذا القبر ، راجع :

Fawzi Fakharani, op. cit., pp. 179 ff.

(4) Zenob., III, 94 (Proem. Gr., I, p. 81).

بين روايتى استرابون وزنوبيوس ، ومن أن رواية الكاتب الأخير توحى بأن المقبرة الضخمة التى شيدها بطليوس الرابع لم تكن فى ذات الموقع الذى أنشىء عليه القبر الأصلى للاسكندر ، وتبعا لذلك فان البحث عن هذا القبر بدلا من البحث عن المقبرة الضخمة ضرب من العبث الضال (١).

وأما مضمار سباق الخيل (Hippodromos) وميدان الألعاب (Stadion) فانهما كانا يقعان على مشارف المدينة ، أولهما فى الناحية الجنوبية الشرقية، بالقرب من المكان الذى يوجد فيه اليوم ميدان السباق ، وثانيهما فى الناحية الجنوبية الغربية (٢) ، قرب حى راقوتيس حيث أنشىء معبد السرابيوم على تل فيه ، وحيث يقوم الآن العمود المعروف خطأ باسم عمود بومبى . واذا كان استرابون قد أغفل ذكر الأجوراء فان مصادر قديمة أخرى أشارت اليها ، ويرجح أنها كانت عند وسط المدينة (٣).

وشرقى جزيرة فاروس وعلى مقربة (٤) منها ، حيث توجد الآن قلعة قايد بك ، كانت توجد جزيرة صغيرة أقيمت عليها منارة الاسكندرية الشهيرة ، وكانت تعتبر احدى عجائب العالم القديم . ويبدو أن المهندس سوستراتوس من قنيدوس بدأ فى بنائها فى عهد بطلميوس الأول ، حوالى عام ٢٩٧ ، وأتمها فى بداية عهد بطلميوس الثانى ، حوالى عام ٢٨٠/٢٧٩ ق.م (٥). ولسوء الحظ أن معالم هذا البناء الضخم قد اندثرت تماما فى خلال القرن الرابع عشر ، لكن تيرش (Thiersch) حاول أن يصور لنا ما كانت عليه هذه المنارة بعد أن استعرض فى كتابه (٦) كل ما يتعلق بها من مصادر العصور القديمة والعصور الوسطى ، وكذلك كل ما يتصل بكافة المنارات التى بنيت بعدها ويرجح أنها تأثرت بها . وقد توصل تيرش الى نتائج تثير الاعجاب ، اذ يبين أنها شديدة القرب من الحقيقة ، برغم اعتماده فى الوصول اليها على معلومات غير مستمدة من وصف أشخاص رأوا المنارة بأنفسهم . ولحسن الحظ اهتدى حديثا الى مصدر

(1) Fraser, I, pp. 16—7; II, nn. 85—92, pp. 36—42.
(2) Bevan, p. 94 ; Fraser, I, pp. 26, 29, 31—2.
(3) Fraser, I, p. 30.
(4) Strabo XVII, 791.
(5) Cf. Fraser, I, p. 20.
(6) Thiersch, Der Pharos, Antike, Islam und Occident, 1909.

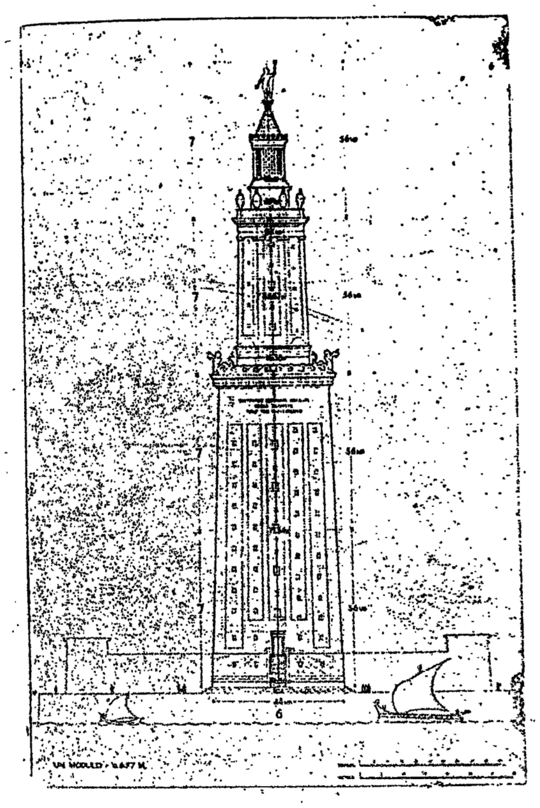
لم يكن معروفا لتيرش ، ويمتاز هذا المصدر على كل ما إعتمد عليه هذا العالم بأنه وصف دقيق واضح للمنارة قبل اندثارها .

وأما هذا المصدر فهو كتاب وضعه معمارى من ملقا (Malaga) بأسپانيا ، يدعى أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى المالكى الأندلسى المعروف بابن الشيخ ، وكان يعيش بين عامى ١١٣٢ و ١٢٠٧ م وأقام فى الاسكنــدرية عامى ١١٦٥ و ١١٦٦ م ، حيث وقف نفسه على البحث الأدبى ودراسة الآثار . ولما كانت لديه كفاية تؤهله لدراسة المبانى دراسة دقيقة ، فان الباحثين يعلقون أهمية كبيرة على ما أدلى به من معلومات عن منارة الأسكندرية التى زارها ودون مقاييسها فى مذكرات ، استخدمها عند عودته الى ملقا بعد عام ١١٦٦ فى وضع كتاب ، اسمه « كتاب ألف باء » ، لتعليم ابنه « عبد الرحمن » . وقد نشر هذا الكتاب فى القاهرة فى عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) . وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب (ص ص ٥٣٧ و ٥٣٨) نجد وصفا مفصلا لمنارة الاسكندرية ، استخدمه بعض الباحثين الأسپان (١) فى اعطائنا صورة جديدة لشكل المنارة ، لعلها أدنى الى الحقيقة من كل ما عرفناه عنها حتى الآن . وذلك بفضل مقاييس « ابن الشيخ » وأمانة وصفه ودقة ملاحظته ، ولا سيما أنه كان بنــاء قادرا وراوية دقيقا .

ويستخلص من هذه الدراسة أنه كان يربط جزيرة فاروس بالجزيرة الصغيرة أو بعبارة أدق الصخرة التى قامت عليها المنارة جسر مائل يرتفع رويدا رويدا من الجزيرة الى صخرة المنارة ، ويقوم على ستة عشر قوسا ويبلغ طوله مائة باع (٦٨ مترا) تقريبا . وقد أقيم حول القسم الأول من المنارة ، لحمايته من طغيان البحر ، سور ارتفاعه ١٢ ذراعا (٦٫٩٦) وعرضه عند قمته ١٢ ذراعا . لكن هذا العرض كان يزداد كلما هبط السور الى قاعدته . ويبدو أنه كان يحيط بكل جوانب السور ، من الخارج ، افريز لا نعرف عرضه . وفى الوسط ، داخل السور ، أقيمت المنارة نفسها ، وكانت تتألف من ثلاثة أقسام يعلوها المصباح .

---

(1) The Pharos of Alexandria, Summary of an Essay by Miguel de Asin, Communicated by The Duke of Alba, Proceedings British Academy, Vol. XIX.



منارة الاسكندريه

كما يمكن تصورها من وصف ابى الحاج يوسف بن محمد البلوى المالكى الاندلسى المعروف بابن الشيخ .

وكان القسم الأول رباعي ، والثاني ثماني ، والثالث أسطواني الشكل، وقاعدة القسمين الأول والثاني أكثر اتساعا من قمتها . ويبلغ طول كل ضلع ، عند القاعدة ، ٤٥ باعا (٣٠٫٦٠ مترا) في القسم الأول ، وعشرة ابوع (٦٫٨٠ مترا) في القسم الثاني . ومعنى ذلك أن محيط قاعدة القسم الأول وطوله ١٨٠ باعا (١٢٢٫٤٠ مترا) يزيد بمائة باع (٦٨ مترا) على محيط قاعدة القسم الثاني وطوله ٨٠ باعا (٥٤٫٤٠ مترا) . ويبلغ ارتفاع القسم الأول ٣١ قامة (٧١٫٣٠ مترا) ثم تعلو ذلك ، حول الممشى الذي يحيط بالقسم الثاني ويبلغ عرضه ١٥ شبرا (٣٫٣٧٥ مترا) ، حائط كالستار طولها قامة واحدة (٢٫٣٠ مترا) ، وعرضها سبعة أو تسعة أشبار (١٫٥٧٥ مترا أو ٢٫٠٢٥ مترا) . ويبلغ ارتفاع القسم الثاني ١٥ قامة (٣٤٫٥٠ مترا) ، أي أقل قليلا من نصف ارتفاع القسم الأول ، ثم تعلوه حائط كالستار يفصلها عن القسم الثالث ممشى عرضه تسعة أشبار ونصف شبر (٣٫١٣٧ مترا) . ويبلغ طول محيط القسم الثالث الاسطواني أربعين باعا (٢٧٫٢٠ مترا) ، أي نصف طول محيط القسم الثاني ، وارتفاعه أربع قامات (٩٫٢٠ مترا) ، أي أكثر قليلا من ربع ارتفاع القسم الثاني . وبعد الفتح العربي ، أقيم وسط القسم الثالث ، مكان المصباح القديم ، جامع صغير كالقبة ، ارتفاعه ثلاث قامات (٦٫٩٠ متر) ومحيطه ٢٠ باعا (١٣٫٦٠ مترا) ، وأمامه سور عرضه شبران (٠٫٤٥ مترا) ، وبينه وبين المسجد ممشى عرضه خمسة أشبار (١٫١٢٥ مترا) . واذا صح أن ارتفاع المسجد كان يماثل تماما ارتفاع المصباح ، فانه يمكن عندئذ القول بأن ارتفاع المنارة كان يبلغ ٥٣ قامة (١٢١٫٩٠ مترا) ابتداء من قاعدة القسم الأول ، هذا فيما عدا أساس البناء كله وهو يقدر بست قامات (١٣٫٨٠ مترا) ، فيكون طول البناء بأجمعه ٥٩ قامة (١٣٥٫٧ متر) .

وكان يقوم في القسم الأول المربع ، بين محوره وجدرانه ، مرتقى حلزوني لا درج فيه ، وكان عرض هذا المرتقى سبعة أشبار (١٫٥٧٥ مترا) . أما في القسمين الثاني والثالث فانه بني سلمان يتألف أولهما من ٣٢ درجة ، وثانيهما من ١٨ درجة . ولم توجد غرف في أقسام المنارة المختلفة الا في القسم الأول بسبب اتساعه . وقد كان بعض هذه الغرف

الى يمين المرتقى الحلزونى وبعضها الى يساره ، لكنه لا يمكن الجزم بعدد الغرف فى كل من هذين الجانبين ، وان كنا نعرف أنه على مسافة أربعين باعا (٢٠ر٢٧ مترا) من مدخل المنارة كانت توجد الى اليسار غرفة تؤدى الى قاع المنارة . وبعد ذلك بستين باعا (٨٠ر٤٠ مترا) كانت توجد الى يمين المرتقى ويساره ١٨ غرفة يتصل بعضها ببعض . وبعد ٦٠ باعا أخرى كانت توجد ١٥ غرفة ، وبعد ٢٤ باعا (٣٢ر١٦ مترا) كانت توجد ١٧ غرفة ، وبذلك يكون مجموع الغرف التى أشار اليها « ابن الشيخ » ٥١ غرفة . لكننى لاحظت أنه ختم وصفه بقوله ان عدد جميع الغرف كان ٦٨ ، فهل سبب ذلك أنه كانت توجد غرف أخرى أغفل الاشارة اليها أول الأمر لكنه أدخلها فى المجموع ، أم أنه احتسب سهوا السبع عشرة غرفة الأخيرة مرتين ؟ هذا ما لا يمكن الجزم به وان كان الاحتمال الثانى يبدو أرجح من الأول .

ولم يذكر « ابن الشيخ » شيئا عن زخرفة المنارة الخارجية ولا عن المصباح ، لأن مر الأيام كان قد أتى عليها . ولذلك لا مفر من الاعتماد على ما ورد فى المراجع الأخرى وبخاصة ما استخلصه منها تيرش ، ومجمله أن المنارة بنيت من الحجر وزخرفت بلوحات منحوتة من الرخام والبرونز ، وأن المصباح كان يتكون من ثمانية أعمدة تغطيها قبة أقيم عليها تمثال يبلغ ارتفاعه ثمانية أمتار تقريبا ، يرجح أنه كان تمثال پوسايدون اله البحار (١) . وكان النور الذى يستخدم لارشاد الملاحين ينتج من احراق أخشاب صلبة فى المصباح ، ويظن أنه كانت به مرايات محدبة ، مصنوعة من المعدن ، لترسل الضوء الى مسافة بعيدة (٢) .

وكانت المنارة تحمل ، على واجهتها الشرقية نقشا هذا نصه (٣) :

« سوستراتوس بن دكسيفانيس (Dexiphanes) من قنيدوس ، الى الالهين المنقذين (سوتيرس) باسم الملاحين » . ومن كان المقصود بالالهين المنقذين ؟ أكان يراد بذلك بطلميوس الأول وزوجه برنيقى وهما اللذان عرفا بهذا اللقب بعد تأليههما ؟ وهذا طبيعى لأن بطلميوس الأول هو الذى

(1) Thierch, p. 13 ; Cf. Fraser, I, p. 19 ; II n. 99 pp. 45--6.

(2) Thiersch, pp. 89 ff., Breccia, Alex. ad Aeg., pp. 106--10.

(3) Ap. Strab., XVII, 791 ; Lucian., Quom. hist. sit scrib., 42.

أمر بناء المنارة ، وإن كان يبدو أن بناءها تم فى عهد فيلادلفوس • أم كان المراد بذلك الالهين قاستور (Castor) وپولوكس (Pollux) الهى الملاحين، وكانا يوصفان عادة على هذا النحو ؟ وهذا محتمل أيضا ، و لاسيما اذا كان النقش قد وضع قبل تألية بطلميوس الأول وزوجه • أم لعل هذا الغموض كان مقصودا، لكى يجوز أن تنصب هذه العبارة على بطلميوس وزوجه ، وكذلك على قاستور وپولوكس (١) • وهذا أقرب الاحتمالات جميعا (٢) ، لكنه يبدو غريبا أنه سمح للمهندس بأن يهدى باسمه بناء هاما مثل هذه المنارة • وقد قيل تفسيرا لذلك أن سوستراتوس حفر اسمه عميقا فى الصخر بحروف ضخمة ثم غطاه بطبقة رقيقة من الجبس تشبه الصخر فى المظهر ونقش عليها اسم بطلميوس ، على أمل أن يقع الجبس بعد وفاته فيزول اسم بطلميوس ويبقى اسمه (٣) •

وكانت تمد الاسكندرية بمياه الشرب قناة كبيرة تتفرع من النيل عند سخديا (Schedia) = قرية النشو البحرى بمركز كفر الدوار) ، على بعد حوالى ٢٧ ك • م من العاصمة ، وتتخذ مجرى يشبه كثيرا مجرى ترعة المحمودية • ويبين أن هذه القناة أقدم من الاسكندرية ذاتها ، الا أن « قصة الاسكندر » تحدثنا بأن راقوتيس والقرى المجاورة ، التى شيدت الاسكندرية عليها ، كانت تستمد مياهها من اثنتى عشرة قناة صغيرة تتفرع من قناة كبيرة ، وأنه عندما أسست الاسكندرية سدت هذه القنوات جميعا فيما عدا اثنتين منها وشيدت فوق الباقى شوارع المدينة وميادينها (٤) •

---

(1) Bevan, p. 96.

(٢) استنادا الى مقطوعة شعرية لپوسيديپوس ، يشك فريزر فى صحة النقش كما أورده استرابون ولوقيانوس ، ويرجح أن الاهداء كان الى زيوس سوتير وان تمثال هذا الاله هو الذى كان يعلو المنارة . واذ يضرب فريزر عرض الحائط بالمصادر القائلة بان سوستراتوس القنيدى كان المعمارى الذى شيد المنارة وعرف بأعماله المعمارية والهندسية ، يرى ان سوستراتوس لم يفعل اكثر من انه تبرع بنفقات انشاء المنارة (جـ ١ ، ص ص ١٨ ـ ٢٠) . ويبدو لنا ان فريزر قد اسرف فى شكوكه وفى تأويل مقطوعة پوسيديپوس دون تقديم مبررات تكفل اقناعنا بما يذهب اليه .

(3) Lucian, loc. cit. ; Cf. Letronne, Recueil, pp. 527—35.

(4) Ps.—Callisthenes, I, 31;.

وتدل المصادر القديمة والأبحاث الحديثة على أنه أنشئ تحت سطح أرض المدينة نظام دقيق من القنوات لامداد المنازل بحاجتها من مياه الشرب وكانت تأتيها على هذا النحو من القناة الكبيرة . ويعزى انشاء هذه القنوات الى هوپونوموس (Hyponomos) الليبى (١) .

وبالقرب من حجر النواتية (Petrae) ، كانت القناة الكبيرة تتفرع فرعين يسير أحدهما فى محاذاة الشاطئ الى قانوب (أبو قير) بينما يتجه الآخر نحو الاسكندرية . ويرى أغلب الباحثين أن هذا الفرع كان يلف حول العاصمة من الجنوب ويصب فى ميناء يونوستوس عند «الصندوق» لكن برتشيا يخالف هذا الرأى ويعتقد أنه كان طبيعيا أن تصب القناة فى « الميناء الكبير » لأنه كان أهم من الميناء الآخر (٢) . ونحن لا نستطيع قبول رأى برتشيا لسببين ، وأحدهما هو أن استرابون يحدثنا بأن قناة صالحة للملاحة كانت تصل « الصندوق » ببحيرة مريوط ، والآخر هو أنه لو كان رأى برتشيا صحيحا ، لمدت القناة بالمياه الحى الملكى الذى تحصن فيه قيصر خلال « حرب الاسكندرية » ، ولما اضطر قيصر الى أن يعمل على مد تحصيناته جنوبا نحو البحيرة ليضمن الحصول على مياه الشرب . وازاء ذلك فاننا نرجح أن القناة كانت تدور حول العاصمة من الجنوب وتصب فى الناحية الشرقية من خليج بحيرة مريوط ، وهو الذى شيد عليه ميناء البحيرة وكان يتوغل فى داخل العاصمة مسافة كبيرة حتى شارع قانوب بالقرب من منتصفه فيشطر المدينة شطرين ، ثم كانت القناة تخرج من ضفة الخليج الغربية وتمتد حتى الصندوق (٣) . وبعد انشاء جسر الهپتاستاديون وميناء البحيرة أصبح للاسكندرية ثلاثة موانئ : اثنان منها على البحر المتوسط ، حيث كانت ترسو المراكب القادمة من هذا البحر ، والثالث على بحيرة مريوط حيث كانت تحتشد المراكب القادمة من داخل مصر ، وتحمل منتجاتها وكذلك منتجات الشرق الأقصى .

وقد مر بنا أنه كانت توجد خارج أسوار الاسكندرية مدينتان

(1) Bell. Alex. V ; cf. P. W. Real. Encycl. col. 1382 ; Berve, das Alexanderreich, II. s. v. Krates ; Breccia, p. 80 ; Bevan, p. 92.

(2) Breccia, p. 78.

(3) Graindor, pp. 65—6.

للموتى ، احداهما فى الشرق والأخرى فى الغرب . وكان يوجد فى الشرق أيضا ، على ضفة القناة ، ضاحية اليونسيس (Eleusis) (بالقرب من الحضرة) حيث أنشأ بطلميوس الثانى للالهة ديمتر طقوسا كانت تشبه فى بعض مظاهرها الطقوس التى كانت تقام لهذه الالهة فى اليوسيس بأتيقا (١) . وكانت توجد كذلك على ضفة هذه القناة ، فيما بين الاسكندرية وقانوب ، قصور وحدائق أغنياء الاسكندرية . وقد أصبحت قانوب ، تلك المدينة المصرية القديمة ، مكانا مختارا لمباهج الاسكندريين . ويصف لنا استرابون المظاهر الصاخبة التى كانت تشاهد على المراكب المتنقلة آناء الليل وأطراف النهار فى هذه القناة ، بين الاسكندرية وقانوب (٢) .

تاريخ نقل العاصمة من منف الى الاسكندرية :

ويجدر بنا التوقف هنا لمناقشة التاريخ الذى أصبحت فيه الاسكندرية بدلا من منف عاصمة لمصر منذ أن اتخذها بطلميوس بن لاجوس مقرا له . ويسلم فريزر بأننا لانكاد نعرف شيئا على الاطلاق عن مدى نمو الاسكندرية فى عهد قليومينيس (٣٣١-٣٢٣) ، وبأنه لا يرد للاسكندرية أى ذكر فيما يتصل بالأحداث التاريخية التى وقعت فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، وبأنه لم تصل الينا نقوش ولا وثائق بردية يمكن تأريخها بدقة وتنم عن أن الاسكندرية كانت مصدرها أو تشير الى هذه المدينة قبل أواخر عهد بطلميوس الأول وبداية عهد بطلميوس الثانى (ولعل فريزر يقصد نقوشا اغريقية لأنه عرف واستخدم نقشا مصريا ورد فيه ذكر الاسكندرية ويرجع الى الشطر الأول من عهد بطلميوس الأول) ، وبأن المصادر الأدبية كذلك تلوذ بصمت عميق عن هذه المدينة فى تاريخها الباكر . ومع ذلك فان فريزر يميل الى الاعتقاد بأن الاسكندرية غدت سريعا بعد انشائها مقر الحكم فى مصر ، وذلك على أساس : أولا ، أن الاسكندر الأكبر عهد بانشاء المدينة الى قليومينيس وكان رجلا جم النشاط . وثانيا : أنه لما كان قليومينيس قد أصدر باسم الاسكندر نقودا ترجع الى عام ٣٣١/٣٣٠

(1) Callim., Hymn 6 ; cf. Otto, p. 265, n. 1 ; P. Oxy., XIII, no. 1612 ; Bevan, p. 96.

(2) Strabo, XVII, 800.

أو الى عام ٣٢٦/٣٢٥ ، وكان يبدو أن بطلميوس بدأ مباشرة فى سك نقود عقب اعدامه قليومينيس فى عام ٣٢٣ ، فانه يلوح أنه كانت توجد دار لسك النقود فى الاسكندرية منذ عهد قليومينيس ، وذلك بالرغم من عدم وجود دليل على أن الدار التى سكت فيها نقود كل من قليومينيس وبطلميوس كانت تقوم فى الاسكندرية . ويبنى فريزر احتمال وجود دار لسك النقود بالاسكندرية فى ذلك الوقت الباكر على احتمال آخر وهو أنه من العسير تصور قيام بطلميوس بانشاء دار لسك النقود فى منف فى حين أن المدينة الجديدة القائمة على البحر والمنفتحة على التجارة الاغريقية كانت فى حاجة ملحة الى النقود . هذا الى أن رغبة بطلميوس فى اكتساب مكانة كبيرة فى العالم الاغريقى كانت تحفزه على اصدار نقود ولايته من مدينة اغريقية لا من مدينة مصرية . وتبعا لذلك فان فريزر يكاد أن يوقن بأنه لم يوافى عام ٣٢٣ حتى كانت دار سك النقود تمارس نشاطها فى الاسكندرية . ويرى فريزر أنه من المستبعد أن بطلميوس كان يسك نقوده فى مدينة ويستمر مقيما فى مدينة أخرى ، ويضيف الى ذلك أن وثيقة مصرية (نصب الوالى المؤرخ بالعام السابع من عهد الاسكندر الرابع) ، قد تشير الى أن بطلميوس انتقل من عاصمته القديمة منف واتخذ الاسكندرية مقرا له فى تاريخ لا يرجع الى مابعد عام ٣١٩/٣٢٠(١) أى أن هذا الانتقال كان حوالى عام ٣٢٠ ق٠م (٢) .

وخلاصة ما أسلفناه هو أن فريزر يستند فى تحديد التاريخ الذى اتخذ فيه بطلميوس الاسكندرية عاصمة له بحوالى عام ٣٢٠ الى حجتين احداهما هى التى يشرحها فى الجزء الأول من كتابه على نحو ما عرضناه ويسميها فى الجزء الثانى « أدلة النوميات » ولكننا نرى أن الأصح تسميتها النتيجة الافتراضية لسك قليومينيس وبطلميوس نقودا فى الفترة الباكرة من تاريخ الاسكندرية ، بيد أنه توخيا للايجاز سنستخدم فى التعبير عن التسمية التى نستضوبها عبارة « النتيجة الافتراضية لأدلة النوميات » . وأما الحجة الأخرى فهى حجة « نصب الوالى » وهى التى

(1) Fraser, I, op. cit., pp. 6 — 7.
(2) Fraser, op. cit., II, n. 28 pp. 11 — 12.

اكتفى فريزر بالاشارة اليهـا اجمالا فى الجزء الأول وفصلها فى الجزء الثانى .

ويذكرنا فريزر بالبحث الذى كان قد نشره وانتهى فيه الى أن بطلميوس نقل عاصمته من منف الى الاسكندرية فى حوالى عام ٣٢٠ وذلك استنادا الى أساسين جوهريين وأحدهما هو أن نصب الوالى المؤرخ بالعام السابع من عهد الاسكندر الرابع يرجع الى عام ٣١٧/٣١٦ (أى أن فريزر خالف عندئذ جمهرة الباحثين واحتسب بداية عهد هذا الملك منذ مولده بدلا من احتسابها منذ انفراده بعرش الامبراطورية المقدونيـة نتيجة لمصرع شريكه فى عرشها فيليب أرهيدايوس) .

والأساس الآخر هو أنه لما كان نصب الوالى يرجع الى عام ٣١٧/٣١٦ وكان فى رأيه أن النصب توخى الترتيب الزمنى فى سرده عددا من الأحداث (١ — اعادة بطلميوس تماثيل الآلهة من آسيا ، ٢ — اختياره الاسكندرية مقرا له ، ٣ — قيامه بفتح سوريا ، ٤ — فتح اقليم Ir-m-z وهو الذى اعتبره قورينى) فانه يجب تأريخ هـذه الأحـداث جميعا بالفترة ٣٢١ — ٣١٩ ، وبوجه خاص يجب اعتبار فتح سوريا ذلك الذى تم فى عام ٣١٩/٣١٨ . ويعترف فريزر فى مؤلفه الأخير بثلاثة أمور وهى : أولا ، أن ولز تحـدى رأيه القـائل بأن بطلميوس نقـل العاصمة الى الاسكندرية فى حوالى عام ٣٢٠ مصراً على أن منف ظلت طويلا عاصمة بطلميوس . وثانيا ، أنه يجب احتساب بداية حكم الاسكندر الرابع منذ انفراده بعرش الامبراطورية المقدونية فى عام ٣١٧/٣١٦ لأن احدى برديات الفنتين تعـادل العام السابع من عهـد الاسكندر الرابع بالعام الرابع عشر من عهد بطلميوس الوالى أى بعام ٣١١ . بيد أن فريزر يرى أنه اذا كان ذلك يستتبع ارجاع تاريخ نصب الوالى الى هذا العام بدلا من عام ٣١٧/٣١٦ ، فانه يمكن القول دون جزم بأن هـذا لا يؤثر فى « التأريخ الأقدم » الذى أرخ به الأحـداث الواردة فى نصب الوالى (أى أنها ترجع جميعا الى ٣٢١ — ٣١٩) . وثالثا ، أنه ازاء تشكك علماء الدراسات المصرية فى أن أقليم Ir-m-z هو اقليم المارماريكى فانه يجب استبعاد التفكير فى أى تأريخ مبنى على افتراض أن الحملة

المشار اليها فى نصب الوالى كانت احدى حملات بطلميوس ضد قورينى .
وبعد هذه الاعترافات يقول فريزر ان كل ما يتبقى لاستخلاصه من نصب الوالى هو أن اتخاذ بطلميوس الاسكندرية عاصمة له سبق قيامه باحدى حملتيه لفتح سوريا اما تلك التى وقعت فى عام ٣١٨/٣١٩ واما تلك الحملة الطويلة التى كانت موقعة غزة (٣١١/٣١٢) أبرز أحداثها ، ولكنه فى ضوء « أدلة النوميات » يرجح ترجيحا قويا حملة ٣١٨/٣١٩ . ويضيف الى ذلك أنه لما كان المحتمل أن أقليم Ir-m-z هو اقليم قورينى ، وكانت الحملة الوحيدة ضد قورينى التى يمكن اعتبارها حملة تأديبية هى حملة عام ٣١٢/٣١٣ ، وكانت هذه الحملة سابقة على الحملة السورية التى وقعت فى عام ٣١١/٣١٢ ، فان هذا يؤيد ترجيحه للحملة السورية التى وقعت فى عام ٣١٨/٣١٩ ، وتبعا لذلك يكون بطلميوس قد اتخذ الاسكندرية عاصمة له قبل هذه الحملة .

وهكذا يتضح أن فريزر خرج من بحثه الحديث بالنتيجة نفسها التى كان قد انتهى اليها ببحثه القديم وهى أن التاريخ الذى نقل فيه بطلميوس عاصمته من منف الى الاسكندرية كان حوالى عام ٣٢٠ ، وذلك بالرغم من تسليمه مؤخرا بأن نصب الوالى يرجع الى عام ٣١١ ، وهو التاريخ الذى يأخذ به كثيرون من الباحثين منذ أمد طويل ونأخذ به نحن منذ حوالى الثلاثين عاما ، فقد أوردنا فى الطبعات السابقة لهذا الكتاب (١) مثل ما أوردناه فى هذه الطبعة (٢) : أن تاريخ نصب الوالى يرجع الى العام السابع من عهد الملك الاسكندر المعمر أبدا ، فى الوقت الذى يبدأ فيه فيضان النيل ؛ أى فى شهر يونية عام ٣١١ .

ونحن اذ نسلم بأن تاريخ اتخاذ بطلميوس الاسكندرية عاصمة له مشكلة ليست هينة ، ونعترف بأن فريزر أنفق جهدا مشكورا فى

---

(١) أنظر الطبعة الأولى عام ١٩٤٦ ، الجزء الأول ، ص ١٩٤ ، والطبعة الثانية عام ١٩٦٠ ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ ، والطبعة الثالثة ، عام ١٩٦٦ ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ .

(٢) أنظر الجزء الثانى ، الفصل الخامس ، ٢ ـ البطالمة والديانة المصرية ، ص ٣٠ .

محاولة حل هذه المشكلة ، لا يسعنا الا أن نبدى أنه لنا على هذا الجهد السخى مآخذ نرى أنها أثرت تأثيرا جذريا فى النتيجة النهائية التى توصل اليها ، وهى أن بطلميوس اتخذ الاسكندرية عاصمة له حوالى عام ٣٢٠ . وسنبدأ بعرض هذه المآخذ اجمالا قبل أن نتناولها تفصيلا . وأول هذه المآخذ هو أن فريزر توصل الى نتيجته النهائية سالفة الذكر اعتمادا على حجتين : احداهما هى ما يسميه « أدلة النوميات » وما استصوبنا تسميتها « النتيجة الافتراضية لأدلة النوميات » ، فهذه الحجة ليست الا نتيجة مستخلصة من عدة افتراضات مما يضفى عليها طابع المجازفة العلمية غير المأمونة ولا المقبولة . وثانى هذه المآخذ هو أن فريزر بدلا من أن يلقى على نصب الوالى نظرة شاملة تستوعب محتوياته جميعا وتؤدى الى فهم هدفه الحقيقى والى استخلاص أصح النتائج أو على الأقل أقربها الى الصحة ، اجتزأ بعضا من هذه المحتويات واتخذ منها حجة أخرى تستند وفى الوقت نفسه تستند الى الحجة الأولى توصلا الى النتيجة النهائية السالفة الذكر . وليس من شأن ذلك الا اثارة شك قوى فى سلامة هذه النتيجة . وثالث مآخذنا هو أنه قد فات فريزر فى تقديره تاريخ نقل العاصمة من منف الى الاسكندرية أن يدخل فى هذا التقدير اعتبارات الظروف التى اكتنفت مركز بطلميوس فى بداية عهده وكان لابد من أن تؤثر فى اتخاذ بطلميوس هذه الخطوة . ومن البديهى أنه من شأن اغفال هذه الاعتبارات فى تقدير تاريخ نقل العاصمة الى الاسكندرية أن يثير شكا قويا آخر فى سلامة النتيجة التى توصل اليها فريزر .

وأما عن المأخذ الأول فانه مر بنا أن فريزر نفسه يعترف بعدم وجود دليل على أن الدار التى سكت فيها نقود كل من قليومينيس وبطلميوس كانت تقع فى الاسكندرية ، ولكنه مع ذلك يفترض وجود مثل هذه الدار فى الاسكندرية منذ عهد قليومينيس . بل يقول انه يكاد أن يوقن بأنه لم يواف عام ٣٢٣ حتى كانت هذه الدار تمارس نشاطها . ويبنى فريزر هذا الافتراض اليقينى — وهو ما يسميه « أدلة النوميات » ونسميه نحن « النتيجة الافتراضية لأدلة النوميات » — على ثلاثة افتراضات أخرى . ولنبدأ بأهونها شأنا وأيسرها تفنيدا وهو الافتراض القائل بأن

رغبة بطلميوس فى اكتساب مكانة كبرى فى العالم الاغريقى كانت تحفزه على اصدار نقوده من مدينة اغريقية - أى الاسكندرية لا من مدينة مصرية ، أى منف . وهنا تتملكنا الدهشة لأن فريزر يعترف بأن بطلميوس اتخذ منف عاصمة له فى بداية عهده ، ولأنه لا شك فى أن مسألة اتخاذ بطلميوس مدينة مصرية عاصمة له أهم بكثير من مسألة مكان اصدار نقوده ، ولا شك فى أن رغبة بطلميوس فى اكتساب مكانة فى العالم الاغريقى لم تحل دون اتخاذه منف عاصمة له فى بداية عهده . وتبعا لذلك اذا كان بطلميوس لم ير بأسا فى اتخاذ منف عاصمة له وكان فيما يبدو - على حد قول فريزر - بدأ مباشرة فى سك نقوده عقب اعدامه قليومينيس ، فهل من المستبعد أن يكون بطلميوس قد سك نقوده كذلك فى منف ، علما بأن هذا يتفق ووجهة نظر فريزر القائلة بصعوبة تصور اقامة الحاكم فى مدينة وسك نقوده فى مدينة أخرى ؟ واذا صح ما يرجحه بعض الباحثين من أن نقود قليومينيس ترجع الى عام ٣٣١/٣٣٠ فأيهما أدنى الى العقل والقبول أنه كانت توجد فى ذلك الوقت الباكر دار لسك النقود فى منف أم فى الاسكندرية ؟ ومن الجلي أن الاحتمال الأول أرجح من الثانى ، ومعنى ذلك أن يكون بطلميوس قد وجد فى منف دارا لسك النقود أنشأها قليومينيس وقام بدوره باستخدامها .

وأحد الافتراضين الأخيرين هو حاجة الاسكندرية الملحة الى النقود، والافتراض الآخر هو صعوبة تصور إقامة بطلميوس فى مدينة وانشاء دار لسك النقود فى مدينة أخرى . وليس من العسير الرد على هذين الافتراضين ، ولنبدأ بالاشارة الى التناقض الذى وقع فيه فريزر ، فهو من ناحية يقول ببقاء بطلميوس فى منف حوالى ثلاث سنوات كان فى خلالها يسك نقوده فى الاسكندرية ، ومن ناحية أخرى يقول بأنه من العسير تصور اقامة الحاكم فى مدينة واقامة دار لسك النقود فى مدينة أخرى . ولا مجال للجدل فى أمرين : وأحدهما هو أن الاسكندرية فى عهدها الذهبى - حين غدت من أعظم المراكز التجارية فى العالم الاغريقى - كانت حاجتها الى النقود أكثر الحاحا منها فى باكورة تاريخها،

والأمر الآخر هو أنه منذ أن اتخذه بطلميوس الاسكندرية عاصمة له كانت هذه المدينة المقر الرسمي للبطالمة الأوائل منهم والأواخر . ومع ذلك فاننا سنطالع فى سياق الحديث عن النقود (١) أنه طالما بقيت فينيقيا فى قبضة البطالمة كانت أهم دور سك العملة البطلمية فى المدن الفينيقية الخاضعة لهم وهى صور وصيدا وبطولميس (عكا) ويافا وغزة ، وأنه عندما فقد البطالمة فينيقيا فى مستهل القرن الثانى قبل الميلاد لجأ البطالمة الى دور السك فى قبرص لسك عملتهم الفضية اذ أن كل النقود الفضية التى أصدرها البطالمة المتأخرون تحمل العلامات المميزة لدور السك فى قبرص . أى أنه لا حاجة الاسكندرية الى النقود و لااقامة البطالمة فيها استتبعت حتما وجود أهم الدور لسك عملة البطالمة فى عاصمتهم .

وفى ضوء هذه المناقشة التى جرحت الافتراضات الثلاثة التى بنى عليها فريزر افتراضه اليقينى ، وهو الذى يسميه « أدلة النوميات » (ولنسميه نحن « النتيجة الافتراضية لأدلة النوميات ») ويتخذ منه احدى الدعامتين اللتين أقام عليهما نتيجته النهائية (اتخاذ بطلميوس الاسكندرية عاصمة له حوالى عام ٣٢٠) يتبين لنا مدى وهن افتراضه اليقينى . وليس من الاسراف فى الرأى القول بأن هذا الوهن الشديد يلقى ظلا كثيفا على النتيجة النهائية التى بنيت عليه .

وأما عن المأخذ الثانى فانه يخص أساسا الدعامة أو الحجة الثانية التى أقام عليها فريزر نتيجته النهائية (اتخاذ بطلميوس الاسكندرية عاصمة له حوالى عام ٣٢٠) . وهذه الدعامة أو الحجة الثانية هى « نصب الوالى » . ويستوقف النظر هنا :

---

(١) الجزء الثالث ، الفصل الحادى عشر .

(أولا) أنه برغم أن فريزر لم يعنه من أمر هذا النصب الا ذلك الجزء من النقش الذى يروى أربعة أحداث (١ ــ اعادة بطلميوس تماثيل الآلهة من آسيا ، ٢ ــ اختيار الاسكندرية مقرا له ، ٣ ــ قيامه بفتح سوريا، ٤ ــ فتح اقليم Ir-m-z) فان فريزر أغفل أو تغافل تماما أول هـذه الأحداث .

(ثانيا) أن فريزر افترض أن ذلك الجزء من النقش يسرد هذه الأحداث وفقا لتاريخ وقوعها ؛ أى أن سردها رتب ترتيبا زمنيا ، وبناء على ذلك يرى فريزر أنه لما كان اتخاذ بطلميوس الاسكندرية مقرا له قد ورد ذكره قبل فتح سوريا فلابد من أن يكون بطلميوس قد نقل عاصمته من منف قبل هذا الفتح . ويسلم فريزر بأن هذا الفتح قد يكون نتيجة اما لحملة بطلميوس فى عام ٣١٩/٣١٨ واما لحملته فى عام ٣١٢/٣١١ ولكن فريزر يرجح الحملة الأولى استنادا الى ما يسميه أدلة النوميات وهى التى رأينا أنها ليست أكثر من نتيجة افتراضية بحت لا تستند الا الى افتراضات يكتنفها الشك من كل ناحية . وفضلا عن ذلك فان فريزر يؤيد ترجيحه لحمـلة عام ٣١٩/٣١٨ باحتمال أن الحملة ضـد اقليم Ir-m-z كانت حملة بطلميوس التأديبية ضد قورينى فى عام ٣١٣/ ٣١٢ ومن ثم فانها تكون سابقة لحملة بطلميوس السورية فى عام ٣١٢/ ٣١١ ، وذلك بعد سطور قليلة من قوله بضرورة استبعاد أى تاريخ مبنى على افتراض أن الحملة ضد اقليم Ir-m-z كانت احدى حملات بطلميوس ضد قورينى . وهكذا نرى فريزر يناقض نفسه مرة أخرى ويعود من جديد الى بناء افتراض على افتراض دون دليل على سلامة أى واحد من هذه الافتراضات ويتخذ من هذه الأسس الهشة دعامة يقيم عليها نتيجته النهائية (اتخاذ الاسكندرية عاصمة حوالى عام ٣٢٠) .

(ثالثا) أن الافتراض الأساسى الذى يستهل به فريزر استخدام نصب الوالى (وهو الافتراض الذى يزعم أن ذلك الجزء الذى اقتطفه من نقش النصب يسرد ما أورده من أحـداث وفقا لترتيبها الزمنى) افتراض يثير الشك فى صحته أمران : وأحدهما ، هو أن الفقرة الوحيدة

فى النصب التى يتبين فيها وقوع حادث فعلا قبل حادث اخر هى التى تقول أن بطلميوس فتح سوريا وبعد ذلك اقليم Ir-m-z (١) . والأمر الآخر، هو أن ذلك الجزء من النقش قد أورد قبل مسألتى نقل العاصمة الى الاسكندرية وفتح سوريا مسألة أخرى أغفل فريزر أو تغافل أمرها تماما وهى مسألة استعادة تماثيل الآلهة أو بعبارة أشمل استعادة المقدسات المصرية من آسيا ؛ أى أن هذه المسألة كانت أول الأحداث الأربعة المجتزأة من محتويات النصب ومسألة فتح سوريا ثالث هذه الأحداث برغم ارتباط هاتين المسألتين ارتباطا عضويا وثيقا هو ارتباط النتيجة بالسبب ، لكن النتيجة قدمت هنا على السبب . ويؤيد هذا الارتباط العضوى ما ورد فى أربعة مصادر أخرى من عصر البطالمة . وهى : لوحة پيثوم (من عهد بطلميوس الثانى) وقرار قانوب ونقش أدوليس (من عهد بطلميوس الثالث) ولوحة پيثوم الجديدة (من عهد بطلميوس الرابع) . ذلك أنه يرد فى لوحة پيثوم (القديمة) أن الملك (بطلميوس الثانى) ذهب الى بلاد الفرس (أى البلاد التى كانت خاضعة للفرس اشارة الى حرب قاريا أو حرب دمشق) وأحضر تماثيل الآلهة (٢) ؛ وورد فى المصدر الثانى أن تماثيل الآلهة التى نهبها الفرس استعادها الملك (بطلميوس الثالث) بعد قيامه بحملة خارجية (٣) . وبعد أن يتحدث المصدر الثالث عما قام به بطلميوس الثالث فى الحرب السورية الثالثة يقول ان هذا الملك بحث عما كان الفرس قد نهبوه من المقدسات المصرية وأعادها الى مصر (٤) . ووردت فى المصدر الرابع (٥) فقرة طويلة عن استعادة المقدسات المصرية التى نهبها الفرس . ومجمل هذه الفقرة أنه بعد انتصار بطلميوس الرابع فى معركة رفح (عام ٢١٧) أمر هذا الملك بالبحث بحثا

---

(١) راجع نص هذه الفقرة فى : E. van, op. cit., p. 30.

(٢) انظر اعلاه ص ٣٢ .

(٣) انظر اعلاه ص ٣٣ .

(٤) انظر اعلاه ص ص ١٩ — ٢٠ و ٣٠ .

(٥) انظر اعلاه ص ص ٣٦ — ٣٧ .

دقيقا عن هذه المقدسات ، وأعاد الى مصر - الى جانب ما كان أبوه قد استعاده - كل ما وجد من التماثيل ، وأقام حفلا كبيرا لها ، وقضى بأن تعاد الى معابدها الأصلية حيث كانت من قبل .

وهكذا يتكشف لنا أولا ، أن استعادة المقدسات المصرية من آسيا يرتبط بحملات آسيوية ارتباط النتيجة بالسبب ، مما كان يستتبع ذكر السبب قبل النتيجة لو أن النقش كما يزعم فريزر رتب الأحداث الأربعة التى اجتزأها منه ترتيبا زمنيا ، ولكن النقش أورد استعادة بطلميوس المقدسات ثم اختياره الاسكندرية مقرا له ثم فتحه سوريا . وثانيا ، أن مصادر متعددة من عهد البطالمة الأربعة الأوائل تردد ذكر مسألة استعادة المقدسات المصرية ، مما ينم عن أن هذه المسألة كانت شديدة الحساسية بالنسبة الى المصريين وعن أن البطالمة اتخذوا من هذه المسألة وترا يعزفون عليه لكسب ود مصر ودعم مركزهم فيها باظهار الفارق الهائل بين حكامها الجدد وحكامها القدامى من الفرس ، على نحو ما سبق ذكره فى سياق الحديث عن البطالمة والديانة المصرية وعلى نحو ما سنتبينه توا .

وفى رأينا أن العبارة الخاصة باعادة بطلميوس المقدسات المصرية من آسيا ، وغير ذلك من محتويات نصب الوالى الى جانب ما اجتزأه منها فريزر ، فضلا عن الزخرفة التى زينت بها قمة هذا النصب ، تقتضى دراسة هذا النقش دراسة شاملة ليتيسر استخلاص أصح النتائج أو على الأقل أقربها الى الصحة . ذلك أن هذا النصب نقش عليه نص طويل بالهيروغليفية ، وزينت قمته بمنظرين مصريين (من حيث الطراز والطابع) يصوران ملكا وهو يقدم القرابين فى أحدهما الى حورس اله مدينة بى (Pe) وفى المنظر الآخر الى بوتو إلهة مدينتى بى وتب (Tep) .
ويبدأ النص باثبات تاريخه فى العام السابع من عهد الاسكندر الرابع ، ثم يقرن اسمه بالألقاب الفرعونية التقليدية ، ويصفه بأنه صديق الهى بى وتب وبأنه ملك على بلاد أخرى الى جانب مصر . ويروى النص أنه فى أثناء وجود هذا الملك فى آسيا كان ينوب عنه فى حكم مصر وال عظيم ، اسمه بطلميوس ، قوى البنية والشكيمة ، ذكى الفؤاد ، بارع فى القتال . وبعد أن يورد النص تلك العبارة الخاصة باعادة المقدسات المصرية التى وجدت

فى آسيا ، يذكر أن بطلميوس اتخذ الاسكندرية مقرا له ، وأنه جمع قوات كبيرة من الفرسان والسفن وفتح سوريا، وبعد ذلك قام بحملة تأديبية ضد اقليم Ir-m-z ، وعقاباً لأهالى هذا الاقليم أحضر أعدادا كبيرة من الأسرى والخيول . ويمضى النص فيقول إنه بعد عودة هذا الوالى العظيم الذى كان يبذل قصارى جهده فى خدمة صوالح آلهة مصر العليا ومصر السفلى أقام حفلا كبيرا حيث استمع الى حديث طويل فحواه أن اقليم پاتانوت (Patanut = المنطقة الشمالية من محافظتى الغربية وكفر الشيخ) كان دائما أبدا ملكا لالهى پى وتپ الى أن سلبهما اياه اجزيركسيس ولكن خباش (الزعيم الوطنى الذى قاد ثورة المصريين على الفرس فى عام ٤٨٦) أعاد الى الآلهين ممتلكاتهما وأضاف اليها . ويحدثنا النص بأنه بعد استماع بطلميوس الى هذا الحديث أصدر قرارا يقضى بتجديد منحة خباش كاملة وبتعيين حدود الممتلكات الممنوحة . وينتهى النص بالاعراب عن تمنى النصر لهذا الوالى العظيم جزاء وفاقا لتجديده منحة خباش لالهى پى وتپ ، وباستمطار لعنات هذين الالهين على كل من تمتد يده الى أى شيء من ممتلكاتهما .

وعند دراسة نصب الوالى يستوقف النظر : أولا ، أن النقش الذ يسجل أن تاريخه هو العام السابع من عهد الاسكندر الرابع (أى عام ٣١١) ، لا يحفل باثبات انتقال هذا الملك من آسيا الى مقدونيا منذ عام ٣٢١ ، ولا بالاشارة الى مقر هذا الملك الصبى التعس فى وقت تاريخ النقش مثل احتفاله بذكر مقر بطلميوس فى ذلك الوقت . وفضلا عن ذلك فان قول النقش أن بطلميوس كان يحكم مصر بوصفه نائبا عن الاسكندر الرابع حين كان هذا الملك فى آسيا تعبير يفتقر الى الدقة لأنه حين كان الاسكندر الرابع فى آسيا كان بطلميوس يحكم مصر باسم فيليپ أرهيدايوس والاسكندر الرابع ، بوصفهما ملكين شريكين تحت الوصاية وفقا لقرار مؤتمر بابل . وقيام بطلميوس باعادة انشاء قدس الأقداس فى معبد الكرنك باسم فيليپ أرهيدايوس [1] لا يدع مجالا

---

(1) Noshy, Arts in Ptolemaic Eg., p. 67 ; Jequier, Temples Ptol. et Rom., pls. II, III ; Murray, Eg. Temples, pp. 71, 80 etc. ...

للاجتهاد فى التفسير بأنه ربما كان بطلميوس لا يعترف به ملكا . وحتى اذا صح هذا فانه لا يغير من حقيقة أن النقش لا يتوخى الدقة فى تسجيل الأحداث . وفى رأينا أن هذا كله الى جانب ما ذكرناه بصدد الأحداث الأربعة يدل على أنه كان لهذا النقش أو بعبارة أخرى نصب الوالى هدف آخر غير تسجيل الأحداث ومراعاة الدقة سواء فى سردها أم فى ترتيبها ترتيبا زمنيا . وثانيا ، أن النصب يعنى بوجه خاص بتذكير المصريين بأنهم يخضعون لفرعون يعطف على آلهة البلاد وله من الحول والقوة بحيث أن سلطانه لا يمتد على مصر فحسب بل أيضا على أقاليم أجنبية ، وبأنه ينوب عن هذا الفرعون فى حكمهم وال حكيم قوى بازع فى القتال ولا يقل عن مولاه عطفا على آلهة مصر . وثالثا ، أن ذكر اتخاذ بطلميوس الاسكندرية مقرا له يجىء بعد الاستهلال بتسجيل أن هذا الوالى أعاد الى مصر مقدساتها من آسيا — أى أنه من طراز آخر غير طراز حكامها السابقين من الفرس الذين نهبوا هذه المقدسات — وقبل تسجيل أمرين آخرين وهما : (١) قوات بطلميوس البرية والبحرية الضخمة وانتصاراته العسكرية الخارجية ، للدلالة على قوته وكفايته العسكريتين ؛ (٢) مظهر آخر من مظاهر عطف بطلميوس على الديانة المصرية وهو اعادة منح اقليم پاتانوت لالهى پى وتپ . ورابعا ، أن النقش أفاض عامدا دون شك فى الحديث عن المسألة الأخيرة ليذكر المصريين بمساعدة الاغريق لهم فى ثوراتهم ضد الفرس ، وليبرز وجه الشبه بين بطلميوس والزعيم الوطنى خباش ، ويؤكد بذلك كله الفارق الهائل بين موقف بطلميوس ازاء الديانة المصرية وموقف الفرس ازاءها ، وهو الموقف الذى كان من أقوى أسباب نقمة المصريين عليهم .

وان دل ذلك كله على شىء فهو يدل على :

(أولا) أن النص المنقوش على نصب الوالى كان ضربا من الدعاية السياسية التى ورد بين ثناياها ذكر اتخاذ بطلميوس الاسكندرية مقرا له .

(ثانيا) أن محور هذه الدعاية كان الاشادة بمظاهر عطف بطلميوس (الوالى القوى الحكيم صاحب البراعة القتالية والقوات الضخمة والانتصارات الباهرة) على الديانة المصرية ، وابراز وجه الشبه بينه وبين الزعيم الوطنى خباش وكذلك وجه الاختلاف بينه وبين الفرس حكام مصر القدامى البغيضين •

(ثالثا) أنه لو أن فريزر درس نصب الوالى دراسة شاملة ، وأولى محتوياته جميعا ما تستحقه من عناية ، لجنب نفسه الانزلاق الى اجتزاء جانب من هذه المحتويات ، والى افتراض أن ما اجتزأه سجل زمنى رتبت الأحداث الواردة فيه وفقا لتاريخ وقوعها ، والى تاريخ أحد هذه الأحداث (فتح سوريا) بعام ٣١٩/٣١٨ استنادا الى نتيجة افتراضية بحت والى فرض قال هو نفسه بضرورة استبعاده ، ليخرج من ذلك كله بأن بطلميوس نقل عاصمته من منف الى الاسكندرية فى حوالى عام ٣٢٠ •

وتبعا لذلك اذا كان لا سبيل الى الشك فى أن هذا النقل قد سبق تاريخ نصب الوالى (شهر يونية عام ٣١١) ، فان لنا عذرا فى أن يساورنا الشك فى سلامة النتيجة التى انتهى اليها فريزر ، وذلك بسبب الشبهات القوية التى تحوم حول المنهج الذى اتبعه والافتراضات التى استخدمها فى الوصول الى هذه النتيجة •

(رابعا) أنه لابد من أنه كان هناك سبب للقيام بتلك الدعاية السياسية فى شهر يونية عام ٣١١ •

فما هو هذا السبب ؟

بيد أنه قبل تبين هذا السبب يجب أن نتناول المأخذ الثالث وهو أنه فات فريزر فى تقديره حوالى عام ٣٢٠ تاريخا لنقل العاصمة من منف الى الاسكندرية أن يدخل فى حسابه الاعتبارات التالية :

(أولا) أن بطلميوس اذ اتخذ منف عاصمة له ودفن فيها الاسكندر الأكبر قبل نقل جثمانه الى الاسكندرية كان حريصا أشد الحرص على كسب ود المصريين • وينهض دليلا على ذلك :

١ — الى جانب ما أورده نصب الوالى عن مظاهر عطفه على الديانة المصرية ، هناك شواهد أخرى عن هذا العطف ، فقد سبق أن ذكرنا (١) أنه ما كاد يصل الى مصر فى عام ٣٢٣ حتى تبرع بمبلغ قدره خمسون تالنتا للاحتفال بجنازة أحد العجول القدسة ، كما ذكرنا أنه أقام عدة منشآت دينية ترجع الى عهد فيليپ أرهيدايوس والاسكندر الرابع .

٢ — أنه يتبين من المصادر المصرية ، على نحو ما سيجىء ذكره فيما بعد(٢) : أنه على الأقل فى بداية عهد بطلميوس كان نبيل مصرى يدعى نقتانبو — لعله كان سليل آخر فرعون مصرى — نومارخ المديريات الثانية عشرة والرابعة عشرة والتاسعة عشرة من مديريات الدلتا ، وكان أيضا قائد قوات الأجانب فى المديرية الرابعة عشرة . وكذلك كان نبيل مصرى آخر يدعى ٱپسمتيك قائدا للجنود فى مديرية بوسيريس . واذا كان من المحتمل أن هذين النبيلين المصريين لم يكونا الوحيدين اللذين سمح لهما بطلميوس فى بداية عهــده بالاحتفاظ بمناصب عليا ، فاننا لا نسمع شيئا على الاطلاق عن هذه الارستقراطية فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد . وتعطينا زخارف مقبرة پتوسيريس فكرة عن حال الارستقراطية المصرية الدينية فى بداية عصر البطالمة ، اذ أنه يتبين من نقوش هذه المقبرة أن صاحبها كان يمتلك أو على الأقل يتولى ادارة مساحة واسعة من الأراضى . ولا شك فى أن ذلك لم يكن شأن پتوسيريس وحده دون غيره من كبار رجال الدين الى أن عمل البطالمة بشتى الطرق على تقليم أظافرهم .

ومعنى ذلك كله أن بطلميوس كان حريصا فى بداية عهده على كسب ود المصريين باتخاذه مدينة منف عاصمة له ، وباظهار حدبه وعطفه على الديانة المصرية ، وبعدم اقصاء المصريين عن المناصب العليا ، وبعــدم اذلال رجال الدين .

---

(١) انظر اعلاه ص ص ٣٠ — ٣٢ .

(٢) الجزء الرابع — الفصل الثانى والعشرون ، المصريون : حــالهم وحضــارتهم فى عصر البطالمة .

(ثانيا) أننا نستمد من تاقيتوس أن بطلميوس الأول هو الذى أنشأ اسوار الاسكندرية ، على نحو ما مر بنا ذكره ، وأن القرائن توحى بأن هذه الأسوار كانت ضخمة منيعة • ولا جدال فى أن انشاء مثل هذه الأسوار كان يتطلب قدرا غير قليل من الوقت والمال ، وهو ما يداخلنا شك كبير فى أنه كان ميسورا لبطلميوس فى السنوات الأولى من عهده وسط انهماكه فى مشاكل حيوية بالنسبة لكيان ولايته على نحو ما أوضحنا تفصيلا فى معرض الكلام عن سياسته الخارجية وعلى نحو ما سنعرض له اجمالا •

(ثالثا) أن تصرفات بطلميوس منذ حضوره الى مصر اذ تدل على تحديه للسلطة المركزية فى الامبراطورية المقدونية تحديا سافرا ، تدل أيضا على : (١) رغبته فى الاستقلال بحكم ولايته وتأمين سلامتها وهى الرغبة التى تطورت الى الاستقلال بهذه الولاية وجعلها دولة قوية مستقلة • (٢) صدق تنبؤه بنشوب صراع محموم محتوم نتيجة لتضارب أطماع خلفاء الاسكندر الأكبر •

وكان من شأن ذلك كله أن يبذل بطلميوس قصارى جهده لتأمين مركزه فى مصر عن طريقين : أحدهما هو اجتذاب أكبر عدد ممكن من الاغريق وأشباههم الى مصر لبناء قوة يستطيع الاستناد اليها فى حكم ولايته وفى الذود عن حياضها وتأمين سلامتها وكذلك فى ضمان هذه السلامة بالاستيلاء على ملحقاتها الطبيعية والسيطرة على الطرق البحرية المؤدية الى مصر • والطريق الآخر ، هو استرضاء المصريين قدر الطاقة وتفادى الاقدام على ما قد يستنفرهم منه مما يؤدى الى زعزعة مركزه قبل أن يشتد ساعده ويدعم مركزه بمساندة القوات الأجنبية له •

ومما لا شك فيه : (١) أن بناء قوات بطلميوس واستيلائه على الملحقات الطبيعية لمصر والسيطرة على الطرق البحرية المؤدية اليها لم تقتض تكاليف طائلة فحسب بل أيضا فترة من الوقت غير قصيرة • (٢) أن منف بموقعها الداخلى وبتحصيناتها القوية كانت أكثر أمنا من الاسكندرية الواقعة على شاطىء البحر ، قبل تحصينها بأسوار منيعة وتأمين

سلامتها بقوات بحرية كبيرة . (٣) أن قيام بطلميوس بنقل عاصمته سريعا من مدينة منف المصرية العريقة الى مدينة الاسكندرية الاغريقية الحديثة ، بما ينطوى عليه ذلك من جرح مشاعر المصريين ، كان لا يتمشى مع السياسة التى اضطرته ظروفه الى اتباعها فى بداية عهده ، وهى سياسة استرضاء المصريين ، لكى يجنحوا الى الهدوء والسكينة وينصرفوا الى استغلال موارد البلاد الاقتصادية . وما كان أحوج بطلميوس عندئذ الى استتباب الأحوال فى البلاد والى الحصول على أكبر قدر ممكن من الأموال .

وفى ضوء هذه الاعتبارات لعله لا يكون من الاسراف فى الرأى القول بأن سبب تلك الدعاية السياسية التى انطوت عليها محتويات نصب الوالى كان نقل العاصمة من منف الى الاسكندرية وهو الأمر الذى رأينا كيف أن خبر اعلانه شفع بالتلويح بحكمة بطلميوس وبراعته القتالية وضخامة قواته العسكرية وروعة انتصاراته الخارجية ، وغلف بمظاهر عطفه على الديانة المصرية وباظهار أنه من طراز يماثل طراز الزعيم الوطنى خباش ويختلف كل الاختلاف عن طراز ملوك الفرس ، أى أن خبر اعلان انتقال العاصمة الى الاسكندرية غلف على نحو ما يغلف قرص دواء مر المذاق بطبقة من السكر ليستسيغ المريض تعاطيها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان أول عملة سكها مؤسس أسرة البطالمة وتحمل نقشا مؤداه « عملة اسكندرية فى عهد بطلميوس » (Alexandreion Ptolemaiou) ترجع الى عام ٣١٢/٣١١ (١) . وتبعا لذلك فانه فى ضوء معلوماتنا الحالية لا نستبعد أن بطلميوس لم يتخذ الاسكندرية عاصمة له الا فى عام ٣١٢/٣١١ بعد الانتصار الباهر الذى أحرزه عند غزة فى حملة ذلك العام ، وأفضى الى استعادته جوف سوريا وكذلك الى استعادة سلوقس ولاية بابل، حيث أصبح شوكة غليظة فى جانب أنتيجونوس وهو الذى كان أكبر خطر يتهدد بطلميوس منذ عام ٣١٦ .

---

(1) Svoronos, Ta Nomismata tou Kratou ton Ptolemaion, II, no. 32 III. Pin. II, 10—11 ; Fraser, II, p. 11.

سكان الاسكندرية :

ولما كانت الاسكندرية ثغرا تجاريا عظيما ومدينة صناعية كبيرة ، وذلك فضلا عن كونها عاصمة دولة كبيرة ، فان سكانها لم يتألفوا منذ نشأتها من الاغريق والمقدونيين وحدهم . فقد عرفنا كيف أنها انشئت فى بقعة كان يشغل جانبا منها عدد من القرى المصرية أو على الأقل قرية مصرية واحدة تدعى راقوتيس .

ويضاف الى ذلك أن عدد المصريين هناك ازداد نتيجة لنقل الكثيرين من سكان مدينة قانوب الى الاسكندرية عندما كان قليومينيس الحاكم بأمره فى وادى النيل (١) . والى جانب أولئك المصريين المستقرين هناك يبين أن الاسكندرية كانت تجتذب اليها الكثيرين من مواطنيهم ، مما حدا بفيلادلفوس الى أن يحظر على المصريين الوافدين عليها من الريف أن يطيلوا اقامتهم فى العاصمة (٢) . وسرعان ما غدا سكان الاسكندرية خليطا من مختلف القوميات .

وتصور لنا أشعار ثيوقريتوس (٣) كيف أنه كانت تتجاوب فى شوارع الاسكندرية فى أثناء حفلات البطولميا أصداء مختلف اللهجات الاغريقية ؛ فقد كانت الوفود الرسمية (theoroi) تحج الى الاسكندرية فى هذه المناسبات من كل أنحاء العالم الاغريقى لأنها كانت تعتبر فى مرتبة الألعاب الأولمبية . وتضم الآنية الجنازية رماد جثث بعض المبعوثين الرسميين الذين توفوا فى أثناء تمثيل بلادهم فى هذه الحفلات (٤) ، أو فى أثناء القيام بمهام أخرى فى الاسكندرية ، مثل ثيقوفستراتوس من خيوس الذى توفى فى مارس عام ٢٠٩ (٥) . ويرجح جوجيه أن شوارع الاسكندرية كانت لا تطن بكل اللهجات الاغريقية فحسب بل أيضا بكل اللهجات الافريقية والآسيوية (٦) . ويذهب برتشيا الى أن سكان الاسكندرية

(1) Ps-Arist., Oecon., 2, 33.

(2) Ps. Aristeas, ad Philoc, Epist., 109 — 111.

(3) Theocr., XV, 83, 93.

(4) Breccia, pp. 222—3, figs. 113—6.

(5) Rönne & Fraser, A Hadra-Vase in the Ashmolean Museum, J. E. A., 39, 1953, pp. 84—94.

(6) Jouguet, Trois Etudes, p. 110.

فى عصر البطالمة كانوا يتكونون من مثيل العناصر التى كانت تعيش فيها فى خلال القرن الرابع للميلاد، اذ أن خروسوستوموس (Chrysostomos) فى حديثه عن الاسكندرية فى ذلك القرن يروى أن أفواجا من « الاغريق والايطاليين والسوريين والليبيين والقيليقيين والأثيوبيين والعرب والباقتريين والاشقوثيين (Scytheis) والهنود والفرس كانت تتدفق على هذه المدينة » ، وهى التى وصفها استرابون بأنها « خزان عام » ؛ وقال عنها فيلون انها « عدة مدن داخل مدينة واحدة (1) » .

ويقول ديودوروس ، استنادا الى قوائم السكان الرسمية فى عام ٦٠ ق.م ، ان عدد المواطنين الأحرار فى الاسكندرية كان يبلغ ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة (2) . لكنه لا شك فى أن عدد سكان هذه المدينة كان يزيد كثيرا على ذلك ، لأن المصريين واليهود والعبيد وكذلك كثيرين من الاغريق وأشباههم كانوا يعتبرون خارج هيئة المواطنين . ومن المستبعد أنه كان يوجد تزاوج بين الاغريق والمصريين فى الاسكندرية ، اذ أنه يرجح أن هذا التزاوج كان يعتبر غير شرعى فى الاسكندرية وبطوليمس مثل ما كان فى نقراطيس (3) .

ويصف پولوبيوس وفيلون الاسكندريين بأنهم شعب يسرى فى عروقه دم خليط (Migades) ؛ لكنه لعل المقصود بذلك أن هيئة المواطنين فى الاسكندرية كانت تتألف من خليط من كافة الاغريق ، أى من الأيونيين والدوريين والأيوليين ، ومن الاغريق القادمين من بلاد الاغريق الأصلية ، وكذلك من المدن الاغريقية التى أنشئت خارج تلك البلاد (4) .

ويقول پولوبيوس (5) أن سكان الاسكندرية كانوا يتألفون من العناصر التالية :

---

(1) Breccia, pp. 31—32 : cf. Theoc., Adoniazusae.
(2) Diod., XVII, 52, 6 ; cf. Fraser, II, n. 358 p. 171.
(3) Bevan, p. 98.
(4) Lumbroso, Archiv, V, p. 400.
(5) Poly b.. XXXIV. 14. 6 = Strab.. XVII, 797.

(١) المصريين، وكانوا حاضرى البديهة ولا يميلون الى الحياة الرتيبة • (٢) الجنود المرتزقة ؛ وكانوا لا يخضعون لأحد ويميلون الى فرض ارادتهم على الحكومة • (٣) « الاسكندريين » وقد أظهروا شيئا من الميل الى الخروج على قواعد النظام ، لكنهم كانوا أهدأ من الجنود لأنهم وان كانوا عنصرا خليطا ، الا أنهم كانوا اغريقا فى الأصل ، ولم ينسوا سبل الحياة الاغريقية العامة • ولا شك فى أن هذا التقسيم لم يكن صحيحا ، وليس الا وليد تصورات زائر الى تلك المدينة حوالى عام ١٠٠ ق•م ، لأن پولوبيوس لم يذكر شيئا عن الفرق النظامية ولا اليهود • ولعل السبب فى ذلك يرجع الى أن الفرق المرتزقة التى أحضرها البطالمة من الخارج كانت اذ ذاك أبرز العناصر العسكرية فى مصر • ويحتمل أن مظهر اليهود الاغريقى فى لغتهم وزيهم جعل من العسير التفرقة بينهم وبين الاغريق• ويبدو أن پولوبيوس قد أطلق كذلك عبارة «الاسكندريين» على كل سكان المدينة من الاغريق سواء من كان منهم من فئة المواطنين أم لم يكن (١) •

وانه ليتعذر علينا اقتفاء أثر التطورات التى مرت بتكوين السكان فى الاسكندرية (٢) لكننا نستطيع ترجيح أمرين : وأحدهما هو أنهم كانوا مجموعة جاليات من قوميات مختلفة • واذا كانت بعض هذه الجاليات تستمتع بقدر من الاستقلال الذاتى ومن ثم يمكن اعتبارها جماعات قومية (Politeumata) ، فان ذلك لم يكن حال كل الجاليات ولا سيما الجالية المصرية (٣) • والأمر الآخر هو أنهم كانوا دائما ينقسمون طبقات كانت أهمها :

أولا ـ طبقة المواطنين الكاملى الأهلية (Politai) • وفى ضوء معلوماتنا الحالية يتعذر علينا أن نقرر سواء ممن كانت تتألف هذه الطبقة أم الشروط اللازم توافرها للاندماج فيها • غير أنه يبدو أنها كانت تتألف من أقدم المهاجرين الذين وفدوا من مقدونيا ومختلف أنحاء العالم الاغريقى

(1) Bevan, pp. 100—01 ; cf. Fraser, I, pp. 61—2.
(2) See Fraser, I, pp. 38 ff.
(3) Jouguet, Trois Etudes, p. 111.

وتوافرت لديهم شروط بعينها ، وأنه على مر الزمن زيد عدد أفراد هذه الطبقة بسلالة أفرادها الأصليين وبمقدونيين واغريق كانوا ينزلون فى الفيوم والاسكندرية ذاتها وكذلك بمهاجرين جدد من بلاد الاغريق توافرت لديهم شروط يصعب تبينها (١) . وكان أفراد هذه الطبقة يتمتعون بحقوق المواطنة كاملة ، أى بالحقوق الخاصة مثل التزاوج مع المواطنين الاغريق (Epigamia) ، وامتلاك الأراضى فى اقليم المدينة (Gesenktesis) وبالحقوق السياسية وببعض الامتيازات الدينية . فقد كان يختار منهم أغلب الموظفين والكهنة (٢) ؛ هذا الى جانب ما كانوا يتمتعون به من الامتيازات الهامة كالاعفاء من بعض الضرائب ومن أعمال السخرة .

وتوحى القرائن بأنه منذ عهد بطلميوس الأول كان هؤلاء المواطنون ، مثل مواطنى أثينا وغيرها من المدن الاغريقية ، ينقسمون الى قبائل (Phylai) وأحياء (Demoi) وكذلك الى وحدات (Phratrai) (٣) ، وبأن هذه الأقسام جميعا كانت فيما يبدو أقساما اقليمية (٤) . وكان كهنة الوحدات يؤلفون هيئة (Hierothytai) يعقد المواطنون زواجهم أمامها (٥) . وكان كل مواطن يضيف الى اسمه اسم الحى الذى سجل فيه دلالة على تمتعه بحقوق المواطنة (٦) . وأما السيدات اللاتى ينتمين بمولدهن الى هذه الطبقة فانهن كن لا يضفن الى اسمهن اسم حيهن ؛ لكنهن كن يدعين اسكندريات (Alexandrides) أو مواطنات (Astai) .

وعند بلوغ المواطن الرابعة عشرة من عمره كان يسجل فى أحد الأحياء(٧) ، ويدمج فى جماعات الشبان (Ephebeia) ، فقد كانت هذه السن تعتبر فى مصر البطلمية سن الرشد السياسى . ونحن لا نعرف شيئا عن جماعات الشبان فى مصر البطلمية ، ولكنه يحتمل أن الغرض منها كان فى

(1) Cf. Fraser, I, pp. 61 ff., pp. 75 ff.

(2) Breccia, in B. S. R. A. A., 10, 1908, pp. 176 ff ; Perdrizet, Le fragment de Satyros, B. S. R. A. A., 12, 1910, p. 56.

(3) P. Hib. 28 = Wilcken, Chrest. 25 ; Grundzüge 16 ; P. Tebt., 879.

(4) Fraser, I, pp. 38-9.

(5) Wolff, Written and Unwritten Marriages, pp. 38-39.

(6) P. Hal., I, ll. 245-8.

(7) Taubenschlag, Law, 2nd ed., pp. 143—4.

الاسكندرية وبطولميس ، مثل ما كان فى المدن الاغريقية الأخرى ، نوعا من التدريب العسكرى أو على الأقل الرياضى للشبان ، عند تمتعهم بالحقوق السياسية . وينهض هذا اذن دليلا على أن تسجيل المواطن فى أحد الأحياء كان يؤيد تمتعه بحقوق المواطنة (١) : ولاسيما أننا نعرف أن الامبراطور قلاوديوس أكد لأفراد جماعات « الشبان » الاسكندريين حقوقهم (٢) .

وفى وثيقة بردية ، عثر عليها فى الحيبة (Hibeh) (٣) ، وترجع الى حوالى عام ٢٦٥ ق.م . نجد أنه فى مدينة ما ، لابد من أنها كانت اما الاسكندرية واما بطوليس ، كانت توجد خمس قبائل فى كل منها اثنا عشر حيا وفى كل حى اثنتا عشرة وحدة . وأغلب الظن أن المدينة المشار اليها فى هذه الوثيقة كانت الاسكندرية ، لأننا سنرى فيما بعد أن القرائن توحى بأنه كانت توجد فى بطولميس ست قبائل . ولا نعرف من أسماء قبائل الاسكندرية سوى أسماء ثلاث قبائل وهى : قبيلة ديونوسياس (Dionysias) (٤) ، وقبيلة بطولميس (Ptolemais) (٥) وقبيلة برنيقى (Berenike) (٦) . ويحدثنا نص قديم بأن بطلميوس الرابع أعطى مكان الصدارة بين قبائل الاسكندرية جميعا لقبيلة ديونوسياس (٧) .

ونعرف أسماء أحياء كثيرة يبدو أنها اشتقت عادة من اسم أو من لقب اله أو بطل من أبطال الأساطير الدينية الاغريقية . ففى قبيلة ديونوسياس نجد أسماء الأحياء مأخوذة من اسم ألثايا (Althaea) التى أنجب منها ديونوسوس ديانيرا ، ومن اسم ثيستيوس (Thestios) والد الثايا ، ومن اسم ديانيرا (Deianira) نفسها ، وكذلك من أسماء أريادنى (Ariadne) وثواس (Thoas) وستافولوس (Staphylos) ويوانثيوس (Euantheus) وماورن (Maron) وهى كلها أسماء شخصيات تتصل بقصص ديونوسوس .

(1) Jouguet, Vie, p. 11.
(2) Jouguet, Journal des Savants, 1925, p. 11.
(3) P. Hibeh, 28.
(4) F. G. H., iii, p. 164, Fragment 21.
(5) Westermann, Vit. Script. Graec. Min., p. 50.
(6) P. Tebt., 879.
(7) Perdrizet, op. cit., p. 53.

وتعرف كذلك أحياء أخذت أسماؤها من أسماء هرقل وقاستور وهيفايستوس وأقاقوس (Acacos) وتمنوس (Temenos) حفيد هرقل . وقد اشتقت أسماء أحياء أخرى من ألقاب ملوك البطالمة ، مثل ابيفانيس وفيلوميتور (١) .

ثانيا — طبقة أنصاف المواطنين (٢) ، ويتبين من الوثائق أنها كانت تتألف من ثلاث فئات :

١ — فئة الاسكندريين الذين لم يسجلوا بعد فى أحياء بعينها ورد ذكرها مقرونا بأسمائهم (٣) .

٢ — فئة الاسكندريين الذين لم يسجلوا بعد فى أحياء دون تحديد هذه الأحياء على الاطلاق (pepolitographemenoi) (٤) .

٣ — فئة سلالة الاسكندريين الذين لم يسجلوا بعد فى أحياء بذاتها ورد ذكرها مقرونا بأسمائهم (٥) .

وترينا البردية المشهورة التى تتضمن قوانين الاسكندرية ونظمها أن أفراد هذه الطبقة كانوا لا يتمتعون الا بقدر محدود حتى من حقوق المواطنة الخاصة ، فقد كانوا لا يتقاضون الا أمام محكمة الغرباء (Xenikon dikasterion) (٦) ، وكان لا يستطيع بيع عقار أو شراءه الا المواطنون المسجلون فى الأحياء (٧) .

ويبدو أن أفراد الفئتين الأولى والثالثة كانوا يمتازون على أفراد الفئة الثانية بأنهم سيتمتعون على الأقل قبلهم بحقوق المواطنة كاملة ، وذلك لأن الأحياء التى سيسجلون فيها قد ذكرت الى جانب اسم كل منهم مع النص على عدم تسجيلهم فيها بعد . ولعل تأخير هذا التسجيل

(1) Bevan, pp. 99-100 ; Fraser, I, pp. 44-7.

(2) Bickerman, A propos des Astoi dans L'Eg. greco-rom., Rev. Phil, 3. serie I, 1927, pp. 364-5.

(3) P. Hib., 32, ll. 2—3 ; P. Petr., III, 4 (2) ll. 7—8 ; 14, ll. 7—8 ; P. Tebt., 815, fr. 5, l. 35 ; fr. 6, col. II, l. 32.

(4) P. Halensis I, 156 ff.

(5) P. Mich. — Zen., 66, l. 16 ; P. Petr., III, 6 (a), ll. 10—11, 43—4 ; 21 (b), ll. 3—4, 10.

(6) P. Halensis I, 167 ff.

(7) P. Halensis, I, 245 ff.

يرجع الى أن عدد أفراد كل حى كان محددا ، ولذلك فانه كان يتعين عليهم انتظار خلو أماكن فى كل منها (١) .

ومن كان أفراد هذه الفئات الثلاث ؟ وما سر التفرقة بين أفرادها ؟ ليست لدينا معلومات تساعدنا على الادلاء برأى حاسم فى هذه المسألة لكنه يبدو لنا أن أفراد هذه الفئات كانوا جميعا أحدث عهدا بالمدينة من أفراد الطبقة الأولى ، غير أن أفراد الفئتين الأولى والثالثة كانوا يتألفون من أشخاص أصبحت تتوافر فيهم الشروط التى تسمح بتسجيلهم فى أحياء ، بينها الا أنهم لم يسجلوا بعد لعدم توافر أماكن فى تلك الأحياء ، فى حين أن أفراد الفئة الثانية ربما كانوا يتألفون من مهاجرين جدد لديهم صلاحيات معينة لكنهم لم يستكملوا بعد شروط التسجيل فى أحياء المدينة .

وإذا كان لا يستوقف النظر أن المواطن الاسكندرى الكامل الأهلية كان فى أثناء وجوده خارج مصر لا يقرن اسمه باسم حيه بل يكتفى فى وصف نفسه بأنه « اسكندرى » (Alexandreus) ، شأنه فى ذلك مثلا شأن المواطن الأثينى الكامل الأهلية حين يكون خارج وطنه فهو لا يوصف الا بأنه أثينى ، فانه يستوقف النظر أن نجد فى نقوش ووثائق بطلمية من الاسكندرية وخارجها أشخاصا لا يقرن الواحد منهم اسمه باسم حيه وانما بلقب « اسكندرى » فقط ، ولا سيما حين يرد فى وثيقة بعينها من عام ١١٢ ق.م (٢) ذكر شاهدين على هذه الوثيقة ويقرن أحدهما اسمه باسم حيه ولا يقرن الآخر اسمه الا بلقب اسكندرى . ومما لـه دلالته أن هذا اللقب لم يستخدم فى فترة دون غيرها من فترات عصر البطالمة ولا خارج الاسكندرية دون الاسكندرية ، ولا فى نوع بعينه دون غيره من مصادرنا . ذلك أننا نجد هذا اللقب على أحد أنصاب الموتى فى مقبرة الشاطبى من أواخر القرن الرابع (٣) ، وفى خمسة اهداءات ثلاثة منها من منطقة الاسكندرية وترجع على التوالى الى عهود بطلميوس الثانى (٤) والثالث (٥) والرابع (٦) والاهداء الرابع من مصر الوسطى أو الفيوم ويرجع الى عام ٢٦٧/٨ (٧) والاهداء الخامس من الفيوم ويرجع الى عام

(1) Cf. Jouguet, Vie, pp. 12, 17, 25 ; P. Hal., pp. 91-2, 163.
(2) P. Rein., 9, ll. 29 ff.
(3) S.B. 5861.
(4) O.G. I.S., 32.
(5) S.B. 5863.
(6) Archiv, 5, p. 159, no. 3.
(7) Fraser, II, n. 97 p. 129.

١٣٧ ق٠م (١) ، وفى الوثيقة التى مر بنا أنها تتضمن ذكر شاهدين عليها ، وفى مخطوطات حائطية كشف عنها فى أبودوس (٢) ، وفى برديات ترجع الى أواخر عصر البطالمة وأوائل عصر الرومان (٣) ٠

ولما كان يتضح مما بسطناه عن الطبقة الاولى أن مواطنى الاسكندرية كاملى الأهلية كانوا ينقسمون الى قبائل وأحياء ، وأن اضافة اسم الحى الذى سجل فيه المواطن الى اسمه يدل على تمتعه بحقوق المواطنة كاملة ، وكان هذا هو الاجراء الشائع الطبيعى ، فان عدم قرن اسم الشخص باسم أحد أحياء الاسكندرية يوحى قطعا بعدم تسجيله فى حى بعينه وبأن مثل هذا الشخص لم يكن مواطنا كامل الأهلية من مواطنى الاسكندرية ٠ وفى حديثنا عن طبقة أنصاف المواطنين ذكرنا أنها تتألف من ثلاث فئات كان يمكنها الحصول على حقوق المواطنة كاملة متى توافرت الظروف التى تسمح بذلك ٠ بيد أنه اذا كنا نعرف أن أفراد الفئتين الأولى والثالثة من هذه الفئات كانوا يحرصون على أن يشفعوا أسمائهم باسماء الأحياء التى لم يسجلوا فيها بعد ولو بايجاز ينم عن عدم التسجيل ، فاننا لا نعرف الفئة الثانية الا من اشارة قانون الحرية الشخصية اليها على نحو ينم عن امكان حصول أفرادها على حقوق المواطنة كاملة دون ذكر الأحياء التى سيسجلون فيها ٠ فهل كان أولئك الذين يصفون أنفسهم بأنهم « اسكندريون » أعضاء هذه الفئة ، أم أنهم كانوا أعضاء فئة أخرى من فئات الذين يتمتعون ببعض حقوق المواطنة ؟ هذا ما لا يمكن الاجابة عنه فى ضوء معلوماتنا الحالية (٤) ٠

ثالثا ـ طبقة المقدونيين، وكانت طبقة أخرى ممتازة تتمتع بنفوذ كبير فى القصر وفى الجيش ، ولا غرو فانها كانت تؤلف الأرستقراطية العسكرية ٠ وقد ورد فى المصادر القديمة ذكر نظام مقدونى عمر مدة غير قصيرة فى بعض الممالك الهلينسية وبخاصة فى مصر ، وهو جمعية الجيش ، وكانت فى الأصل عبارة عن الأمة مدججة بالسلاح ومنتظمة فى صفوف الجيش ؛ ومن ثم فانها كانت مصدر السلطات ٠ وفى عهد الملوك الأقوياء كان نفوذ هذه الجمعية محدودا ، لكنها كانت تستخدم سلطاتها عند خلو العرش

(1) S.B. 6252. (2) S.B. 448 ; 8733.
(3) Fraser, I, p. 48.
(4) Cf. Jouguet, Vie, pp. 17, 25 ; Abbadi, J.E.A., 48, 1962, pp. 109 ff. ; Fraser, I, pp. 47-51.

فتوافق على وصية الملك الراحل وتبايع الملك الجديد • ويبدو أنه فى الشطر الثانى من عصر البطالمة فقدت هذه الجمعية أهميتها ، اذ أنه يتعذر أن نجد لها ذكرا فى المصادر القديمة بعد عهد بطلميــوس الخامس (١) •

ويشار الى هذه الجمعية فى المصادر القديمة اما بكلمة المقدونيين (٢) (hoi Makedones) ، واما بعبارة الجمعية العامة (Koine ekklesia) (٣) وأما بعبارة الجمعية العامة للمقدونيين (koine ton Makedonon ekklesia) (٤) •

ولا يبعد أن المقدونيين العسكريين كانوا يؤلفون جماعة قوميــة (Politeuma) كانت هذه الجمعية أحد نظمها ، لكننا لا نعرف شيئا أكثر من ذلك عن هذه الجماعة القومية • ومع ذلك فاننا لانستطيع قبول ما يرام البعض من أن مرد ذلك الى أن هذه الجماعة لم تقم بدور هام فى التاريخ (٥) •

ومما يجدر بالملاحظة أنه اذا كان المقدونيون الذين شكل الملك منهم حرسه الخاص وكذلك حامية المدينة يتمتعون بمكانة خاصة ، فان مرد ذلك لم يكن الى تمتعهم بحقوق مدنية خاصة رفعتهم فوق مرتبة مواطنى المدينة وانما الى كونهم فى خدمة الملك ، وأنه ليس هناك ما يبرر أن المقدونيين المدنيين كانوا يتمتعون بمركز خاص أو ممتاز (٦) • ومن البديهى أن المقدونيين ، العسكريين منهم والمدنيين ، كانوا يدمجون فى عداد هيئة المواطنين متى توافرت لديهم الشروط اللازمة •

رابعا — طبقة الفرس وفرس السلالة ، وكانوا يؤلفون طبقة خاصة لها بعض الامتيازات ، لكنها لم ترتفع الى مصاف الطبقات الثلاث الأولى ، ولم تكن فى عداد هيئة المواطنين • وكان عدد هذه الطبقة كبيرا ، ولا شك فى أنهم اصطبغوا سريعا بالحضارة الاغريقية (٧) •

خامسا — طبقة كبيرة من الاغريق يرد ذكر أفرادها فى النقوش والوثائق

---

(1) Jouguet, Assemblées d'Alex., B. S. R. A. A., 37, 1948, pp. 12-14.

(2) Diod., XVI, 3; XVII, 74, 3; XVIII, 36, 7; Arr., Anab., III, 26, 7; IV, 14, 2; VII, 8; Plut., Alex., 55; Eumenes, 8, 12; Polyaen., IV, 6, 24.

(3) Diod., XVII, 39, 4; XIX, 15, 1.

(4) Diod., XIX, 51, 1; 61, 1.

(5) Heichelheim, Die auswärtige Bevölkerung in Ptolemäerreich, p. 38.

(6) Fraser, I, pp. 53-4.

(7) Cf. Fraser, I, pp. 58-9.

التى ترجع الى كل فترات عصر البطالمة . وهذه الطبقة ذات شقين يتألف أحدهما من أشخاص يذكرون اما بأسمائهم فقط واما بأسمائهم مقرونة بأسماء آبائهم، ويتألف الشق الآخر من أشخاص لاتقرن أسماؤهم الا بأسماء المدن التى وفدوا منها مثل قوريني وردوس وساموس . وعدم قرن أسماء أفراد شتى هذه الطبقة بأسماء الأحياء ولا بلقب اسكندرى يشير الى أنهم لم يكونوا فى عداد طبقتى مواطنى المدينة . وتشير القرائن الى أمرين : وأحدهما هو أن عدد أفراد الشق الأول من هذه الطبقة ازداد باطراد حتى طغى على عدد مواطنى الاسكندرية ، مما أفضى الى تلك القلاقل والاضطرابات التى عانتها الاسكندرية فى عهد البطالمة الأواخر . والأمر الآخر هو أن الشق الثانى من هذه الطبقة كان يتضمن أبرز أعلام الآداب والعلوم والفنون والادارة مثل ما كان يتضمن كذلك تجارا وجنودا (١) .

سادسا — طبقة اليهود . وكانوا يؤلفون جانبا كبيرا من سكان المدينة منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد ؛ وينتظمون فى جالية تتمتع بدستور خاص بهم ، لكنهم لم يتمتعوا بحقوق المواطنة ، على نحو ما مر بنا فى سياق الحديث عن اليهود .

سابعا — طبقة المصريين . وكانت تتألف من الصناع والعمال وبعض الجنود ، وتسكن فى حى راقوتيس وفى جزيرة فاروس . وقد تجرد أفراد هذه الطبقة حتى من مظاهر الحضارة الاغريقية ، وكانوا يعتبرون عنصرا أجنبيا عن هذه المدينة فلم يدمجوا فى عداد المواطنين . لكنه كانت لبعض المصريين فى الاسكندرية مكانة ممتازة مثل كهنة السرابيوم وأولئك المصريين المتأغرقين الذين عينوا فى البلاط على عهد البطالمة الأواخر مثل ديونوسيوس بتوسرابيس (٢) .

وكانت توجد الى جانب هذه الطبقات جماعات مختلفة من الأجانب والعبيد والمعتقين (٣) .

الاستقلال السياسى والقضائى :

ومن المسلم به أن اغريق الاسكندرية كانوا اغريقا فى حياتهم الاجتماعية وثقافتهم الأدبية والفنية ، غير أنه ازاء الافتقار الى أدلة مباشرة

(1) Cf. Fraser, I, pp. 38, 51-3.
(2) Diod., XXXI, 15a ; Fraser, I, p. 54. (3) Breccia, p. 38.

على نظمهم السياسية تتضارب الآراء تضاربا شديدا حول حظ الاسكندرية من النظم السياسية التى كانت المدن الاغريقية تتمتع بها عادة . فيرى فريق من الباحثين أن الاسكندرية لم تتمتع بمظاهر الحكم الذاتى ، وذلك على أساس أن البطالمة وقد خلفوا الفراعنة فى حكم البلاد اقتبسوا منهم حق الملوك الالهى ، ومن ثم فانه لم يوجد فى مصر مواطنون أحرار بل رعايا خاضعون ، ولابد اذن من أن مدن مصر الاغريقية لم تكن الا صورة مزيفة للمدن الاغريقية ولم تتمتع باستقلالها الذاتى (1) . لكنه قضى على هذا الزعم الكشف عن ثلاثة قرارات أصدرتها الجمعية الشعبية والمجلس فى مدينة بطوليس (2) ، وهكذا ثبت أن هذه المدينة كانت تتمتع بالنظم السياسية الخليقة بمدينة اغريقية . ومن ثم فانه من الطبيعى أن تتساءل : أمن المعقول أن تكون عاصمة البطالمة بل عاصمة الحضارة الاغريقية فى العصر الهلينيسى قد عوملت أسوأ مما عوملت به تلك المدينة الرابضة فى قلب الصعيد برغم بعدها عن مقر السلطة المركزية ؟

ويرى البعض أنه كان طبيعيا ألا تتمتع الاسكندرية بمجالس دستورية لأنها كانت عاصمة البطالمة ومقرهم ، ولأن أهلها كانوا يميلون بطبعهم الى الثورات ، ومن ثم فان منح هذه المدينة مجالس دستورية كان يهدد سلطة الملوك على الدوام ، وتبعا لذلك فانه كان ينبغى الحد من استقلال المدينة الذاتى بعدم السماح بوجود مجالس دستورية فيها (3) . ويمكن الرد على ذلك بأن العامل الأول كان لا يستتبع حرمان الاسكندرية التمتع بمجالس دستورية ، بل انه كان من شأنه أن ييسر على البطالمة كبح جماح هذه المجالس . وقد كانت أنطاكية مقر السلوقيين وعاصمتهم وپرجام مقر الأتاليين وعاصمتهم . ومع ذلك فانهما كانتا تنعمان بمجالس دستورية . وأما عن العامل الثانى فانه عند انشاء الاسكندرية لم يكن فى وسع أحد التنبؤ بأن أهلها سيتصفون بعد ما يزيد على قرن بالشغب والميل الى الثورات . ويمكن القول أيضا وكيف يحرم البطالمة الاغريق التمتع بمجالس دستورية ويمنحون الجالية اليهودية فى الاسكندرية

(1) Mommsen, Röm. Gesch., V, p. 557.
(2) O. G. I. S. 47. 48, 49 ; Cf. Jouguet, Vie, p. 13.
(3) Bouché-Lecl., III, pp. 153-4.

مجلساً دستوريا ؟ ألم توجد وسيلة أخرى للحد من استقلال المدينة الذاتى سوى حرمانها حق التمتع بمجالس دستورية ؟ (١) ألم يكن من الأوفق ارضاء مشاعر الاغريق عن طريق منحهم مجلساً دستوريا واحداً أو أكثر ثم العمل على كبح جماح حريتهم فى التشريع بوسيلة أو أخرى مثل طريقة اختيار أعضاء مجلس البولى أو على الأقل رؤساء هذا المجلس وحكام المدينة . ومثل اسناد هذه المهمة الى بعض الموظفين الملكيين ؟

ويستدل بثلاث حجج أخرى على عدم تمتع الاسكندرية باستقلالها الذاتى أو بعبارة أخرى على عدم وجود مجالس دستورية فيها . واحدى هذه الحجج هى أنه يتبين من أحد النقوش وجود قائد للمدينة (٢) (Strategos tes Poleos) فى الاسكندرية . واذا سلمنا جدلا بأن هذا النقش بطلمى ومن الاسكندرية ، فانه يمكن تفسيره بأنه ربما كان لسلطة هذا القائد نطاق غير النطاق الذى كان لحكام هيئة المواطنين ومجالسها ، فقد كانت فى الاسكندرية أعداد كبيرة من غير المواطنين (٣) . بيد أن هذه الحجة لم تعد ذات موضوع بعد أن تبين أن هذا النقش ليس من الاسكندرية وانما من بطوليس ويرجع الى العصر الرومانى لا الى عصر البطالمة (٤) .

والحجة الثانية هى أنه لو صح حقا أنه كانت توجد مجامع دستورية فى الاسكندرية لظهر أثرها وكانت خير معبر عن ارادة الاسكندريين فى الثورات التى وقعت فى بداية عهد بطلميوس الخامس ابيفانيس ، والثورات التى أدت الى خلع بعض البطالمة وارتقاء غيرهم العرش ، كما حدث فى عهد بطلميوس السادس فيلومتور وبطلميوس الثامن يورجتيس الثانى وبطلميوس التاسع فيلومتور سوتر وبطلميوس العاشر اسكندر الأول

(1) Jouguet, Vie, pp. 31-2.
(2) Meyer, Archiv, III, p. 72.
(3) Cf. Jonguet, Vie, p. 30.
(4) OGIS., 743 ; Fraser, II, n. 34, p. 180, n. 94, p. 193.

وبطلميوس الثانى عشر أوليتيس (١) . ويرد على ذلك بأن المجامع الدستورية فى مدن مصر الاغريقية كانت مجامع محلية فقط لا يحق لها المساهمة فى شئون عامة تعنى الدولة بأجمعها . ولا شك فى أن الملوك لم يعترفوا على الاطلاق لمجمعى الاسكندرية الدستوريين بحق التدخل فى مسألة ارتقاء العرش أو الوصاية ، فى حين يبدو أن الدور الذى قام به « المقدونيون » — أى جمعية الجيش — كان قانونيا ، اذ أنه أمامهم توج الملك الصغير بطلميوس الخامس ، وأمامهم قرأ أجاثوقليس الوصية المزيفة التى جعلته وصيا ، ومنهم ومن الفرق الأخرى طلب أجاثوقليس فيما بعد النجدة ضد تليبولموس ، فقد كان ذلك تقليدا متوارثا منذ الوقت الذى كان فيه ملوك مقدونيا يحصلون على مبايعة الجيش لهم . واذا كانت مبايعة الجيش للبطالمة قد أصبحت فى الظروف العادية احدى الشكليات الرسمية ، فانه كانت لها قيمة كبيرة فى الظروف غير العادية ، مثل تلك التى صاحبت وفاة بطلميوس الرابع وارتقاء ابنه العرش ، لأن الموقف العدائى الذى اتخذه الجيش من أجاثوقليس هو الذى أشعل نيران الثورة التى أسهم فيها كل سكان المدينة من الاغريق والمصريين أى المواطنين وغيرهم . ووسط هذه الثورة الجامحة لم يكن لاجتماع هيئة المواطنين أية فائدة ، واذا كان قد حدث فعلا فلابد من أنه كان قليل الأهمية الى حد أن پولوبيوس لم يشر اليه فى وصفه المفصل لهذه الحوادث (٢) . وعلى كل حال فان عدم وجود مجامع دستورية فى الاسكندرية عندئذ لا ينهض دليلا على أنه لم توجد بها مجامع دستورية طوال عصر البطالمة .

والحجة الثالثة هى أن اسپارتيانوس (Spartianus) (٣) يروى أن الامبراطور سپتيميوس سڤروس هو الذى منح الاسكندرية مجلسها (Boule) ، ويضيف الى ذلك أن الاسكندريين كانوا يعيشون حتى

---

(1) Bouché-Leclercq, III, p. 153.
(2) Jouguet, Vie, pp. 29-30.
(3) Spart., Vita Sever., 17.

ذلك الوقت دون مجلس « مثـل ما كانوا يعيشون فى عهد الملوك » (ita ut sub regibus) . ولما كانت توجد فى الممالك الهلينيسية مدن بها مجامع دستورية مثل برجام وانطاكية ، فانه لا سبيل الى ما يذهب اليه البعض من أن اسپارتيانوس لم يقصد بعبارة « مثل ما كانوا يعيشون فى عهد الملوك » أن يقول « مثل ما كان الاسكندريون يعيشون فى عهد البطالمة » وانما « مثل ما يعيش رعايا الملوك » . واذا صح أن الكاتب القديم كان يقصد فعلا « مثل ما كان الاسكندريون يعيشون فى عهد البطالمة » ، فاننا سنرى من القرائن ما يشير الى أن هذه العبارة تنطبق على شطر واحد فقط من عصر البطالمة ، مما كان سببا فى اختلاط الأمر على اسپارتيانوس فجاءت عبارته شاملة عامة على نحو ما أسلفنا .

ومن ناحية أخرى يرى فريق آخر من الباحثين (١) أن الاسكندرية كانت مدينة اغريقية ، وتبعا لذلك فانه لابد من أنها كانت على الأقل فى بداية عهدها تتمتع بكل عناصر الحياة العامة فى المدينة الاغريقية ، أى بجمعية شعبية ومجلس بولى وحكام ومحاكم ، لكنه نتيجة للأحداث العنيفة التى شهدتها المدينة حد البطالمة من استقلال المدينة الذاتى ومن ثم فانها فقدت مجلسها .

واذا ألقينا نظرة سريعة على دستور قورينى (٢) الذى عثر عليه حديثا ونرجح أنه يرجع الى عهد بطلميوس الأول ، فاننا نلاحظ أن هذا الدستور كان يتألف من العناصر الأساسية التالية : (١) هيئة مواطنين (Politeuma) كبيرة العدد تتألف من ١٠,٠٠٠ مواطن ، (٢) مجلس بولى مكون من ٥٠٠ عضو يختارون بالاقتراع ، (٣) مجلس شيوخ (gerousia) يتألف من ١٠١ عضو اختارهم أصلا بطلميوس على أنه كلما خلا مكان عضو بسبب الوفاة أو لاعتزاله عضوية المجلس تقوم هيئة المواطنين العشرة الآلاف بملء المكان الشاغر بمواطن لا تقل سنه عن ٥٠ عاما ، (٤) كاهن للاله أپولو تؤرخ الوثائق باسمه (eponymous) ، وتسعة أوصياء على

(1) Jouguet, Trois Etudes, pp. 188—9.
(2) S. E. G. IX, 1.

القوانين (nomophylakes) ، وخمسة حكام (ephoroi) ، وخمسة قواد (Strategoi) ، على أن يكون بطلميوس قائدا لمدى الحياة .

ونحن لا نريد أن نعقد مقارنة بين قورينى والاسكندرية وانما نريد أن نتخذ من تمتعها هى وبطولميس بمجامع دستورية شاهدا على ميول البطالمة الأوائل وموقفهم تجاه النظم المألوفة فى المدن الاغريقية . واذا قيل انه لم يكن فى وسع البطالمة حرمان جمهورية ذائعة الصيت مثل قورينى مجامعها الدستورية ، فانه يمكن القول أيضا انه لم يكن فى وسع الاغريق فى فجر تاريخ الاسكندرية أن يتصوروا مدينة اغريقية ليست لها مجامع دستورية .

واذا جاز أن الاسكندر لم يمنح الاسكندرية المجامع الدستورية الخليقة بمدينة اغريقية وذلك لأنها لم تكن بعد قد أنشئت وعمرت ، فان المعقول أن يكون البطالمة الأوائل قد تلافوا هذا النقص بسبب حرصهم على توفير البيئة المناسبة لحياة الاغريق ، وذلك تشجيعا لقدومهم الى مصر واستقرارهم فيها ، ولا سيما أنهم كانوا ينوون أنفسهم بأن تصبح الاسكندرية عاصمة العالم الهلينيسى وأعظم مراكز الحضارة الاغريقية . وكيف كان يتأتى للاسكندرية الفوز بهذه المكانة فى نظر الاغريق اذا لم تتوافر فيها العناصر الأساسية التى لم يكن لأية مدينة اغريقية غنى عنها ؟

وفى متحف الاسكندرية نقش نشره برتشيا (١) وقام بلاومان (٢) بدراسته واستكمال ما فيه من فجوات وخرج من ذلك بأنه قرار أصدره مجلس الاسكندرية والشعب ، أى الجمعية الشعبية . ويعتقد جوجيه (٣) أنه يصعب استكمال هذا النقش بحيث يعطينا معنى آخر . ويرى فريزر أنه لا سبيل الى الشك فى أن هذا النقش اسكندرى الأصل ويحتوى

(1) Breccia, Iscrizioni Greche elatine, no. 164, pp. XXVI, 94.
(2) Plaumann, in Klio, XIII, 1913, p. 485 ; S. B. 3996, pp. 271, 667.
(3) Jouguet, Les Assemblées d'Alex., B. S. R. A. A., 37, 1948, p. 5.

على قرار أصدره مجلس الاسكندرية وجمعيتها الشعبية ، وذلك فيما يحتمل عند منتصف القرن الثالث قبل الميلاد (١) . ورب معترض يقول انه لا يجوز الاكتفاء بهذا النقش المهلهل للاستدلال على وجود جمعية شعبية ومجلس بولى فى الاسكندرية ، ولا سيما أننا لانعرف عن يقين المكان الذى وجد فيه هذا النقش (٢) .

بيد أنه يضفى على هذا النقش أهمية ما يتضمنه خطاب الامبراطور قلاوديوس الى الاسكندريين ردا عليهم حين طلبوا اليه منحهم مجلسا (Boule) ، فقد جاء فى هذا الخطاب « أما أن المجلس كان مجمعا مألوفا بين ظهرانيكم على عهد ملوككم القدماء فهذا ما لا علم لى به ، لكنكم تعلمون جيدا أنه لم يكن لكم مجلس فى عهد الأباطرة الذين سبقونى . ومن الواضح أن هذا المطلب الجديد الذى تتقدمون به لأول مرة قد يكون مفيدا للمدينة ولحكومتى ، ولذلك فانى كتبت الى آيميليوس رقتوس (Aemilius Rectus) لبحث الموضوع وموافاتى بما اذا كان يجب انشاء هذا المجلس ، وبطريقة تكوينه اذا كان ثمة داع لذلك » . (٣) .

ومن اليسير أن تتبين من هذا الرد أن الاسكندريين استندوا فى طلبهم الى أنهم كانوا يتمتعون بمجلس فى عهد ملوكهم القدماء . ورب معترض يقول ولماذا نستبعد أن يكون زعم الاسكندريين باطلا . والرد على هذا يسير وهو أنه لم يكن فى وسعهم الكذب على الامبراطور خشية افتضاح أمرهم وما يلحق بهم من أذى نتيجة لذلك ، فقد كان أمرا شائعا معروفا أن الامبراطور نفسه باحث مؤرخ . وفضلا عن ذلك فان أعداءهم اليهود كانوا واقفين لهم بالمرصاد ولن يترددوا عن كشف أباطيلهم . ولعل امبراطورا عالما مثل قلاوديوس لم يجهل نظم الاسكندرية فى عهد ملوكها القدماء ، لكنه ادعى الجهل لأنه لم يشأ أن تتخذ تقاليد الملوك القدماء سابقة تلزمه بما يجب اتباعه . ومع ذلك فانه لكى لا يبدو متعسفا وعد بالفصل فى مطلب الاسكندريين على ضوء المصلحة العامة وعهد فى بحث الأمر الى الحاكم العام آيميليوس رقتوس . والواقع أنه لو كان

(1) Fraser, I, p. 94 ; II, n. 3, pp. 173 — 4.
(2) Cf. Bell, The Alex. Senate, Aegyptus, XII, 1932, p. 179, fn. 1.
(3) Hunt and Edgar, Select Papyri, II, no. 212, 66 — 72, p. 84.

لدى الامبراطور أدنى شك فى صحة مزاعم الاسكندريين لاتخذ من ذلك ذريعة لرفض مطلبهم رفضا قاطعا . ومن ثم فانه يمكن اعتبار رد قلاوديوس دليلا على تمتع الاسكندرية بمجلس فى عصر البطالمة ، وسندا قويا يظاهر القراءة التى يقترحها بلاومان للنقش السالف الذكر .

ولما كان قلاوديوس يقتفى أثر سياسة أغسطس بدقة ، وكان الكل يسلم بأنه لم يكن للاسكندرية مجلس فى العصر الرومانى حتى عام ٢٠٠ فى عهد سبتيميوس سفروس ، فانه لو كان أول الأباطرة أغسطس هو الذى ألغى مجلس الاسكندرية — وهو ما يعتقده البعض([1]) استنادا الى عبارة جاءت فيما كتبه ديون قاسيوس — لكان أمر ذلك معروفا للاسكندريين وللامبراطور على السواء ، ولاستند الامبراطور الى ذلك واختلف رده تمام الاختلاف عما جاء فى خطابه المشهور ([2]) .

وماذا يقول ديون قاسيوس ؟ يميل كثيرون الى تفسير الفقرة التى أوردها ديون قاسيوس ([3]) بأن أغسطس ، وقد أدرك ميل الاسكندريين الى الثورات وعدم ثباتهم على حال ، ألغى مجلسهم . والواقع أن ديون قاسيوس لم يقل فعلا ان أغسطس ألغى مجلس الاسكندرية وانما قال بالنص « ان أغسطس أمر الاسكندريين بالتمتع بحقوق المواطنة دون أن يكونوا أعضاء فى مجلس بولى (aneu bouleuton politeusthai ekeleuse) » . ولما كانت هذه العبارة قد جاءت فى أعقاب جملة تحدث فيها ديون قاسيوس عن حرمان الأهالى من عضوية مجلس الشيوخ الرومانى فان هذا قد حدا بشوبارت ([4]) الى اقتراح تفسير طريف لهذه الفقرة وهو أن أغسطس حرم الاسكندريين عضوية مجلس الشيوخ الرومانى . ولم يلبث هذا التفسير أن وجد أنصارا يحبذونه ([5]) لكننا لا نستطيع قبوله لمجافاته سياق النص ([6]) .

---

(1) e.g. Fraser, I, pp. 94 — 5.
(2) Bell, op. cit., pp. 178 — 4.
(3) Dio Cass. LI, 17.
(4) Schubart, Die Boule von Alex., B.I.F.A.O. XXX, pp. 407 ff.
(5) Bell. op. cit, p. 183.
(6) راجع مقال الدكتور لطفى عبد الوهاب فى مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية العدد ١٢ الصادر فى سنة ١٩٥٨ ص ٧٥ — ٧٦ : On The Question of the Alex. Senate

فلم يبق اذن الا التفسير الطبيعي : وهو أن يكون الاسكندريون قد طلبوا الى أغسطس منحهم مجلسا لكنه أبى عليهم ذلك . ولعلنا نجد صدى ذلك الطلب في وثيقة بردية (١) نشرت منذ عهد غير بعيد . ويرى ناشرا هذه البردية أنها عبارة عن جزء من وصف ، منقول عن الوثائق الرسمية ، لمقابلة بين سفارة للاسكندريين والحاكم العام عقب الفتح الروماني ، حين كان أغسطس لا يزال في مصر وانما خارج الاسكندرية . واذا كان البعض يعتبر هذه الوثيقة نصا أدبيا لا يمت الى الوثائق الرسمية بصلة (٢) ، فان أكثر الباحثين يرون أن هذه الوثيقة مستمدة من الوثائق وتسجل مطلبا للاسكندريين (٣) . واذا كان بعض الباحثين يعتقد أن الامبراطور الذي قدم اليه هذا الطلب هو أغسطس ، فان البعض الآخر يعتقد أنه قلاوديوس ، لكن الرأى الأول هو الأرجح في نظرنا ، ولا سبيل الى الاعتراض عليه بأن قلاوديوس يصف مطلب الاسكندريين اليه بمنحهم مجلسا بأنه مطلب جديد يتقدمون به لأول مرة ، اذ أنه يمكن الرد على ذلك بأنه لا يبعد أن يكون المقصود بذلك لأول مرة في عهده هو ، أو أن يكون مرور فترة تتراوح بين ٧٠ و ٧٥ عاما قد أسدل ستارا من النسيان على حادث غير ذى بال وقع بعيدا عن روما .

وهل طلب الاسكندريون الاحتفاظ بمجلس موجود فعلا ؟ أم انشاء مجلس في مدينة لم يكن بها مجلس من قبل ؟ أم اعادة انشاء مجلس كان موجودا من قبل لكنه لم يعد له وجود ؟ ان نص رد قلاوديوس يستبعد الفرضين الأول والثاني ، اذ أن فحوى هذا النص يوحي بأنه كان في الاسكندرية مجلس وبأن أغسطس لم يلغ هذا المجلس . واذا كانت الاسكندرية في الأصل تتمتع بمجلس ، وكان أغسطس لم يلغ هذا المجلس ، وكانت الاسكندرية لم تتمتع بمجلس في عصر الرومان طوال القرنين الأول والثاني ، فلابد إذن من أن يكون أحد البطالمة هو الذي ألغاه .

(1) Medea Norsa and Vitelli, Da Papiri della Soc. Italiana, in B. S. R.A. A., no. 25 and 27 ; P. S. I., X, fasc I ; S.B. 7448 ; Bell; op. cit., pp. 177. — 8. 184.

(2) Oliver. Aegyptus, XI. 1931, pp. 167 — 8.

(3) Vierreck, Aegyptus, XII 1932. pp. 210—6 ; Bell. op. cit. pp. 177—8, 181 ; Jouguet, Assemblées, p. 8.

ومن عساه أن يكون هذا الملك؟ ليست لدينا أدلة قاطعة نستطيع الاستناد اليها للجزم فى أى عهد ألغى مجلس الاسكندرية ، لكنه لا يبعد أن يكون قد استحدث هذا التغيير اما بطلميوس الرابع فيلوپاتور (١) وهو الذى نعرف أنه أعاد تنظيم القبائل والأحياء فى الاسكندرية (٢) ، وإما على الأرجح بطلميوس يورجتيس الثانى الذى اضطهد الاسكندريين أشد الاضطهاد لمناصرتهم بطلميوس السادس فيلومتور أول الأمر وزوجه كليوپترة الثانية فيما بعد . ولما كان الغاء المجلس يعتبر عقابا صارما لهيئة المواطنين فانه يتفق وسلوك يورجتيس الثانى مع أرستقراطية الإسكندرية ، وهى التى تشير القرائن (٣) الى أن هذا الملك اضطهدها اضطهادا اشديدا (٤) .

وعلى كل حال فان ما أسلفناه من قرائن ينهض دليلا على أن الاسكندرية كانت تتمتع فى عهد البطالمة الأوائل بمجلس دستورى . ويؤيد ذلك أيضا ما تنم عنه بردية مشهورة من أن هذه المدينة كانت

(1) Schubart, Archiv, V, 89.
(2) Perdrizet, op. cit., pp. 85—82.
(3) Cf. Strabo, XVII, 797 = Polyb., XXXIV, 14,6.

(٤) ونحن لا نستطيع الاخذ بالرأى الطريف الذى يذهب اليه الدكتور لطفى عبد الوهاب وفحواه ان الغاء المجلس جاء نتيجة للتطورات الاجتماعية والاقتصادية فى مصر حوالي منتصف عصر البطالمة بحيث افضت هذه التطورات الى تصادم صوالح البطالمة والاغريق مما جعل الغاء البولى امرا مرغوبا فيه . ذلك اننا لا نجد مبررا للقول بانه منذ عهد بطلميوس الثانى اتجه البطالمة الى اتخاذ ما يكفل تقص امتيازات الاغريق الإقتصادية ، ولا نرى ان تكوين طبقة وسطى ثرية من الاغريق كان يتهدد صوالح البطالمة وانما نرى انه كان يخدمها بتوفير مختلف انواع الملتزمين والضامنين .

وقد كانت الثورات القومية التى اعقبت اشتراك المصريين فى موقعة رفح نذيرا كافيا للبطالمة لكى لا يعهدوا الى المصريين ثانية بدور رئيسى فى الجيش بدليل انهم عدلوا عن تكوين قلب الجيش منهم ، وان الاغريق استمروا يؤلفون غالبية الجيش وارستقراطيته . ويجب الا يفوتنا ان البطالمة وقد كانوا يدركون ان سلامتهم فى اعتمادهم على الاغريق ، كانوا يدركون كذلك انهم لا يستطيعون المساس بصوالحهم .

تتمتع باستقلالها القضائى (١) ، اذ أن الاستقلال القضائى لا يتحقق الا فى ظل الاستقلال السياسى . فهذه البردية التى لا تذكر شيئا عن المحاكم الملكية تحدثنا عن ثلاثة أنواع من المحاكم تعمل فى الاسكندرية (٢) مستقلة عن الملك ، فلا عجب أن كانت الدعاوى التى تقام أمامها لا توجه ولا ترفع اليه . وكان النوع الأول يتألف من مدع عام (Eisagogeus) ومحلفين (Dikastai) يختار أحدهم للرياسة (Proedros) . وكان النوع الثانى يتألف من محكمين (diaitetai) يعملون تحت اشراف حارس القوانين (Nomophylax) (٣) . وكان النوع الثالث يتألف من قضاة (Kritai) يبدو أنه كان لهم رئيس (Ho epi tou kriteriou) وكاتب (Grammateus) . والى جانب محاكم المدينة ومواطنيها كانت محكمة القضاء الاغريق (Chrematistai) (٤) ، وهى محكمة ملكية متنقلة ، تنعقد أيضا فى الاسكندرية ، مثل ما كانت تنعقد فى مدينة بطوليس (٥) وهى التى كانت لها كذلك محكمتها الخاصة . ويبدو أن المحكمة الملكية المتنقلة كانت تنعقد فى المدن الاغريقية للفصل فى قضايا غير المواطنين ، وكذلك فى قضايا الاغريق المقيمين فى مديريات قريبة من تلك المدن ، فضلا عن القضايا التى يكون أحد الطرفين فيها مصريا والآخر اغريقيا وتكون الوثائق موضوع النزاع محررة بالاغريقية .

واذا صح أن الأوضاع كانت متماثلة فى كل من بطوليس والاسكندرية ، فانه يبدو أنه فى الأصل كانت الجمعية الشعبية تنتخب من تشاء أعضاء فى هيئات محاكم المدينة ، ولكننا تبين من نقش (٦) من بطوليس من القرن الثالث قبل الميلاد أنه تقرر عندئذ اجراء تعديل دستورى كان مما تضمنه أن يكون انتخاب هيئة محكمتها من بين أشخاص منتقين ، أى فيما يبدو من بين قائمة كان الملك أو بعبارة أخرى الأرخيديقاستيس هو الذى يعدها .

---

(1) P. Halensis, (Dikaiomata) pp. 162, 171.
(2) P. Halensis, pp. 166—8.
(3) Taubenschlag, Law, 1st ed., p. 369.
(4) P. Petr. III. 25 (3rd Cent. B. C.) ; Enteuxeis 8 (218 B. C.)
(5) P. Grenf. I, 40 ; B. G. U. 1249.
(6) O. G. I. S., 48, ll. 8 ff.

ولما كان يتضح مما عرضناه الا مجال للشك فى أن الاسكندرية كانت تتمتع بمجلس دستورى فى بداية عهد البطالمة ، فاننا نستطيع فى ضوء ذلك تفسير عبارة « ملوككم القدماء » التى وردت فى رد قلاوديوس بأنها تعنى البطالمة الأوائل على الأقل ، وكذلك تفسير ما سبقت الاشارة اليه عند مناقشة أقوال اسپارتيانوس من أن عبارته « مثـل ما كانوا يعيشون فى عهد الملوك » صحيحة ومنطبقة على ذلك الشطر من عصر البطالمة بعد الغـاء المجلس .

وفى رأى بعض الباحثين أنه اذا كانت الاسكندرية قد منحت عند انشائها مجلسا فانها لم تمنح جمعيـة شعبيـة لأن ديمقـراطيتها كانت ديمقراطية معتدلة ، لكن البعض الآخر يرى بحق أن الاسكندرية وقد منحت مجلسا مثل پطولميس لابد من أن تكون قد منحت مثلها جمعية شعبية كذلك . ونحن نميل الى هذا الرأى ولا سيما أننا نجد له سندا فى نقش پلاومان ، لكننا لا نستطيع مسايرة صاحب هـذا الرأى فيما يذهب اليه من أنه اذا كان البطالمة الأواخر قد ضـاقوا ذرعـا بالمجلس وألغوه فانهم كانوا أرحب صدرا ازاء الجمعية الشعبية وأبقوا عليها الى أن ماتت ميتة طبيعية عند الفتح الرومانى (١) . فمن ناحية نرى أنه اذا كان البطالمة قد ضاقوا ذرعا بالمجلس فلابد من أنهم كانوا أكثر ضيقا بالجمعية الشعبية، ومن ناحية أخرى لاندرى كيف تموت المجالس الدستورية ميتة طبيعية ، ولا سيما مجالس شعوب تتدفق حيوية ونشاطا مثل شعب الاسكندرية ، دون أن يلغيها الحكام . وليس هناك ما يشير اطلاقا الى أن أغسطس هو الذى ألغى الجمعية الشعبية فى الاسكندرية . واذا صح ما يرويه ديون قاسيوس من أن يوليوس قيصر عقـد اجتماعا للجمعيـة الشعبية وتلا عليها وصية بطلميوس الزمار (٢) ، ومن أن أنطونيـوس قسم الجزء الشرقى من الامبراطورية الرومانية بين كليوبترة وأبنائها فى اجتماع عقده للجمعية الشعبية (٣) ، فانه يمكن تفسير ذلك بأنه فى تلك

(1) Jouguet, Assemblées, pp. 11 ff.

(2) Dio Cass., XLII, 35, 4.

(3) Dio Cass., XLIX, 41, 1—4.

المناسبتين دعيت هيئة المواطنين للاجتماع . ووصف هذا الاجتماع بأنه اجتماع الجمعية الشعبية صحيح من حيث أن اجتماع الجمعية الشعبية لا يخرج عن كونه اجتماع هيئة المواطنين ، لكنه يصعب أن تتخذ من ذلك دليلا على وجود الجمعية الشعبية واجتماعها بانتظام فى الشطر الثانى من عهد البطالمة ، وان كان تكرار اشارة ديون قاسيوس الى الجمعية يدل على اعتقاد هذا المؤرخ القديم أنه كان للاسكندرية جمعية شعبية ، ويمكن اتخاذه دليلا آخر على أنه لم يكن للاسكندرية مجلس فحسب بل أيضا جمعية شعبية . ومع ذلك فان هناك سؤالا يلح علينا الحاحا شديدا ، الا وهو اذا صح أنه كانت للاسكندرية فعلا جمعية شعبية وأن هذه الجمعية قد ألغيت كما ألغى المجلس ، فلماذا لم يطالب الاسكندريون الرومان بأن تكون لهم جمعية شعبية مثل ما طالبوهم بأن يكون لهم مجلس ؟ أكان سبب ذلك هو أن صفوة الاسكندريين ، وهم الذين كانوا يتحدثون باسم المدينة كلها ، لم يهتموا الا بأمر المجلس فقط ، وذلك اما بدافع الأنانية لأنهم هم وحدهم الذين كانوا سيفيدون من اعادته ، واما بدافع القناعة من تجارب مريرة بأن نظام الديمقراطية المعتدلة كان أنسب نظام للاسكندرية وبأن الرومان كانوا لا يمكن أن يسمحوا باعادة الجمعية الشعبية ، واما بدافع الادراك أن الاقتصاد فى مطلبهم يساعد على تحقيقه ؟ أم كان هناك سبب آخر ؟ لعل الأيام تكشف عما يحسم هذه المسألة .

ويرى فريزر أنه من المحتمل أنه لم يوجد فى الاسكندرية مجلس بولى وجمعية شعبية فحسب بل أيضا هيئة برلمانية ثالثة يعينها الملك وتدعى جروسيا (Gerousia = مجلس الشيوخ) ، وذلك استنادا الى حجتين رئيسيتين ، واحداهما هى أن لقب « أرخيجرون فخرى » (Kata teimen archigeronta) ورد فى نقش بطلمى متأخر عثر عليه فى الاسكندرية . والحجة الأخرى هى أن الدستور الذى منحه بطلميوس الأول لقورينى قضى بانشاء مجلس جروسيا يتألف من ١٠١ عضو يعينهم الملك الى جانب مجلس بولى يتألف من ٥٠٠ عضو تنتخبهم هيئة المواطنين (١) . ويضعف هذا الاحتمال أمران : واحدهما يسلم به فريزر وهو أنه لم يرد أى ذكر

(1) Fraser, I, p. 95.

للجروسيا فى القرار الذى أصدره مجلس البولى والجمعية الشعبية فى القرن الثالث (نقش پلاومان سالف الذكر) . والأمر الآخر هو أن الدستور الذى منحه بطلميوس لقورينى كان يوجد به فعلا جروسيا وبولى لكنه لم توجد فيه جمعية شعبية . ولعل الأصح فى هذا الصدد اتخاذ دستور پطوليس أساسا للقياس ، وذلك لأن پطوليس كانت المنشأة الجديدة الثانية فى مصر بعد الاسكندرية . ومع ذلك فاننا لا نستبعد أنه كانت توجد فعلا فى الاسكندرية هيئة تدعى جروسيا لكن هذه الهيئة لم تكن هيئة برلمانية لمواطنى الاسكندرية الاغريق وانما مجلس الجالية اليهودية الكبيرة التى كانت توجد فى الاسكندرية ، وهى التى عرفنا فى سياق الحديث عن اليهود أن البطالمة منحوها امتيازات لم تتمتع بها أية جالية أخرى فى أية مدينة اغريقية . وانه كان لهذه الجالية فى العصر الرومانى مجلس جروسيا ، وأن « بل » يرجح أنه ربما كان اغسطس هو الذى أنشأ هذا المجلس احياء لمجلس جروسيا قديم ؛ وأن « بثان » لا يستبعد أنه كان للجالية اليهودية فى الاسكندرية مجلس جروسيا منذ عصر البطالمة ، وأن مجمل رأيى « بل » و « بثان » أن صاحبيهما يميلان الى الاعتقاد بأن أول عهد الجالية اليهودية فى الاسكندرية بمجلس جروسيا لم يكن فى عصر الرومان وانما فى عصر البطالمة ، وأننا لا نرى اسرافا فيما يذهب اليه هذان الباحثان الجليلان . وقد يؤيد ذلك أن النقش[1] ،الذى يستند اليه فريزر فى رأيه ،اذ يصف شخصا يدعى لوقاريون بأنه أرخيجرون فخرى يصفه أيضا بأنه ديويقيتيس وأكسيجيتيس والمشرف على المدينة وجومنازيارخ . ذلك أننا نرى أن هذا النقش اذ يدل على أن لوقاريون كان مواطنا اغريقيا عظيم الشأن شغل فى وقت واحد أو على الأرجح فى أوقات مختلفة أرفع منصب عام فى الدولة وهو منصب ديويقيتيس وأرفع المناصب المحلية فى الاسكندرية وهى مناصب الأكسيجيتيس والمشرف على المدينة والجومنازيارخ ، لا يدل بالاستهلال فى وصف لوقاريون بأنه « أرخيجرون فخرى » على وجود جروسيا لمواطنى الاسكندرية بقدر ما يدل على أن اليهود أرادوا تكريم هذا الرجل فأغدقوا عليه تلك الصفة الفخرية .

(1) S B 2100.

ونحن لا نعرف كيفية تكوين مجلس البولى ، بيد أنه قد يلقى ضوءاً على ذلك أمران : وأحدهما هو أنه فى دستور قورينى كانت هيئة المواطنين الكاملى الأهلية هى التى تختار أعضاء مجلس البولى بالقرعة . والأمر الآخر هو أن نقشا (١) من بطوليمس من القرن الثالث قبل الميلاد يحدثنا بأن الرؤساء (prytaneis) قضوا على الشغب والاضطرابات التى كانت تشهدها اجتماعات مجلس البولى والجمعية الشعبية وبخاصة فى أوقات انتخاب الحكام بفرض عقوبات صارمة على المواطنين المشاغبين ، واستصدروا قرارا يقضى بانتخاب أعضاء مجلس البولى وهيئة المحكمة من بين مواطنين منتقين . واستصدار مثل هذا القرار ينم عن تعديل جذرى فى دستور بطوليمس ، فهل كان الاجراء المتبع أصلا مماثلا لما كان متبعا فى قورينى ، أى اختيار أعضاء البولى بالقرعة ؟ وهل كان أعضاء مجلس البولى فى الاسكندرية أيضا يختارون أصلا بالقرعة ؟ وهل كان هذا التعديل الدستورى فى بطوليمس انعكاسا لتعديل مماثل فى الاسكندرية وهى التى نعرف أنها شهدت تعديلات دستورية عديدة دون أن نعرف ماهيتها ؟ كل هذا غير مستبعد وان كان من المجازفة الجزم بحقيقة الأمر . وما سبب ذلك الاضطراب العنيف الذى كان مواطنو بطوليمس يقومون به فى أوقات انتخاب الحكام ؟ أكان سبب ذلك شدة التنافس بين المرشحين على غرار ما كان مألوفا فى بلاد الاغريق قديما ، أم الأرجح أن مرده الى أنه كانت تقدم الى الناخبين قائمة من الحكام المنتقين فكان ذلك يثيرهم ؟ سنعود الى مناقشة ذلك فى سياق الحديث عن بطوليمس .

واذا كان طبيعيا أن الجمعية الشعبية كانت تتكون من هيئة المواطنين الكاملى الأهلية ، فاننا لا نعرف مدى اتساع نطاق هذه الهيئة ولا مدى حرية هذه الجمعية فى التشريع . بيد أنه لا سبيل الى الشك فى أن البطالمة قصروا نشاط الجمعية الشعبية على الشئون المحلية دون غيرها . وتشير القرائن الى أن البطالمة عملوا على كبح جماح الجمعية الشعبية عن طريق بعض موظفيهم الملكيين وكذلك عن طريق وسائل أخرى . ذلك أن نقش بطوليمس سالف الذكر يدل على التجاء الملك الى تقييد حرية نشاط

---

(1) OGIS., 48 = S. B. 8852., ll. 8 ff.

الجمعية الشعبية عن طريق انتقاء أعضاء البولى وهيئات المحاكم . بل ان هذا النقش يوحي بأن رؤساء (prytaneis) مجلس بطوليس كانوا منذ البداية أشخاصا ممن انتقاهم الملك . وبما أن القرائن تشير الى أن هؤلاء الرؤساء كانوا كذلك كبار حكام بطوليس المحليين ، أى أنهم لم يكونوا هيئة برلمانية فحسب بل كذلك هيئة تنفيذية ، فانه لا يبعد أنه فى الاسكندرية أيضا كان الملك ينتقى رؤساء البولى وكذلك الحكام التنفيذيين . لكننا نرجح أنه فى الاسكندرية لم يكن هؤلاء الحكام هم رؤساء البولى .

الحكام :

ولو أمكن تصور مدن ليس لها استقلال سياسى ولا استقلال قضائى ، اى ليست لها مجالس دستورية تتمثل فيها سيادة جماعة المواطنين ، ولا محاكم تستمد سلطتها من تلك السيادة ، لما أمكن تصور مدينة لا تتطلب ادارتها حكاما وواجبات عامة . وقد كان ملء مناصب الحكام والاضطلاع بالواجبات العامة يعتبران من أهم الحقوق والواجبات التى ينطوى عليها التمتع بحقوق المواطنة .

وغنى عن البيان أن طابع هذه الحقوق والواجبات يختلف فى المدن المستقلة عنه فى المدن غير المستقلة ، ففى الأولى تكون هيئة المواطنين مصدر السلطة وهى التى تختار الحكام ، وأما فى الأخيرة فان الحكام يكونون بمثابة مندوبى السلطة المركزية ، لكنهم يقومون بالمهام نفسها ويحملون الألقاب نفسها مثل حكام المدن المستقلة . بيد أن طبيعة سلطتهم من الناحية التانونية مختلفة فى الحالتين لاختلاف مصدرها فى كل منهما . ولا شك أن المدن الاغريقية فى مصر لم تكن دولا مستقلة ذات سيادة سواء أكانت تتمتع بمجالس دستورية أم لم تكن ، وانما كانت مدنا خاضعة لسلطة الملك التى تتجلى قبل كل شىء فى اختيار الحكام . وفى ضوء النقش الذى يحدثنا عن التعديل الذى أدخل على دستور بطوليس ، يبدو أن الملك كان ينتقى عددا من المرشحين ينتخب المواطنون من بينهم حكام المدينة . ويبدو أن تدخل السلطة المركزية فى ادارة المدن لم ينته عند ذلك ، اذ أنه كان لها أيضا ممثلون فى كل مدينة [1] ، كما أن بعض

(1) Jouguet, Vie, pp. 34—36 ; Mac. Imp. p. 306.

الموظفين الملكيين كانوا يشتركون فى ادارة المدينة (١) ، وذلك فضلا عن انتقاء أعضاء مجلس البولى ، وهو ما يتضح من نقش پطوليس الذى سبق الحديث عنه فى أكثر من موضع .

وهل كانت سلطة الحكام المحليين مقصورة على هيئة المواطنين أم تشمل كل سكان المدينة ؟ واذا كان يبدو أنها كانت لا تشمل اليهود فى الاسكندرية ، فانه لا يمكن الجزم بأنها لم تمتـد الى باقى السكان الآخرين ، وان كان من المحتمل أن المصريين وغيرهم ممن لم يكونوا مواطنين — فيما عدا الاغريق — كانوا يخضعون مباشرة لممثلى السلطة المركزية (٢) .

وتتبين من بردية من عهد بطلميوس الثانى أن حكام الاسكندرية كانوا يدعون أراكنة (٣) (archontes) ، لكنه يصعب أن تتبين أنهم كانوا فى عصر البطالمة يؤلفون هيئة (Koinon ton anchonton) على نحو ما كانوا فى العصر الرومانى . ونتعرف فى هـذه البردية على الحكام الآتيين :

أولا : نوموفولاكس (nomophylax) ، وكان يشرف على محكمة المحكمين (diaitetai) . ويقوم فيها بدور يشبه ما يقوم به المدعى العـام (eisagogeus) فى محكمة المحلفين ، فهو الذى كانت تقدم اليه جميع وثائق القضية وهو الذى كان يعلن الحكم وينفذه (٤) .

ثانيا : ثسمو فولاكس (thesmophylax) ، ولا نستطيع أن تتبين شيئا عن مهام هذا النوع من الحكام أكثر من أنهم كانوا يشرفون على صحة تنفيذ العقود (٥) ، ومن أنه كانت لهم صلة ما بالصداق (٦) . ويظن أنه كان يوجد واحد من هؤلاء الحكام فى كل حى من أحياء الاسكندرية ، وأن وجودهم لم يكن مقصورا على الاسكندرية (٧) .

(1) Jouguet, Vie, pp. 41—42 ; Mac. Imp., p. 306.
(2) Jouguet, Vie, pp. 40 — 41.
(3) P. Hal., pp. 162-3.
(4) P. Hal., I. 42, p. 57, p, 57 ; P. Lille, 29 ; Taubenschlag. p. 369 ; Zucker, Beiträge, p. 63 ; Fraser, II, n. 160 p. 204.
(5) P. Hal., I, ll. 234, 238—9 ; Preisigke, Fachwörter, s. v. Thesmophylax ; Fraser, I, p. 112 ; II, n. 165 p. 205.
(6) P. Fay. XXII, ll, 9—10, p. 126.
(7) P. Hal., I, pp. 135 — 6.

ثالثا : أستونوموى (astynomoi) وكانوا حفظة الأمن فى المدينة (١) •

رابعا : أمناء الخزينة (tamiai) ويبدو مما ترويه البردية المشهورة أنهم كانوا يتسلمون الأموال المستحقة للمدينة (٢) •

وفى وثيقة بردية من حوالى ٢٨٠ — ٢٥٠ ق٠م٠ ورد ذكر حاكم آخر يدعى (gynaikonomos) (٣) • ويظن أن هذه الوثيقة المهلهلة كانت تتضمن فقرات من أحد قوانين مدينة من مدن مصر الاغريقية ، لعلها الاسكندرية • ذلك أن الرأى السائد هو أن قوانين الاسكندرية كانت تماثل قوانين أثينا ، وأنه من المعروف أن الحكام الذين يدعون (gynaikonmoi) كانوا جزءا من الجهاز الدستورى فى أثينا فى خلال حكومة ديمتريوس الفليرى (٣١٧ — ٣٠٧ ق٠م٠) بوصف كونهم أداة تطبيق القوانين التى تحدد قواعد السلوك والانفاق • ولا يبعد أنه كانت لديمتريوس الفليرى يد فى استحداث هذا النظام فى الاسكندرية عندما حل ضيفا معززا مكرما على بطلميوس الأول فى صدر القرن الثالث • واذا صح أن قوانين الاسكندرية كانت بوجه عام مماثلة لقوانين أثينا ، فانه لا يبعد أن ذلك يرجع الى ما تمتع به ديمتريوس من نفوذ لدى بطلميوس الأول • ويتبين من الوثيقة البردية التى نحن بصددها أنه كان لهؤلاء الحكام اختصاص هام يتعلق بتسجيل المواطنين فى أحيائهم •

وفى نقش (٤) يرجع الى أواخر القرن الثانى أو صدر القرن الأول قبل الميلاد وعثر عليه فى وسط مدينة الاسكندرية ، نجد لأول مرة ذكر الجومنازيارخ وهو الذى كان فى كل الدول الاغريقية رئيس الجومنازيوم ويتولى الاشراف على التعليم •

ويحدثنا استرابون(٥) بأن كبار حكام الاسكندرية فى عهد الملوك كانوا : آكسيجيتيس (Exegetes) وهويومنيماتوجرافوس (Hypomnematographos)

---

(1) P. Hal., I, 235 ff.

(2) P. Hal., I, 243-6, pp. 133 — 4.

(3) P. Hibeh, II, 1955, p. 69, no. 196 ; Bingen, Chron., 32, 1957, pp. 337 — 9.

(4) Breccia, Rapport, 1912, p. 39, no. 90 ; S.B. 2100.

(5) Strabo, XVII, 797 ; Bouché-Lecl., III, p. 154 ; Fraser, I, pp. 96 ff.

وأرخيديقاسيتيس ونوقترينوس ستراتيجوس (Nukterinos Strategos).
ولكنه لا شك فى أمرين وأحدهما هو أن هذه القائمة غير كاملة ، والآخر
هو أن استرابون خلط بين حكام المدينة المحليين وبين موظفى الدولة
الملكيين ، الذين كان مقرهم فىالاسكندرية ؛ وكان الهوپومنيماتوجرافوس
والأرخيديقاستيس من بينهم . ذلك أننا لا نعرف موظفين يطلق عليهم
فى عصر البطالمة لقب هوپومنيماتوجرافوس سوى سكرتيرى الملوك
وسكرتيرى وزراء المالية (١) ، لكن هذا لا ينفى أنه كان لسكرتير الملك
اختصاص معين فى مدينة الاسكندرية . وربما كان لاسترابون عذر فى
الخلط بين حكام المدينة المحليين وبين موظفى الدولة الملكيين ، لأننا
سنرى أنه فى الاسكندرية وفى بطوليس كان عدد من الموظفين الملكيين
يتولون فعلا مناصب محلية ويباشرون مهاما كانت فى المدن المستقلة
استقلالا تاما من صميم اختصاص حكامها الذين ينتخبهم المواطنون .

وأما وظيفة الأرخيديقاستيس ، فانها احدى مشاكل تاريخ مصر فى
عصر البطالمة ، لأنه اذا كان البعض يتفق مع استرابون ويرى أن هذا
الحاكم كان موظفا محليا فى الاسكندرية (٢) ، فان البعض الآخر يعارض
هذا الرأى معارضة قوية (٣) . ذلك أن وثائق العصر الرومانى ترينا أن
الأرخيديقاستيس كان يحمل لقبا ترجمته « المشرف على محاكم القضاة
الاغريق والمحاكم الأخرى » ، وأن معنى ذلك أن مهام الأرخيديقاستيس
لم تقتصر فىالعصر الرومانى على مدينة الاسكندرية ، وأنه من غير المستبعد
أن اللقب الذى حمله هذا الحاكم فى العصر الرومانى كان أحد بقايا نظام
القضاء البطلمى(٤). واذا صح ذلك فلابد من أن نطاق عمل الأرخيديقاستيس
كان يشمل مصر بأسرها فى عصر البطالمة أيضا . وقد يؤيد هذا الرأى
ما يرجح من أن وثيقة بردية مشوهة من هرموپوليس بتاريخ ٢٤ من يولية
سنة ٥٥ ق.م. كانت تحوى هذا اللقب (٥) . بيد أنه اذا صح هذا

(1) Bouché-Leclercq, III, pp. 154 — 155 ; Cf. Fraser, I, p. 96.
(2) Mitteis, Grundzüge, II, p. 27 ; Koschaker, in Zetisch. d. Savigny-Stiftung, XXVIII, pp. 245 ff. ; XXIX, pp. 1 ff.
(3) Schubart, Archiv, V. pp. 61—70.
(4) Jouguet, Vie, pp. 40, 168, 169 ; Bevan, p. 102.
(5) B.G.U. 1000 ; Bouché-Leclercq, III, p. 157.

فلماذا لم يرد له ذكر فى عصر البطالمة الا مرة واحدة فى نقش يثبت مظاهر التشريف التى أغدقها أهل جزيرة ثيرا على شخص يدعى ديونوسيوس بن تيموناكس (Timonax) ، وصف بأنه أرخيديقاستيس وبين الأصدقاء الأول للملك بطلميوس والملكة كليوپترة (١) ؟ ان البعض لا يستبعد أن هذا الشخص كان موظفا قضائيا عينته حكومة البطالمة لجزيرة ثيرا ؛ وأنه لم يكن له اختصاص فى مصر (٢) ، بيد أنه اذا كان جائزا أن تكون الحكومة البطلمية قد عينت لجزيرة ثيرا الصغيرة أرخيديقاستيس أى كبيرا لقضاتها ، فهلا يكون ذلك ذاته قرينة على أن تلك الحكومة كانت تحرص على أن يكون هناك كبير لقضاة مصر بسبب كثرة قضاتها وتعدد أنواع محاكمها ، على نحو ما سنرى فى سياق الحديث عن النظام القضائى ؟ ويحاول البعض تفسير صمت الوثائق البطلمية عن ذكر هذا الموظف بأنه بالرغم من أن اختصاصه كان يشمل مصر كلها ، فان هذا الاختصاص كان مقصورا على اختيار القضاة الذين تتألف منهم المحاكم المختلفة ، ولم تكن له صلة بالمحاكم نفسها ولا باستئناف الأحكام (٣) . بيد أنه اذا صح هذا فكيف يمكن اذن تفسير لقب « المشرف على محاكم القضاة الاغريق وعلى المحاكم الأخرى » ؟ لعلنا لانعدو الحقيقة اذا اعتقدنا أن الأرخيديقاستيس استمد هذا اللقب من أنه هو الذى كان يختار القضاة ؛ وأنه اذا كان لا يفصل فى قضايا الاستئناف فانه هو الذى كان يعدها للملك عند عرضها على محكمته ، وتبعا لذلك فان ذكره لا يتردد فى الوثائق . ولما كان من المحتمل أن الأرخيديقاستيس هو الذى كان يختار قضاة المحاكم جميعها بما فى ذلك قضاة محاكم مدينة الاسكندرية ويعد للملك القضايا التى تستأنف أمام محكمته ، فانه لاسترابون عذرا فى وصف الأرخيديقاستيس بأنه كان من حكام الاسكندرية المحليين فى عصر البطالمة .

---

(1) Homolle, B.C.H., II, 1878, p. 368 ; Strack, n. 169 ; O.G.I.S., on. 136, ll. 2—4 ; Prosop. Ptol. no. 7916.

(2) Bevan, p. 102.

(3) Schubart, loc. cit.

ولم يبق اذن من الحكام الذين ذكرهم استرابون سوى الأكسيجيتيس والنوكتوستراتيجوس ستراتيجوس . ويوجد خلاف كثير حول اختصاصات الأول وان كنا نعرف أن اختصاصات الأكسيجيتيس فى المدن الاغريقية : مثل أثينا واليوسيس وأولوميا وأسبرطة كانت تفسير الوحى وطلائع المستقبل ورعاية التقاليد الدينية أو القوانين التى تستمد سلطتها من الديانة . وقد كان أول من تولى هذا المنصب فى الاسكندرية تيموثيوس ، الذى أسهم فى انشاء عبادة سرابيس[1] . واذا كان اختصاص أكسيجيتيس الاسكندرية مشابها فى الأصل لاختصاص نظرائه فى المدن الاغريقية ، فلابد من أن يكون اختصاصه قد اتسع كثيرا بمضى الزمن ، اذ أن استرابون يصف عمله بأنه كان « الاشراف على صوالح المدينة » [2] ، وهو وصف غامض لكنه ينم عن أن اختصاصات الأكسيجيتيس لم تعد مقصورة على شئون الديانة ولا سيما أن استرابون يحدثنا بأن هذا الحاكم كان يرتدى رداء قرمزيا ويتمتع بمظاهر اجلال تقليدية ، مما يوحى بأن هذا الحاكم كان رئيس الحكام المحليين . ومقارنة أقوال استرابون عن الأكسيجيتيس بما يصف به مصدر قديم متأخر [3] كاهن الاسكندر والبطالمة المؤلهين من أنه كان « المشرف على المدينة ويرتدى اكليلا ذهبيا ورداء قرمزيا » ، حدت بالبعض الى القول بأن الأكسيجيتيس كان يتولى كذلك منصب كاهن العبادة الاغريقية الرسمية العامة [4] . واذا كان جائزا أن الأكسيجيتيس كان يتولى أحيانا ذلك المنصب الدينى الرفيع ، فاننا سنتبين بعد قليل من فحوى نقشين بطلميين ما ينم على الأقل عن أن الأكسيجيتيس كان لا يتولى دائما ذلك المنصب . ويؤكد ذلك المصدر المتأخر أنه كان من اختصاصات كاهن الاسكندر والبطالمة المؤلهين تطهير النهر والاشراف على زراعة أملاك التاج وعلى استخراج الزيت . ولما كانت كل الدلائل تشير الى أن مثل هذه الاختصاصات كانت من صميم عمل موظفى الادارة المالية ، وكان لا يمكن أن يتولى الاشراف عليها الا وزير المالية ، فانه يصعب قبول ما جاء فى ذلك المصدر عن اختصاصات

(1) Bouché-Leclercq, III, pp. 159—60.
(2) Strabo, XVII, 797.
(3) Ps-Callisthenes, III, 32.
(4) Bevan, p. 103.

ذلك الكاهن : كما يصعب اعتبارها تفسيرا لقول استرابون الغامض بأن على الأكسيجيتيس كان « الاشراف على المدينة » .

وأما عن النقشين البطلميين ؛ فان أحدهما (١) من حوالى عام ١٥٠ أو ١٢٥ ق.م. ويصف شخصا يدعى خروسرموس بأنه « رئيس الأطباء وأكسيجيتيس وعيد دار العلم » . والنقش الآخر (٢) من حوالى أوائل القرن الأول قبل الميلاد ويصف شخصا يدعى لوقاريون بأنه «أرخيجروق فخرى وديويقيتيس وأكسيجيتيس والمشرف على المدينة وجومنازيارخ » . وأغلب الظن أن هذين الشخصين لم يتوليا كل تلك المناصب فى وقت واحد . وعلى كل حال فانهما أولا : لم يتوليا المناصب ذاتها باستثناء منصب الأكسيجيتيس ؛ وثانيا ، لم يوصفا بأنهما كانا كاهنى الاسكندر والبطالمة المؤلهين . وفى ضوء معلوماتنا الحالية يصعب تحديد اختصاصات الأكسيجيتيس ، والذهاب الى أبعد من أن منصبه كان رفيعا ولعله كان أرفع مناصب المدينة .

وأما عن النوقترينوس ستراتيجوس (قائد الليل) فاننا لا نعرف شيئا : وان كان من المحتمل أن نرى فيه «المشرف على المدينة» (epi tes poleos) وهو الذى عرفنا توا أنه كان أحد المناصب التى شغلها لوقاريون . ونعرف من وصف الاضطرابات التى أثارها قليومينيس الثالث فى الاسكندرية فى عام ٢١٩ أنه قتل فى هذه الاضطرابات شخص اسمه بطلميوس بن خروسرموس يصفه پولوبيوس (٣) بأنه « المشرف على المدينة » ويدعوه پلوتارخ (٤) « حارس المدينة » . ونعرف أن شخصا يدعى أسقليبياديس كان فى عام ١٦٤/١٦٣ يتولى منصب « المشرف على المدينة » فى الاسكندرية (٥) . وتبين من وثيقة بردية ترجع الى عام ١٢٦ أنه كان يوجد كذلك « مشرف على المدينة » فى الاسكندرية عندئذ (٦) . وازاء ذلك كله يبدو أنه كان يوجد بالاسكندرية فى خلال شطر كبير من عصر البطالمة موظف ملكى يدعى « المشرف على المدينة » (٧) ، الا أنه يبدو

(1) O.G.I.S., 104 Michel, Inscr. Delos, 1525 ; Fraser, II, n. 89, p. 192.
(2) Bteccia, Rapport, 1912, p. 39, no. 90 ; S.B. 2100.
(3) Polyb., V, 39, 3.
(4) Plut., Ages. et Cleom. 58, 37, 9.
(5) Diod., XXXI, 20.
(6) P. Bad., IV, 48, ll. 6—7.
(7) Fraser, I, pp. 100, 106.

أنه فى أواخر عصر البطالمة وفى عصر الرومان كان يدعى « قائد المدينة » . وظن بريتشيا أن هذا الحاكم كان يشبه «مدير أمن المدينة» (Praefectus Urbis) فى روما ؛ ولذلك يرجح أنه لم يكن قائد الاسكندرية العسكرى بل رئيس الشرطة فيها (١) . واذا صح أنه كان يوجد شبه بينه وبين « مدير أمن المدينة » فى روما ، فانه من المرجح أن الملك هو الذى كان يعينه للاشراف على سلامة المدينة (٢) ، وأنه لم يكن الا أحد ممثلى سلطة الملك ، وهو الذى توحى القرائن بأنه كان الحاكم الفعلى للمدينة .

ويبدو غريبا أن استرابون يحدثنا عن الجومنازيوم دون أن يذكر الجومنازيارخ (gymnasiarch) وهو الذى عرفنا أنه ورد ذكره فى نقش لوقاريون ، ولابد من أنه كان من أهم الحكام المحليين ، ذلك أن الجومنازيوم كان مقر حياة الاغريق الاجتماعية ، وان الجومنازيارخ كان الرئيس الاجتماعى لهيئة المواطنين (٣) . وفى العصر الرومانى عندما كانت تقع اضطرابات عنيفة ومصادمات بين اغريق الاسكندرية ويهودها ، كان الجومنازيارخ هو الذى يمثل هيئة المواطنين الاغريق ويدافع عن قضيتهم فى روما أمام الامبراطور (٤) . فلابد اذن من أنه كان لهذا الشخص مركز هام فى عصر البطالمة (٥) .

شهرة الاسكندرية :

ان جمال الاسكندرية وبهاءها وغناها قد أكسبتها شهرة واسعة ، واستمر الكتاب القدماء يشيدون بها حتى بعد أن أخنى الدهر على هذه المدينة العظيمة وعفا الزمان على آثارها . فان قورياق الأنقونى (Cyriac of Ancona) ، وقد تأثر بما شهده فيها ، أطلق على أطلالها الباقية فى عام ١٤٣٥ « المدينة المجيدة » (Urbs nobilissima) . ويعتقد المقريزى أن الله عز وجل يشير الى الاسكندرية عندما يذكر فى القرآن الكريم المدينة

(1) Breccia, p. 38.

(2) Bevan, p. 103.

(3) Bevan, p. 104; Jouguet, Vie, p. 40.

(4) Wilcken, Zum Alex. Antiseinitismus, Abh. d. saechs. Ges. d. Wiss. phil, — hist, Kl., XXXII, 1909.

(5) Neroutzos, L'anc. Alexandrie, p. 93, no. 10 ; Schubart, Kilo, X, pp. 57—8, n. 1.

التى ليس لها مثيل . ويقول عنها أحمد بن صالح : « انها الجعبة التى أودع الله فيها خير سهامه » .

واذا توغلنا بين طيات الماضى ، فاننا نجد الكتاب فى عصر المسيحية وقبل ذلك فى عصر الوثنية ، سواء أكانوا من الاغريق أم الرومان ، لا يكادون يذكرون الاسكندرية دون وصفها بما ينم عن عظمتها ومجدها وثرائها ، لأنها كانت فى نظر القدماء المدينة التى تحوى كل ما يمكن أن يحصل الانسان عليه أو يرغب فيه . فيقول هيروداس (Herodas) على لسان امرأة عجوز ، تتحدث الى زوجة صغيرة رحل عنها زوجها الى الاسكندرية : « لقد انقضت عشرة شهور منذ سافر ماندريس الى مصر لكنه لم يرسل اليك كلمة واحدة . ولا شك أنه قد نساك ونهل من منبع سرور آخر ! مصر ! (يقصد الاسكندرية) فهناك حيث يوجد معبد الالهة (أرسينوى) وكل شىء يمكن وجوده فى أى مكان آخر : ثراء وملاعب ومجد وراحة وعظمة ومباهج وفلاسفة وذهب وشبان وملك كريم ودار للعلم وخمر وكل الأشياء الطيبة التى يمكن أن تتوق اليها النفس ، ونساء يفقن النجوم فى عددهن ويضارعن الآلهات اللائى احتكمن الى باريس فى جمالهن » (١) .

وكان أهل الاسكندرية يشتهرون بحبهم للعمل والمال وبميلهم الى الثورات وكل ما هو جديد وبشغفهم بالسخرية اللاذعة . وقد اشتهرت ألقاب السخرية ، التى كانوا يطلقونها على الملوك وفيما بعد على الأباطرة الرومان . ويشير الى ذلك سنقا (Seneca) فيقول ان أهل الاسكندرية كانوا يحبون اللغو ويبرعون فى السخرية . ويقول الامبراطور هادريانوس عن أهل الاسكندرية ، اذا صح أنه مؤلف الكتاب المشهور الذى أرسل الى أحد أقاربه : « لا يبارى أهل الاسكندرية فى الاضطراب والغرور والأذى . ومدينتهم غنية ، تفيض بالخيرات ، ولا يوجد بها أحد عاطل ، فانهم لا يعبدون سوى اله واحد هو : المال ... » .

(1) Herodas, I, 22, A.

ويؤكد المقريزى أن أهل الاسكندرية كانوا جشعين ؛ ويصفهم كاتب آخر بأنهم كاذبون وجريئون . وكان يجتذب الأجانب وأهل الأقاليم إلى الاسكندرية مباهج الحياة فيها أكثر مما كان يجتذبهم اليها علماؤها وأدباؤها ومعاهدها . ونستطيع أن نستدل على مفاسد الحياة فيها من أن قيصر كان لا يثق بجنوده الذين ينغمسون فيها . ويشبهها أحد الكتاب الحديثين بفلورنسا فى عهد أسرة مديتشى ؛ لأن وجه الشبه قريب جدا بين هاتين المدينتين فى النشاط الفنى والأدبى والثروة وحب الحياة البهيجة . ومن العجيب أن نلاحظ أن مطلع احدى المقطوعات الشهيرة التى كان يترنم بها أهل فلورنسا يكاد يكون ترجمة مطلع احدى المقطوعات التى كان ينشدها أهل السمر بأعلى أصواتهم فى شوارع الاسكندرية ومعناه « فلنأكل اليوم ونشرب لأننا سنموت غدا » (١) .

وسنتحدث فيما بعد تفصيلا عن دور الاسكندرية فى مجالات الصناعة والتجارة والآداب والعلوم والفنون عند معالجة هذه الموضوعات .

بطوليس

موقعها واقليمها :

كانت بطوليس المدينة الاغريقية الثانية التى أنشئت فى مصر عقب الفتح المقدونى . وقد شيدت هذه المدينة غربى النيل حيث كانت توجد قبلا مدينة مصرية ، تدعى سوى (Sui) أو پسا (P-sa) أو پسى (Psi) ثم أطلق المصريون عليها فى عصر البطالمة پسى — پطوليس (Psi-Ptulmis) أى پسى التى أنشأها بطلميوس (٢) . وتشغل اليوم بلدة المنشية — وهى تقع جنوبى سوهاج بحوالى عشرة كيلو مترات — جانبا من موقع بطوليس التى اختفت معالمها تماما ؛ لكنه من المحتمل جدا أن مهندسى بطلميوس الأول اتخذوا من الاسكندرية نموذجا يحتذونه فى تشييد هذه المدينة الجديدة ، التى لابد من أن يكون بطلميوس قد أرادها أن تكون اسكندرية منطقة طيبة (٣) . ويحدثنا بطلميوس الجغرافى بأن هذه المدينة كانت عاصمة المديرية الطينية (٤) (Thinite Nome) . وهل نفهم من ذلك أن

(1) Breccia, p. 35.
(2) Bouché-Lecl. III, p. 146, fn. 2.
(3) Jouguet, Vie, p. 7.
(4) Ptol., III, 5, 66.

هذه المديرية كانت تكون اقليم بطوليس ، أم أن حاكم المديرية كان يقطن هذه المدينة فحسب ولم يكن له سلطان عليها ؟ لكنه يجب أن تتساءل أيضا : هل ما يرويه هذا الكاتب ، وكان يعيش فى القرن الثانى للميلاد ، ينطبق على عصر البطالمة ؟ كل هذه أسئلة نستطيع أن نوجهها دون أن نستطيع الاجابة عنها (١) .

ويتضح من نقش عثر عليه مؤخرا أن بطلميوس أنزل فى منشأته الجديدة اغريقا استقدمهم من مختلف بلاد الاغريق ، تبين منها فى هذا النقش أرجوس وتساليا ومن المحتمل أيضا اسبرطة (٢) . ولا شك فى أن سكان بطوليس لم يتألفوا من مزيج يماثل ذلك الذى كان سكان الاسكندرية يتألفون منه . لكنه لا شك فى أنه كان يوجد بينهم عنصر مصرى ، كما كان يوجد فى الاسكندرية ونقراطيس ، لأن بطوليس أنشئت كما أسلفنا على موقع مدينة مصرية . ولا يبعد أن يكون عدد المصريين هناك قد زيد بنقل بعض السكان اليها من المدن المجاورة مثل طيبة وأبودوس (٣) ، كما حدث فى الاسكندرية ، لكنه لا شك فى أن العنصر المصرى لم يدمج هنا أيضا فى هيئة المواطنين .

واذا كان يمكن الجزم بأن المدن الاغريقية فى مصر كانت تشابه بعضها بعضا من حيث وجود هيئة مواطنين فى كل منها ، فاننا مع ذلك لا نستطيع الجزم بأن حقوق المواطنة كانت تنطوى على الحقوق والواجبات نفسها فى كل هذه المدن . ونجد فى الوثائق أن بعض مواطنى بطوليس كانوا لا يضيفون الى أسمائهم سوى لقب بطوليسى (Ptolemaieus) مثل أريستوبوليس (Aristopolis) ابن اريستوديموس البطوليسى (٤) وأرخاجاثاس (Archagathas) ابن هيرميوس (Hermios) البطوليسى (٥) واسثلاداس (Asthladas) ابن دروتون (Dryton) البطوليسى (٦) ، على حين أن البعض الآخر كانوا يضيفون الى أسمائهم أسماء أحيائهم ،

---

(1) Jouguet, Vie, p. 8.

(2) Berytus 13, 1960, pp. 123 ff., no. 1 (SEG 665) ; See also Jouguet, B.C.H., 21, 1897, p. 198.

(3) Bouché-Leclercq, III, p. 146

(4) Neroutzos, L'ancienne Alex., p. 111, no.33.

(5) Neroutzos, L'ancienne Alex., p. 109, no. 29.

(6) P. Pathyris, Archiv, I, p. 63, l. 27.

مثل دروتون والد أسثلاداس فقد كان من حي فيلوتريوس (Philotereios) (١) بل ان ساراپياس (Sarapias) زوجة دروتون الأولى ووالدة أسثلاداس تدعي مواطنة (Aste) (٢) . فكيف اتفق أن اسثلاداس لم يضف الى اسمه اسم حي أبيه أو بعبارة أخرى كيف أنه لم يسجل فى هـذا الحى ؟ قد يجوز أن أسثلاداس ولد قبل أن يصبح أبوه مواطنا يتمتع بكل حقوق المواطنة (٣) ، ولكنه قد يكون أكثر جوازا اما أن اسثلاداس لم يكن قد استوفى بعـد الشروط اللازم توافرها للتسجيل فى أحد الأحياء وتبعا لذلك للادماج فى هيئة المواطنين ، وأما أنه كان قد استوفى فعلا هـذه الشروط ولكن عدد هيئة المواطنين وتبعا لذلك عدد مواطنى كل حى كان محددا ولم تكن هناك بعد أماكن شاغرة .

وكيف كان دروتون يوصف أحيانا بأنه كريتى وأحيانا أخرى بأنه من حى فيلوتريوس بيطوليس ؟ لعله كان أحد أفراد جالية كريتية تنزل بالقرب من بطوليس ، وكان الاغريق الذين يعيشون فى جاليات قومية (Politeumata) خاصة بهم خارج المدن الاغريقية فى مصر يدمجون فى عداد هيئة المواطنين فى احدى مدن مصر الاغريقية (٤) ، متى توافرت لديهم شروط بعينها .

ويرى چوجيه أن مواطنى بطوليس كانوا طبقتين : الأولى طبقة المواطنين ، وكانوا يتمتعون بحقوق المواطنة كاملة وينقسمون الى قبائل وأحياء ويضيف كل منهم الى اسمه اسم حيه ، والثانية طبقة من المواطنين لا يتمتعون بحقوق المواطنة كاملة ولا يضيفون الى أسمائهم الا لقب

---

(1) P. Grenfell, I, p. 12.
(2) P. Grenfell, I, p. 21.

(٣) اننا لا نستطيع قبول ما يذهب اليه جوجيه Vie, p. 17, fn. 2 من انه قد يكون سبب ذلك ان نوع زواج دروتون وساراپياس استتبع حرمان الابن حقوق المواطنة كاملة ، فقد كان كل من الابوين مواطنا كاملا . ولا نعرف أنه كان عند الاغريق نوع من الزواج يؤدى الى هذه النتيجة اللهم الا اذا لم يكن الابوان متزوجين .

(4) Lesquier, Institutions, p. 151, fn. 1 ; Cf. Schubart, Klio, X, pp. 63-65.

بطولميس (١) . لكن پلاومان يرى أن الأدلة التى وصلت الينا لا تبرر هذه التفرقة (٢) . ولما كان لا شك فى أن مواطنى بطولميس المتمتعين بحقوق المواطنة كاملة كانوا ينقسمون الى قبائل وأحياء (٣) ووحدات (٤) ، مثل ما كانت عليه الحال فى الاسكندرية وأثينا ، وكان بعض مواطنى بطولميس يضيفون الى أسمائهم أسماء أحيائهم فى حين أن البعض الآخر يكتفى باضافة لقب بطولميس ، فاننا نميل الى ترجيح رأى چوجيه . ويطلق فى أحد النقوش(٥) على جانب من مواطنى بطولميس لقب نيوتروى (Neoteroi) . ويبدو للبعض (٦) أنه كان يقصد بهذا اللقب المواطنين الشبان ، على نحو ما كانت عليه الحال فى جيلا (Gela) (٧) وجورتون (Gortyn) (٨) . ولكن أيبعد أن هذا اللقب كان يطلق على المواطنين الجدد الذين كانوا يدمجون فى هيئة المواطنين بعد انشاء مدينة بطولميس وتكوين هيئة مواطنيها ؟

ومن المرجح أن أسماء الأحياء فى الاسكندرية وفى بطولميس قد اختيرت بحيث لا تتكرر فى المدينتين (٩) ، لكن الحال لم تكن كذلك فيما يتعلق بالقبائل ، فقد وجدت فى كل من هاتين المدينتين قبيلة تدعى بطولميس . ويظن أن هذه القبيلة أخذت اسمها فى مدينة بطولميس من اسم مؤسس المدينة بطلميوس الأول (١٠) . وهذه القبيلة هى الوحيدة من قبائل بطولميس التى نعرف اسمها . ويبدو أن أسماء الأحياء فى هذه المدينة كانت مشتقة اما من أسماء أفراد أسرة البطالمة واما من أسماء أبطال

(1) Jouguet, Vie, pp. 9—17.
(2) Plaumann, p. 21.
(3) Plaumann, p. 22.
(4) P. Fay. 22 = Mitteis, Chrest. 291 : Wolff, p. 38.
(5) O.G.I.S., 48.
(6) Jouguet, Vie, p. 26.
(7) Kaibel, Ins. Gr. Sic. et Ital., no. 526.
(8) Polyb., IV, 53 ; Plaumann, p. 25.
(9) Schubart, Archiv, V., pp. 82 ff.
(10) Jouguet, B.C.H., XXI, p. 194.

الأساطير الاغريقية . ونستدل على ذلك من أسماء الأحياء التالية : آندانيوس (Andanieus) ، وبرنيقيوس (Berenikeus) ، ودانايوس (Danaeus) ، وقارانيوس (Karaneus) ، وكليوپتريوس (Kleopatreios) ومجيستيوس (Megisteus) وسوستراتيوس (Sostrateus) ، وهوليوس (Hylleus) ، وفيلوتريوس (Philotereios)(١) .

الاستقلال السياسي والقضائي :

واذا كان الشك يخالجنا في أن الاسكندرية كانت تستمتع بنظم مدينة اغريقية حرة فانه ليس هناك أي سبيل للشك في أنه كان يوجد في پطوليس مجلس (Boule) وجمعية شعبية (Ekklesia) . واذا كانت الوثائق التي تحدثنا عن هذين المجمعين الدستوريين لاترجع الا الى القرن الثالث قبل الميلاد ، فأغلب الظن أنهما كانا يوجدان هناك منذ انشاء هذه المدينة في عهد بطلميوس الأول (٢) ، وأن يكون ما أصاب مجمعي الاسكندرية الدستوريين من الالغاء قد أصاب أيضا مجلس بطوليس وجمعيتها الشعبية . وعلى كل حال فاننا لا نعرف شيئا عن كيفية تكوين هذين المجمعين . ووجود جمعية شعبية الى جانب مجلس يوحي بأن دستور پطوليس كان ديمقراطيا في المظهر على الأقل ، وبأن كل المواطنين الذين يتمتعون بحقوقهم كاملة كانوا يشتركون في أعمال الجمعية الشعبية . لكننا لانعرف الشروط التي كان يجب توافرها للتسجيل في أحد الأحياء ، لكي يتمتع المواطن تبعا لذلك بحقوقه كاملة ويستطيع دخول الجمعية الشعبية واختياره عضوا في مجلس البولى ، كما أننا لا نعرف سواء عدد هيئة المواطنين أم عدد أعضاء مجلس البولى ، أم كيفية اختيار أعضاء مجلس البولى الى أن حدث التعديل الدستوري الذي سبقت الاشارة اليه في سياق الحديث عن نظم الاسكندرية وسنعود اليه ثانية بعد قليل . بيد أننا نعرف أن

(1) Plaumann, p. 23; O. G. I. S., 48; 49; 51; 130; 703; 728.

(2) Jouguet, B.C.H., XXI, 1897, pp. 184 — 208 ; Strack, Archiv, I, p. 202, n. 4, p. 203, nos. 11 — 12 ; Archiv, II, p. 539, no. 8 ; O.G.I.S., 47, 48 ; 49 ; Plaumann, pp. 1. ff.

مجلس البولى والجمعية الشعبية كانا ينعقدان ويصدران قرارات وصلت الينا محفورة على لوحات من الصخر ومصوغة فى قالب العبارات المألوفة فى الأساليب السياسية الاغريقية . ومثل ذلك القرار التالى الذى صدر على الأرجح فى عام ٢٤٠ / ٢٣٩ ق.م. : « يروق للمجلس (Boule) والشعب (Demos) أن يقرر بناء على اقتراح هيرماس (Hermas) ابن دورقون (Dorkon) من حى مجيستيوس (Megisteus) ، عندما كان الرؤساء (Prytaneis) زملاء ديونوسيوس (Dionysios) ابن موسايوس (Musaios) فى العام الثامن هم : ديونوسيوس بن موسايوس من حى هوليوس ، وهيپياس بن ديون من حى مجيستيوس ، وقراتيوس بن پروقريتوس من حى فيلوتريوس ، وقيسوس (Kissos) ابن ثيارخوس من حى أندانيوس ، وهليودوروس بن نيقوماخوس (Nikomachos) من حى دانايوس ، ونيوپتولموس بن ثيودوروس من حى قارانيوس (١) .

ونستخلص من ديباجة هذا القرار ، وهو الذى يتضمن تعديل دستور بطوليس ، أمرين : وأحدهما هو أنه كان يوجد ستة رؤساء (Prytaneis) يبدو أنهم كانوا يختارون بمعدل واحد من كل قبيلة لمدة عام واحد . واذا صح ذلك فان معناه هو انه كانت توجد ست قبائل فى بطوليس . والأمر الآخر هو أن هؤلاء الرؤساء كانوا يكونون هيئة يرأسها أحدهم ، اذ يقول القرار « عندما كان الرؤساء زملاء ديونوسيوس بن موسايوس ... »(٢) . ويحتمل أن سكرتير المجلس (Grammateus tes Boules) كان أحد هؤلاء الرؤساء الستة (٣) . ونجد فى نقش آخر أن جمعية الممثلين فى بطوليس تكرم ديونوسيوس هذا بوصفه رئيسا لمدى الحياة (٤)

(1) Jouguet, B.C.H. XXI, 1897, p. 189, nr. III ; Strack, Archiv, I, p. 202, nr. 4 ; O.G.I.S., 48 ; Plaumann, p. 24 ; SB. 8852.

(2) Plaumann, pp. 17 — 18.

(3) Plaumann, pp. 18 — 19.

(4) O.G.I.S. n. 50

(Prytanis dia Biou) ، ولا يستبعد بعض الباحثين أن عبارة « لمدى الحياة » لم تكن الا صفة فخرية يراد منها التكريم فقط (١) ، بيد أنه في ضوء مايحدثنا به نقش آخر من القرن الثالث قبل الميلاد من أن لوسيماخوس ابن بطلميوس كان رئيسا (Prytanis) لمدى الحياة (٢) ، وكذلك في ضوء ما توحي به محتويات النقش الذى يتضمن قرار التعديل الذى أدخل على دستور بطوليس ، لا يبعد أن عبارة « لمدى الحياة » لم تكن صفة فخرية بقدر ما كانت صفة فعلية .

وقد كان الرؤساء يتولون رئاسة الجمعية الشعبية والمجلس ، مثل ما كانت هيئة الخمسة عشر تتولى رئاسة مجلس التيموخوى فى ماسيليا (٣) . وكانوا يقدمون الى الجمعية تقرير المجلس عما يعرض عليه من الموضوعات لدراستها قبل تقديمها الى الجمعية لاتخاذ قرار فيها . وكان يحق لهم تقديم الاقتراحات فى الجمعية ، غير أن هذا الحق لم يكن مقصورا عليهم وحدهم (٤) . ولا نعرف يقينا اذا كانت هيئة الستة فى بطوليس هيئة برلمانية فحسب أم كانت أيضا هيئة تنفيذية مثل هيئة الخمسة عشر فى ماسيليا ، ولا اذا كان كبير هيئة الستة فى بطوليس يضارع هيئة الثلاثة أو رئيسهم فى ماسيليا ، غير أن قيام هيئة الستة بمهام أخرى بجانب تلك التى ذكرناها ، مثل تسجيل المواطنين الجدد (٥) ، والمركز السامى الذى كان يحتله هؤلاء الرؤساء فى المدينة (٦) ، وقيامهم بفرض عقوبات صارمة على المواطنين الذين أثاروا الشغب فى مجلس البولى والجمعية الشعبية (٧) ، وخلو الوثائق التى وصلت الينا من الاشارة الى أى حكام آخرين لهم سلطة تنفيذية (٨) — ان ذلك كله يشير الى أن مهام هؤلاء الرؤساء لم تكن مقصورة على الشئون البرلمانية فحسب ، بل كانت تنفيذية أيضا ،

(1) Plaumann, p. 18 ; Jouguet, Vie, p. 87.
(2) O.G.I.S.. 51 ; S.B. 8855
(3) Jouguet, Vie, p. 88.
(4) Plaumann, p. 19.
(5) Plaumunn, p. 18.
(6) Plaumann, p. 19.
(7) O.G.I.S., 48, ll. 8 ff. (= S.B. 8852).
(8) Plaumann, p. 20.

أى أنهم كانوا رؤساء الجمعية الشعبية ومجلس البولى وكذلك كبار حكام المدينة المحليين .

وقد مر بنا أن نقشا (١) من بطوليس من القرن الثالث قبل الميلاد يحدثنا بأن الرؤساء (prytaneis) قضوا على الشغب والاضطرابات التى كانت تشهدها اجتماعات مجلس البولى والجمعية الشعبية وبخاصة فى أوقات انتخاب الحكام بفرض عقوبات صارمة على المواطنين المشاغبين ، واستصدروا قرارا يقضى بانتخاب مجلس البولى وهيئة المحكمة من بين مواطنين منتقين . ومن الجلى أن استصدار مثل هذا القرار ينم عن تعديل جذرى فى دستور بطوليس الهدف منه السيطرة على أجهزتها الدستورية ، ومن اليسير أن تتصور أن الملك هو الذى أوحى بهذا التعديل . وأغلب الظن أن الاجراء المتبع أصلا فى مثل هذه الأحوال كان مماثلا لما كان متبعا فى قورينى وفقا لأحكام دستورها الذى أصدره « بطلميوس » ، أى اختيار أعضاء البولى بالقرعة ، وهيئة المحكمة أيضا فيما يبدو . وما سبب ذلك الاضطراب العنيف الذى كان مواطنو بطوليس يقومون به فى أوقات انتخاب الحكام ؟ أكان سبب ذلك شدة التنافس بين المرشحين على غرار ما كان مألوفا فى بلاد الاغريق قديما ، أم أن مرده الى أنه كانت تتقدم الى الناخبين قائمة من الحكام المنتقين فكان ذلك يثيرهم ؟ لما كان بديهيا ألا يدخر الملك وسعا فى فرض سلطته على المدينة وتقييد نشاط أجهزتها الدستورية بكل وسيلة ممكنة بدليل ما رأيناه توا ، وكانت القرائن توحى بأن «الرؤساء» كانوا كبار حكام المدينة وبأنهم كانوا يختارون واحدا عن كل قبيلة ، وكنا قد رأينا نقشين يصف أحدهما ديونوسيوس بن موسايوس والآخر يصف لوسيماخوس بن بطلميوس بأنه « رئيس لمدى الحياة » ، وكان

(1) O.G.I.S. 48 ll. 8 ff = S.B. 8852.

التعديل الدستورى الذى تحدثنا عنه جعل انتخاب أعضاء مجلس البولى بل هيئة محكمة المدينة من بين أشخاص منتقين ، فأغلب الظن أن سبب ذلك الشغب والاضطراب لم يكن شدة التنافس بين المرشحين وانما كان تفويت الفرصة على الراغبين فى ترشيح أنفسهم بقصر هذه الفرصة على فئة منتقاة . ومعنى ذلك أنه قبل اجراء التعديل الدستورى السابق ذكره كان الملك قد جعل انتخاب كبار الحكام أو بعبارة أخرى « الرؤساء » من بين فئة ينتقيها ممن يثق فيهم لتنفيذ رغباته : مع مراعاة تغيير أشخاص أولئك المنتقين فى كل عام باستثناء كبيرهم عادة الا اذا اقتضى ما يدعو الى انتقاء غيره .

وقد يؤيد ما تذهب اليه من أن الملك كان ينتقى فى كل عام عددا معينا ممن يثق فيهم ليختار منهم الناخبون كبار حكام بطوليس أن النقش الذى يرجع الى القرن الثالث (٢٦٧ — ٢٤٣) ويصف لوسيماخوس بن بطلميوس بأنه رئيس (prytanis) «لمدى الحياة» يحدثنا بأنه كان قائدا للفرسان (١) ، ولعله كان قائدا للحامية العسكرية فى بطوليس . ويحدثنا نقش آخر من القرن الثالث (على الأرجح من عام ٢٧٦/٢٧٥) بأن هذا الشخص نفسه كان عندئذ سكرتير مجلس البولى (٢) . ولعلنا لا نسرف فى التفسير اذا افترضنا أن هذا الشخص قد أثبت جدارته فارتقى من سكرتير الى رئيس لمدى الحياة مع توليه منصب قائد الحامية العسكرية . ولا شك فى أمرين : وأحدهما هو أنه لم يكن لمدينة بطوليس جيش وانما كانت فيها حامية عسكرية مثل ما كانت توجد فى كل من نقراطيس والاسكندرية . والأمر الآخر البالغ فى دلالته هو أن الشخص الذى كان فيما يبدو قائد حامية الملك فى بطوليس كان فى الوقت نفسه رئيس حكام هذه المدينة لمدى الحياة . ونجد فى نقش ثالث أن رجلا يدعى قاليماخوس كان حاكم عام منطقة طيبة وفى الوقت نفسه جومنازيارخ مدينة بطوليس (٣) .

---

(1) O.G.I.S. 51 = S.B. 8855.

(2) Strack, Archiv, II, 1902, p. 539, no. 8 ; O.G.I.S. 728 = S.B. 8923.

(3) Schubart, Klio. X, 1910, p. 51 ; C.I.G. 4717 ; O.G.I.S. 194 ; S.B. 8334.

وهكذا نجد فى هذه المدينة كما وجدنا فى الاسكندرية موظفين ملكيين يجمعون بين مناصب عامة فى الدولة ومناصب محلية فى المدينة . ومما يجدر بالذكر أنه ورد فى جزء مشوه من النقش الخاص بالتعديل الدستورى ذكر موظف لقبه ديويقيتيس . وازاء هذا التشويه يصعب الجزم اذا كان هذا الموظف ممثلا دائما للملك فى المدينة أم أنه كان أحد حكامها المحليين (١) .

ولقد ذكرنا آنفا أن الاستقلال السياسى يستتبع بطبيعة الحال وجود استقلال قضائى ، ولذلك يجب أن تكون للمدن الحرة محاكمها الخاصة . ونستطيع أن نؤكد أنه كانت لبطوليس محكمتها الخاصة بها على الأقل فى القرن الثالث قبل الميلاد ، اذ أن القرار الذى أجرى بمقتضاه التعديل الدستورى السالف الذكر يذكر محكمة (Dikasterion) (٢) كان ينبغى اختيار أعضائها منذ ذلك الوقت من بين رجال منتقين (ex epilekton andron) (٣) . وأغلب الظن أن الأرخيديقاستيس ، أى مساعد الملك فى الشئون القضائية هو الذى كان يقوم بالانتقاء . وفى ضوء معلوماتنا الحالية يبدو أنه فيما عدا انتقاء القضاة وفيما يحتمل تمتع مواطنى المدن الاغريقية بحق الاستئناف الى الملك ، تركت السلطة المركزية تصريف العدالة الى المحاكم المستقلة التى كانت توجد فى المدن الاغريقية . ونعرف أنه على الأقل فى القرن الثانى قبل الميلاد كان القضاة الملكيون الاغريق (Chrematistai) يعقدون محكمتهم فى بطوليس ، حيث كان لهم صندوق (angeion) يودعه المتحاجون شكاويهم ، وذلك غالبا قبل وصول هذه الهيئة القضائية المتنقلة (٤) . ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا تصورنا أن

---

(1) B.C.H., XXI, p. 189 ; Strack, Archiv, I, p. 202 ; O.G.I.S., 48.
كان يوجد ديويقيتاى ملكيون فى مدينة بونتوس (Kuhn, Verfassung, II, p.125).

(٢) يلاحظ أن كلمة ديقاستريوس (Dikasterion) كانت تطلق على محاكم المدن ، وكلمة قريتريون (Kriterion) على المحاكم الملكية ، وأن الكلمة الأخيرة كانت تستعمل عادة لوصف محاكم القضاة المصريين (Laokritai) والمحاكم الملكية المتنقلة المؤلفة من قضاة اغريق (Chrematistai) .

(3) Jouguet, B.C.H. XXI, 1897, p. 189, no III ; Strack, Archiv, I, 1900. p. 202, n. 4 ; O.G.I.S. 48 ; S.B. 8352, l. 14.

(4) P. Grenf., I, 40 ; B.G.U. 1249 ; P. Tor., IV.

القضاة الملكيين كانوا يعقدون محكمتهم دائما فى پطولميس — عاصمة الاغريق فى مصر العليا — للنظر فى نوعين من القضايا : وأحدهما قضايا الاغريق الذين كانوا يعيشون سواء فى پطولميس أم فى منطقة طيبة ولم يكونوا من مواطنى پطولميس ، ولا سيما أن الوثيقة التى تحدثنا عن وجود صندوق للشكاوى فى پطولميس ترينا أن طرفى الخصومة كانا يعيشان خارج هذه المدينة (١) ؛ والنوع الآخر هو القضايا التى يكون أحد الطرفين فيها من الاغريق والآخر من المصريين وتكون الوثائق موضوع النزاع محررة بالاغريقية (٢) .

واذا استثنينا ما يقال من أنه لم تكن لپطولميس حق سك النقود ، فانه يتبين لنا مما عرضناه أن هذه المدينة — الى أن ألغى مجلسها وجمعيتها الشعبية اذا صح أن ذلك قد حدث فى پطولميس مثل ما حدث فى الاسكندرية — كانت تتمتع بكافة مظاهر المدن الاغريقية الحرة . واذا كنا لا نعرف عن يقين مدى حق هذه المدينة فى التشريع ، فانه مما لا شك فيه أن ذلك كان لا يتعدى تنظيم شئونها المحلية . ولا فى أن ما تصدره من قوانين ولوائح كان ينبغى ألا يتعارض مع رغبة الملك . ولعل أن هذا التعارض كان سبب التعديل الدستورى الجذرى الذى سبقت الاشارة اليه . ويبدو من النصوص القليلة التى وصلت الينا أنه لكى يحقق الملك رغباته كان يكتفى أول الأمر بانتقاء « رؤساء » البولى ، وهم الذين كانوا كذلك فيما يبدو كبار الحكام المحليين ، ثم تطور الأمر الى انتقاء أعضاء البولى وهيئة المحكمة . هذا الى أنه يتبين من الأمثلة التى ذكرناها أن بعض الموظفين الملكيين كانوا يتولون مناصب فى هذه المدينة الى جانب مناصبهم العامة فى الدولة .

---

(1) P. Tor., IV ; Plaumann, p. 31.
(2) Cf. P. Tebt., 5, ll. 209 — 220 ; Wenger. Archiv, II. p. 490.

ويبـــدو أن الملك كان ينهى رغباته الى المدينة عن طريق سفرائه أيضا ، اذ أن أحد قرارات (١) المدينة يحدثنا عن احتفائها برجل يدعى أنتيفيلوس (Antiphilos) كان مبعوث بطلميوس الثالث ، وعما أقامه هذا السفير من حفلات كانت خليقة بالملوك . لكن النص غير كامل فلا نعرف غرض السفير من هذه الزيارة ، وان كان لابد من أنه قد استقدمته الى المدينة أمور هامة . ولم يكن أنتيفيلوس السفير الوحيد الذى قدم الى بطوليس ، اذ أن هذا النص نفسه يحدثنا عن اهتمام المدينة بالاستعداد لاستقبال السفراء الملكيين استقبالا عظيما .

ولا شك فى أن الحامية العسكرية (٢) التى وضعها البطالمة فى بطوليس كانت تضمن خضوعها لهم ، ذلك الخضوع الذى يتمثل فى مظهر آخر هو عبادة البطالمة هناك عبادة اغريقية رسمية محلية ، كان الملوك هم الذين يعينون كهنتها (٣) ، الى جانب عبادتهم عبادة اغريقية رسمية عامة كان الملوك هم الذين يعينون كهنتها كذلك .

طبيعة العلاقات بين البطالمة والمدن الاغريقية فى مصر :

وما هو الوصف الصحيح للعلاقات بين أولئك الملوك ، وكانوا ملوكا مطلقى السلطة ، وتلك المدن الاغريقية ، وكانت على الأقل من حيث الشكل جمهوريات صغيرة ؟ يرى البعض أنه كانت توجـد بين المدن والملك « محالفات » أنشأت بين الفريقين صلات اتحادية . لكنه اذا جاز هـذا الرأى فيما يخص دولة السلوقيين حيث وردت فى وثائقها كلمة محالفة (Symmachia) ، فانه لا يمكن قبوله فيما يخص دولة البطالمة ، اذ أنه لم يرد فى وثائقها ذكر للمحالفات ، ولا يمكن انطباق هذا الوصف على العلاقات بين الملك البطلمى والمدن الاغريقية فى مصر . ذلك أنها كانت شديدة الخضوع لسلطة الملك بحيث أنه لا يمكن الزعم بأنه كان بين الفريقين محالفات ، وأن التحالف يفترض وجود نوع من المساواة بين الطرفين

(1) B.C.H., XXI, 1897, p. 187, no. I; Strack, Archiv, I, p. 208, no. 11; O.G.I.S., 49; S.B. 8853.

(2) Plaumann, pp. 31 — 32.

(3) Plaumann, pp. 39 — 54.

فى القانون ان لم يكن فى الواقع . ولا ريب فى أن استقلال هذه المدن كان مقصورا على ادارة شئونها الداخلية ، ومع ذلك فقد رأينا الملك يتخذ من الوسائل ما يكفل تنفيذ مشيئته فى ذلك . واذا كانت كل هذه المدن أو بعضها تتمتع بأحد حقوق السيادة وهو سك النقود ، فانه ينبغى ألا ننسى أن هذه النقود كانت تحمل صورة الملك وتؤرخ بسنى حكمه . ولا جدال فى أن الملك كان لا يعامل مواطنى المدن الاغريقية معاملة رعاياه الوطنيين ، ولا فى أنه كان يحترم حريتهم ويسمح لهم بالمناقشة فى جمعياتهم ومجالسهم ، بيد أننا رأينا كيف أنه كان يتدخل فى اختيار حكامهم وأعضاء مجالسهم وهيئاتهم القضائية ، ويضع فى كل مدينة حامية عسكرية لضمان خضوعها له . وتبعا لذلك فان هذه المدن لم تكن على الاطلاق دولا ذات سيادة بالمعنى الصحيح ، وان كانت مدنا اغريقية فى دستورها وتقاليدها وحكامها ، وفى أن الجومنازيا كانت مراكز التعليم الاغريقى فيها . ومن المؤكد أن الاسكندرية ، برغم سكانها الخليطين وبرغم مظاهرها المختلفة التى تميزها عن المدن الاغريقية الأخرى ، ما كانت لتستطيع القيام بالدور الذى قامت به لو لم تكن قبل كل شىء مدينة اغريقية . وقد كان خضوع هذه المدن للملك يتمثل بجلاء فى عبادة الملوك ، إلى جانب عبادتهم الاغريقية الرسمية العامة ، عبادة محلية رسمية ، على الأقل فى بطوليس .

وفى ضوء ذلك كله يبدو أن كلمة « حماية » التى يقترحها أرانجيو روبز لوصف العلاقات بين الملك والمدن أدنى الى الدقة فى التعبير عن حقيقة هذه العلاقات ، وأن كنا لا نجد لها مقابلا اغريقيا فى وثائق مصر البطلمية (1) .

---

(1) Cf. Jouguet, Trois Et., pp. 77 — 8.

٢ ـ البطالمة وممتلكاتهم الخارجية

عرفنا كيف أن البطالمة بسطوا سلطانهم على أقاليم كثيرة ، فى خلال القرن الذى أعقب موت الاسكندر ، أى فى عهد البطالمة الثلاثة الأوائل ، ذلك العهد الذى بلغوا فيه أوج مجدهم وعظمتهم • وكانت أهم تلك الأقاليم وأطولها بقاء تحت سيطرتهم هى قبرص وقورينايئة وجوف سوريا • وقد بقيت كذلك سنين طويلة جزءا من امبراطورية البطالمة : لوقيا المشهورة بغاباتها القيمة ، وقاريا المعروفة بتجارتها وصناعتها ، وجانب من أيونيا يشمل ميلتوس وافيسوس ، وبعض أنحاء كريت ، وعصبة جزر بحر ايجة ، وكانت جزيرة ثيرا من أشدها وفاء للبطالمة • وفضلا عن ذلك فان مصر حكمت مدة وجيزة جزءا من تراقيا وشبه جزيرتها (Thrakes Chersonesos = غاليبولى) وساموتراقيا ، بل تسنى لها أن تبسط نفوذها بعض الوقت على جزء من الپلوپونيز •

واذا كان لا سبيل الى الشك فى أنه كان للبطالمة فى كل من ممتلكاتهم الخارجية حامية عسكرية وممثل يقوم بدور نائب الملك ، فانه بسبب قلة ما لدينا من المعلومات يتعذر علينا أن نتناول تفصيلا الكيفية التى وفق بها البطالمة بين سلطتهم ونظم الحكم المحلية •

قبرص :

وكان على رأس نظام الحكم فى قبرص حاكم عسكرى (Strategos) (١) تحت امرته قوات كبيرة أخذت من جيش الملك النظامى ، فيما يبدو ، ووضعت فى مدن الجزيرة المختلفة • وفى القرن الثانى قبل الميلاد كان حاكم الجزيرة يحمل كذلك لقب أميرال

(1) Diod., XIX, 75, 5 ; B. C. H., XV, p. 136 ; Diod, XX, 47, 3 ; J. H. S., 57, p. 31, no. 6 ; O. G. I. S., 84.

(Nauarchos) ، فقد كان لديه عندئذ أسطول كبير يحتمل أن مدن قبرص الساحلية هي التى كانت تتولى بناءه واعداده للقتال (١) • ومنذ عهد بطلميوس الخامس كان الحاكم يحمل كذلك لقب رئيس كهنة المعابد فى قبرص (Archiereus) (٢) ، وذلك بسبب الدور الذى كانت تقوم به معابد قبرص الكبيرة الغنية فى حياة الجزيرة الاقتصادية والسياسية •

وكانت المناجم الهامة فى قبرص ملكا للدولة ، وتستغل بواسطتها فيما يظن • وكان يعهد بالاشراف عليها فى بعض الأحيان ، بل يحتمل على الدوام ، الى حاكم خاص (Antistrategos) (٣) • لا يبعد أنه كان يتمتع بسلطة عسكرية • وبما أن مدن قبرص لم تتمتع اطلاقا باستقلالها ، فان مسألة علاقة المدن بالسلطة المركزية لم تثر هناك أية مشكلة • وقد كان السادة الحقيقيون لهذه المدن قواد الحاميات ، وكانوا يوجهون بأوامرهم الحكام الذين ينتخبهم الأهالى • ولا شك فى أن موارد البطالمة من قبرص كانت كبيرة ، فمنها كان يأتى النحاس الذى كانت مصر فى حاجة قصوى اليه ، ويحتمل أنها كانت تبنى فيها سفنا كثيرة لأسطولى مصر الحربى والتجارى (٤) •

قورينائية :

ويبدو أنه فى صدر الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد نشبت فى قورينائية اضطرابات شديدة أفضت أحداثها الى استيلاء بطلميوس عليها فى عام ٣٢٢ ، وأنه عثر بين أطلال مدينة قورينى (شحات حاليا) على نقش يتضمن دستورا بطلميا (٥) • ومما يجدر بالملاحظة أنه اذا كانت ديباجة هذا الدستور لم ترد فى هذا النقش فان أحد سطوره يصف هذا الدستور بأنه « دياجراما » (diagramma) ويصف مواده بأنها

(1) Cf. O. G. I. S., p. 134.

(2) O. G. I. S., 93 (strategos kai archiereus) ; J. H. S., 57, p. 35, no. 65 ; O. G. I. S., 151 ; 152 ; 157 ; 140 ; 143 ; 145 ; Strack, 117 (strategos kai nauarchos kai archiereus).

(3) O. G. I. S., 165.

(4) C. A. H., VII, p. 126.

(5) S.E.G., IX, 1.

وعن هذا الدستور وآراء الباحثين فى تفسيره ، راجع مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات فى تاريخ ليبيا القديم ، بنغازى ١٩٦٦ ، ص ص ١٣٨ وما بعدها والمراجع •

«nomoi» (قوانين). مما حدا بالبعض الى القول بأن هذا الدستور كان عملا تشريعيا أو أنه عرض على الأجهزة التشريعية فى المدينة للموافقة عليه. بيد أنه يتبين من دراسة الوثائق البطلمية : أولا، أن الدياجراما الواحدة قد تتألف من عدة مواد أو بنود كما هى الحال هنا ، وثانيا ، أن الدياجراماتا (جمع دياجراما) كانت أوامر يصدرها الملك لتخلف بعض القوانين القائمة أو للتنسيق بين بعض هذه القوانين أو لاستكمال ما فى بعض القوانين القائمة من ثغرات أو لتحقيق أكثر من غرض واحد من هذه الأغراض . ويؤيد ذلك ما توحى به مواد دستور قورينى البطلمى وبخاصة ما نصت عليه مادته الثانية فقد ورد فيها أن : « اختصاصات مجلسى الشيوخ والبولى هى الاختصاصات نفسها التى كانت لهما فى وقت السلم حين كان عدد أعضاء هيئة المواطنين ألفا بدلا من عشرة آلاف » ، وأنه « يستمر العمل بالقوانين السابقة اذا لم تتعارض مع هذا الدستور » ، وأنه بعد ثلاث سنوات يحاكم المتهمون فى جريمة عقوبتها الاعدام وفقا لما رسمه القانون ، أى القانون المعمول به وقت صدور هذا الدستور ، وأما العائدون من المنفى فانه لا يجوز اصدار أى حكم عليهم قبل استطلاع رأى بطلميوس . ونصت هذه المادة أيضا على أن يقدم الموظفون حساباتهم وفقا للقوانين السارية حاليا . وثالثا ، انه لما كان الملك هو مصدر السلطات ، بدليل ما سلف ذكره فورا ، فانه كان فى وسعه اصدار ما يشاء من قوانين «nomoi». وحسبنا أن نذكر قوانين الدخل (nomoi telonikoi) التى أصدرها بطلميوس الثانى لتطبق على مصر بأجمعها . وفى ضوء ذلك كله يبدو لنا أن « بطلميوس » الوارد ذكره فى الدستور هو الذى أصدر هذا الأمر الملكى (diagramma) يتضمنا عددا من القوانين (nomoi) لتنظيم الأوضاع واستقرارها عقب تلك الفتن والاضطرابات التى سادت البلاد قبل سيطرة «بطلميوس» عليها . ويمكن تلخيص أهم مواد هذا الدستور على النحو التالى :

المادة الأولى : المواطنون (Politai) هم : ١ — اولئك الذين أنجبهم آباء وأمهات اغريق من قورينى • ٢ — أولئك الذين أنجبتهم ليبيات من آباء اغريق قورنيين ويعيشون فى المنطقة التى تلى قاتاباثموس (السلوم) • ٣ — أهل أوتومالاكس (قرب العقيلة فى الطرف الجنوبى الغربى لقورينائة) • ٤ — المنفيون • ٥ — أولئك الذين أنزلهم القورنيون فى مناطق تابعة لمدينتهم بوصفهم مستعمرين عسكريين • ٦ — أولئك الذين سيحضرهم بطلميوس ويمنحهم حقوق المواطنة •

ومن الجلى ان الفقرة الأولى هنا تطابق القواعد العامة المألوفة فى سائر المدن الاغريقية • ويبدو ان المقصودين بالفقرة الثانية كانوا أولئك الذين يقيمون فى منطقة قورينائية ذاتها • ونص هذه المادة يستتبع ألا يكون فى عداد المواطنين ثلاث فئات هى : أولا ، أولئك الذين كانوا يقيمون خارج تلك المنطقة ولو كانت أمهاتهم الليبيات قد أنجبنهم من آباء قورنيين اغريق ، وثانيا الليبيون الصميميون من ناحيتى الأب والأم وان كانوا من قورينى ويعيشون فى قورينائية ، وثالثا ، أولئك الاغريق الذين كانوا يعيشون فى قورينائية ولكن آباءهم وأمهاتهم لم يكونوا قورنيين عند صدور هذا الدستور • ولا نعرف عن يقين من كانوا أهل أوتومالاكس ، الا أنه فى ضوء الفقرتين الرابعة والخامسة لا يبعد أنهم كانوا أصلا من أهل قورينى الاغريق ولكنهم اضطروا الى هجرها بسبب الاضطرابات التى وقعت فى الفترة الواقعة بين العصرين الملكى (عصر أسرة باتوس) والبطلمى ، وأقاموا فى أوتومالاكس أو أنشأوها • ولا يمكن أن تكون الفئة الوارد ذكرها فى الفقرة السادسة هى فئة الذين التجأوا الى مصر عند سيطرة العامة على مقاليد الأمور فى قورينى ، وذلك لأن الفقرة الرابعة وهى الخاصة بالمنفيين تشمل هذه الفئة ، ولعل المقصود بهذه الفئة عناصر اغريقية أراد بطلميوس احضارها ومنحها حقوق المواطنة لتطعيم المواطنين بدماء جديدة •

ويرى بعض الباحثين أنه لما كان هذا الدستور يدخل فى عداد المواطنين أشخاصا يقيمون فى منطقة تمتد من أقصى شرق قورينائية عند السلوم الى أقصى غربها عند العقيلة ، فان هذا ينهض دليلا على أن هذا الدستور يوضع . نة قورينى وحدها وانما لقورينائية بأكملها . بيد أنه يصعب قبول هذا الرأى لأن هذا الدستور أغفل أمرين : وأحدهما هو مواطنو المدن الاغريقية الأخرى فى قورينائية ، والأمر الآخر هو القواعد التى تنظم علاقات قورينى مع باقى مدن قورينائية . وازاء ذلك فاننا نرجح الرأى القائل بأن هذا الدستور كان خاصا بمدينة قورينى فقط .

المادة الثانية : تتكون هيئة المواطنين (Politeuma) من عشرة آلاف وتتألف من : ١ — أولئك الذين كانوا قد لجأوا الى مصر وسيحددهم بطلميوس . ٢ — أولئك الذين يمتلكون نصابا ماليا ثابتا وفقا لتقدير عمال الاحصاء (timeteres) ، وتبلغ ثروة كل منهم مع ثروة زوجاتهم عشرين ميناى بعملة الاسكندرية . ويقوم أعضاء مجلس الشيوخ (gerontes) باختيار عمال الاحصاء من بين العشرة آلاف ، ويكون عدد هؤلاء العمال ستين عاملا ، ولا يقل عمر الواحد منهم عن الثلاثين عاما .

ومما يجدر بالملاحظة أن المادة الأولى لم تحدد عدد المواطنين ولم تشترط توافر سن معينة أو نصاب مالى معين ، فى حين ان المادة الثانية حددت عدد « هيئة المواطنين » واقتضت توافر شرطى السن والنصاب المالى ، مما ترتب عليه استبعاد حوالى ثلث أو ربع عدد القورينيين الأحرار عن هذه الهيئة ، وهذا يوحى بأمرين : وأحدهما هو أن المواطنين كانوا طبقتين لم يتمتع منهما بالحقوق الخاصة والعامة الا طبقة العشرة

آلاف على نحو ما سنرى فى المواد التالية للدستور . والأمر الآخر هو أن الطابع العام لهذا الدستور طابع أوليجارخى . والواقع أنه اذا كانت المواد التالية تؤكد الطابع الأوليجارخى لهذا الدستور ، فانها ترينا أيضا أنه لم يخل من بعض الظواهر الديمقراطية ، على نحو ما سنرى .

المادة الثالثة : يتكون مجلس البولى من ٥٠٠ عضو يختارون بالقرعة على ألا يقل عمر الواحد منهم عن خمسين عاما ، وتكون مدة العضوية (أربع) سنوات ، وتسقط بالاقتراع عضوية نصف عدد الأعضاء فى (بداية) السنة الثالثة . ولا تجوز اعادة الترشيح لعضوية هذا المجلس الا بعد مضى سنتين من انتهاء مدة العضوية السابقة . واذا كان عدد أولئك الذين يبلغون سن الخمسين لا يكفى ، فانه يمكن عن طريق القرعة اختيار أعضاء المجلس من أولئك الذين هم فى سن الأربعين .

ولا شك فى أنه من أهم ماتستهدفه هذه المادة هو تجديد عضوية مجلس البولى دائما على مرحلتين ، ولكنه ليس معنى ذلك أن عضوية نصف الأعضاء كانت تسقط دائما كل سنتين ، اذ أنه لضمان تحقيق الهدف المنشود كان يكفى اسقاط عضوية نصف أعضاء أول مجلس بولى تكون بمقتضى هذا الدستور . وبيان ذلك أنه اذا فرضنا أن هذا المجلس تكون لأول مرة فى عام ٣٢٠ مثلا ، فان عضوية نصف أعضائه تكون قد أنهيت بالاسقاط بالقرعة فى عام ٣١٨ ويكون قد اختير مكانهم عدد مماثل فى ذلك العام ، وأما النصف الآخر من الأعضاء وهم الذين استوفوا السنوات الأربع كاملة فان مدة عضويتهم تكون قد انتهت فى عام ٣١٦ ويكون قد اختير مكانهم عدد مماثل فى ذلك العام . ومن ثم فان الذين اختيروا فى عام ٣١٨ كانت مدتهم تنتهى فى عام ٣١٤ وأولئك الذين اختيروا فى عام ٣١٦ كانت مدتهم تنتهى فى عام ٣١٢ وهكذا على التوالى . والرأى القائل بأن عملية الاسقاط كانت تتكرر دائما كل سنتين لا يمكن قبوله الا اذا كانت عضوية مجلس البولى غير محددة بمدة معينة .

وهذا ما لم يقل به أحد ولا يمكن تصوره فضلا عن انه يتنافى مع نص هـذه المـادة ، اذ أنها تحدد طول مدة العضـوية بمدة معينة هي في رأى البعض سنتان وفي رأينا أربع سنوات . ونحن نرى ذلك لأنه لو صح أن المدة كانت حقا سنتين لما كان هناك داع الى النص على اسقاط العضوية عن نصف عدد الأعضاء بالاقتراع في السنة الثالثة أو بعبارة أدق في بداية السنة الثالثة ، وذلك ليستوفي الأعضاء الجدد مدتهم كاملة .

وتكوين مجلس البولى من ٥٠٠ عضو يجارى القاعدة العامة المتبعة في المدن الاغريقية الأخرى . ووفقا لهـذه القاعدة كان يختار من كل قبيلة عدد معين يمثلها في مجلس البولى . ولما كنا سنرى أن هـذا الدستور ينص على اختيار خمسة قواد وخمسة افوروى ، فانه يرجح ان القبائل القورينية كانت خمسا ، وأن كلا منهـا كانت تختار ١٠٠ عضو لتمثيلها في مجلس البولى . ومما يجدر بالملاحظة أن سن عضو مجلس البولى في المدن الاغريقية الأخرى كانت عادة ثلاثين سنة ، ورفع هذه السن في قورينى الى الخمسين يتمشى مع اتجاه هـذا الدسـتور نحو تضييق دائرة الذين يمارسون الحقوق العامة ، ويساعد على توكيد طابعه الأوليجارخى . ومع ذلك فان هذا الدستور لم يخل من ظواهر ديمقراطية تطالعنا ببعضها هـذه المادة حيث تتمثل هـذه الظواهر في انشاء مجلس بولى من ٥٠٠ عضو ، وفي استخدام الاقتراع عند اختيار أعضاء هذا المجلس وكذلك عند اسقاط عضوية نصف عدد أعضـاء هـذا المجلس عند تكوينه لأول مرة ، كما تتمثل في عدم جواز اعادة الترشيح لعضوية مجلس البولى الا بعد سنتين من انتهاء مدة العضوية السابقة .

المادة الرابعة : عدد أعضاء مجلس الشيوخ (Gerousia) مائة عضو وعضو يختارهم بطلميوس . وعنـدما يخلو مكان أى عضو بسبب الوفاة أو لاعتزاله عضوية المجلس ، فان هيئة المواطنين العشرة آلاف تملأ المكان الشاغر بمرشح لا يقل عمره عن الخمسين عاما . ولا يسمح لأحد من

أعضاء مجلس الشيوخ بشغل أى منصب تنفيذى فيما عدا منصب القائد فى زمن الحرب •

ويفهم من هذه المادة أولا ، أن بطلميوس هو الذى عين بنفسه أعضاء هذا المجلس عند تشكيله لأول مرة ، أى أن بطلميوس حرص على انتقائهم ممن توسم فيهم القدرة على تنفيذ مشيئته وتحقيق أهدافه • وهذا يدل على أهمية الدور الذى كان هذا المجلس يضطلع به فى حياة المدينة • وثانيا ، ان عضوية مجلس الشيوخ كانت لمدى الحياة • وهذا يذكرنا بأبرز أمثلة الجروسيا ، وهو مجلس شيوخ اسپرطة وكانت عضويته أيضا لمدى الحياة وان كان عدد أعضائه يقل عن ثلث عدد أعضاء مجلس شيوخ قورينى• وثالثا ، أن هذا المجلس يتسم بطابع أوليجارخى يتكشف فى قلة عدد أعضائه ، وفى اشتراط بلوغهم سن الخمسين ، وفى تمتعهم بالعضوية لمدى الحياة • ورابعا ، أنه باستثناء منصب القائد فى زمن الحرب ، كان محظورا على أعضاء هذا المجلس شغل مناصب تنفيذية أخرى ، وهذا يتفق وميل الاغريق الى الأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات الثلاث ، وبخاصة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية • ولسنا نعرف مدى حرية مجلسى البولى والشيوخ فى التشريع • ولكننا قد لا نعدو الحقيقة اذا افترضنا انه كان لايسمح بصدور أى تشريع قبل الحصول مسبقا على موافقة الملك أو بعبارة أخرى ممثله المحلى •

المادة الخامسة : ينتخب كاهن أپولو من بين أعضاء مجلس الشيوخ الذين لم يتولوا هذا المنصب من قبل •

وليس فى هذه المادة تعارض مع المادة السابقة لأن كاهن أپولو لم يكن منصبا تنفيذيا وان كان منصبا رفيعا جليل الشأن • ويستوقف النظر فى هذه المادة أنها اذ تنص على اختيار هذا الكاهن من بين أعضاء مجلس الشيوخ الذين لم يتولوا من قبل هذا المنصب تغفل النص على أمرين :

واحدهما هو الذين يقومون بانتخاب هذا الكاهن . أى هل كانت هيئة العشرة آلاف بأكملها أم أعضاء مجلس الشيوخ فقط ، وأغلب الظن أن مجلس الشيوخ هو الذي كان ينتخب كاهن ابولو . ذلك أنه في عهد ملوك أسرة باتوس كان الملك هو الذى يشغل هذا المنصب الدينى الرفيع ، وبعد نجاح الأرستقراطية فى الاطاحة بالنظام الملكى لابد من أن هذا المنصب كان من نصيب الأرستقراطيين وأنه ظل وقفا عليهم بحكم التقاليد ، فقد درج الناس على الحفاظ على التقاليد فى الشئون الدينية . ولما كان مجلس الشيوخ بحكم تكوينه ومكانته وطابعه فى ظل الدستور البطلمى يمثل الأرستقراطية القورينية : فاننا نرجح أنه كما كان كاهن أبولو يختار من بين أعضائه كان هذا المجلس وحده هو الذى ينتخب هذا الكاهن . والأمر الآخر هو طول مدة تولى هذا الكاهن منصبه : غير أنه لما كانت الوثائق تؤرخ باسم هذا الكاهن فانه لا شك فى أن توليه منصبه كان مقصورا على عام واحد . بيد أنه لاغفال النص على هذين الأمرين دلالته ولا سيما أننا سنرى أن المادتين السادسة والسابعة أيضا قد أغفلتا تحديد مدة الحكام الذين تنتخبهم هيئة المواطنين واختصاصات هؤلاء الحكام ، وان المادة الثامنة قد نصت على استمرار العمل بالقوانين السابقة اذا لم تتعارض مع هذا الدستور وكذلك على أن يقدم المواطنون حساباتهم وفقا للقوانين المعمول بها حاليا ، كما نصت على أنه بعد ثلاث سنوات يحاكم المتهمون فى جريمة عقوبتها الاعدام وفقا لما رسمه القانون ، أى القانون المعمول به وقت صدور هذا الدستور . وفى ضوء هذا كله يبدو بجلاء أن واضع هذا الدستور قد اكتفى بما جاء فى القوانين السارية المفعول الا حيثما استحدث جديدا اقتضى النص عليه .

المادة السادسة : يكون بطلميوس ستراتيجوس (Strategos)
(أى قائدا) لمدى الحياة ، وينتخب (العشرة آلاف)
خمسة قواد (Strategoi) ممن لم يشغلوا هذا المنصب
من قبل بشرط ألا يقل عمر الواحد منهم عن خمسين.

عاما ، وأما فى زمن الحرب فان الاختيـار يكون من بين أعضاء « هيئة المواطنين » (politeuma) جميعا . وفى حالة الحرب مع غير الليبيين ، يقرر العشرة آلاف ما اذاكان القواد الذين يشغلون عندئذ مناصبهم يستمرون فى عملهم أم لا . واذا قرروا وقفهم عن العمل فان الاختيار ينبغى أن يكون من بين أعضـاء « هيئة المواطنين » جميعا .

وكلمة ستراتيجوس تعنى قائدا عسكريا لقوة برية أو بحرية ، وقد كان فى أثينا عشرة قواد ينتخبون سنويا ، وكانت اختصاصاتهم فى الأصل عسكرية بحتا ثم اتسعت تدريجيا خارج ذلك النطاق . وأما فى مصر فان البطالمة كانوا يضعون ، حسب مشيئتهم ، على رأس كل مديرية أو محافظة قائدا كان صاحب الكلمة العليا فيها على نحو ماسنرى بعد قليل .

واحتفاظ بطلميوس بمنصب القائد فى قورينى لمدى الحياة يدل دلالة قاطعة على أنه كان صاحب السلطة العليـا فيها ، وعلى خضوعها لسلطة عسكرية أجنبية . ولما لم يكن فى وسع بطلميوس أو غيره ممن خلفوه على عرش مصر ، أن يباشر بنفسه أعباء منصب القائد فى قورينى ، فان ملك مصر كان ينيب عنه قائدا كان الحاكم الفعلى أو نائب الملك لا فى قورينى فحسب بل أيضا فى قورينائية كلها . وبطبيعة الحال كان هـذا القائد أسمى مكانة وأوسع نفوذا من القواد الخمسة الذين كانت هيئة المواطنين تنتخبهم وكانت مهامهم فيما يبدو عسكرية وكذلك ادارية ولكنه يصعب تحديدها . ومما يجدر بالملاحظة أن شرط حظر اختيـار هؤلاء القواد ممن سبق لهم تولي هذا المنصب شرط ديمقراطى الطابع كان من شأنه اتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من أعضاء « هيئـة المواطنين » . ولعل المقصود بالتجاوز عن هـذا الحظر فى زمن الحرب مع غير الليبيين ، أى حين تكون الحرب خطيرة الشأن ، كان الافادة من أصحاب الكفايات الذين سبق لهم تولى هذا المنصب .

المادة السابعة : يكون هنـاك تسعة نوموفولاكس (nomophylakes = حراس القـوانين) يختـارون من بين العشرة آلاف ممن لم يشغلوا هذا المنصب من قبل ، ويكون هناك أيضـا خمسة أفوروى (ephoroi) بالشروط السابقة نفسهـا • (أى أن يختـارهم العشرة آلاف ممـن لم يتولوا هـذا المنصب من قبـل) • ولا يقل عمر من يشغل أيا من هذين المنصبين عن خمسين عاما على الأقل •

وقد كان يوجد نوموفولاكس فى أثينا وفى الاسكندرية • وتبين من نشاطهم فى أثينا فى عهد ديمتريوس الفليرى (٣١٧ — ٣٠٧ ق•م) أنه كان من اختصاصهم الاشراف على الحكام لضمان حسن تطبيق القوانين وكذلك الاشراف على التشريع لضمان مراعاة أحكام القوانين القائمة• وأما فى الاســكندرية فان النوموفولاكس كان يشرف على محـكمة المحكمين ويقوم فيها بدور يشبه دور المدعى العام فى محكمة المحلفين ؛ اذ أنه هو الذى كانت تقدم اليه جميع وثائق القضية وهو الذى كان يعلن الحكم وينفذه • وفى ضوء معلوماتنا الحالية يتعذر علينـا تحديد اختصاصات النوموفولاكس فى قورينى ، وان كانت احـدى فقرات المـادة الثامنة ، وهى الفقرة الخاصة باستمرار العمل بالقوانين السابقة اذا لم تتعارض مع هذا الدستور ، قد توحى بأن اختصاصاتهم كانت تماثل اختصاصات نظرائهم فى أثينا •

وقد كان يوجد أفوروى فى المدن الدورية وأبرزها اسپرطة • بيد أنه لمـا كانت الأوضاع فى قورينى تختلف اختلافا بينا عنها فى اسپرطة حيث كانت للافوروى اختصاصـات واسعة ، فانه يكون من المجازفة القول بأن اختصـاصـات الافوروى كانت متماثلة فى كل من اسپرطة وقورينى • وعلى كل حـال فان القرائن توحى بأنهم فى قورينى كانوا يراقبون سـلوك المواطنـين ويقيمون الدعوى على من يرتكب جريمة خلقية • ويحدثنا نقش من القرن الثـالث من مدينـة برنيقى (أصـلا يوسپريديس وحاليا بنغازى) بأن الافوروى كانوا يشـاركون مجلس الشيوخ فى اقتراح ما يعرض على مجلس البولى •

المادة الثامنة : اختصاصات مجلسى الشيوخ والبولى هىالاختصاصات نفسها التى كانت لهما فى وقت السلم ، حين كان عدد أعضاء البوليتيوما (هيئة المواطنين) ألفا بدلا من عشرة آلاف . والجرائم التى تكون عقوبتها الاعدام ينظرها مجلسا الشيوخ والبولى وألف وخمسمائة محلف يختارون بالقرعة من بين العشرة آلاف . ويستمر العمل بالقوانين السابقة اذا لم تتعارض مع هذا الدستور . ويقدم الموظفون حساباتهم وفقا للقوانين السارية حاليا . وفى خلال السنوات الثلاث القادمة يحق لمن يقدمه القواد للمحاكمة ويكون عرضة لأن يصدر عليه مجلسا الشيوخ والبولى حكما بالاعدام أن يختار بين أمرين : اما أن يحاكم طبقا لما رسمه القانون واما أن يحاكمه بطلميوس . وبعد انقضاء هذه السنوات الثلاث يحاكم هذا الشخص دائما طبقا لما رسمه القانون . ولا يجوز اصدار حكم على أحد من العائدين من المنفى الا بعد الرجوع الى بطلميوس لاستطلاع رأيه .

وتختلف الآراء فى تفسير هذه المادة ، ولعل أرجحها هو أن قضايا الجنايات كانت تنظر أمام محكمتين : احداهما محكمة ابتدائية وتتألف من مجلسى الشيوخ والبولى معا ، والأخرى محكمة استئناف وتتألف من ألف وخمسمائة محلف يختارون بالاقتراع . والطابع الشعبى لهذه المحكمة يذكرنا بالمحاكم الشعبية الاثينية . ويتكشف عن امعان النظر فى فقرات هذه المادة أن واضع هذا الدستور اذ سمح بسريان القوانين السابقة اذا لم تتعارض مع هذا الدستور اكتفى بما جاء فى هذه القوانين ولم ينص فى مواد هذا الدستور الا عما استحدث من أوضاع جديدة . ذلك أنه نص على أن يستمر العمل بالقوانين القديمة التى لا تتعارض مع هذا الدستور ، وعلى أن اختصاصات مجلسى الشيوخ والبولى هى الاختصاصات ذاتها التى كانت تمارسها قديما قبل زيادة عدد هيئة

المواطنين ، أى أن هذه الزيادة لم تفض الى تعديل هذه الاختصاصات ، ولم ينص على ماهية هذه الاختصاصات ، كما أنه لم ينص على الجهة المختصة بالفصل فى القضايا المدنية ، فى حين أنه نص على ثلاثة أوضاع يبدو فى ضوء ما مر بنا أنها أوضاع مستحدثة. وهذه الأوضاع هى : أولا ، الجهة المختصة بنظر جرائم عقوبتها الاعدام ، وثانيا حق المتهم فى جريمة عقوبتها الاعدام ، فى خلال السنوات الثلاث التالية لاصدار هذا الدستور ، فى اختيار محاكمته اما طبقا لما رسمه القانون واما أمام بطلميوس ، وثالثا ، عدم جواز اصدار أى حكم على أحد عائد من المنفى قبل استطلاع رأى بطلميوس • والمسألة الأخيرة تنم عن مدى حرص بطلميوس على تأمين العائدين من المنفى وهو ما سنتبينه كذلك من المادة الثانية عشرة من هذا الدستور •

المادة التاسعة : كل مواطن من أعضاء البوليتيوما (هيئة المواطنين ، العشرة آلاف) يمارس مهنة الطب أو تدريب الصبية على الألعاب الرياضية أوالموسيقى أو المبارزة أو يعمل رسولا فى مجلس البروتانيوم لا يكون عضوا فى المنظمات المعروفة باسم (hetairai) •

ويبدو أن هذه المنظمات كانت منظمات عسكرية ، وقد وجدت مثيلاتها فى ثيرا وفى مدن كريت • ولا يستبعد بعض الباحثين أن المقصود باغلاق هذه المنظمات دون أرباب المهن الذين ورد ذكرهم فى هذه المادة لم يكن حرمانهم شرف الخدمة العسكرية وانما اعفاؤهم من أداء هذه الخدمة • ذلك أن أرباب بعض المهن مثل الأطباء بصفة خاصة كانوا يتمتعون فى العصر الهلينيسى بمكانة مرموقة ، وأن البعض الآخر كان يعفى فى الاسكندرية من بعض الضرائب • وازاء ذلك يصعب القول بأن أرباب المهن كانوا محتقرين فى قورينى أو أن اعفاءهم من الخدمة العسكرية كان منبثقا عن نزعة أوليجارخية تزدرى أولئك الذين كانوا يتقاضون أجرا لقاء عملهم • ويؤيد هذا الرأى ذكر الأطباء فى عداد أرباب المهن الذين تناولتهم هذه المادة •

المادة العاشرة : اذا اتهم أى مواطن بارتكاب عمل مخل بالشرف ، أو اذا مارس تجارة التجزئة ، أو اذا زاول أية مهنـــة وضيعة ، فانه يجرد من حقوقه السياسية .

ان التجريد من الحقوق السياسية لارتكاب عمل مخل بالشرف اجراء طبيعى ما زال متبعا حتى اليوم فى كثير من الدول . وأما التجريد من الحقوق السياسية بسبب الاشتغال بتجارة التجزئة أو مزاولة أية مهنة وضيعة ، فانه يبدو على الفور أمرا غريبا ينم عن نزعة أوليجارخيـــة ، لــكنه فى الواقع لم يكن أمرا غريبا على أعظم عقليتين اغريقيتين وهما عقليتا أفلاطون وأرسطو ، فقد كان هذان الفيلسوفان يعتبران الصناعة والتجارة مهنتين دنيئتين لا تتفقان مع لفضيلة ويناديان بوجوب استبعاد من يزاولهما من هيئة المواطنين ، مما أدى الى أن الحـــركة التى بدأها سقراط وتلميـــذه أنتيـــثينيس (Antisthenes) سعيـــا وراء فتح البـــاب الى أفضل حياة ممكنة حتى أمام الصانع اليدوى توقفت فكرا وعملا . وعلى كل حال فانه لما كان فى قورينى لايتمتع بالحقوق السياسية الا أفراد هيئة المواطنين العشرة آلاف ، فإن حظر الاشتغال بتجارة التجزئة وبمزاولة أية مهنة وضيعة كان لايمس جميع المواطنين خارج العشرة آلاف .

المادة الحادية عشرة : كل من يخـــالف قرارات بطلميـــوس أو يهاجم الموظفين سوف يعرض نفسه لعقوبة الاعدام .

المادة الثانية عشرة : وتنص هذه المادة على العقوبات التى تفرض على كل من يلحق أذى بالعائدين من المنفى .

المادة الثالثة عشرة : والنقش هنا غير واضح ، لـــكنه يبدو أن هـــذه المادة تتعلق بالملكية العقارية .

المادة الرابعة عشرة : كل من يقتل أحد جنود الحامية سيكون جزاؤه الاعدام .

المادة الخامسة عشرة : وتتضمن هذه المادة قائمة بأسماء الذين عينوا بعد صدور هـــذا الدستور وهم كاهن أبولو

والقـــواد والنـــوموفولاكس والافـــوروى
والنوموثيتاى (nomothetai)

ومما يجدر بالملاحظـــة أنه لم يرد أى ذكر من قبل فى مواد هـــذا الدستور للفئة الأخيرة من الحكام ، أى النوموثيتاى • ويمكن تفسير هذا الاغفال بأن هـــذا الدستور لم يستحدث جديدا فى أمرهم ، سواء من حيث العدد أم الاختصـــاص أم طريقة الانتخاب أم طول مدة توليهم منصبهم • وقد عرف النوموثيتاى فى أثينا حيث كان اختصاصهم البت فى التشريعات المقترحة للاضافة الى القوانين القائمة أو تعديلها • واذا كان جائزا أن اختصاصهم كان يماثل ولو الى حد اختصاص نظرائهم فى أثينا ، فانه من المستبعد أنه كان يمكن اجراء تعديلات فى القوانين أواصدارقوانين جديدة دون موافقة الملك البطلمى أو على الأقل نائبه•

ولعل أهم مظاهر هذا الدستور :

أولا ، أن طابعه العام أوليجارخى ، بيد أنه لم يخل من بعض المظاهر الديمقراطية على نحو ما أوضحنا حيثما عرض أى مظهـــر من هذه المظاهر •

ثانيا ، أنه اذا كان الـكثير من عناصر هذا الدستور قد وجد مايماثلها فى أثينا أو اسبرطة أو ثيرا أو مدن كريت ـــ وكلها مدن أقدم من قورينى، ومعنى ذلك أن هذه العناصر اقتبست من مدينة أو أخرى من هـــذه المدن ـــ فان أكثر عناصر الدستور البطلمى كانت موجودة فى دســـتور قورينى منذ عهد أسرة باتوس ، أى أن الاقتباس قد حدث قبل العصر البطلمى • بيد أن هذا لا يستبعد اقتباس عناصر دستورية أخرى فى هذا العصر عند اجراء التعديلات التى اقتضـــاها خضـــوع قورينى لبطليموس مما استوجب اصـــدار هـــذا الدســـتور والنص فى مواده على هذه التعديلات •

وثالثا ، أن بطلميوس مع حرصـــه على الحفاظ لقورينى بمظهرها الدستورى بوصف كونها مدينة اغريقية لها مجلساها وكذلك حكامها الذين تختارهم هيئة المواطنين ، فانه احتفظ لنفســـه من الامتيـــازات

ما يكفل له السيطرة التامة على المدينة • ويبدو أن بعض هذه الامتيازات كانت مؤقتة مثل الامتيازات المتعلقة بمعاملة العائدين من المنفى ، فى حين أن بعضها الآخر كانت دائمة مثل حق تولى منصب الحاكم العسكرى أو بعبارة أخرى اقامة حاكم عسكرى ينوب عنه •

ومن كان بطلميوس الذى أصدر هذا الدستور وتردد ذكره فى بعض مواده ؟ فى رأى بعض الباحثين أنه كان بطلميوس بن لاجوس والى مصر قبل اتخاذه لقب ملك • وفى رأى بعض آخر أنه بطلميوس الثالث يورجتيس الأول بعد زواجه من برنيقى الثانية (ابنة ماجاس) وهو الزواج الذى ترتب عليه ادماج قورينائية فى دولة البطالمة • وفى رأى بعض ثالث أن هذا الدستور هو الدستور الذى وضعه أقديموس وديموفانيس فى أعقاب الاضطرابات التى نشبت بعد مصرع ديمتريوس « الجميل » واستيلاء برنيقى على السلطة ، وأن بطلميوس الثالث أقر هذا الدستور • ونحن نستبعد الرأيين الثانى والثالث للأسباب التالية : ١ — لو أن بطلميوس الثالث هو الذى أصدر هذا الدستور أو أقره لورد اسمه فى مواد هذا الدستور على النحو المألوف فى الوثائق البطلمية ، أى مسبوقا بلقب ملك ومشفوعا بلقبه الالهى « يورجتيس » فضلا عن وصفه بأنه ابن الالهين أدلفوى • ٢ — ان العملة (ميناى الاسكندرية) التى قضت المادة الثانية فى الدستور بتقدير ثروة المواطنين على أساسها وقف تداولها فى عهد بطلميوس الثانى • ٣ — ان دستور المشرعين اقديموس وديموفانيس نظم قورينائية على هيئة اتحاد فيدرالى بين مدنها الاغريقية ، فى حين أنه لا توجد فى الدستور البطلمى أية اشارة الى تنظيم علاقات هذه المدن ببعضها بعضا ، وهو ما سبق التنويه عنه • وفى ضوء هذه الاعتبارات نميل الى ترجيح الرأى الأول ، وهو الذى يؤيده أن اسم بطليموس الوارد ذكره فى مواد هذا الدستور لم يأت مسبوقا بلقب ملك مما يقطع بأنه عند اصدار هذا الدستور كان لايزال واليا على مصر ولم يتخذ بعد لقب ملك • ولا سبيل الى الاعتراض باغفال ذكر لقبه الالهى ، اذ أن بطليموس الأول لم يؤله تأليها اغريقيا رسميا فى مصر الا بعد وفاته •

ويجب أن نقرر أننا ، بسبب الافتقار الى الأدلة ، لا نعرف الى أى مدى ظل هذا الدستور قائما ، ولا ما هى التعديلات التى يمكن أن تكون قد أدخلت عليه فى خلال التطورات المختلفة التى شهدتها قورينائية فى العصر الهلينيسى . هذا الى أننا لا نعرف أيضا حتى الآن نظم الحكم التى كانت متبعة فى المدن الاغريقية الأخرى فى قورينائية ، وان كانت القرائن توحى بأنها كانت تنعم بالنظم الخليقة بمدن اغريقية . بيد أنه بسبب خضوع هذه المدن طوال العصر الهلينيسى لسلطة مركزية عليا — مقرها اما فى قورينائية ذاتها حين كانت مستقلة واما فى مصر حين كانت خاضعة لها بطريقة أو أخرى — فلابد من أن شأنها كان شأن المدن الاغريقية الأخرى الخاضعة للبطالمة سواء فى مصر أم فى خارجها ، أى أنها مع أقصى التسامح لم تتمتع بأكثر من استقلالها المحلى ، أو بعبارة أخرى لم تكن مدنا مستقلة ذات سيادة ، اذ أن عهد المدن الحرة المستقلة ولى وانقضى عند قدوم العصر الهلينيسى .

عناصر السكان :

ويحدثنا استرابون (١) بأن سكان قورينائية كانوا يتألفون من العناصر التالية : ١ — الاغريق ٢ — المزارعين ٣ — الأجانب ٤ — اليهود . وبالرغم من أن استرابون كان يعيش فى عصر أغسطس وكتب فى أوائل العصر الرومانى ، فان الباحثين يرون أن ما كتبه ينصرف كذلك الى عصر البطالمة .

ومن المرجح أن الاغريق كانوا ثلاث فئات متفاوتة فى المرتبة ، كانت أعلاها قدرا فئة هيئة المواطنين ، فقد كان أفرادها يتمتعون بحقوق المواطنة كاملة ، ومن البديهى أنهم كانوا أعرق الاغريق أصلا وأكثرهم ثراء ، ولعلهم كانوا ملاك الأراضى وتجار الجملة . وكانت الفئة الثانية تتألف من المواطنين الاغريق الذين كانوا لا يتمتعون الا بالحقوق الخاصة دون العامة . ومن الجائز أنهم كانوا يمارسون الصناعة أو تجارة التجزئة أو استئجار مساحات من أرض الملك أو أرض المدن . وكانت الفئة الثالثة

(1) Starbo ap. Joseph., Jud., XVII, 115 ff.

تتألف من الاغريق الذين لم تتوافر لديهم الشروط اللازمة لادماجهم سواء فى الفئة الأولى أم الفئة الثانية • ولا يبعد أن عدد أفراد هذه الفئة كان كبيرا ، ولا أن أكثرهم كانوا على استعداد لمزاولة أى عمل يكفل لهم تكسب رزقهم مهما يكن نوع هذا العمل • وقد كان لمثل هذه الفئة نظير فى مصر فى عصر البطالمة •

واذا كان من المرجح أنه كان من بين المزارعين جنود منحهم البطالمة اقطاعات ليستقروا بين جنبات الريف ، على نحو ما فعلوا فى مصر ، فانه من المرجح أيضا أن الغالبية العظمى من المزارعين كانت تتألف من الليبيين وقد كانوا يشتغلون بفلاحة الأرض وبالرعى • ولا يبعد أن بعضهم كانوا يمتلكون أراضى فى حين أن أكثرهم كانوا يستأجرون مساحات من أرض الملك أو أرض المدن • وليس معنى ذلك أن الليبيين لم يمارسوا الا الرعى والزراعة ، ذلك أن القرائن توحى بغير ذلك • ونحن لا نعرف شيئا عن وضع الليبيين الدستورى فيما عدا ما يذكره الدستور عن منح حقوق المواطنة فى قورينى لأبناء الليبيات من أزواج اغريق قورينيين • ولا يبعد أن هذا الاجراء قد اتبع فى الحالات المماثلة حيثما وجدت فى أية مدينة أخرى من مدن قورينائية • ويرجح الباحثون أن يكون الليبيون قد ظلوا مستمسكين بنظامهم القبلى ويعيشون بوجه عام فى القرى المنتشرة بين جنبات الريف فى قورينائية •

وأما عن الأجانب فاننا لانعرف ممن كانوا يتألفون ، وان كنا لانستبعد أنها كانت تشمل الفئة الثالثة من الاغريق فضلا عن عناصر أخرى غير اغريقية • وعلى كل حال فانه يبدو أنه كان لهم وضع خاص مثل ما كانت عليه الحال فى سائر مدن بلاد الاغريق • ومعنى ذلك أنهم كانوا لا يتمتعون بأى حق من حقوق المواطنة ، لكنهم كانوا يستطيعون ممارسة مختلف المهن والحرف •

وأما عن اليهود فانه لما كان البطالمة هم الذين استقدموهم الى قورينائية وأنزلوهم فى مختلف أرجائها ، فانه لا يبعد أن يكونوا قد عاملوهم على غرار ما عاملوا يهود مصر من حيث منحهم حق انشاء البيع

وتكوين جاليات تتمتع بقدر من الاستقلال الذاتى . ولا يبعد أيضاً أن يكون كثيرون من يهود قورينائية ، مثل كثيرين من يهود مصر ، قد أقبلوا على الحضارة الاغريقية والانتهال من مواردها بدليل أنه قد كان من بين علماء قورينى فى القرن الثانى قبل الميلاد العالم اليهودى ياسون الذى أصدر عن تاريخ اليهود كتابا بالاغريقية يقع فى خمسة أجزاء . ولم يكتف أولئك اليهود المتأغرقون باصطناع اللغة الاغريقية بل سايروا جيرانهم الاغريق فى ملبسهم وأطلقوا على أبنائهم اما أسماء عبرية بعد أغرقتها أو ترجمتها الى الاغريقية واما أسماء اغريقية صريحة ، وذلك ليتسنى لهم مزاولة نشاطهم فى مختلف مجالات الحياة جنبا الى جنب الاغريق دون اشعارهم ، بسبب المظهر أو اللغة ، أنهم جنس غريب عنهم . ومع ذلك فانه يمكن القول بأن اليهود بوجه عام استطاعوا الحفاظ على دينهم وشعائرهم بفضل ما كان لهم من بيع وجاليات . وبسبب قرب قورينائية من مصر وخضوعها للبطالمة وهم الذين أظهروا بوجه عام عطفهم على اليهود ،وبسبب تعاطف اليهود دائما مع بنى جلدتهم حيثما يكونون ، لا يبعد أن يكون قد امتد الى قورينائية ذلك العداء المرير بين الاغريق واليهود ، وهو العداء الذى انبثق فى الاسكندرية عن نقمة اغريقها على اليهود نتيجة لشدة عطف بطلميوس السادس على اليهود، والذى اقتصر طوال الشطر الأخير من عصر البطالمة على رسائل اغريقية تهاجم اليهود ورسائل يهودية تدافع عنهم وتهاجم الاغريق ، والذى بلغ ذروته فى العصر الرومانى عندما تحول الى اشتباكات دموية عنيفة . ولعل اهتمام العالم اليهودى ياسون بكتابة تاريخ مطول لليهود ينم عن امتداد ذلك العداء الى قورينائية أو على الأقل عن تورط يهودها فى ذلك العداء ، مثل ما قد تنم ثورات اليهود الدموية المدمرة فى قورينائية ابان العصر الرومانى عن تحول التراشق بالرسائل فى قورينائية أيضا الى صراع عنيف رهيب .

الممتلكات البطلمية الاخرى :

ان المشكلة الرئيسية التى واجهت البطالمة فى قوريناية قد واجهتهم كذلك فى كل ممتلكاتهم التى كانت المدن الاغريقية تقوم بالدور الرئيسى فى حياتها ، مثل عصبة الجزر والجزر الأخرى وقاريا وأيونيا ولوقيا ، والى حد ما فى تراقيا . واذا استبحنا لأنفسنا أن نستند الى الوثائق القليلة التى لدينا فى الحكم على موقف البطالمة تجاه رعاياهم الاغريق بوجه عام ، فاننا نرى أن البطالمة لم يعبأوا كثيرا باستقلال المدن الخاضعة لهم ، ذلك أن سيطرتهم على هذه المدن لم تقف عند حد القضاء على حقها فى اقامة علاقات خارجية مع بعضها بعضا أو مع غيرها بل امتدت الى شئونها الداخلية . لكن البطالمة كانوا أكثر حذرا فى معاملة عصبة الجزر ، فقد كانت منظمة تنظيما دقيقا وعلى جانب كبير من القوة ، مما أجبرهم على احترام نظمها . غير أنه حتى فى عصبة الجزر كان الحاكم البطلمى هو ديكتاتور العصبة (Nesiarch) ، اذ أنه هو الذى كان يدعو ممثلى الجزر الى الاجتماع ، وينفذ قرارات مثل هذه الاجتماعات ، ويتولى قيادة القوات العسكرية للعصبة ، ويطهر البحار من القراصنة ، ويجمع المبالغ التى يدفعها أعضاء العصبة ، ويعين المحكمين لفض الخلافات . لكن البطالمة ، فى خلال سيطرتهم القصيرة على هذه العصبة ، كانوا حريصين على ألا يتدخلوا فى شئونها الداخلية .

وأما المدن الاغريقية الأخرى ، فان البطالمة كانوا يتدخلون فى كافة شئونها ، اذ أنه بالرغم من أن هذه المدن احتفظت بنظمها مثل الجمعية الشعبية والمجلس والحكام ، فانها كانت لا تستطيع الفصل فى أية مسألة هامة دون موافقة الملك أو بعبارة أخرى موافقة ممثله ، اذ أن القرائن تشير الى أن السلطة المركزية فى الامبراطورية كانت تتدخل باستمرار حتى فى الشئون الداخلية البسيطة ، اما بطريقة مباشرة بواسطة الأوامر واما بطريقة غير مباشرة بواسطة الرسائل الشخصية . ومثل ذلك أن هاليقارناسوس لم تستطع بناء جومنازيوم دون موافقة الملك . وفى ساموتراقيا كان السماح باستيراد القمح أو عدم السماح به من اختصاص الملك أو ممثله ، وهو أيضا الذى كان صاحب الرأى الفاصل فى مسألة تقسم الأراضى بين

المواطنين . وفى ميلتوس نرى الملك يقسم الأراضى حسب مشيئته . وكان يفرض على الأهالى ايواء الحاميات البطلمية فى المدن الخاضعة له ، كما كان يفرض على بعض أصحاب الأراضى امداد بعض الفرسان بعلف خيولهم . ولم يكن فى وسع الأهالى الاحتجاج ضد عسف البطالمة وتدخلهم فى شئونهم ، لأن مدنهم كانت تحت رحمة الحامية البطلمية وقائدها ، فقد سبق أن ذكرنا أنه كان للبطالمة فى كل ممتلكاتهم حاميات عسكرية . وجملة القول أن البطالمة ادعوا أنهم أتوا لتحرير هذه المدن ، لكنهم فى الواقع كانوا أقل رحمة وشفقة برعاياهم من أسرة سلوقس أو أسرة أنتيجونوس (١) .

٣ — اغريق مصر فى الأقاليم

الجماعات القومية :

والى أى حد كان الاغريق المقيمون خارج مدن مصر الاغريقية يتمتعون بحق حكم أنفسهم ؟ وماذا كان يقصد على وجه التحديد بالجاليات أو الجماعات القومية المختلفة (Politeumata ومفردها Politeuma) التى تكونت فى أنحاء مصر ؟

ان قلة المعلومات التى لدينا تجعل من العسير الاجابة عن ذلك كله ، وان كنا نعتقد أن الميل الى التضافر والاحتفاظ بطابع الحياة فى الوطن الأصلى قد دفع الاغريق وغيرهم من الأجناس النازلة فى مصر الى تأليف جماعات قومية خاصة بهم حيثما وجد عدد كاف منهم .

وقد لاحظ فيلكن (٢) أولا ، أن الانتماء الى جماعة قومية كان يكتفى فى التعبير عنه بلقب قومى فقط دون اضافة ما يفيد كون الشخص « من السلالة » (tes epigones) . وثانيا ، أنه لا يقابل وجود لقب قومى

(1) C. A. H., VII, pp. 128—9.
(2) Archiv, VI, p. 368.

مثل « موسى » مصحوب بعبارة « من السلالة » وجود جماعة قومية موسية . بيد أنه لعل الأصح أن يقال أننا لا نجد فى الوثائق دائما تقابلا بين قوميات الجماعات وقوميات « السلالة » ، اذ أن الوثائق تذكر جماعة قومية بويوتية وبويوتيين من السلالة وجماعة قومية كريتية وكريتيين من السلالة . ومن ناحية أخرى تذكر الوثائق جماعة قومية ڤيليقية وجماعة قومية أدومية لكنها لا تذكر ڤيليقيين ولا أدوميين من السلالة . وبالعكس تذكر الوثائق موسيين وقاريين ولوقيين وپافلاجونيين من السلالة فضلا عن أعداد كثيرة من المقدونيين والتراقيين والفرس « من السلالة » دون ذكر جماعات قومية مماثلة (١) . والواقع أننا لا نعرف ، وان كان يبدو محتملا ، أن الأبناء كانوا ينتمون الى جماعات آبائهم أو على الأقل الى الطبقات الممتازة نفسها . وعلى كل حال فانه من الثابت أن مركز كل فرد من السكان كان محددا بدقة ومسجلا لدى الحكومة (٢) . وثالث ما لاحظه ڤيلكن هو أن الأساس الذى كانت تقوم عليه الجماعة القومية فى مصر هو تكوين وحدة قومية تستمد أسمها من أمة أو جنس أو شعب وليس من مدينة .

ولا يمكن الجزم اذا كانت الجماعات القومية قد نشأت من تلقاء نفسها أم أن الدولة هى التى أنشأتها ، وحتى فى الحالة الأولى لابد من أن يكون الملوك قد اعترفوا بها وكلاؤها سريعا برعايتهم . ويحتمل أنه كانت هنالك صلة قوية بين بعض هذه الجماعات ومدن مصر الاغريقية (٣) بمعنى أنه كان يباح لأفرادها أن يصبحوا جزءا من هيئة مواطنى هذه المدن ، اذ أنه على هذا النحو يمكننا تفسير غموض مسألة دروتون (Dryton) وهو الذى مر بنا أنه يوصف أحيانا بأنه كريتى وأحيانا بأنه من حى فيلوتريوس فى بطوليس . ولا يبعد أن أولئك الذين لم يكونوا من مواطنى احدى مدن مصر الاغريقية كان يحتم عليهم الاندماج فى احدى هذه الجماعات اذا كانوا يريدون الحصول على الحقوق المدنية

(1) Launey, p. 1065.
(2) Jouguet, Mac. Imp., pp. 332—3.
(3) Lesquier, Inst., p. 151. fn. 1 ; Rostovtzeff, S. and E., p. 324.

الاغريقية وبذلك يستطيعون الانخراط فى سلك الجيش النظامى (١) • ذلك أنه وفقا للمبادىء العامة السائدة حتى أواخر القرن الثالث على الأقل كان المواطنون المقدونيون والاغريق وحدهم هم الذين يستطيعون الخدمة فى ذلك الجيش (٢) • ومعنى ذلك أن البطالمة اتخذوا من الاندماج فى هذه الجماعات القومية وسيلة لمنح أولئك الذين يريدون تجنيدهم الحقوق المدنية الاغريقية التى كانت تؤهلهم للخدمة العسكرية • ويرى لونيه (٣) أن هناك صلة وثيقة بين هذه الجماعات والجيش ، وأن منشأ هذه الصلة هو أن هذه الجماعات كانت تستمد من الجيش جل أعضائها ان لم يكن كلهم • ويرى هايشلهايم أن هذه الجماعات كانت عسكرية بحتا (٤) ، لكنه اذا كان لا سبيل الى الشك فى أن طابعها كان عسكريا فى أغلب الحالات ، فانه من المؤكد أن نظامها لم يكن عسكريا بحتا (٥) •

وتوجد أدلة على وجود جماعات قومية : لليهود فى الاسكندرية (٦) وللفروجيين (٧) وللبويوتيين فى جزويس (Xois) (سخا) (٨) وللقيليقيين (٩) وللكريتيين فى الفيوم (١٠) وللادوميين فى منف (١١) • ولا يبعد أنه كان للفرس والمقدونيين والتراقيين وغيرهم جماعات قومية مماثلة • واذا كانت أسماء هذه الجماعات تدل على أن أغلبها لم تكن اغريقية ، فلعل ذلك لا يرجع الا الى الصدفة التى لم تحفظ أو تكشف حتى الآن الا جانبا من الوثائق الخاصة بهذه الجماعات التى كنا نتوقع أن تكون الجماعات الاغريقية أوفرها عددا وأكثرها أهمية •

ونستخلص من وثائقنا : أولا ، أن الجماعات التى لدينا أدلة على وجودها لا نعرف عنها شيئا قبل عصر فيلوميتور على الأكثر ، وتبعا لذلك

(1) Lesquier, op. cit., pp. 142 ff.
(2) Lesquier,, pp. 35—41.
(3) Launey, p. 1079.
(4) Heichelheim, Die auswärtige Bavölkerung in ptol., 1925, p. 80, no. 8.
(5) C.A.H. VII, p. 122.
(6) Wilcken, Grund., p. 24 ; Ruppel. Politeuma, Philogus, 82, 1927, pp. 279—81.
(7) O.G.I.S. 658.
(8) S.B. 6664 ; Breccia, B.S.A.A., 1932, pp. 119—22.
(9) Henne, B.I.F.A.O.,XXV, 1925, 179—83.
(10) P. Tebt. 32 = Chrest. I, 448 ; Lesquier, pp. 143 ff ; Heichelheim, pp. 8—12,
(11) Launey, pp. 1072 ff.

فاننا لا نستطيع الجزم اذا كانت توجد جماعات قومية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وان كنا نرجح ذلك . وثانيا ، أن هذه الجماعات كانت تتألف من أشخاص ينتمون الى جنس واحد ، لكنه كان يمكن أن يضم اليهم عدد من الأغراب ربما كان من حقهم التمتع بكل حقوق أعضاء الجماعة الا أنه لسبب أو لآخر كان يميز بينهم وبين الأعضاء الأصليين بلقب (Sympoliteumenoi) يدل على أنهم كانوا شركاءهم فقط . وثالثا ، أنه كان لكل جماعة مقر فى مكان معين ، وأنه كان لهذه الجماعات نوعان من النشاط : أحدهما سياسى ، بمعنى أنها كانت تصدر قرارات تشريف وتنتخب كهنتها ورؤساءها والأشخاص الذين يديرون شئونها . والنشاط الآخر دينى ، فقد كان لكل جماعة آلهتها القومية وهيكلها وطقوسها الدينية وكهنتها . وقد كان لهذا النشاط الدينى أهمية كبيرة باعتباره صورة للحياة فى الوطن الأصلى ودعامة الرابطة الروحية بين أعضاء الجماعة . وهكذا يتبين أن هذه الجماعات كانت منظمة على نمط المدن الاغريقية وتتمتع بقدر من الحكم الذاتى . ولعل اللقب الذى كان أفرادها يحملونه لم يكن الا لضمان تمتعهم بالامتيازات الممنوحة لهذه الجماعات ، ولاسيما للجماعات القومية الاغريقية.

وتشير الأدلة الى أنه كان لكل جماعة من هذه الجماعات القومية مجموعة قوانينها الخاصة بها (politikos nomos) وهى التى نرجح أنها كانت لتنظيم الأحوال فيها وفقا لما اعتاده مواطنو كل جماعة قومية فى وطنهم الأصلى . وتبعا لذلك فانه لابد من أنه كانت هناك فوارق بين مجموعات قوانين الجماعات المختلفة . ومن أجل ايجاد قدر من التنسيق بين هذه القوانين لتنظيم العلاقات التى لم يكن هناك مفر من قيامها بين مواطنى جماعة قومية وأخرى وكذلك بين مواطنى تلك الجماعات القومية وأشخاص لاينتمون اليها كان البطالمة يصدرون قرارات وأوامر ومنشورات مختلفة الأنواع . ولا جدال فى أنه حيث كانت هذه القرارات والأوامر والمنشورات تختلف مع أى قوانين قائمة كانت الغلبة للارادة الملكية (١) . وتحدثنا وثيقة من القرن الثالث من الفيوم بأنه كان يتعين محاكمة

(1) Cf. Taubenschlag, Ist ed., pp. 8—14 ; Rostovtzeff, pp. 1067—9.

المتخاصين الاغريق وفقا لتعليمات الملك ، وأما فى الحالات التى لا تشملها هذه التعليمات فان المحاكمة تكون وفقا « لقوانين المواطنين » (١) (Politikoi nomoi) ، وهو الاصطلاح الذى كان يطلق على قوانين المدن الاغريقية وقوانين الجماعات القومية الاغريقية.*

وقد كان فى وسع الاغريق الاحتفاظ بتقاليدهم فى هذه الجماعات ، اذ أنهم أنشأوا معاهدهم ومنتدياتهم الاغريقية فى كل أنحاء مصر ، فقد كانت الپالايستراى (Palaestrae) والجومنازيا تقام حتى فى القرى . واذا كان البطالمة لم ينشئوا هذه المعاهد والمنتديات فانهم كلأوها برعايتهم (٢) واعترفوا بجمعيات رجال الجومنازيوم وكذلك بحقها فى امتلاك المبانى والأثاث والأراضى (٣) . وكانت كل جماعة تنتخب رئيسا لقبه « جومنازيارخ » ، كان من بين مهامه الاشراف على شئون التعليم وهى التى كان يتولى تنظيمها شخص لقبه « قوسميتيس » (Cosmetes) مما يوحى بأن الجومنازيارخ والقوسميتيس كانا من بين هيئة الحكام التى تدير شئون كل جماعة من الجماعات الاغريقية التى انتشرت فى مصر خارج مدنها الاغريقية .

والرأى السائد يرجح أن الجومنازيا فى مصر كانت مؤسسات أهلية تعتمد أساسا على الجماعات الاغريقية التى أنشأتها ؛ ولكن الدولة كانت تشرف عليها ، أى أن مركزها كان شبيها بمركز مصانع النسيج الخاصة أو الهياكل التى يشيدها الأفراد . وبما أن النسيج كان احتكاراً حكوميا والملك الرئيس الدينى ، فان المناسج والهياكل كانت تحت اشراف الملك . وازاء ذلك يبدو أن الملك لم يكن حاكم البلاد فحسب بل كان كذلك راعى (Patronus) اغريق مصر ، الذى يشرف على جماعاتهم وما فيها من الجومنازيا (٤) .

---

* أنظر الجزء الرابع ، ص ص ١-٢.

(1) P. Petrie III, 21 g, ll. 48—47.
(2) Wilcken, Grundzüge, pp. 138 ff.
(3) Rostovtzeff, pp. 324, 1059—60.
(4) Jouguet, Mac. Imp., p. 383.

٤ — نظام الادارة فى مصر خارج المدن الاغريقية

اقسام مصر الادارية التقليدية :

كانت مصر تشمل منذ عهد مينا قسمين مختلفين ، من الناحية الجغرافية وكذلك من ناحية التقاليد الفرعونية فهى ترمز لهذين القسمين بالتاج المزدوج . وأحد هذين القسمين هو وادى النيل من الشلال الأول حتى بداية الدلتا ويسمى مصر العليا أو مملكة الجنوب ، والآخر هو الدلتا ويسمى مصر السفلى أو مملكة الشمال . وكانت مصر العليا ومصر السفلى تنقسمان الى عدد من الوحدات الادارية الرئيسية ، أطلق الاغريق عليها منذ عهد هيرودوتوس اسم نوموى (Nomoi ومفردها Nomos) . ويقال ان مصر كانت تشمل ٢٠٫٠٠٠ مدينة فى عهد أماسيس (١) ، و ٣٣٫٣٣٣ مدينة فى عهد بطلميوس الثانى (٢) . واذا كان الاصطناع يبدو جليا فى هذا الرقم ، فانه مع ذلك لا يبعد عما يرويه ديودوروس من أنه كان يوجد فى مصر فى عهد بطلميوس بن لاجوس أكثر من ٣٠٫٠٠٠ مدينة ، ويقول ان مصر كانت لا تزال أكثر بلاد العالم ازدحاما بالسكان وان عددهم قديما كان يبلغ نحوا من سبعة ملايين ولا يقل عددهم الآن (حوالى عام ٦٠ ق.م.) عن ثلاثة ملايين (٣) .

البطالمة يحتفظون بالنظام الادارى التقليدى :

وقد احتفظ البطالمة بهذا النظام التقليدى ، نظام تقسيم البلاد الى مصر العليا ومصر السفلى وتقسيم كل من هذين القسمين الى وحدات ادارية رئيسية أى الى محافظات أو مديريات (٤) . وكانت لكل مديرية

(1) Herod., I, 177; Plin., V, 60.

(2) Theocritus, XVII, 82—86.

(3) Diod., I, 31, 7—8 ; Beloch, Griech. Gesch., III, 2, 1904, pp. 248—289 ; Jouguet, Vie p. 44.

(٤) لم تقسم مصر الى ثلاثة اقسام : الدلتا ، ومصر الوسطى ، ومصر العليا (Delta, Heptanomis, Thebaid) الا فى عصر الرومان ، (Wilcken, Ost., I, pp. 423—427 ; Archiv, III, p. 223) لكن البعض يعزو هذا التقسيم الى بطلميوس الخامس (P. Meyer, Heerwesen, p. 65; O. G. I. S., 108, 4. . وللاطلاع على جغرافية مصر الادارية فى العصور المختلفة ، راجع الخرائط الموجودة فى الكتب التالية :

رابطة واحدة ، تتمثل بوجـــه خاص في عبادة الهها الأكبر أو ثالوثها المقدس (١) . وكانت العبادة المحلية تختلف من مديرية الى أخرى ، بل كانت تنشـــأ مصادمات عنيفة بين المديريات المتجاورة بسبب الديانة . ويحدثنا بعض المؤرخين عن وجود أحقاد دينية من قديم الأزل بين قفط (Koptos) ودندرة (Tentyris) (٢) ، وبين مديريتي قونوبوليس (Kynopolis) =القيس بمحافظة المنيا) وأوكسوروبخوس(٣) (Oxyrhynechos = البهنسا بمحافظة المنيا) .

وتختلف أسماء المديريات وعددها في المصادر المختلفة ، اذ أن «وثيقة الدخل» (٤) — وهي تشمل القوانين المالية التي أصدرها بطلميوس الثاني وترجع الى العام السابع والعشرين من حكم هذا الملك — تتضمن قائمتين بأسماء المديريات لا تختلفان فيما بينهما فحسب ، بل تختلفان كذلك عما يذكره هيرودوتوس(٥) ، الذي زار مصر قبل ذلك بحوالي مائة وثمانين عاما ، وعما يرويه استرابون (٦) ، الذي زار مصر بعد ذلك بحوالي مائة وأربعين عاما ، وعما كتبه پلينيوس (٧) في العصر الروماني ، وعما تدل عليه نقود المديريات في ذلك العصر (٨) . لكن قائمتي وثيقـــة الدخـــل تتفقان مع هيرودوتوس واسترابون في اطلاق اسم منطقة طيبة على بعض مديريات مصر العليا ، كما تتفق قائمتا وثيقة الدخل واسترابون في ذكر ست وعشرين مديرية الى جانب منطقة طيبة وهي التي يقول استرابون انها كانت تضم عشر مديريات . واتفاق هيرودوتوس ووثيقة الدخل من حيث اطلاق اسم منطقة طيبة على بعض مديريات مصر العليا يدل على أن هذه التسمية لم

Parthey, G., Zur Erdkunde des alten Aegypten, in Abh. d. Berlin Akad. 1858; Lepsius, Denkm., I, Bl. 1—6, 1853; Archaeological Report of the Egypt Exploration Fund (1898—1902); Maspero, dans L'Atlas de Geogr. Historique de P. Schrader (1896).

(1) Jouguet, Mac. Imp., p. 300.

(2) Juvenal., XV, 33—44.

(3) Plut., Is. et Osir., 72.

(4) Grenfell-Mahaffy, Revenue Laws of Philadelphus, pp. XLV ff., cols. 31; 60 ; 72.

(5) Herod., II, 165—6.

(6) Strabo, XVII, 1,3.

(7) Plin., Naturalis Historia, V. 9, 3.

(8) Cf. Poole, Coins of Alex. and the Nomes.

تكن أمرا استحدثه البطالمة . ويحدثنا استرابون وديودوروس (١) بأنه كانت توجد قديما فى مصر ست وثلاثون مديرية دون أن يذكرا عدد المديريات فى عهديهما . وتشير بعض الوثائق المصرية القديمة الى وجود أربعين مديرية ، بل ان بعض الخرائط الحديثة تورينا أنه كانت توجد فى مصر فى عهد الفراعنة خمسون مديرية (٢) .

ويبين مما يرويه استرابون أنه كان يوجد فى كل من الدلتا و « منطقة طيبة » عشر مديريات ، لكن هذه المساواة فى عدد المديريات بين الدلتا ومنطقة طيبة لم يكن لها وجود فى عصر البطالمة على الأقل ، اذا صح أن عدد المديريات فى مصر كلها كان لا يقل عن ست وثلاثين مديرية ، وذلك لأنه لم يوجد عندئذ فى مصر الوسطى الا سبع أو ثمانى مديريات (٣) ، ولأنه وفقا للقائمتين اللتين تتضمنهما وثيقة الدخل كانت توجد أكثر من عشر مديريات فى الدلتا فى عهد بطلميوس الثانى على الأقل ، اذ أن احدى هاتين القائمتين تذكر ثمانى عشرة مديرية والقائمة الأخرى ثلاث عشرة مديرية فى الدلتا (٤) .

ويمضى استرابون فيذكر بالاسم سبع عشرة مديرية بوصف كونها فى الدلتا أو بجوارها، وبمقارنة أسماء المديريات التى يذكرها استرابون بقائمتى وثيقة الدخل وقائمة پلينيوس ، نلاحظ أن هذه المراجع جميعا تتفق فى ذكر اثنتى عشرة عاصمة من عواصم المديريات فى الدلتا ، وهى (٥) :

(1) Strabo, XVII, 787 ; Diod. I, 54, 3.
(2) Grenf. — Mahaffy, op. cit., p. XLVI.
(3) Cf. P.C.Z. 59706, ll, 2—9 ; Lenger, in Chron. Eg., 25, 1950, pp. 324-7.
(4) Col 31, ll. 4—14 ; col. 60., l. 18, col. 72, l. 18.
(5) Bevan p. 140.

الاسم الافريقى لعاصمة المديرية	اسمها المصرى القديم	الاسم الحديث لمدينة تقع فى مكان المدينة القديمة او بالقرب منه
سايس	Sai ساى	صا الحجر
بوسيريس	Pusiri بوسيرى	ابو صير بانا
سبنوتوس Sebennytos	زاب — نوتير Zab-nutir	سمنود
منديس Mendes	پى - بينيبديدى Pi-binibdidi	تل الربع قرب السنبلاوين
تانيس Tanis	زانى Zani	صا
ليونتوپوليس Leontopolis	... ...	تل اليهودية بالقرب من شبين القناطر
فاربايثوس Pharbaithos	Shndu شوندو	حوربيت
بوباستيس Bubastis	پو — باستيت Pu-bastit	تل بسطة بالقرب من الزقازيق
اثريبيس Athribis	Hathiribi هاثيريبى	تل اتريب قرب بنها
پروسوپيس Prosopis	Zàk-ai زاك — اى	؟
ليتوپوليس Letoplis	Sokhmit سوخميت	اوسيم
هليوپوليس Heliopolis	اونو	المطرية
= مديرية دلتا فى وثيقة الدخل (col. 31, 1.6.)		

ويضيف استرابون الى ذلك المديريات التالية باعتبارها فى الدلتا أو بالقرب منها :

(١) مديرية منلايتيس (Menelaites) ، وهى التى اشتق اسمها من اسم منلاوس (Menelaos) أخى بطليموس الأول ، وكانت فى الجزء الشمالى الغربى من الدلتا بالقرب من قانوب ، وذكرت فى احدى قائمتى وثيقة الدخل • (٢) مديرية جونايقوپوليتيس (Gynaecopolites) وعاصمتها جونايقوپوليس (Gynaecopolis = مدينة النساء) ، ويبدو أنها كانت الى الجنوب الشرقى من دمنهور ، بين نقراطيس وسايس ، وقد ورد جزء من اسمها فى احدى قائمتى وثيقة الدخل • (٣) مديرية مومنفيتيس (Momemphites) وعاصمتها مومنفيس (Momemphis) بجوار

المديرية السابقـة . (٤) مديرية فاجروريوپوليتيس (Phagroriopolites) وعاصمتها فاجروريوپوليس شرقى الدلتـا بالقرب من پيثوم (Pithom) والبحيرات المرة . ويظن أنه يقـابل هاتين المديريتين فى وثيقة الدخـل المديريتان الليبية والعربية(١) ، وهما اللتان يذكرهما پلينيوس على هذا النحو (٢) . (٥) مديرية نيتريوتيس (Nitriotes) وكانت تشمل وادى النطرون وورد ذكرها فى احدى قائمتى وثيقة الدخل ومن المحتمل أنه يقابل اسمها فى القائمة الأخرى أحد الاسمين المشوهين فى هذه القائمة (٣). ويذكر پلينيوس كذلك مديرية سثرويتيس (Sethroites) ، وهى التى ذكرت فى قائمتى وثيقة الدخل، ويظن أنها كانت تقع بين تانيس وپلوزيون .

مصر الوسطى :

وأما فى وادى النيل ، فيما بين الدلتا ومنطقة طيبة ، فاننا نجد فى المصادر كلها أسماء العواصم الست التالية :

الاسم الاغريقى	الاسم المصرى	الاسم الحديث
ممفيس Memphis	مينو فيرو Minnofiru	البدرشين
افروديتوپوليس Aphroditopolis	پنبتاهى Pnebtepahe	اطفيح
قروقوديلوپوليس Crocodilopolis	شتت Shetet	مدينة الفيوم
هيراقليوپوليس Heracleopolis	هينينسوتون Hininsuton	اهناسية
اوكسورونخوس Oxyrhynchos	پيمازيت Pimazit	البهنسة
قونوپوليس Cynopolis	كايسا	القيس

ولا نستبين مما يرويه استرابون اذا كانت الأسماء التى يذكرها بعد قونوپوليس (Cynopolis). أسماء عواصم مديريات أم لا ، لكننا اذا اعتبرنا عواصم مديريات تلك المدن التى تقابل عواصم المديريات المذكورة

(1) Mahaffy — Grenfell, p. XLVII.
(2) Bevan, p. 141.
(3) Mahaffy—Grenfell, p. XLVIII.

فى الوثائق المصرية القديمة وفى بلينيوس والتى تشمل عاصمة مديرية طينة (Thinis) الواردة فيما كتبه أجثارخيديس (Agatharchides) (١) فاننا نحصل على عواصم المديريات التالية :

الاسم الاغريقى	الاسم المصرى	الاسم الحديث
هرموپوليس ماجنا Hermopolis Magna	Khmunu خمونو	اشمونين
Lycopolis لوقوپوليس	Siaut سياوط	اسيوط
Aphroditopolis افروديتوپوليس	Zobui زوبوى	ادفا
Panopolis پانوپوليس	Khimme خيمى	اخميم
Thinis ثينيس	Thini ثينى	جرجا
ديوسپوليس پارفا Diospolis Parva	Hait هاويت	هو
Tentyris تنتوريس	Tantoririt تانتوريريت	دندرة
Coptos قوپتوس	Qubti كوبتى	قفط

منطقة طيبة :

واذا استثنينا ، فيما يظن ، الأقاليم التى خصصت للمدن الاغريقية الثلاث — الاسكندرية ونقراطيس وبطوليس — فاننا نلاحظ أن مصر كلها كانت مقسمة فى عصر البطالمة أيضا الى مديريات . لكنه يبدو من « وثيقة الدخل » أن بعض مديريات مصر العليا كانت تؤلف منذ أوائل عصر البطالمة منطقة منفصلة يطلق عليها منطقة طيبة ، تحدها شمالا الحدود الجنوبية لمديرية هرموپوليس ، وتنتهى جنوبا عند الشلال الأول . ويظن البعض أن هذه المنطقة كانت تعتبر منذ أوائل عصر البطالمة من الناحية الادارية بمثابة مديرية واحدة خاضعة للحاكم المقيم فى طيبة (٢) . ولكن خطأ هذا الرأى يتضح لنا متى عرفنا أنه قد ورد فى بردية الفنتين(٣) اسم احدى مديريات طيبة ، وهى مديرية أپولونوپوليس (Apollonpolis) .

(1) Photius, 22 in Geogr. Graec. Min., i. p. 122, ed. Müller, Didot.

(2) Bevan, p. 162.

(3) Rubensohn, Elephantine-Papyri, 1907, 7, 6, 12 ; 17, 17; Archiv. VI, 1920, p. 33 ; cf. Archiv. V, p. 215.

وعاصمتها ادفو ، وأنه وفقا لرواية استرابون كانت توجد عشر مديريات في هـذه المنطقة في بداية العصر الروماني ، وأن پلينيوس يذكر أسماء احدى عشرة مديرية في هذه المنطقة (١) ، مما يدل على أن هذه المنطقة كانت مقسمة الى مديريات شأنها في ذلك شأن باقي أنحاء مصر . ويضاف الى ذلك ما سبقت الاشارة اليه من أن تسمية بعض مديريات مصر العليا بمنطقة طيبة لم يكن أمرا استحدثه البطالمة . وتشـير الوثائق الى أن مركزي پريشيبيس وپاثوريتيس كانا يكونان في أول الأمر مديرية واحدة ثم انفصلا عن بعضهما حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وأصبحا يؤلفان مديريتين (٢) . وفي القرن الأول قبل الميـلاد أصبحت المديرية الأخيرة تعرف باسم مديرية هرمونثيس (٣) « أرمنت » . ونحن نميل الى الاعتقاد بأن الاضطرابات التي وقعت في منطقة طيبة منذ عهد بطلميوس الخامس هي التي جعلت البطالمة يقيمون حاكما على كل هذه المنطقة ، يدعى أحيانا قائدا عاما (Epistrategos) وأحيانا قائدا (Strategos) وكانت مهامه تشمل الاشراف على الصحراء العربية كذلك (٤) . ويبدو أيضا أن هذه الاضطرابات هي التي أفضت الى اقامة هيپالوس حاكما عاما على أقاليم مصر بأجمعها (Chora) على الأقل منـذ ابريل عام ١٨٥ حتى ديسمبر عام ١٦٩ (٥) . ونسمع أيضا عن أشخاص كانوا يتولون منصب الاپيستراتيجوس فضلا عن أداء مهام ادارية أخرى اما في الاسكندرية مثل أپولودوروس (٦) (في أواخر القرن الثاني قبـل الميلاد) وبطلميوس (٧) (٩٥/٩٤ ق.م.) ، واما في پطولميس مثل قاليماخوس (٨) (٧٦/٧٥ ق . م .) .

اسماء جديدة للمديريات :

واذا كان البطالمة قد احتفظوا بنظام تقسيم مصر الى مديريات ، فانهم لم يحتفظوا بأسمائها القديمة ، وان احتفظوا بوجه عام بالقـاعدة التي

(1) Nat. Hist., V; 4, 49.
(2) Aegyptus, 29, 1949 pp. 27—30.
(3) C.I.G., 4911, ll. 2—3 (c. 73 B.C.).
(4) Dack, Aegytus, 1949, p. 14; Martin, Les Epistratèges, 1911, pp. 5 ff.
(5) Rostovtzeff, S and E., p. 717; Skeat, Archiv, 12, 1937, pp. 40—3; UPZ. 110, ll. 164 — 5; P. Tebt, III, 895, lel 62—3; 920, l. 15; P. Lond. 610.
(6) S.B. 1568, ll. 1—4.
(7) S.B. 7259; O.G.I.S., 740.
(8) O. G. I. S., 149.

كانت متبعة فى العصر الصاوى وتقضى بأخذ اسم المديرية من اسم عاصمتها . ففى بعض الحالات حرف البطالمة أسماء هذه العواصم بحيث تتلاءم مع الذوق الاغريقى ، وفى البعض الآخر أطلقوا عليها أسماء جديدة نتيجة لتشبيه آلهتها المحلية بآلهة اغريقية ، فمثلا حيث كان الاله المحلى رع أو تحوت أو حورس أصبح اسم العاصمة هليوپوليس أو هرموپوليس أو أپولونوپوليس . وفى بعض الأحيان اشتقوا أسماء المدن من الترجمة الاغريقية لأسماء آلهتها أو طواطمها فغدت أسماء المدن قروقوديلوپوليس وقونوپوليس ولوقوپوليس ولاتوپوليس وأوكسورونخوس الخ .. والاسم الأول معناه مدينة التماسيح والثانى مدينة الكلاب والثالث مدينة الذئاب والاسمان الرابع والخامس اسما نوعين من الأسماك .

قائد المديرية ومديرها :

وعندما فتح الاسكندر مصر ، كان يحكم كل مديرية (nomarches) وأبقى الاسكندر المديرين المصريين فى مناصبهم . ويرجح بعض المؤرخين أن بطلميوس الأول استبقى هذا النظام ، ولكن بطلميوس الثانى استن نظاما آخر يشير بجلاء الى احتلال البلاد بسلطة عسكرية أجنبية بوضع موظف يدعى «القائد» (strategos) على رأس المديرية (١) ، فى حين أن البعض الآخر يعزو هذا التغيير الى بطلميوس الأول منذ قدومه الى مصر بوصف كونه واليا عليها (٢) . والواقع أن اللقب العسكرى الذى يحمله الحاكم الجديد للمديرية ينم عن بداية عهد السيطرة المقدونية عندما كان ضباط جيش الاحتلال يشرفون على حكام المديريات (٣) . وعلى كل حال فان الكل يتفق على أنه منذ أوائل عصر البطالمة أصبحت كل مديرية منطقة عسكرية ، أقيم عليها الى جانب المدير قائد اغريقى أو مقدونى . ولم يكتف البطالمة باقامة حكام عسكريين أجانب على رأس المديريات بل أخذوا منذ البداية يسندون منصب المدير كذلك الى اغريقى أو مقدونى دون حرمان المصريين كلية ، ذلك أنه من بين تسعة عشر مديرا

---

(1) C.A.H. VII, p. 123.

(2) Jouguet, Mac. Imp., p. 300 ; Bengtson, Die Strategie, p. 19.

(3) Jouguet, Trois Et., p. 67.

نعرف أنهم كانوا يباشرون مهامهم فى الشطر الأول من عصر البطالمة كان أربعة على الأقل مصريين(١)• وهذا يشير الى أن المدير أصبح عادة اغريقيا أو مقدونيا وليس مصريا • وبمضى الزمن أصبح المدير يحتل المكان الثانى وأصبحت اختصاصاته مالية قبل كل شىء ، فى حين أن القائد أصبح حاكم المديرية المدنى والعسكرى (٢) ، ويمتد سلطانه على كل فروع الادارة (٣) • ولكنه يجب أن يلاحظ أنه فى خلال القرن الثالث كانت الصفة العسكرية للقائد لا تزال هى الغالبة (٤) • وأما منذ القرن الثانى قبل الميلاد ، فانه لم يعد للمدير نصيب فى الادارة وأصبح القائد قبل كل شىء حاكما مدنيا ، لكنه كان لايزال يحتفظ بالاشراف على مستعمرات الجنود وعلى رجال الشرطة فى المديرية (٥) • وأغلب الظن أنه فى خلال القرنين الثانى والأول قبل الميلاد كان حاكم منطقة طيبة وحده ، دون غيره من باقى حكام الأقاليم، هو الذى يتمتع بسلطة عسكرية (٦) ، ومرد ذلك الى أن منطقة طيبة كانت بعيدة عن مقر السلطة المركزية وأخطر معاقل الثورات القومية فى الشطر الثانى من عصر البطالمة ، على نحو ما سنرى تفصيلا فى سياق الحديث عن الثورات القومية (٧) •

ويبدو لأول وهلة مما تذكره الوثائق أنه كان يوجد فى مديرية الفيوم فى عهد بطلميوس الثالث أكثر من قائد واحد ، لكن دراسة هذه الوثائق بعناية ترينا أنه فى الحقيقة لم يكن لهذه المديرية سوى قائد واحد وأما الآخرون فان لقبهم(Strategos kathestamenos أو tetagmenos) يشير الى أنهم كانوا قوادا مساعدين ، أى مساعدى القائد الأصلى وأقل منه مرتبة • ويرى «جيرو» أن هؤلاء المساعدين لم يوجدوا على الدوام، وانما كانوا يعينون فيما يبدو بصفة مؤقتة لأغراض خاصة ، مثل القيام

(1) Bengtson, pp. 21—2.
(2) Jouguet, Trois Et., p. 67.
(3) Jouguet, Vie, p. 5.
(4) Bevan, p. 124 ; Bengtson. p. 24.
(5) Jouguet, Mac. Imp., p. 301.
(6) Cf. Dack, Aegyptus, 1949, pp. 14—18.
(٧) انظر الجزء الرابع ، الفصل الثانى والعشرين .

بأعمال القائد الأصلى فى أثناء تغيبه عن عمله أو تخفيف عبء العمل عنه فى بعض الأحيان (١) . ويرى «داك» أن فريقا من هؤلاء المساعدين كانوا ممثلى القائد فى ادارة أقسام (merides) المديرية (٢) .

ويرى بعض الباحثين أنه كان للقائد مساعدان ، يدعى أحدهما المشرف على المديرية (ho epi tou nomou أو epistates tou nomou) وكان يختص بالشئون القضائية ، وأما الآخر فانه كان رئيس الشرطة (٣) (epistates ton phylakiton).

ويرى بعض آخر أن « المشرف على المديرية » كان فى الوقت نفسه رئيس الشرطة (٤) . ومسألة وجود رئيس للشرطة فى كل مديرية مسألة لايرقى اليها الشك ، وقد سبق أن ذكرنا فى معرض الحديث عن الشرطة أنه كان يوجد فى كل مديرية وفى كل وحدة من الوحدات الادارية التى تتألف منها المديرية رئيس للشرطة كان رئيس شرطة المديرية أعلاهم جميعا فى المرتبة .

وأما القول بأنه كان يوجد فى كل مديرية موظف كبير يدعى «المشرف على المديرية » ويختص بالشئون القضائية ، فانه يصعب علينا قبوله . ذلك أننا أولا ، سنتبين من سياق الحديث عن النظام الذى انفردت به منطقة طيبة أن اصطلاح « ايبستاتيس المديرية » (المشرف على المديرية) كثيرا ما استخدم بدلا من اصطلاح « قائد المديرية » ، وأن « ايبستاتيس المديرية » كان فعلا حاكم مديرية ولكن هذه المديرية كانت تدخل فى نطاق اختصاص حاكم أعلى منه مرتبة ، أى ان الايبستاتيس كان نائب ذلك الحاكم أو القائد . ويتأيد ما نذهب اليه من أن ايبستاتيس المديرية كان حاكمها الفعلى مما سيتضح لنا فى معرض الحديث عن الادارة المالية من أنه منذ القرن الثانى قبل الميلاد كان شأن ايبستاتيس المديرية شأن قائد المديرية من حيث أن كلا منهما كان يجمع بين منصب « المشرف على

---

(1) Gueraud, Enteuxeis, pp. LXXXVII—XCII.

(2) Dack, Aegygtus, 1949, p. 40.

(3) OGIS., I, 139, 5-8; SB. 5675, 1.2 (184-3); P. Tebt., 6,1.14 (140-39 B.C.); Bevan, pp., 143, 163; Bouché-Lecl., III, p. 137 ; Oertl, Liturgie, pp. 50-51.

(4) Jouguet, Vie, p. 53.

الدخل »ومنصبه الرئيسى بوصف كونه ابيستاتيس المديرية أو قائد المديرية. ومثل ذلك هيراقلايديس فقد كان ابيستاتيس مديرية پريثيبيس (Perithebes) وكذلك المشرف على شئون دخلها (١) (epistates kai epi ton Prosodon) وثانيا ، أننا سنرى فى سياق الحديث عن الأقسام الادارية فى المديرية ان الحاكم الادارى لكل من المركز والقرية كان يدعى كذلك ابيستاتيس . وثالثا ، أننا سنعرف فى سياق الحديث عن النظام القضائى أنه اذا كان ابيستاتيس كل من المركز والقرية يقوم بدور فى الاجراءات القضائية بناء على توجيه حاكم المديرية ، فان ابيستاتيس المديرية كان يرأس محكمة اغريقية . بيد انه يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أننا لا نعرف حتى الآن الا مثلين اثنين لمحكمة الابيستاتيس وكلاهما من مديرية پريثيبيس فى منطقة طيبة ويرجعان الى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد ، وهما محكمة الابيستاتيس بطلميوس ومحكمة خليفته الابيستاتيس هيراقلايديس (٢) . وفى ضوء ما عرضناه يبدو لنا أنه من الاسراف فى الرأى القول بأنه كان يوجد فى كل مديرية مساعد للقائد يختص بالشئون القضائية .

نظام منطقة طيبة :

وحين أقيم حاكم عام على منطقة طيبة ، بقيت المنطقة مقسمة الى مديريات أسندت ادارة كل عدد منها الى قائد يعتقد أنه كان له نائب على رأس كل مديرية تقع فى دائرة اختصاصه . ومن ثم فانه أصبح يوجد فى منطقة طيبة ثلاثة أنواع من الحكام الرئيسيين وهم : (١) الحاكم العام ، وكان يسيطر على المنطقة بأسرها ، ومثل ذلك نومنيس (Noumenes) (١٧١ — ١٦٩) (٣) ، وهيرونوموس (Hieronymos) (فيما بين ١٦٩ — ١٦٣) (٤) ، وديمتريوس (حوالى ١١٧ ق.م) (٥) . (٢) القواد

---

(1) U.P.Z. 162, I, ll. 2—3; III, l. 9; 196, ll. 1—2.

(٢) انظر الجزء الرابع ، الفصل العشرين .

(3) P. Grenfell, I, 38, ll. 1—2; P. Lond. 610 (171-169 B.C.); Peremans, Prosopog. Ptol., Stud. Hell. 6, 1950, p. 25.

(4) S. B. 1436, ll. 8—9.

(5) S. B. 3448, ll. 2—4 (c. 117 B.C.); UPZ. 162, l. 17.

الذين كان كل منهم يشرف على عدد من المديريات ، ومثل ذلك ثيومنستوس (Theomnestos) ، وكان اختصاصه يمتد على الأقل على لوقوپوليس وپطوليس هرميو (Ptolemais Hermiou) وپريثيبيس (١) ، والقائد هيرمياس ، ان اختصاصه يمتد على لاتوپوليس وأومبو وپريثيبيس (٢) . ولكي تنبى مثنة أن ثيومنستوس وهيرمياس كانا حاكمين عامين على منطقة طيبة يجب أن نذكر أنه حين كان الأول يتولى منصبه (١٧١ — ١٦٩ ق.م) كان تومنيس هو الحاكم العام ، وحين كان هيرمياس يشغل منصبه (عام ١١٨/١١٧ ق.م) كان ديمتريوس هو الحاكم العام (٣) .

(٣) الحكام الذين كان كل منهم يحكم مديرية واحدة بصفتهم نواب حكام الفئة الثانية . ومثل ذلك تيمارخوس وكان يحكم مديرية لوقوپوليس حين كان ثيومنستوس قائد منطقة تدخل هذه المديرية في نطاقها . وكان بعض هؤلاء الحكام يحمل لقب قائد وبعضهم لقبا يشير الى أن حامله نائب القائد ، ومثل ذلك تيمارخوس فقد ذكر أحيانا بوصفه قائدا (٤) ، وأحيانا أخرى بوصفه ايبستاتيس (٥) . ويبين أن اللقب الأخير كان أكثر شيوعا بين حكام الفئة الثالثة . وعلى كل حال فانه كان يفرق بين هذه الفئات الثلاث من الحكام مكانتهم وكذلك ألقاب الشرف الفخرية التي كانت تذكر دائما قرين اسم كل منهم ومنصبه (٤) . ومما يجدر بالملاحظة أنه كان يميز حاكم منطقة طيبة عن حكام المديريات أولا لقب ايبستراتيجوس وهو الذي كثيرا ماكان هذا الحاكم يحمله ، وثانيا احتفاظه بسلطته العسكرية طوال عصر البطالمة ، وثالثا عدم تدخله اطلاقا في الشئون المالية (٧) .

(1) Siut Archive B. M. e.g. 10591 recto I, l. 23; III, ll. 7, 12—13; IV, l. 22 ; IX, l. 16, verso IV, l. 2 ; P. Lond. 610.

(2) U. P. Z., 160, l. 30 ; 161, ll. 20—21 ; 162, I, ll. 12, 14, 33, III, ll. 1—2, 6—7, IV, ll. 23—24.

(3) S.B. 3448, ll. 2—4 (c. 118 B. C.).

(4) Suit Archive B. M. 10591 recto II, ll. 2—3, III, ll. 13 — 14, 20, IV, l. 23, V, l. 7.

(5) Ibid. Verso IV, l. 4.

(6) Dack, Aegyptus, 29, 1949. pp. 14—33.

(7) Dack, op. cit. p. 44.

الأقسام الادارية فى المديرية :

ويبين أنه فى منطقة طيبة كانت المديرية تنقسم قسمين متوازيين أحدهما أعلى مجرى النهر والآخر أسفله ، وأن كل قسم من هذين القسمين كان يتألف من مركز (toparchia أو topos) واحد أو أكثر تبعا لاتساع القسم ، وأنه كان يضاف الى مراكز كل قسم ما يشير الى وجودها أسفل(kato) المجرى أو أعلاه (ano) . وأما فى مصر الوسطى فانه يبدو أن المديرية كانت تنقسم الى مراكز يضاف الى اسم كل منها ما يشير الى وقوعه فى شمال المديرية أو جنوبها أو وسطها أو غربها . ولا نستبعد أن تلك كانت أيضا الحال فى الدلتا (١) .

وكما كان لكل مديريةعاصمتها ، كان كذلك لكل مركز عاصمته أو مقره حيث كانت تتركز ادارته فيقيم حاكم المركز الادارى (وكان يدعى عادة أپيستاتيس ، وأما فى مديريتى هيراقليوپوليس ومنف فانه كان يدعى هوپوستراتيجوس) (٢) والعمدة (toparch) ورئيس الشرطة وكاتب المركز وموظفو الادارة المالية (٣) . ومما يجدر بالملاحظة أنه على عهد الدولة الحديثة (١٥٨٠ — ١٠٩٠ ق٠م٠) كانت لكل عاصمة من عواصم المديريات ادارتها الخاصة ، وأنه فى العصر الصاوى (٦٦٣— ٥٢٥ ق٠م) ازدادت مكانة هذه العواصم الى حد أن المديريات كانت تعرف بأسماء عواصمها . وقد مر بنا أن هذه القاعدة كانت سارية بوجه عام فى العصر البطلمى (٤) . وكذلك كانت المراكز تستمد أسماءها عادة من أسماء عواصمها فيما عدا بعض الحالات (٥) . وكان كل مركز يضم عددا من القرى (Komai) كان لكل منها حاكمها الادارى (أپيستاتيس) وعمدتها

---

(1) Cf. Dack, Chron., 23, 1948, pp. 148 — 154; Cf. Studia Hellenistica. 7, pp. 8—10, 13, 33.

(2) Dack, Chron., 23, 1948, pp. 150—2.

(3) P. Par. 6; P. Hib. 73, l. 10; P. Tebt. 5, ll. 142, 159; 6, l. 14 ; 27, l. 29; 38, l. 17 ; 903, ll. 4—6; Dack, Stud. Hell., 7, p. 21, fn. 4; Peremans, Prosop. Ptolemaica, p. XXI, fn. 1; cf. Bevan, pp. 143-4; Jougnet, Mac. Imp., p. 301.

(4) Dack, Stud. Hell., 7, p. 10; cf. Kees, Nomos, in R. E. 15 (1931) col. 807—8; (1936), Col. 833—40.

(5) Dack, op. cit. p. 12.

(Komarch) (١) ورئيس شرطتها (٢) ؛ وكان يساعد الحاكم جماعة من شيوخ القرية . وفى الفيوم كان هؤلاء الشيوخ يعرفون فى خلال القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد باسم شيوخ المزارعين (presbyteroi georgon) أو شيوخ مزارعى الملك (presbyteroi basilikon georgon). ولعل اللقب الثانى كان يطلق على شيوخ القرى اذا كان كل اقليمها يتألف من أراضى الملك ، لأن أغلب الأهالى كانوا عندئذ يشتغلون بفلاحة هذه الأراضى ، على نحو ما كانت عليه الحال فى قرية قرقيوسيريس . ونجد فى مديرية منف رجلا يدعى « شيخ القرية » (presbyteros komes). ويرجح أن لقب « شيوخ القرية » قد خلف بمضى الزمن لقب « شيوخ المزارعين » كلما ازداد نطاق الملكية الخاصة ، فأصبح الشيوخ لايمثلون المزارعين وحدهم بل كذلك ملاك الأرض (٣) . وعلى كل حال فان الشيوخ لم يكونوا موظفين مأجورين وانما كانوا أشخاصا مكلفين بالاضطلاع بمهامهم دون أجر (leitourgountes) لكننا لانعرف كيف كانوا يختارون، ولا المدة التى كانوا يكلفون بالعمل فى خلالها . وظاهرة التكليف بأداء عمل دون أجر تتفق مع روح النظام الاستبدادى الذى كان متبعا فى عصر البطالمة (٤) .

نظام تقسيم مديرية الفيوم :

ومما تجدر ملاحظته أن نظام تقسيم مديرية الفيوم كان يختلف عن النظام الذى اتبع فى المديريات الأخرى ، فقد قسمت تلك المديرية الى أقسام (٥)(Merides والمفرد Meris) بلغ عددها أربعة فى خلال جانب من القرن الثالث قبل الميلاد وهى: قسم هيراقلايديس (Herakleides) فى الشمال،

---

(1) Dack, op. cit. pp. 20 ff.

(٢) مر بنا عند الكلام عن الشرطة انه فى القرى الكبيرة كان رؤساء الشرطة يدعون ارخيفولاقيتيس وهو الاسم الذى سنرى انه كان يطلق ايضا على رؤساء الشرطة فى أقسام مديرية الفيوم ، وأما فى القرى الصغرى فانهم كانوا يدعون دقانوى (راجع الجزء الاول ص ٤٣١) .

(3) Jouguet, Vie, pp. 61—2.

(4) Jouguet, Vie, p. 62.

(5) Dack, La topachie dans L'Egypte Ptol., Chon., 1948, Nos. 45—6, p. 155; Notes sur les circonscriptions d'origine grecque en Eg. Ptol., in Studia Hellenistica, 7, 1951, p. 46.

وقسم پولمون (Polemo) فى الجنوب الشرقى، وقسم ثميستوس (Themistos) فى الجنوب الغربى ، وقسم البحيرة الصغرى[1] (Mikra Limen) شمالى قسم هيراقلايديس ، لكنه يبين أن القسم الرابع اختفى فى النصف الثانى من القرن الثالث ، لأننا لانجد له ذكرا فى الوثائق منذ حوالى ٢٢٥ق٠م٠ [2] ولا نستطيع قبول الرأى القائل بأنه فى خلال الربع الأخير من القرن الثانى قبل الميلاد أصبحت الفيوم تنقسم الى قسمين اثنين فقط وهما : قسم هيراقلايديس وباقى المديرية [3] ، اذ أن وثيقة من ١١٩/١١٨ ق٠م٠ تذكر قسمى ثميستوس وپولمون [4] ٠ وقد كان لكل قسم من أقسام مديرية الفيوم حاكمه الادارى [5] (epistates) وعمدته [6] (Meridarch) ورئيس شرطته [7] (Archiphylakites) ٠ وحوالى منتصف القرن الثالث قسمت الأقسام الى نومارخيات كانت تعرف بأسماء حكامها [8] ٠ وكانت النومارخيات تنقسم الى مراكز والمراكز الى قرى [9] ٠

ويتبين من الوثائق أنه فى حالات كثيرة فى مديرية الفيوم كان البطالمة يضمون قريتين قليلتى السكان الى بعضهما ويجعلون منهما وحدة ادارية واحدة [10] ٠ وفى بعض الأحيان كانت احدى قرى المركز تقوم بدور عاصمته ، وعندئذ كان يوجد فيها فريقان من الموظفين يختص أحدهما بشئون المركز ويختص الآخر بشئون القرية [11] ٠ وتشير القرائن الى أنه كان يباشر العمل فى قروقود يلوپوليس (أرسينوى) فريقان من الموظفين كان أحدهما موظفى مديرية أرسينوى (الفيوم) والآخر موظفى احدى نومارخيات تلك المديرية ٠ وكانت فيلادلفيا عاصمة أحد أقسام

---

(1) P. Petr. III, 128 (240/39 B.C.).

(2) P. Tebt. 701, ll. 322, 332.

(3) Studia Hellen., 7, 1951, p. 50.

(4) P. Cairo Goodspeed, 7, ll. 15—16.

(5) P. Ent., 21, l. 11; 71, l. 7.

(6) Studia Hell., 7, pp. 48—9.

(7) P. Petr., III, 128.

(8) Dack, Chronique, 1948, pp. 155—6; Institutions de Village, in Studia Hellenistica, 7, 1951, p. 8; P. Petr., III, 37 (a) Col. I, l. 4 (258-57 B.C.); P. Petr. I, 16 (2) ll. 5-6 (231—30 or 210-9 B.C.).

(9) Dack, Chronique, 1948, pp. 156—8.

(10) Dack, op. cit. p. 34.

(11) Cf. P. Tebt. 903. ll. 4—6; Studia Hellen., 7, p. 21, fn. 3.

مديرية الفيوم وفى الوقت ذاته عاصمة احدى النومارخيات وكذلك عاصمة أحد مراكز تلك النومارخية (١) .

ومما يستوقف النظر أن كلمة مريس (Meris = قسم) لم يقتصر استخدامها دائما للدلالة على واحد من الأقسام الرئيسية الثلاثة التى كانت الفيوم تنقسم اليها بل انها كانت تستخدم أحيانا للدلالة على جزء أو نومارخية فى أحد هذه الأقسام (٢) .

واذا كان البطالمة قد استحدثوا فى الفيوم وحدتين اداريتين جديدتين لم تعرفهما مصر من قبل، وهما القسم (Meris) والنومارخية (Momarchia) فإن مصر الوسطى شهدت فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد وحدة ادارية جديدة ثالثة وهى الديويقيسيس (٣) (Dioikesis) . ويبدو أن مصادرنا القديمة تذكر سبعا من هذه الوحدات لكنه يتعذر تحديد نطاق كل منها . ومع ذلك فاننا نستخلص من هذه المصادر أن احدى هذه الوحدات ، وهى ديويقيسيس سيمارستوس (Simarestos) كانت تشتمل على الأقل التوبارخية الجنوبية فى مديرية أوكسورونخوس ، وأن هذه الوحدة ذاتها كانت تتألف من اقطاعات عسكرية ، وأن الديويقيسيس كانت وحدة ادارية يقطنها اغريق . ويبدو أن هذه الوحدة الادارية الجديدة قد اختفت قبل عام ٢٥٩/٢٥٨ ق.م. لتخلفها الوحدات الادارية التقليدية (٤) .

ملخص نظام الادارة فى الاقاليم :

ونستطيع أن نستخلص مما أسلفناه أنه لم يطبق على كل أقاليم مصر نظام ادارى موحد ، وأنه كان يحكم المديرية فى مصر السفلى والفيوم ومصر الوسطى قائد (Stategos) فى حين أنه كان يحكم كل جزء من أجزاء المديرية سواء أكان قسما (Meris) أم مركزا (Topos) أم قرية مندوب

---

(1) Studia Hell., 7, pp. 25—6.

(2) P. Petr., III 37 (a) Col. I, ll. 3 — 4 ; 56 (b) l. 9; P. Mich. Zen., 43, ll. 1, 6; P. Petrie, II, 23 (2) l. 2.

(3) P. Rev., col. 24 ; B. G. U., 1227 — 1227 — 30 ; P. Petrie, III, 40 (a) col. IV, l. 1 ; (b), col. III, l. 1.

(4) Dack, Circonscriptions Grecques, Stud. Hell., 7, p, 6, fn. 1, pp. 40—46.

عن القائد يدعى ابيستاتيس • وأما فى منطقة طيبة فانه كان يوجد على الأقل منذ عهد بطلميوس الخامس حاكم عام يليه فى المرتبة قواد ، يمتد اختصاص كل منهم عادة على عدد من المديريات ، ثم يأتى فى المؤخرة الأبيستاتيس ، وكان يحكم مديرية واحدة ، ويليه فى المرتبة حكام مراكز مديريته ، ثم يأتى فى مؤخرة المؤخرة حكام قرى هذه المراكز • وهكذا يبدو أن حكام البلاد (خارج المدن الاغريقيه فى مصر) كانوا على هيئة هرم مدرج على رأسه الملك ، ومن بعده رجال السلطة المركزية ، وفيما يلى ذلك حكام الوحدات الادارية الكبرى (حاكم عام منطقة طيبة وحكام مديريات الفيوم ومصر الوسطى ومصر السفلى) ، ثم بدرجات متفاوتة فى المرتبة حكام الوحدات الادارية — الأصغر فالأصغر — التى كانت الوحدات الادارية الكبرى تنقسم وتتفرع اليها على نحو ما أوضحنا •

عواصم المديريات :

ولسنا نعرف شيئا عن ادارة عواصم المديريات لكنه يحتمل أنه كان يدير شئونها حكام يمثلون السلطة المركزية ، اذ أنه كان يوجد فى مدينة طيبة فى القرن الثانى قبل الميلاد موظف يدعى حاكم (Thebarches) [1]• ونعرف من وثيقة من القرن الأول قبل الميلاد أن قاليماخوس ، وهو الذى كان حاكم عام منطقة طيبة وقائد البحر الأحمر والمحيط الهندى ، كان كذلك حاكم طيبة [2]• وتذكر وثيقة من القرن الأول للميلاد حاكم المدينة (politarches) [3] • واذا كان من المحتمل أنه كان لحاكم مدينة طيبة صفة عسكرية ، لأن هذه العاصمة المصرية القديمة عوملت معاملة استثنائية بسبب الدور الذى قامت به فى الثورات المصرية ، فانه من المرجح أن « حاكم المدينة » كان عادة حاكما مدنيا ، ولاسيما أن هـذا اللقب كان موجودا فى المدن المقدونية ويطلق على جماعة الحكام المحليين الذين كانوا يديرون شئون المدينة • ولعل « حاكم المدينــة » فى مصر كان شبيها بالمشرفين « ابيستاتيس » الذين نجدهم فى نقوش كثيرة ، ولعـل هذا

(1) Jouguet, Mac. Imp., 302.

(2) S. B. 4084 ; Lepsius, Denk., no 237, pl. 86 ; Martin, Les Epistratèges p. 177, no. 3.

(3) P. Oxy., IV, 745, l. 2.

الاصطلاح كان ترجمة لكلمة مصرية قديمة (١) . ويبدو اذن أن عواصم المديريات كانت كالقرى تحت اشراف رجال السلطة المحلية الذين كانوا يمثلون السلطة المركزية . ولما كنا نسمع عن وجود «شيوخ» فى منف ، فانه من المحتمل أنه كان يوجد أيضا فى عواصم المديريات «شيوخ» على نحو ما كان يوجد فى القرى . ومما يجدر بالملاحظة أن كل أسماء «شيوخ» منف إغريقية (٢) . ويرجح أن عواصم المديريات كانت فى عصر البطالمة ، مثل ما كانت فى عصر الرومان ، تنقسم الى احياء (amphoda ومفردها amphodon) على رأس كل حى منها حاكم (amphodarches) اذ يبدو محتملا أن هذا النظام ، الذى كان معروفا فى عهد الرومان ، يرجع على الأقل الى عصر البطالمة (٣) .

وبالرغم من قلة المعلومات التى لدينا عن نظام الادارة فى عهد البطالمة ، فانه يمكننا أن نقرر أن ادارة مصر كانت منظمة تنظيما دقيقا . وبما أنه يتبين من الوثائق أنه كان يوجد نظام دقيق للبريد يشمل كل أنحاء البلاد (٤) ، فانه كان من اليسير ابلاغ رغبات السلطة المركزية الى المسئولين فى طول البلاد وعرضها (٥) .

مصدر سلطة رجال الادارة :

وجدير بالملاحظة أن رجال الادارة فى الأقاليم كانوا ، من الناحية القانونية ، يستمدون سلطتهم مباشرة من الملك ، وأما من الناحية العملية ، فان كبار رجال السلطة المركزية هم الذين كانوا مصدر سلطتهم . ومن العسير أن نفرق على وجه اليقين بين سلطة كل موظف وآخر . ولا يرجع هذا الى قلة معلوماتنا وصعوبة تتبع أدوار تطور كل منصب فحسب ، بل أيضا الى ما يبدو محتملا من أنه لم يوجد اطلاقا تفرقة واضحة دقيقة بين اختصاصات الموظفين المختلفين . فقد كانوا جميعا وكلاء الملك ويعملون وفقا للتقاليد القديمة التى ترجع الى ما قبل عصر البطالمة ،

(1) Jouguet, Vie, p. 66.

(2) P. S. I, 627; Rostovzeff, Large Estate, p. 53.

(3) Jouguet, Vie, pp. 65— 6.

(٤) راجع الجزء الثالث ، الفصل الحادى عشر .

(5) Jouguet, Mac. Imp. p. 302.

وكذلك وفقا للارشادات والتعليمات التى كانت تصل الى مختلف أنواع الموظفين من رؤسائهم أو من الملك متضمنة فى منشورات (entolai) (١) كانت تصدر فيما يظن تباعا دون أى نظام ثابت ، ولاشك فى أنها كانت تناقض بعضها بعضا فى كثير من الأحيان .

والواقع أنه قد كان من مظاهر الادارة المصرية سواء فى عصر البطالمة أم فى أيام الفراعنة اصدار قرارات للعفو وتعليمات للمرءوسين (٢) . وكان الغرض من قرارات العفو تحسين الحال وازالة المساوىء القائمة ، والغرض من التعليمات حسن تصريف العدالة والعناية بجمع الضرائب ورفع التقارير الى الملك والموظفين المختصين . ويمكن مقارنة التعليمات التى نقرأها على جدران مقبرة رك مى رع (Rekmire) وزير الجنوب فى عهد تحتمس الثالث (٣) ، بالتعليمات التى أصدرها وزير مالية أحد بطالمة القرن الثالث الى مرءوسية المحليين (٤) ، وكذلك بتعليمات هيروديس وزير مالية بطلميوس السادس الى مرءوسيه المحليين (٥) . وقرار العفو الذى أصدره حرمحب (٦) أول فراعنة الأسرة التاسعة عشرة ، يذكرنا بقرارات العفو التى أصدرها بطلميوس يورجتيس الثانى (٧) .

واذا كان ذلك كله ينهض دليلا على رغبة الفراعنة وكذلك البطالمة فى حماية رعاياهم ، فان الوثائق البطلمية ترينا فارقا هاما يميز البطالمة عن الفراعنة ، وهو أن مبعث رغبة البطالمة لم يكن حب الخير لذاته وانما المحافظة على صوالحهم المادية .

ولكى نتبين الى أى حد كان نظام الادارة فى مصر البطلمية معقدا ، يكفى أن نشير الى قصة الجندى الصغير أبولونيوس (Apollonios) الذى أذن له فى عهد بطلميوس السادس بالانتقال الى منف ، فانه لكى يستطيع

---

(1) Cf. Bickerman, Notes sur la chancellerie des Lagides, Rev. intern. des droits de l'antiq., II, 1953, pp. 253 ff.

(2) Welles, The Ptol. Adm. in Eg., J. Jur. Pap., III, 1949, pp. 32 ff.

(3) Breasted, Ancient Records, II, pp. 266—95.

(4) P. Tebt. 703.

(5) U. P. Z. 110.

(6) Breasted, op. cit., pp. 22—33, nos. 45—67.

(7) P. Tebt. I, 5, pp. 17—7.

أپولونيوس اثبات مركزه والحصول على أجره ، نراه مضطرا الى الجرى من هيئة الى أخرى ، ومن وزارة الحربية الى المالية الى الادارة المحلية ، بالرغم من أنه كان فى يده اذن من الملك .

ويجب أن ندرك أن تكوين هيئة موظفى المديريات واختصاصاتهم لم تكن ثابتة على الدوام ، اذ أننا نلمس فيهـا تغييرات كثيرة دون أن نستطيع معرفة سبب ذلك (١) . ويجب أن نذكر أيضا أن موظفى البطالمة لم يكونوا طبقة منفصـلة تلقى أفرادها نوعا معينا من التعليم ، لـكن أغلبهم كانوا من الاغريق فيما عدا صغار الموظفين مثـل رجال الشرطة وحكام القرى .

تعديلات فى نظام الادارة :

ويبدو أنه فى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد وفى خلال القرن الثانى، أدخلت على نظام الادارة تغييرات كثيرة لا نعرف عنها الا النزر اليسير، لكنه يمكن القول بأن الاتجاه العام كان نحو تركيز السلطة المحلية فى يدى القائد ، الذى كثيرا ما نجده يقوم بمهام المشرف على الدخل ويجمع بين لقبه ولقب «المشرف على الدخل» (Ho epi ton prosodon) (٢) . ونرى ظاهرة جديدة فى خلال القرنين الثانى والأول قبل الميلاد ، وهى السماح تدريجيا لأغنى المصريين ، الذين اصـطبغوا بطلاء ظاهرى من الحضارة الاغريقية ، بتولى المناصب الادارية. وقد أدت هاتان الظاهرتان الى ظهور حكام مصريين (stategoi) فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد ، أحيوا فى أشخاصهم ثانية الحكام القدماء(Nomarches) الذين عرفتهم مصر فى العصور التى سبقت عصر البطالمة وكانوا يشبهون أمراء الاقطاع . ولعل ازدياد منح الوظائف لأغنى العناصر بين السكان يرجع الى أن الموظفين كانوا مسئولين أمام الملك بأشخاصهم وممتلكاتهم ، فكان من مصلحة الدولة أن تختار موظفيها وجباة الضرائب من بين الأغنياء دون نظر الى جنسيتهم (٣) .

(1) C. A. H., VII, p. 123.
(2) P. Tebt., 61 b ; 72 ; 791 ; 802 ; P. Amh., II, 35 ; U.P.Z., 162, I. ll. 2—3, III, l. 9; 196, ll. 1—2.
(3) C. A. H. VII, p. 125.

ومعنى ذلك أن الباعث على تعيين المصريين فى هــذه المناصب لم يكن ارضاء الكرامة المصرية بقدر ما كان صالح الملك .

اوجه الشبه والاختلاف بين المدن الاغريقية والمصرية :

وقد كانت الشوارع المنتظمة والمبانى الفخمة والبيوت المشيدة من الأحجار تعطى الاسكندرية وبطولميس ، وفيما يبدو نقراطيس أيضا ، مظهرا مختلفا عن عواصم المديريات ، أو بعبارة أخرى عن المدن المصرية القديمة ، التى كانت تزدحم بالبيوت المبنية من اللبن على جوانب شوارع أو أزقة ضيقة . وعلى كل حال فان المدن الاغريقية كانت تشابه المدن والقرى المصرية ، من حيث أنها كانت جميعا تنقسم الى أحياء ، وأنه كان يحيط بكل منها ســور ، توجد وراءه الضواحى بما يتبعها من العزب والكفور التى كانت تتألف من أكواخ وحقول (١) .

ومهما تكن وجوه الشبه بين المدن الاغريقية والمدن والقرى المصرية من حيث المظهر ولو عن بعد ، فانها كانت تختلف اختلافا بينا من الناحية السياسية ، اذ أن كل مدينة اغريقية كانت تكون وحــدة كاملة ، لها قوانينها الخاصة وكيان مستقل ، وتستطيع أن تحيا حيــاتها الخاصة . وبالرغم من تدخل الملك بشتى الوسائل فى ادارة شئون المدن الاغريقية ، فان هذه المدن لم تدخل فى نطاق النظام الادارى الذى كان متبعــا فى كافة أقاليم مصر وتبعا لذلك فانها لم تخضع لسلطة موظفى المديريات .

---

(١) راجع : Jouguet, pp. 46 — 47 . ويلاحظ انه كان يحيط بالمدن والقرى المصرية داخل الأسوار منطقة لا تسكن ولا تزرع (peristasis) انظر :

B.G.U. 933 (Pathyris) ; P. Tebt., 14, l. 19; 27, ll. 6, 50; 60, l. 4; 84 l. 6.

وكانت المساكن خارج الأسوار تسمى (Proasteia) انظر :

B.G.U. 364, i, 7 (VI S. Arsinoe); B. G. U. 303, l. 11; P. Lond. 113, l. 1, p. 207 (VI, Arsinoe).

واذا كانت هذه النقوش ترجع الى عهد متاخر ، فاننا لا نسرف فى الراى اذا اعتبرنا انه كانت توجد ضواحى للمدن المصرية فى عصر البطالمة ايضا (Jonguet, Vie, p. 47. fn 1)

وقد كان اقليم كل مدينــة وقرية ينقسم الى اقســام يطلق عليها topoi اذا كانت صغيرة و pedia اذا كانت كبيرة . راجع :

Grenfell — Hunt, P. Tebtunis, II, p. 366.

وأما المدن والقرى المصرية فانه لايمكن اعتبار أية واحدة منها وحدة كاملة ، اذ أن كلا منها كانت جزءا لايتجزأ من المديرية التى تتبع لها ، وكانت جميعا تخضع لسلطة الموظفين الملكيين فى المديرية . فكأن المديرية هى التى كانت تقابل المدينة الاغريقية من حيث كون كل منهما وحدة ، لكن المديرية كانت تختلف عن المدن الإغريقية من حيث خضوعها مباشرة لسلطة الموظفين الملكيين ، ومن حيث أن أهليها لم يكونوا مواطنين لهم حقوق سياسية يمكن أن تحد من استبداد السلطة المركزية وممثليها . ولعل أن هذا الفارق هو أهم ما كان يميز حياة الاغريق السياسية عن الحياة التى درج عليها الشرقيون (١) .

واذا كان غير مستبعد أنه كان يوجد على رأس المدن ، مثل ما كان يوجد على رأس القرى ، « شيوخ » يمثلون الأهالى الى جانب رجال الحكومة المحليين ، فان ذلك لايرجع الى رغبة البطالمة فى اعطاء المدن والقرى المصرية شخصية معنوية بارزة بل الى رغبتهم فى ضمان استتباب الأمن وجمع الضرائب ، وهو ما يبدو أنه كان الغرض الأول الذى حرصت الحكومة فى ذلك العصر على تحقيقه ، لأن وجود جماعة محددة تمثل جموع دافعى الضرائب ومسئولة عن تقديم كافة المعلومات اللازمة لرجال الحكومة المحليين كان يسهل عمل هؤلاء الموظفين (٢) .

طبقات السكان فى المديريات :

ولم يكن سكان المديرية طبقة واحدة ، اذ أن النصوص تفرق أولا بين الاغريق (Hellenes) والوطنيين (Laoi) ، وثانيا بين السكان الأصليين فى القرية (ek komes) أو المدينة (ek poleos) وبين المستوطنين فيها (katoikountes) وبين المارين بها (Parepidemountes) ، وكانت النقوش والوثائق البردية تدعوهم غرباء أو ضيوفا (Xenoi)(٣) . لكن المصادر المصرية لا تورينا بجلاء العلاقة القانونية التى كانت تربط المصرى بمديريته أو قريته ، ولا هل كان يوجد فى القانون الفرعونى مبدأ يقابل مبدأ الموطن (origo)

(1) Jouguet, Vie, pp. 47 ff.
(2) Jouguet, Vie, pp. 59 ff.
(3) Jouguet, Vie, p. 57.

الذي كان يوجد في القانون الاغريقي . وقد يظن أن الاغريق عندما جاءوا الى مصر طبقوا القواعد التي كانت سائدة في مدنهم ، ولكن ما الذي كان البطالمة يكتسبونه من وراء تغيير قوانين البلاد في هذه الناحية ؟ وقد يظن أن هذه التفرقة بين السكان الأصليين والمستوطنين في المديريات ترجع الى وقت قديم جدا بل الى نشأة المديريات نفسها ، ولاسيما اذا صح أن المديرية ، كما يرى بعض علماء الدراسات المصرية ، كانت أساسا جماعة من الأشخاص الذين يجرى في عروقهم دم واحد (١) . ولكن كيف يفسر وجود اغريق ووطنيين (٢) بين من تطلق الوثائق عليهم السكان الأصليين ، وكذلك بين السكان المستوطنين بل بين الغرباء في القرى والمدن ؟ انه لمن العسير الادلاء برأى حاسم في هذه المسألة بسبب قلة المعلومات التي لدينا .

وبما أنه لا توجد لدينا أدلة كافية للادلاء برأى حاسم في تعريف مختلف طبقات السكان ، فان المسألة تصبح ترجيح رأى على آخر . ونحن نرجح أن المصريين وكذلك الاغريق القاطنين في المكان الذي ولدوا فيه كانوا يعتبرون سكانا أصليين . وأما الذين كانوا ينتقلون الى مكان آخر ، وكذلك الذين كانوا يفدون حديثا على البلاد ويستقرون في مكان ما فانهم كانوا يعتبرون مستوطنين اذا أصبحت لهم مصالح دائمة في مقرهم الجديد ، في حين أنهم كانوا يعتبرون ضيوفا أو نزلاء عابرين اذا لم تصبح لهم أو لم تعد لهم مصالح دائمة في مقرهم الجديد ، على نحو ما حدث لزينون وياسون وكيلي أشغال أپولونيوس وزير مالية فيلادلفوس ، عندما صودرت ضيعة أپولونيوس وفقدوا منصبيهما تبعا لذلك . وأما أفراد الجيل الأول من الاغريق ، أى أولئك الذين وفدوا على مصر حتى تاريخ معين في بداية عصر البطالمة ، فلا يبعد أنهم بوصفهم من

---

(1) Jougnet, Vie, pp. 55—56.

(٢) أسماء اغريقية :

P. Magd., 28, ll. 1—2 ; 26, ll. 1—2 ; P. Tebt., 14, l. 3 ; 29, ll. 4—5 ; 49, ll. 2—3, 5—6 ; 42, ll. 8—9 ; 45, ll. 14—16 ; 56, ll. 11—12.

أسماء مصرية :

P. Tebt., 44, ll. 3—4 ; 46, ll. 4—6 ; 52, l.13 ; P. Reinach, 7, l. 22 ; B. G. U. 1661; P. Grenf., II, 23 a .Col. II, ll. 5. etc.

مؤسسي الدولة الجديدة اعتبروا كأنهم ولدوا فى مصر وطبقت عليهم القواعد الخاصة بهذا الفريق من سكان البلاد .

وماذا كانت حال الجنود الذين أنزلهم البطالمة فى أنحاء البلاد ومنحوهم اقطاعات يستغلونها ؟ لقد كانوا يعرفون كغيرهم من الجنود برجال الجيش (Strateuomenoi) ، وحتى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد كانت الوثائق عادة لا تقرن اسم الواحد منهم الا برتبته فى الجيش وكذلك اما بلقبه « رب اقطاع » واما بمساحة اقطاعه . فهل كانت صفتهم بمثابة أرباب اقطاعات تحدد مركزهم بين السكان الأصليين أو المستوطنين أو الضيوف ؟ أو بعبارة أخرى هل كان ينظم علاقات الجنود بالمدن والقرى قواعد مختلفة عن تلك التى كانت تنظم علاقات السكان الآخرين بها ؟ هذا ما لا نعرفه وان كنا نعرف مثلا أن شخصين مقدونيين من السلالة يوصفان بأنهما من السكان الأصليين فى قرية بالفيوم تدعى فاربايثوس (Pharbaiṭhos) [١] . ونعرف كذلك أن كثيرين من الجنود كانوا يعتبرون ضيوفا دون أن نعرف وجود فارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلق عليهم لقب مستوطنين [٢] . فمثلا نرى أن فارسيا من السلالة يعيش فى احدى قرى الفيوم ويصف نفسه بأنه ضيف Xenos [٣] ، ومعنى ذلك أنه كان يعتبر نفسه أقل اتصالا بالقرية التى يعيش فيها من غيره من المستوطنين . وعلى كل حال فانه من الثابت أن الجنود الاغريق أرباب الاقطاعات كانوا يعرفون عادة منذ القرن الثانى قبل الميلاد «بالمستوطنين [٤] (Katoikoi) » ، ولا يبعد أن مركزهم اذ ذاك كان يشبه مركز الأجانب المستوطنين فى المدن الاغريقية (Metoikoi , paroikoi) [٥] .

---

(1) P. Magd., 13, l. l.
(2) Jouguet, Vie, p. 58.
(3) P. Magd., 8.
(٤) انظر الجزء الثالث ، الفصل الثالث عشر : ٣٠ — الاقطاعات العسكرية .
(5) Jouguet, Vie, p. 59; Cf. Reinach, P. Gr., p. 34.

ملحق (١)

خاص بأسماء العرش التى حملها ملوك مصر منذ الفتح المقدونى حتى الفتح الرومانى . وهذه الأسماء عبارة عن الكنايات المميزة للقب نسوت بيتى ، أى لقب ملك الجنوب والشمال ، وهو اللقب الرابع من ألقاب الفراعنة التقليدية .

الاسكندر الأكبر و فيليب أرهيدايوس } ستپ ان رع مرى آمن Sotp N Râ Mery Amen

ومعناه : المختار من رع ، محبوب آمون .

الاسكندر الرابع : حع ابه رع ستپ ان آمن Hâ Ib Râ Sotp N Amen

ومعناه : الذى ينعش قلب رع ، المختار من آمون .

* بطلميوس الأول : مرى رع ستپ ان آمن Mery Râ Sotp N Amen

ومعناه : محبوب رع ، المختار من آمون .

بطلميوس الثانى : وسر كا رع مرى آمن Wesr Ka Râ Mery Amen

ومعناه : قوى قرين رع ، محبوب آمون .

بطلميوس الثالث (٢) : او ع ان نتچروى سنوى ستپ ان رع سخم عنخ ان آمن Iwâ N Netjerwi Senwi Sotp N Râ Sekhem ânkh N Amen

---

(١) احب ان اسجل هنا شكرى العميق للاستاذ فرنسوا دوما Prof. F. Dumas مدير المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة (سابقا) واحد الاخصائيين القلائل فى اللغة المصرية التى كانت تستخدم فى العصر البطلمى ، اذ انه استجابة لرغبتى تكرم بترجمة هذه الاسماء من اللغة المصرية القديمة الى اللغة الفرنسية . وقد استمد سيادته هذه الأسماء من النصوص المنشورة فى كتاب جوتييه (Livre des Rois d'Eg.) الجزء الرابع دون ان يأخذ بقراءات جوتييه فى ثلاث حالات ميزناها بعلامة* .

ولا يفوتنى ان اشكر كذلك المرحوم الأستاذ الدكتور احمد فخرى والدكتور محمد جمال الدين مختار ، على ما تفضلا بتقديمه لى من المعونة القيمة فى بحث مسألتى الألقاب الفرعونية ووراثة العرش عند الفراعنة .

(٢) يلاحظ انه منذ عهد هذا الملك حتى عهد بطلميوس الثانى عشر اصبحت دائما تسبق اسم العرش للملك الحاكم الترجمة المصرية للقب الالهى الاغريقى الذى كان أبواه يحملانه .

ومعناه : وريث الالهين الأخوين (أدلفوى) ، المختار من رع ، الصورة الحية لآمون .

بطلميوس الرابع : اوع ان نتجروى منخوى ستپ ان فتـاح وسر كا رع سخم عنخ ان آمن .

Iwâ N Netjerwi Menkhwi Sotp N Path Wesr Ka Râ Sekhem ânkh N Amen

ومعناه : وريث الالهين الخيرين (يورجتيس) ، المختار من فتاح ، قوى قرين رع ، الصورة الحية لآمون .

بطلميوس الخامس : اوع نتجروى مر (وى) اتو ستپ ان فتاح وسر كا رع سخم عنخ ان آمن .

Iwâ Netjerwi Mer (wi) Itu Sotp N Ptah Wesr Ka Râ Sekhem ânkh N Amen

ومعناه : وريث الالهين المحبين لأبيهما (فيلوپاتورس) ، المختار من فتاح ، قوى قرين رع ، الصورة الحية لآمون .

* بطلميوس الســادس : اوع ان نتجروى پروى فتاح ـ خپرى ستپ ان رع اير معات (ان) آمن .

Iwâ N Netjerwi Perwi Path-Khepri Sotp N Râ Ir Mât (N) Amen

ومعناه : وريث الالهين الظاهرين (ابيفانيس) ، فتاح ـ خپرى (1) ، المختار من رع ، محقق عدالة آمون .

بطلميوس السابع ، نيوس فيلوپاتور : لم يرد له فى النصوص المصرية القديمة اسم للعرش .

بطلميوس الثـامن ، يورجتيس الثانى : اوع ان نتجـروى پروى ستپ ان فتاح اير معات رع سخم عنخ ان آمن .

Iwâ N Netjerwi Perwi Sotp N Ptah Ir Mât Râ Sekhem ânkh N Amen

---

(1) يختلف العلماء فى ترجمة هذا الاصطلاح فمنها « الذى اصبح فتاح » ومنها « كينونة فتاح » الخ . . .

ومعناه : وريث الالهين الظاهرين (ايبفانيس) ، المختار من فتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية لآمون .

بطلميوس التاسع : فيلوميتور سوتر : اوع نتجروى منخوى مرى موتس ندج ستپ ان فتاح اير معات رع سخم عنخ (ان) آمن .

Iwâ Netjerwi Menkhwi Mery Mutes Nedj Sotp N Ptah Ir Mât Râ Sekhem ânkh (N) Amen

ومعناه : وريث الالهين الخيرين (يورجتيس) ، المحب لأمه (فيلوميتور) : المنقذ (سوتر) ، المختار من فتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية لآمون .

* بطلميوس العاشر ، اسكندر الأول : اوع ان نتجر منخ سا نتجرت منخت رعت (١) ستپ ان فتاح اير معات رع سنن (٢) عنخ ان آمن .

Iwâ N Netjer Menkh Sa Netjrt Menkhet Rât Sotp N Ptah Ir Mât Râ Senen ânkh N Amen

ومعناه : وريث الاله الخير (يورجتيس) ، ابن الالهة الخيرة (يورجتيس) رع الأنثى ، المختار من فتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية المطابقة لآمون .

بطلميوس الحادى عشر ، اسكندر الثانى : لم يرد له ذكر فى النصوص المصرية القديمة .

بطلميوس الثانى عشر ، الزمار : اوع پا نتجر انتى نخم ستپ ان فتاح اير معات رع سخم عنخ ان آمن .

Iwâ Pa Netjer Nty Nekhem Sotp N Ptah Ir Mât Râ Sekhem ânkh N Amen

ومعناه : وريث الاله المنقذ (سوتر) ، المختار من فتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية لآمون .

كليوبترة السابعة وبطلميوس الثالث عشر والرابع عشر وقيصرون : لم ترد لهم أسماء للعرش فى النصوص المصرية القديمة .

---

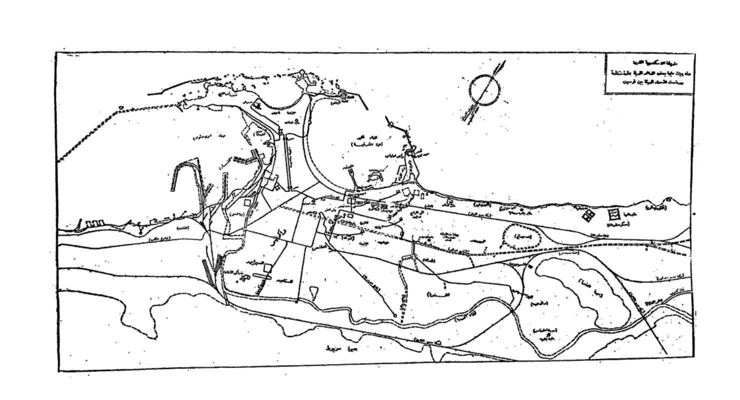
(١) مؤنث رع ، اى ان الالهة يورجتيس كانت الاله رع مؤنثا .
(٢) ومعنى هذه الكلمة هنا : صورة مطابقة .

فهرس الجزء الثانى

الباب الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس


خريطة الإسكندرية القديمة
بحيرة مريوط

الفصل السابع

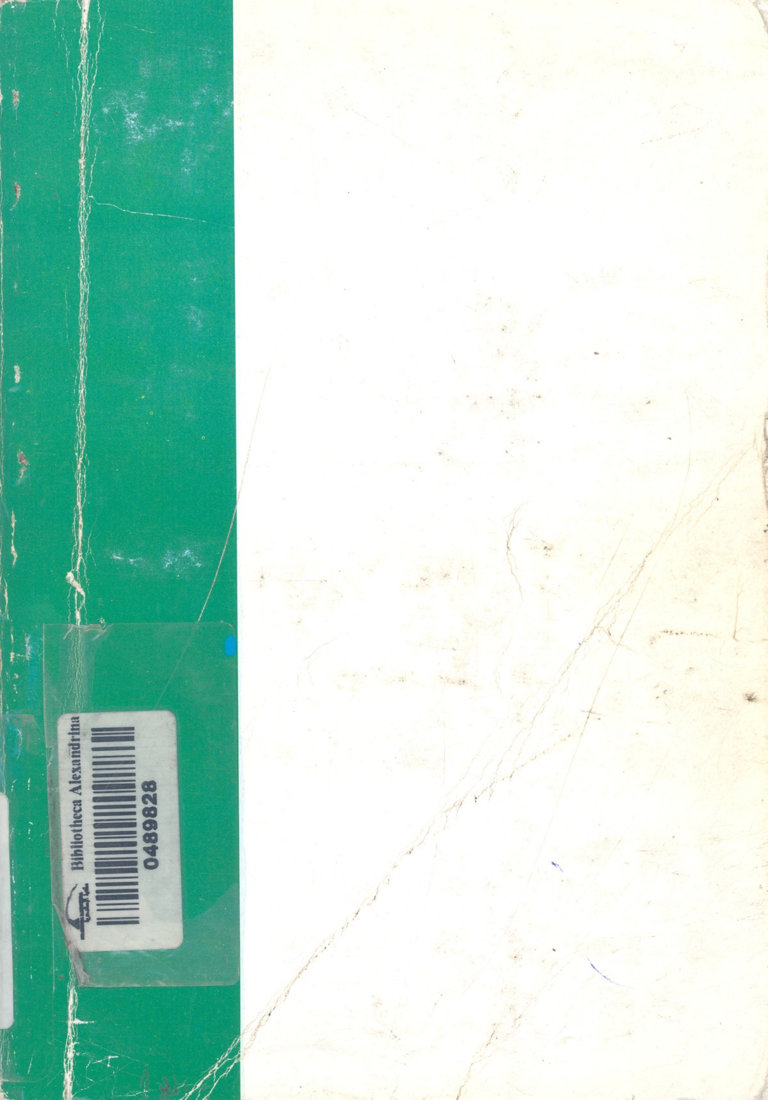
الفصل الثامن

الباب الخامس

الفصل التاسع

ايداع :٩٦٦٤/ ٩٥

I. S. B. N. 977- 05- 1413- 6: دولى


Bibliotheca Alexandrina
0489828